مكتبة ٦١٣

فئة تستحق القتل

"مرعبة ومشوقة لدرجة أنها ستشعرك أنك منوم مغناطيسيًا"

رواية

بيتر سوانسون

THE KIND WORTH KILLING

ترجمة: نهى بهمن

مكتبة | ٦١٣

فئة تستحق القتل

مكتبة ٢٠٢٠١١٩
t.me/t_pdf

لمزيد من المعلومات عن عصير الكتب www.booksjuice.com

العنوان الأصلي: The kind worth killing

طبع بواسطة: WILLIAM MORROW
an imprint of HARPER COLLINS

حقوق النشر © 2015 لـ بيتر سوانسون.

Copyrights ©2015 by peter swanson.

الحقوق الفكرية للمؤلف محفوظة

حقوق الترجمة © نهى بهمن

بيتر سوانسون

فئة تستحق القتل: رواية/ بيتر سوانسون: ترجمة نهى بهمن - القاهرة عصير الكتب للنشر والتوزيع ٢٠٢٠
٣٦٨ص: ٢١ سم

I . S . B . N: ٩٧٨-٩٧٧-٩٢٢-٠٩٤-٨

رقم الإيداع: ١٨٥٥ / ٢٠٢٠

الطبعة الأولى: يناير ٢٠٢٠

تنسيق داخلي: عمر جوبا

تصميم الغلاف: كريم أدم

مدير الحقوق الأجنبية: محمد صلاح فضل

المدير العام: محمد شوقي | مدير النشر: علي حمدي

مدير التوزيع: عمر عباس
00201150636428

مراسلة الدار Email: P.bookjuice@yahoo.com

الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر الكاتب
ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الدار

بيتر سوانسون

رواية

فئة تستحق القتل

ترجمة

نهى بهمن

مكتبة | ٦١٣

مراجعة

محمد الجيزاوي

عصير الكتب

إلى أمي، إليزابيث إليس سوانسون

الجزء الأول
قواعد بارات المطارات

الفصل الأول

تيد

«مرحبًا، يا أنت»، قالت لي.

نظرتُ إلى اليد الشاحبة المنمشة الممتدة على ظهر مقعد البار الفارغ إلى جواري في صالة درجة رجال الأعمال بمطار هيثرو، ثم رفعت عيني شاخصًا إلى وجه الغريب المتحدث إليّ.

«هل أعرفك؟».. سألتها، لم يبدُ وجهها مألوفًا بالنسبة لي، إلا أن لكنتها الأمريكية وقميصها الأبيض المتغضن، وبنطالها الجينز المنحوت على ساقيها والمدسوس في حذائها الطويل الممتد إلى الركبتين، جعلها تبدو كما لو كانت واحدة من صديقات زوجتي المريعين.

«كلا، آسفة، ولكن يعجبني نوع الشراب الذي تحتسينه، هل تسمح لي بالجلوس؟».. جلست بجسدها النحيل فوق مقعد البار الجلدي المبطن، ووضعت حقيبتها على طاولة البار. «هذا المشروب جين أليس كذلك؟».. سألَت عن المارتيني الذي أمامي.

أجبتها «هيندريك».

أشارت إلى عامل البار، المراهق ذي الشعر الشائك والذقن اللامعة، وطلبت كأس مارتيني هيندريك مع حبتين من الزيتون. وحين وصل كأسها رفعته تجاهي، وكان لايزال في كأسي رشفة متبقية، وقالت «لنشرب هذا في صحة السفر والمطارات».

«في صحة السفر والمطارات».

أنهيت كأسي، وطلبت كأسًا آخر.. قدمت نفسها لي، اسم نسيته في الحال.. وعرفتها بنفسي مخبرًا إياها عن اسمي الأول وحسب «تيد»- وليس «تيد سيفرسون».. ليس في حينها على الأقل.. جلسنا في صالة مطار هيثرو المزدحم بمقاعد وثيرة مبطنة وشديد الإضاءة، نحتسي مشروباتنا، ونتبادل بعض التعليقات والعبارات، التي أكدت أن كلانا ينتظر الصعود على متن الطائرة نفسها، لنفس الرحلة المتجهة إلى مطار لوجان في بوسطن..

أخرجَت رواية صغيرة الحجم من حقيبتها وشرعت في القراءة، مما أتاح لي فرصة النظر إليها بتمعن.. كانت جميلة، ذات شعر أحمر طويل، وأعين صافية لونها أخضر يميل إلى الزرقة مثل مياه استوائية مترقرقة، ذات بشرة شاحبة أقرب إلى لون الحليب خالي الدسم. في العادة، إذا جلست امرأة كتلك في المقعد المجاور لك في البار لتثني على مشروبك وتتجاذب معك أطراف الحديث، قد تظن أن حياتك على وشك أن تشهد تغيرًا ما. إلا أن الأمر مختلف في بارات المطارات، حيث إن لها قواعد أخرى ورفقاء البار هنا سوف يهرعون سريعًا، تاركين إياك نحو وجهات مختلفة..

وعلى الرغم من أن تلك السيدة كانت متجهة مثلي إلى بوسطن، إلا أنني كنت في عالم آخر يتملكني غضب عارم إزاء ما حدث من زوجتي. ولم يسيطر على تفكيري طيلة عطلتي في إنجلترا سوى ذلك الأمر، وبالكاد كنتُ أتمكن من تناول الطعام أو النوم.

صدح مكبر الصوت في صالة المطار بتنبيه لم أميز فيه سوى كلمتان «بوسطن وتأخر». حدقت في اللوحة التي تقع أعلى الرف العلوي لصف الخمور، ووجدت أن موعد إقلاع الطائرة قد تأخر لساعة.

قلت لها: «لقد حان الوقت لكأس آخر، على حسابي».

أجابت «مرحى»، وهي تغلق الكتاب وتضعه أمامها على البار إلى جوار الحقيبة. The Two Faces Of January لباتريشيا هايسميث.

- «كيف حال كتابك؟».

- «ليس أفضل كتاب لها».

- «ليس هناك ما هو أسوأ من كتاب رديء وطائرة متأخرة عن موعد إقلاعها كثيرًا».

- «ما الذي تقرأه؟».

- «أقرأ الجريدة، فأنا لا أحب الكتب كثيرًا في واقع الأمر».

- «وما الذي تفعله في رحلاتك إذن؟».

- «أحتسي الجين، وأخطط لجرائم قتل».

«هذا مشوق».. ابتسمت لي، ابتسامتها الأولى. ابتسامة واسعة نجم عنها تجعد بين شفتها العليا وأنفها، كاشفة عن أسنان رائعة ولمحة من لثة وردية اللون. فكرت في عمرها، فحين رأيتها أول لحظة وهي تجلس إلى جواري ظننت أنها في منتصف الثلاثينات، أي في مثل عمري تقريبًا، ولكن بعد هذه الابتسامة والنمش الخفيف، المنتشر إلى جانبي أنفها، كانت تبدو أصغر عمرًا، ربما في الثامنة والعشرين مثل زوجتي.

أضفت قائلًا: «كما أنني أعمل كذلك حين أطير».

«ماذا تعمل؟».

قدمت لها قصة مختصرة حول كيف قمت بتمويل وتقديم استشارات لشركات الإنترنت الناشئة. لم أخبرها كيف كونت معظم ثروتي من بيع تلك الشركات بمجرد أن تبدأ في الازدهار وتبدو واعدة. ولم أخبرها أنني لم أعد في حاجة إلى العمل مجددًا طيلة حياتي، نظرًا لأنني كنت من القلة المحظوظة من أصحاب شركات الإنترنت الذين تمكنوا من تحقيق الثراء أواخر التسعينيات حين قمت بسحب رهاناتي المالية (وتسييل الأسهم بتحويلها إلى نقود) قبل انفجار الفقاعة مباشرة.. أخفيت هذه الحقائق، لا لشيء سوى لمجرد عدم

رغبتي في الحديث عنها، وليس بسبب خوفي من شعورها بالملل أو خوفي من أن تفقد اهتمامها بالحديث. فأنا لم أشعر مطلقًا أنني في حاجة إلى الاعتذار عن الأموال التي صنعتها أو تبرير سهولة جمعها لأحد.

سألتها «وماذا عنك؟ ماذا تعملين؟».

«أعمل في كلية وينسلو.. أنا أمين الأرشيف هناك».

وينسلو كلية نسائية تقع في ضاحية كثيفة الأشجار، تبعد عن بوسطن بنحو عشرين دقيقة.. سألتها عن طبيعة عمل أمين الأرشيف، وقدمت لي ما يبدو أنه نسخة من قصتها القصيرة عن طبيعة عملها، وكيف تقوم بجمع وحفظ ملفات ووثائق الجامعة. سألتها «وهل تعيشين في وينسلو؟».

- «أجل».

مكتبة
t.me/t_pdf

- «متزوجة؟».

- «كلا، وماذا عنك؟».

وعلى الرغم من سؤالها، لمحتها وهي تحرك عينيها بخفة، باحثة عن خاتم الزواج في يدي اليسرى. أجبتها «أجل أنا متزوج، للأسف»، ثم رفعت يدي لتتمكن من رؤية أن إصبع الزواج خالٍ من الخاتم الذي تبحث عنه.. ثم أردفتُ «كلا، إنني لا أخلع خاتم الزواج في بارات المطارات تحسبًا لجلوس سيدة مثلك إلى جواري. إنني لم أرتدِ خاتم زواج قط، فأنا لا أطيق الشعور به وهو يخنق إصبعي».

- «لماذا تأسف على كونك متزوجًا؟».

- «إنها قصة طويلة».

- «ولكن موعد الإقلاع تأخر لوقت طويل».

- «هل ترغبين حقًا في السماع عن حياتي البائسة؟».

- «وكيف أقول لا لشيء كهذا؟».

رفعت كأسي الفارغ قائلًا: «إذا كنت سأحكي لك فأنا في حاجة إلى واحد آخر من ذلك، ماذا عنك؟».

«كلا شكرًا لك، لا يمكنني شرب أكثر من كأسين».. ثم قضمت واحدة من الزيتونتين المثبتة على عود أسنان، مما مكنني من رؤية طرف لسانها وردي اللون.

- «دائمًا ما أقول إن كأسين من المارتيني أكثر من اللازم، ولكن الثالث لا يكفي».

- «هذا مضحك.. ألم يقل جيمس ثيربر تلك العبارة هو الآخر؟».

اعتلت وجهي ابتسامة متكلفة، وأنا أقول «لم أسمع عنه مطلقًا».. على الرغم من شعوري بالخجل لمحاولة نسب اقتباس شهير إلى نفسي. ظهر عامل البار أمامي فجأة فطلبت مشروبًا آخر. وبدأت في الشعور بتنميل لطيف يدغدغ حول فمي من أثر الجين، وعلمت حينها أنني مهدد بخطر الثمالة والبوح بالكثير، ولكنها قوانين المطارات، رغم كل شيء. وعلى الرغم من أن رفيقة رحلتي تعيش على بُعد عشرين دقيقة فقط مني، إلا أنني قد نسيت اسمها بالفعل، وأعلم أن فرص لقائي بها مرة أخرى طيلة حياتي قد تكون معدومة.. كما يروق لي التحدث إلى شخص غريب والشرب معه.. إن مجرد التفوه بالكلام عاليًا يخف من حدة الغضب العارم الذي يغلي بداخلي.

ومن ثم حكيت لها القصة، أخبرتها كيف اقترنت بزوجتي منذ ثلاث سنوات، وأننا اتخذنا من بوسطن مكانًا للعيش. وأخبرتها عن ذلك الأسبوع من شهر سبتمبر الذي أمضيناه في فندق «كينويك إن» على الساحل الجنوبي لولاية «مين»، وكيف وقعنا في حب ذلك المكان، مما دفعنا إلى شراء منزل هناك باهظ الثمن مطل على الشاطئ.. وأخبرتها كيف أن زوجتي قررت نظرًا لحصولها على درجة الماجستير فيما يسمى الفنون والعمل الاجتماعي، أنها

مؤهلة بما يكفي لمشاركة شركة الهندسة المعمارية في أعمال تصميم المنزل، وكيف أمضت معظم وقتها مؤخرًا في كينويك للعمل مع مقاول يدعى «براد داجيت».

سألت بينما تضع الزيتونة الثانية في فمها «وأنها هي وبراد قد....؟».

- «اه، أجل».

- ««هل تود إخباري بالمزيد؟».

سردت عليها ما حدث بتفاصيل أكثر، فأخبرتها كيف أصاب «ميراندا» الشعور بالملل من حياتنا في بوسطن. وكيف أنها في العام الأول من زواجنا انهمكت في أعمال الديكور لمنزل الحجر الرملي الخاص بنا في سويث إند. وأنها حصلت على عمل بدوام جزئي في جاليري يملكه صديق بمقاطعة «سووا»، إلا أن الأمور ازدادت سوءًا والفجوة بيننا اتسعت، فلم نعد نتبادل الحديث على مائدة العشاء، وبدأنا في الذهاب إلى الفراش في أوقات مختلفة.

والأكثر خطورة من كل ذلك أننا فقدنا هوياتنا التي ميزت كلًا منا في تلك العلاقة. في بادئ الأمر، كنت أنا رجل الأعمال الثري الذي عرّفها على أنواع الخمور الفاخرة وقدمها إلى عالم حفلات الأثرياء الخيرية وحياتهم الرغدة، أما هي فإنها الفنانة البوهيمية التي جابت الشواطئ التايلاندية عن طريق رحلات عادية، الفتاة التي أحبت الخروج إلى البارات سيئة السمعة. كنت أعلم أن الارتباط بين نمطينا نوع من النماذج المتكررة والمتكلفة كذلك، الثري غير العادي الذي يتزوج من صارخة الجمال التي تنتمي للطبقة العادية، إلا أن الأمر نجح معنا بشكل أو بآخر..

جربنا كل شيء معًا.. حتى إنني، وعلى الرغم من تصنيفي لنفسي بصفة عامة كرجل وسيم، كنت أستمتع بحقيقة أنه ليس هناك من تجرؤ مطلقًا على النظر إلى في حضورها. فهي تملك ساقين طويلتين ونهدين كبيرين، ووجهًا على شكل قلب، وشفتين ممتلئتين، أما شعرها فلونه بني غامق وكانت دائمًا ما تصبغه باللون الأسود، ودائمًا ما تتعمد تسريحه بشكل فوضوي كما لو أنها

قد غادرت الفراش لتوها.. بشرتها صافية بلا أية أخطاء تشوبها، فلم تكن في حاجة إلى استخدام مساحيق التجميل، على الرغم من عدم مغادرتها المنزل مطلقًا دون وضع كحل أسود. كنت أرى الرجال يحملقون فيها في البارات والمطاعم، ويرمقونها بنظرات جائعة بدائية، وكم شعرت بالامتنان أننا لا نعيش في ذلك العصر أو المكان الذي يحمل فيه الإنسان سلاحًا لقضاء حوائجه.

لم تكن رحلتنا إلى كينويك مخططًا لها، مجرد رد فعل لشكوى «ميراندا» الدائمة من عدم قضائنا وقت معًا منفردين لأكثر من عام كامل.. ذهبنا إلى هناك في الأسبوع الثالث من سبتمبر. كان الطقس في الأيام الأولى دافئًا وبلا غيوم، ولكن في يوم الأربعاء من ذلك الأسبوع هبت عاصفة مطرية قوية قادمة من كندا، جعلتنا عالقين في جناحنا بالفندق.. لم نغادر غرفتنا سوى من أجل احتساء بيرة «ألاجاش وايت»، ولتناول السلطعون في الطابق السفلي من قبو الفندق. وعقب انتهاء العاصفة أصبحت الأيام لطيفة وأكثر جفافًا، واستحال ضوء النهار إلى لون أكثر بياضًا وسطوعًا، وازداد الغسق طولًا. اشتريتا سترتين وبدأنا في استكشاف ممشى جرف المنحدر الصخري، البالغ ميلًا من الطول، والذي يبدأ من شمال الحانة متخذًا طريقه بين منحدرات الأطلسي وحافته الصخرية. وقد أصبح الهواء، الذي كان من وقت ليس ببعيد محملًا بالرطوبة ورائحة الكريمات الواقية للشمس، الآن خفيفًا ومالحًا. وقع كلانا في حب كينويك، لدرجة أننا حين وجدنا قطعة أرض بعيدة معروضة للبيع، تقع في نهاية الطريق وتخنقها شجيرات ورد المسك، لم نتردد في شرائها؛ حيث قمت في الحال بالاتصال بالرقم المكتوب على لافتة «للبيع» وأتممنا الصفقة.

وبعد مرور عام واحد، تم إخلاء الأرض من شجيرات ورد المسك، وقمنا بحفر نافورة هناك، كما اكتمل تقريبًا بناء هيكل منزلنا الجديد المكون من ثماني غرف نوم. استعنا حينها «ببراد داجيت».. ذلك الرجل المطلق صارم المظهر، ذي الشعر الأسود الكثيف واللحية المحددة والأنف المعكوف، استعنا به للعمل كمقاول عام لنا في أعمال البناء. وبينما أمضيت أسابيع في بوسطن

- لتقديم استشارات لمجموعة من خريجي معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا ممن قاموا بابتكار خواريزمية جديدة لمحرك بحث قائم على مدونة- أمضت «ميراندا» الكثير من الوقت في كينويك، متخذة غرفة بشكل دائم في الفندق، لمتابعة سير العمل الذي يتم إنجازه في المنزل، مهتمة حد الهوس بكل تفصيلة وكل شاردة وواردة تخصه.

قررت في بداية شهر سبتمبر أن أفاجئها بالقدوم على غير المتوقع، وحين وصلت إلى الطريق السريع ٩٥ شمال بوسطن، بعثت برسالة إلى هاتفها المحمول، ووصلت إلى كينويك قبل حلول الظهيرة بوقت قصير باحثًا عنها في الفندق ولم أجدها. وأخبروني هناك أنها ليست متواجدة بالمكان منذ الصباح.

استقليت سيارتي إلى موقع المنزل وركنتها لدى وصولي خلف شاحنة «براد» موديل إف ١٥٠ عند الطريق المعبد بالحصى. ووجدت سيارة «ميراندا» الميني كوبر الزرقاء هناك كذلك. لم أقم بزيارة الموقع منذ عدة أسابيع وأسعدني التقدم الملحوظ الذي تم إنجازه هناك. فقد بدت كل النوافذ مثبتة في مكانها، كما أن أرضيات البلوستون التي قمت باختيارها من أجل الحديقة السفلية قد وصلت بالفعل. تمشيت حول الجهة الخلفية من المنزل حيث وجدت كل غرفة نوم في الطابق الثاني وقد أصبح لها شرفتها الخاصة، ورأيت كذلك فارندة كبيرة ممتدة بطول الطابق الأول من المنزل، والتي تقود إلى الفناء الحجري الشاسع الملحق به. وأمام الفناء تم الانتهاء من حفر مساحة كبيرة مستطيلة الشكل لتتحول فيما بعد إلى حمام سباحة. وحين صعدت سلم الفناء الحجري رأيت كلًا من «براد» و«ميراندا» عبر نافذة المطبخ الطويلة المواجهة للمحيط يقفان هناك. كنت على وشك النقر على النافذة للفت انتباههما لوجودي، إلا أن شيئًا ما استوقفني. كان كل منهما يتكئ على الكونتربوت الرخامي الذي تم تركيبه حديثًا، وينظر كلاهما عبر النافذة تجاه جزيرة كيونيك كوف. راقبت براد وهو ينفث دخان سيجارته وينفض رمادها داخل كوب القهوة الذي يحمله في يده الأخرى.

ولكن «ميراندا» كانت من استوقفتني، كان هناك ما يشوب وقفتها ووضعية جسدها، الطريقة التي كانت تستند بها على الكونترتوب بزاوية تميل إلى كتف «براد» العريض. كانت تبدو على راحتها تمامًا برفقته. راقبتها وهي ترفع يدها بينما يضع «براد» السيجارة بين إصبعها لتأخذ نفسًا عميقًا منها ثم تعيدها إليه ثانية. لم ينظر أيٌّ منهما إلى الآخر خلال تبادل السيجارة، وحينها أدركت أنهما لم يناما مع بعضهما البعض فحسب، ولكنهما قد وقعا في حب بعضهما أيضًا.

لم ينتابني حينها شعورٌ بالغضب أو الصدمة، وإنما حل محله شعورٌ بالخوف من أن يراني أتجسس على لحظتهما الحميمة من فناء المنزل، فتراجعت صوب المدخل الرئيسي، وعبرت الفارندة، وفتحت الباب الزجاجي صائحًا داخل المنزل الخاوي الذي ردد صدى صوتي وأنا أقول «مرحبًا».

صاحت «ميراندا» مجيبة «إننا هنا».. فاتجهت صوب المطبخ.

وجدتهما قد ابتعدا عن بعضهما البعض ولكن ليس بمسافة كبيرة. ورأيت «براد» يسحق سيجارته داخل كوب القهوة حين قالت «ميراندا»، «تيدي يا لها من مفاجأة».. كانت هي الشخص الوحيد الذي أطلق على هذا الاسم، وهو اسم حيوان أليف وبدأ الأمر كمزحة، نظرًا لأنه لا يناسبني على الإطلاق.

قال براد «مرحبًا يا تيد، ما رأيك فيم تم إنجازه إلى الآن؟».

لفت «ميراندا» حول الكاونتر ومنحتني قبلة استقرت عند زاوية فمي. فاحت منها رائحة الشامبو الفاخر الخاص بها وسجائر المارلبورو.

«يبدو كل شيء على ما يرام، وها قد وصلت الأرضيات التي طلبتها».

ضحكت ميراندا.. «لقد سمحنا له باختيار شيء واحد في المنزل، وهو كل ما يهمه».

لف «براد» هو الآخر من حول الكاونتر وقام بمصافحتي، كانت يده ضخمة وممتلئة، وراحة يده جافة ودافئة «هل ترغب في القيام بجولة كاملة في المكان؟».

وبينما اصطحبني كلٌ من «براد» و«ميراندا» في جولة حول المنزل شرح «براد» المواد المستخدمة في البناء، في حين أخبرتني ميراندا عن نوع الأثاث المناسب لكل مكان وأين يمكن وضعه، وبدأت حينها في إعادة تقييم ما رأيت، فلم يبدو أيٌ منهما متوترًا..

ربما ما بينهما لا يعدو صداقة حميمة، ربما أصبحا صديقين مقربين وحسب، هذا النوع من الصداقة الذي يجعل أصحابه يقفون الكتف ملاصقًا إلى الكتف يتبادلان السيجارة فيم بينهما بأريحية. كما أن ميراندا من النوع الذي يحب التلامس الجسدي مع أصدقائه، فهي تشبك ذراعيها مع صديقاتها من الفتيات، كما أنها تستقبل أصدقاءها من الرجال وتودعهم بقبلة في الشفاة. وفكرت في أن الأمر برمته قد لا يكون سوى جنون شك قد أصابني.

عقب جولتي في المنزل اصطحبت ميراندا إلى فندق «كينويك إن»، وتناولنا الغداء في مطعم «ليفري تافرن» وطلب كلانا ساندويتشين من سمك الحدق المشوي، واحتسيت كأسين من السكوتش والصودا.

«هل أعادك «براد» إلى التدخين ثانية؟».. سألتها وأنا أراقب تعبيراتها لأرى ما إذا كانت ستكذب.

قطبت حاجبيها «ماذا؟».

- «فاحت منك رائحة سجائر حين كنا في المنزل».

- «ربما أكون قد أخذت نفسًا أو اثنين من سيجارته، ولكني لم أعد إلى التدخين يا تيدي».

- «لا أشغل نفسي بالأمر، كنت أتساءل فحسب».

قالت بينما تغمس واحدة من إصبع البطاطا المقلية في طبق الكاتشب الخاص بي

- «هل تصدق أننا على وشك الانتهاء من المنزل؟».

أصبح أمر المنزل محور حديثنا لفترة وجعلني حديثها أكثر تشككًا في ظني حول ما رأيت، فقد بدت طبيعية تمامًا لا يعتريها أي شعور بالذنب.

سألتني:

- «هل ستبقى معي حتى عطلة نهاية الأسبوع؟».

- «كلا، لقد أتيت فقط لأطمئن عليك، لدي موعد على العشاء اليوم مع «مارك لافرانس».

- «قم بإلغاء موعدك وابق معي، فمن المتوقع أن يشهد الغد طقسًا جميلًا، لنستمتع به معًا».

- «لقد وصل مارك بالفعل إلى هنا طيرانًا من أجل هذا الاجتماع، وعلي إعداد بعض البيانات والأرقام».

كنت أخطط في الأساس للبقاء في «مين» لما بعد الظهيرة، آملًا أن توافق «ميراندا» أن آخذ قيلولة طويلة في غرفتها بالفندق. ولكن عقب رؤيتي لحالة الانسجام بينها وبين «براد» في المطبخ باهظ الثمن الذي دفعت ثمنه من مالي الخاص، غيرت رأيي. ولدي الآن خطة جديدة. عقب انتهائنا من وجبة الغداء اصطحبت «ميراندا» إلى موقع المنزل ثانية لتأخذ سيارتها من هناك.. وبعدها، بدلًا من أن استقل طريق «أي - ٩٥ اتخذت طريق «روت وان» متجهًا بسيارتي إلى مدينة كيتري، تحديدًا إلى منافذ البيع هناك الممتدة بطول مسافة الربع ميل..

توقفت أمام متجر «كيتري تريدنج بوست». متجر كبير للملابس مفتوح في الهواء الطلق كنت أمر عليه كثيرًا في طريقي ولكني لم أتوقف لزيارته مطلقًا. وخلال الخمس عشرة دقيقة التي أمضيتها هناك تقريبًا أنفقت نحو خمسمائة دولار على شراء زوج من البناطيل المموهة الواقية للمطر، ومعطف رمادي واقٍ للمطر مزود بغطاء للرأس، ونظارة ذات إطار أفاياتور كبيرة الحجم نوعًا ما، ومنظار مكبر عالي الجودة. ذهبت بمشترواتي إلى مكان استراحة عام على

الجهة المقابلة من متجر «كراتيه آند بارل»، وارتديت ملابسي الجديدة، ومع وضعي لغطاء الرأس وارتداء النظارة الأفاياتور، شعرت أنه لا يمكن التعرف على بسهولة، على الأقل من مسافة بعيدة. استقليت سيارتي الكواترو وعدت أدراجي صوب الشمال ثانية، وركنت السيارة في جراج عمومي بالقرب من كينويك كوف، محاولاً إخفاءها دسًا بين شاحنتين. كنت أعرف أنه ليس هناك سبب يدفع أي من «ميراندا» أو «براد» للقدوم إلى هذا الجراج العمومي، ولكن ليس هناك سبب أيضًا يجعلني أترك سيارتي في مكان يسهل رؤيتها فيه.

هدأت الرياح ولكن السماء كانت لاتزال ملبدة نوعًا ما ورمادية اللون، وبدأت بعض الأمطار الضبابية الدافئة في التساقط. مشيت عبر رمال الشاطئ الرطبة، وتسلقت الصخور الناعمة والتكتلات الصخرية الطينية المؤدية إلى أول ممشى الجرف. تحركت بحرص، مثبتًا عيني على الطريق الممهد- الزلق بفعل الأمطار والمنبعج في أماكن منه بفعل جذور النباتات والأشجار - بدلاً من النظر إلى مشهد المحيط الأطلسي الدرامي الخلاب على يميني. كانت بعض أجزاء من ممشى الجرف متآكلة تمامًا وقد وضعت عندها لافتات تحمل كتابة باهتة تحذر السائرين عليها من خطورتها. وكان ذلك السبب في عدم وجود الكثيرين على ذلك الممشي، فأنا لم أقابل تلك الظهيرة عليه سوى فتاة وحيدة مراهقة ترتدي بلوفر ماركة «برونس جيرسي»، وكانت رائحتها تشي بأنها انتهت لتوها من تدخين سيجارة حشيش، تقاطعنا على الطريق دون التفوه بأي شيء ودون حتى النظر إلى بعضنا البعض.

وقرب نهاية الطريق، مشيت بجوار جدار أسمنتي متهدم تقف أطلاله عند حدود منزل حجري هناك، وهو المنزل الأخير الذي يبعد مسافة الربع ميل عن الأرض غير الممهدة، التي تقع في نهاية المساحة المخصصة لمنزلنا الجديد. انحدر الطريق بعدها في مستوى البحر، عابرًا شاطئًا صخريًا قصيرًا معبد بالعوامات البالية والطحالب، ثم استمر الطريق بطول منحدر يرتفع عبر بعض أشجار الصنوبر الملتوية. هدأت الأمطار وخلعت نظارتي المبللة. كانت فرصة تواجد «ميراندا» و«براد» خارج المنزل ضئيلة للغاية، وتمثلت خطتي في

أن أقف على بعد مسافة قصيرة من أقرب مكان ممكن للمنزل خلف مجموعة من الشجيرات، وإذا ما رآني أي منهما من بعيد فسوف يظنني مجرد شخص يراقب الطيور وإذا ما اقترب أحدهم من مكاني سوف أنسحب سريعًا نحو الطريق الذي قدمت منه.

وحين تمكنت من رؤية المنزل يلوح من بعيد أعلى الأرض المنبعجة، تبادر إلى ذهني، ولم تكن تلك المرة الأولى التي أفكر فيها في ذلك في واقع الأمر، أن الجانب الخلفي للمنزل - وهو الجانب المواجه للمحيط- كان طرازه في البناء ذا شكل معاكس لذلك الخاص بالجانب الآخر المواجه للطريق.

فالجانب الأمامي للمنزل كان مغطى بطبقة صخرية مع عدد قليل من النوافذ الصغيرة ومجموعة من الأبواب العالية غامقة اللون تعلوها أقواس مبالغ فيها، أما الجانب الخلفي فكانت واجهته من الخشب البيج، وقد جعلته النوافذ المتطابقة فيه مع شرفاتها المتطابقة كذلك يبدو كما لو كان فندقًا متوسط الحجم وليس منزلًا، ولازلت أذكر قول «ميراندا»، حين سألتها لماذا يحتاج المنزل لسبعة غرف للضيوف «لدي الكثير من الأصدقاء يا تيد»، ورمقتني حينها بنظرة مستنكرة كما لو كنت أسألها عن ضرورة وجود سباكة داخلية للمنزل، وليس وجود سبع غرف للضيوف.

عثرت على موقع مناسب أسفل شجرة صنوبر واهنة ومثنية على نحو جعلها تبدو كما لو كانت شجرة بونساي. رقدت على الأرض الرطبة التي أمامي، وأخذت أعدل من المنظار المكبر حتى بدأت في التقاط المنزل من خلال عدسته. كنت على بعد خمسين ياردة تقريبًا وكان في مقدوري رؤية النوافذ بسهولة. أخذت في مسح الطابق الأول، ولم أتمكن من رصد أي حركة فيه، ثم انتقلت إلى الطابق الثاني. لا شيء هناك أيضًا. أخذت استراحة وأنا أقوم بمسح المنزل بعيني المجردة، آملًا العثور على زاوية تمكنني من رؤية المدخل الأمامي. ووفقًا لما بدا لي، لم يكن هناك أي شخص داخل المنزل على الإطلاق، على الرغم من أن شاحنة «داجيت» كانت لاتزال هناك حين قمت بتوصيل «ميرادنا» للمنزل لأخذ سيارتها بعد أن تناولنا الغداء.

تذكرت وأنا أقف هناك، أنني ومنذ عدة سنوات مضت ذهبت إلى الصيد مع زميل لي، سمسار مواقع إلكترونية، وكانَ أفضل صياد في مسطحات المياه الواسعة وأماكن الصيد المفتوحة رأيته في حياتي، والذي كان يمكنه من خلال النظر بعينه المجردة فقط إلى سطح مياه المحيط معرفة مكان الصيد. وأخبرني أن حيلته تمثلت في عدم تركيز عينيه على نقطة محددة، كان ينظر نظرة شاملة إلى كل شيء ممكن في مجال رؤيته، فينظر إلى جميع الأشياء المحيطة لمجال رؤيته في الوقت نفسه، وبذلك يصبح في مقدوره رصد أي حركة ولو بسيطة، ورصد أي وميض، أو أي تغير في سطح المياه. جربت حيلته تلك أثناء رحلة الصيد، ولكنها لم تنجح سوى في منحي صداع ثقيل. ولكني الآن حين قمت بعملية مسح ثانية للمنزل مستخدمًا منظاري المكبر دون جدوى، قررت استخدام حيلة زميلي على منزلي. تركت كل الأشياء تبدو ضبابية نوعًا ما أمام عيني، منتظرًا أي حركة ممكنة تلفت النظر إليها، وبالفعل عقب استمراري في التحديق إلى المنزل لأقل من دقيقة، رصدت حركة في النافذة العلوية عند الحافة الشمالية للمنزل لما يفترض أن يكون غرفة معيشة. رفعت منظاري المكبر ونظرت نحو النافذة، ووجدت «براد» و«ميراندا» هناك وكانا قد دخلا لتوهما. كان في مقدوري رؤيتهما بوضوح، فقد ساعدت أشعة شمس ما بعد الظهيرة الهادئة المنعكسة على النافذة من زاوية جيدة في إضاءة الغرفة من الداخل بوضوح دون أي وهج. رأيت «براد» يسير بمحاذاة طاولة مؤقتة موضوعة إلى جوار مجموعة من أدوات النجارة. ورفع بيده قطعة من الخشب بدا أنها جزء من تصميم للسقف ليريها لزوجتي. ثم سار بإصبعه داخل واحد من التجويفات في قطعة الخشب، وقامت زوجتي بنفس الشيء. كانت شفتاه تتحركان في حين كانت «ميراندا» تومئ برأسها لأي ما يقول.

للحظة انتابني شعور بأنني مجرد زوج أحمق يعاني من جنون الشك قام بالتخفي من أجل مراقبة زوجته ومقاول البناء، الذي قام باستئجاره، ولكن بعد أن وضع «براد» نموذجه الخشبي مكانه، رأيت «ميراندا» وهي ترتمي بنفسها بين ذراعيه، رافعة رأسها لأعلى لتقبله في شفتيه. وهو يضمها بقوة

إليه.. حدثت نفسي أن على التوقف عن مشاهدتهما إلا أنني لسبب ما لم أستطع. ولمدة عشر دقائق كاملة شاهدت «براد» وهو يضاجع زوجتي.. كان من الواضح أنها ليست المرة الأولى لهما.

تراجعت إلى وضع الجلوس، وحين عدت أدراجي إلى الطريق الذي أتيت منه رفعت غطاء الرأس عني وتقيأت الغداء الذي تناولته في حفرة مظلمة.

«متى عرفت بشأن تلك العلاقة؟».. توجهت رفيقة سفري لي بذلك السؤال بعد أن انتهيت من قصتي.

«منذ أكثر من أسبوع».

رمشت بعينيها، وعضت على شفتها السفلى وبدت جفونها شاحبة مثل منديل ورقي.

وسألتني «وكيف ستتصرف حيال ذلك إذن؟».

كان ذلك هو السؤال الذي لم يفارقني طيلة الأسبوع ولم أكف عن طرحه على نفسي، «ما أرغب في القيام به حقًا هو قتلها».. وابتسمت بشفتي التي أصابها الخدر بفعل الجين وقمت بالغمز لها حتى أمنحها فرصة كي لا تصدق ما أقول، إلا أن وجهها ظل صارمًا. رفعت حاجبيها المائلين إلى اللون الأحمر قبل أن تقول:

«أظن أن عليك القيام بذلك».. انتظرت أي إشارة منها إلى أنها تمزح، ولكني لم أحصل على شيء.. كانت نظرتها لي ثابتة.. وبالنظر إليها، وجدتها أكثر جمالًا بكثير مما كنت أظن في البداية. كان جمالها أثيريًا وسرمديًا، كما لو أنها تنتمي إلى لوحات عصر النهضة.. تختلف كلية عن زوجتي، التي بدت كما لو كانت تنتمي إلى غلاف مجلة شعبية من الخمسينيات. كنت على وشك التحدث أخيرًا حين انتبهت برأسها لسماع صوت المكبر الداخلي، الذي صدح معلنًا لتوه عن أنه حان موعد الصعود إلى طائرتنا.

الفصل الثاني

لِيلِي

بلغت الرابعة عشرة من العمر، ذلك الصيف الذي دعت فيه أمي رسام يدعى «شيت» للمجيء إلى المنزل والبقاء معنا. لا أذكر اسمه الأخير، بل إنني لم أعرفه مطلقًا في واقع الأمر. جاء وأقام في الشقة الصغيرة الكائنة فوق الاستوديو الخاص بأمي.. كان يرتدي نظارة سميكة ذات إطار غامق اللون، وكان ذا لحيه كثة لا تخلو من بقع طلاء، أما رائحته فتبدو كرائحة فاكهة رطبة بالغة النضج. لازلت أذكر الطريقة التي نظر بها نحو صدري حين التقينا أول مرة.. كان الصيف حارًا حينها بشدة، وكنت أرتدي شورت جينز وسترة علوية كاشفة ذات حمالات، وعلى الرغم من أن حجم صدري حينها لم يتجاوز حجم قرصة باعوضة، إلا أنه التهمه بعينيه على أي حال.

قال لي «مرحبًا يا لِيلِي، يمكنك أن تناديني بالعم شيت».

«لماذا أناديك بهذا؟ وهل أنت عمي؟».

ترك يدي، وأطلق ضحكة مزعجة أشبه بصوت محرك متعطل يموء «أشعر أنني بين عائلتي هنا بالفعل، إنها الطريقة التي يعاملني بها والداك، وقد قدما لي دعوة للرسم طيلة فصل الصيف كله، إنه أمر لا يصدق».

انصرفت دون أن أتفوه بشيء.

ليس هذا الصيف الأول الذي يشهد فيه منزلنا «مونك» مدعوين من كل حدب وصوب، ليس «شيت» بأول ولا آخر ضيف يستقبله منزلنا ذلك الصيف

على أية حال، فتلك هي عادة والدي في ذلك الفصل من العام بعد انتهائهما من واجباتهما التدريسية، حيث يركزان على ما يحبانه حقًا من معاقرة الخمر وممارسة الجنس وغيره من الفواحش. إنني لا آت على ذكر ذلك حتى أجعل من طفولتي مرحلةً مأساوية بائسة، ولكن ذلك كان هو الواقع بالفعل. وفي ذلك الصيف تحديدًا، الصيف الذي جاء فيه «شيت»، كان المنزل يعج بالعالة المتطفلين، وطلابهم الخريجين، والأحباء السابقين، والأحباء الحاليين الذين يترددون على منزلنا كالعث الذي يتجمع على ضوء الشرفات في ظلام الليل. ولم يكن من سبق ذكرهم سوى ضيوف المنزل، فقد اعتاد والداي على القيام بعدد لا حصر له من الحفلات والتي كنت أسمع صخبها وضجتها عبر جدران غرفتي، وأنا متمددة على فراشي.. أصوات مختلفة عبارة عن سيمفونيات مألوفة تصحبها قهقهات عالية، وموسيقى جاز صاخبة، وصوت صفق الباب الخارجي، ولا تنتهي إلا في الصباح الباكر، بأصوات صراخ وصيحات ونحيب وصفق لأبواب غرف النوم دائمًا.

كان «شيت» فصيلًا مختلفًا قليلًا عن الحيوانات المعتادة، التي تتردد على منزلنا. وكانت أمي تشير إليه بالفنان الدخيل، والذي يعني على ما أعتقد أنه غير منتسب إلى كليتها، ليس بطالب فيها ولا بفنان زائر هناك. وأتذكر قول أبي واصفًا إياه «بالمتشرد الفاسد الذي استضافته أمك خلال الصيف. تجنبيه يا لِيلِي، أعتقد أنه مصاب بالجذام. والله وحده الأعلم بما يسكن لحيته». لا أظن أنها كانت نصيحة خالصة من أبي لي - فقد كانت أمي في مرمى السمع وكان يرمي بالكلام إليها - إلا أن ما اتضح بعد ذلك هو أن ما قاله أبي كان نبوءة حقيقية.

أمضيت حياتي بأسرها في منزل «مونك»، وهو الاسم الذي أطلقه أبي على البيت الفكتوري الناخر البالغ من العمر مئة عام وهو بيت مترامي الأطراف يقع على بعد ساعة من مدينة نيويورك في أعماق غابات ولاية «كونيتكت». «ديفيد كينتينر» - هو اسم أبي - روائي إنجليزي جنى معظم أمواله من عوائد فيلم تم اقتباس قصته من كتابه الأول وأكثر ما كتب نجاحًا، وكان عبارة عن

تمثيلية جنسية هزلية ذاع صيتها وتسببت في ضجة بنهاية الستينيات. جاء أبي إلى أمريكا ككاتب زائر في جامعة «شباوج» وعمل هناك مساعد بروفيسور حين التقى «شارون هيندرسون» أمي، الفنانة التجريدية التي تشغل منصب مدرس في قسم الفنون بالجامعة.

وقد قاما سويًا بشراء «المونك»، لم يكن له اسم حين ابتاعاه في العام الذي حملت أمي فيه بي، ولكن أبي الذي خصص ست غرف نوم في المنزل كاملة للضيوف، مخططًا أن يشغلها ضيوف من (الصغار والنساء) المبدعين والأذكياء، فكر في أن يسميه بنفس اسم المنزل الذي تشارك فيه كلٌ من الكاتبين «فيرجينيا» و«ليونارد وولف». هذا علاوة على أنه يحمل اسم العازف «ثاليونيوس مونك»، الموسيقار المفضل لأبي.. وهكذا أطلق على منزلنا اسم «مونك».

تمتع «مونك» بالعديد من الخصائص المتفردة، من بينها وجود عدد من الألواح الشمسية غير المستخدمة التي تغطيها أشجار اللبلاب، وغرفة تحتوي على شاشة عرض ومزودة ببروجيكتور قديم، ومخزن نبيذ ذي أرضية ترابية، حمام سباحة على شكل كُلى في الفناء الخلفي للمنزل ونادرًا ما تم تنظيفه، فتحول مع مرور السنوات إلى بركة موحلة تكسوها الطحالب في القاع والأركان، دائمًا ما يحجب سطحه أوراق أشجار بالية، ومصفاته غير المستخدمة يسدها الفئران والسناجب المنتفخة النافقة. في بداية ذلك الصيف تحديدًا، عزمت الأمر على تنظيف حمام السباحة نصف الممتلئ بنفسي، مخرجة ما بداخل سدادته المتعفنة السوداء من قاذورات وشوائب، كما تمكنت من العثور على شبكة ساعدتني على إزالة الأوراق التي شغلت سطحه، وبعد أن قمت بتفريغه من المياه المتعفنة أعدت ملئه ثانية، مستخدمة الخرطوم خلال يوم فاتر من أيام شهر يونيو. وحين طلبت من والدي أن يقوما بشراء المواد الكيميائية الخاصة بتعقيم حمامات السباحة في المرة المقبلة التي يذهبان فيها إلى التسوق، ردت أمي «لا أريد لابنتي الحبيبة أن تسبح في مياه مليئة بالمواد الكيميائية طيلة الصيف».

أما أبي فوعدني أن يقوم بزيارة إلى المتجر لشراء حاجتي، إلا أنني رأيت في عينيه أنه قد نسي ما وعدني به، حتى قبل أن تنتهي المحادثة بيننا.

قمت بالسباحة في الحمام على أية حال في النصف الأول من الصيف، محدثة نفسي أنني على الأقل قد قمت بتنظيفه لأجلي أنا. ومع الوقت، تحولت مياهه إلى اللون الأخضر، وأصبح قاعه وجانباه دبقين بفعل الطحالب المتكاثرة فيه. وحينها أقنعت نفسي أن ذلك الحمام مجرد بركة في أدغال الغابة تقع في مكان لا يعلمه أحد سواي، وأن أصدقائي هم السلاحف، والأسماك واليعسوب. كنت أسبح في المساء، حين تتعالى أصوات صراصير الليل التي تفوق صخب الحفلات المقامة في الفناء الأمامي للمنزل. وذات مساء صيفي معتاد وأنا أسبح فيه، لمحت «شيت» واقفًا هناك لأول مرة في هذا المكان، وفي يده زجاجة من البيرة، يراقبني عند حافة منطقة الأشجار.. سألني حين أدرك أنني قد رأيته «كيف حال المياه؟».

أجبته «جيدة».

«لم أكن أعلم حتى بوجود حمام سباحة هنا في الخلف».. تقدم مظهرًا نفسه فيما تبقى من ضوء النهار، فرأيته يرتدي وزرة ملطخة بالطلاء. شرب من زجاجة البيرة التي في يده، فتعلقت بعض من رغوتها في لحيته.

أردفت وأنا أسبح تجاه نهاية الحمام العميقة سعيدة بسطح المياه الأخضر الداكن الذي لن يمكنه من رؤية جسدي وأنا أرتدي بدلة السباحة

- «لا أحد يستخدم هذا الحمام هنا غيري، فأبي وأمي لا يحبان السباحة».

- «ربما أقوم بالسباحة أنا الآخر فيه أحيانًا، هل سيزعجك ذلك؟».

- «لا أهتم بالأمر، أفعل ما تريد».

أنهى ما تبقى من زجاجة البيرة التي في يده دفعة واحدة، محدثًا صوتًا وهو يجذبها من بين شفتيه «ما أريد فعله حقًا هو رسم ذلك الحمام السرّي، وأريدك أن تتركيني أرسمه وأنت بداخله، هل تسمحين لي بذلك؟».

«لا أفهم، ماذا تريد بالضبط؟».

ضحك قبل أن يقول «أود أن أرسمك هكذا، وأنت في حمام السباحة، في هذا الضوء، إنني غالبًا ما أرسم لوحات تجريدية ولكن بالنسبة لهذه المرة الأمر مختلف...». ثم توقف وقام بحك فخذه من الداخل قبل أن يردف قائلًا «هل تعلمين كم أنت فاتنة؟».

«كلا».

«إنك كذلك، أنت فتاة جميلة، ليس من المفترض أن أخبرك بذلك، نظرًا لحداثة سنك، ولكنني رسام، رسام يستشعر الجمال، فلا بأس إذن. أنا أفهم الجمال الحقيقي، أو على الأقل أتظاهر بذلك».. ثم انفجر ضاحكًا قبل أن يقول «هل ستفكرين في الأمر؟».

«لا أدري كم عدد المرات الذي سأسبح فيها هنا مرة أخرى، فالمياه غير نظيفة».

«حسنا»، قال وهو ينظر إلى المكان خلفي، رافعًا رأسه ببطء «أحتاج إلى زجاجة أخرى من البيرة، هل تودين أن أجلب لك شيئًا ما؟» ثم حمل زجاجته رأسًا على عقب، لتسقط قطراتها على العشب غير المهذب «يمكنني أن أحضر لك بيرة إذا أردت».

«أنا لا أشرب البيرة، لازلت في الثالثة عشرة».

«حسنًا».. قال وهو ينظر نحوي منتظرًا ما إذا كنت سأخرج من الماء. كان فمه مفتوحًا فتحة صغيرة، ثم قام بحك داخل فخذه ثانية، بقيت في المياه، أتحرك بجسدي حتى لا أواجهه.

قال محدثًا نفسه تقريبًا «أوفيليا، حسنًا، سوف أحصل على زجاجة بيرة أخرى».

خرجت من حمام السباحة بمجرد أن غادر، مدركة أنني قد انتهيت من السباحة في ذلك الحمام ليس هذه المرة ولكن لنهاية فصل الصيف كاملًا،

ناقمة على المدعو «شيت» لكشفه حمام السباحة السري الخاص بي. قمت بلف منشفة كبيرة كنت قد جلبتها معي إلى حمام السباحة حول جسدي وهرعت نحو أقرب حمام إلى غرفتي في الطابق الثاني. شعرت بألم شديد في صدري كما لو كان الغضب قد حوّله إلى بالونة منتفخة بلهيب لا يهدأ ولا ينتهي، وفي الحمام أسفل المياه المنصبة فوق رأسي صرخت مرارًا بأقذر الألفاظ التي أعرفها. صرخت بسبب ما اعتراني من غضب عارم، ولكن ذلك لم يكن السبب الوحيد، فقد صرخت حتى أمنع نفسي من البكاء، ولكني لم أفلح. جلست على بلاط أرضية الحمام وبكيت حتى انقطعت أنفاسي.

كنت أفكر في «شيت» - في الطريقة المرعبة التي كان ينظر إلى بها- وكنت أفكر كذلك في والدي. لماذا جعلا من منزلنا مرتعًا للغرباء هكذا؟ ولماذا لا يعرفان سوى المرضى من مهاوويس الجنس؟ بعد انتهائي من الحمام، دلفت إلى غرفتي ونظرت إلى نفسي عارية في المرآة الطولية الداخلية لباب خزانة ملابسي. لم تكن العلاقات الحميمة بالأمر الغريب عليّ، فقد عرفت معنى الجنس في سن مبكرة، بل وإنني ألفته طيلة حياتي الصغيرة تقريبًا.

وبدأت معرفتي المبكرة له حين رأيت أبي وأمي يمارسانه على منشفة كبيرة فوق أحد الكثبان الرملية على الشاطئ في أحد العطلات. كنت على بعد ثلاثة أقدام منهما أحفر الرمال بمجرفة بلاستيكية. ولازلت أتذكر أن زجاجتي الصغيرة كانت مملوءة بعصير تفاح دافئ.

أمام المرآة، استدرت في مكاني لرؤية جسدي من جميع الجوانب، وأصابني الاشمئزاز. ولكن حالي أفضل من غيري، فعلى الأقل لدي ثدي صغير غير ملحوظ، على النقيض من صديقتي «جينا»، التي تسكن عند الطريق ذات النهد المستفز. سحبت كتفي إلى الخلف فتسطح نهدي تمامًا. وإذا ما وضعت يدي على بقعة الشعر حديثة الظهور سأبدو الآن كما كنت منذ عشر سنوات وكأن لا شيء قد طرأ على جسدي. مجرد فتاة نحيفة، ذات شعر أحمر يغطي النمش ذراعها وأغلب عنقها.

ارتديت بنطلون جينز وقميصًا ثقيلًا، على الرغم من أن الليل كان لايزال قائظًا، ونزلت إلى أسفل لأصنع لنفسي شطيرة من زبدة الفول السوداني.

توقفت عن الذهاب إلى حمام السباحة، ولم أدرِ ما إذا كان «شيت» استمر في البحث عني منذ ذلك الحين أم نسي أمري. كنت أراه واقفًا على درجة السلم العليا التي تقود إلى الشقة الكائنة فوق الاستوديو الخاص بأمي يدخن سيجارة ويحملق تجاه منزلنا. وكان بين الحين والآخر يتواجد في مطبخنا متحدثًا إلى أمي عادة عن الفنون، فأرى عينه تلمحني، ثم تفلتني، ثم ترصدني من جديد.

غاب أبي عن المنزل لمدة ثلاثة أسابيع ذلك الصيف، حدث ذلك مباشرة عقب زيارات متعددة لمجموعة من أصدقائه الإنجليز، من بينهم شاعرة شابة تدعى «روز». قدّمها إلى قائلًا « روز، أقدم لك لِيلِي.. لِيلِي، أقدم لك روز. لا تغيران من بعضكما البعض فكلاكما زهرتان جميلتان».. «روز» نحيلة الجسد، ذات صدر كبير تفوح منها رائحة سجائر القرنفل، طويلة القامة حين صافحتني كانت تنظر إلى أعلى رأسي». اعتراني القلق من أن غياب أبي قد يدفع «شيت» إلى الظهور داخل المنزل كثيرًا. ولكن بدلًا منه، ظهر رجل آخر ذو اسم روسي، وقد أحببته ليس لسبب سوى أنه يملك كلبًا هجينًا ذا شعر قصير يدعى «جروكي».. لم يدخل إلى منزلنا أية حيوانات أليفة منذ موت قطتي «بيس» قبل ثلاثة أشهر.

ومع ظهور الرجل الروسي كثيرًا، اختفى شيت عن النظر لفترة وبدأت أشعر بالأمان، إلى أن حانت تلك الليلة التي أتى فيها شيت إلى غرفة نومي في وقت متأخر من ليالي يوم السبت.

كنت أعرف أنه يوم السبت، لأنه يوم الحفلة المهمة، الحفلة التي لم تتوقف أمي عن الحديث عنها لأكثر من أسبوع. «لِيلِي حبيبتي عليك الاستحمام يوم السبت فإنه يوم الحفلة».. لِيلِي سوف تساعدين أمك في إعداد فطيرة السبانخ من أجل حفلنا، أليس كذلك؟ سوف أسمح لك بتوزيعها بين الضيوف بالطريقة التي ترينها مناسبة». كان اهتمامها بتلك الليلة تحديدًا غريبًا، فالحفلات ليست بالأمر الجديد على أمي، إنها دائمًا ما تنظم حفلات ولكنها عادة ما

تضم الطلاب وزملاءها من الجامعة، أما ذلك الحفل فإن المدعوين إليه كانوا من نيويورك، وقد أتوا من أجل لقاء الرجل الروسي.

كان أبي لا يزال غير متواجد بالمنزل، وازدادت عصبية أمي بسبب التصاق شعرها القصير للخلف من كثرة تمريرها لأصابعها فيه. بقيتُ بعيدة عن المنزل أغلب يوم السبت، وأنا أتمشى على امتداد أشجار الصنوبر المؤدية إلى مكاني المفضل، ضفة مخضرة بها مروج ذات جدران حجرية متاخمة لمزرعة مهجورة منذ وقت طويل. أخذت في إلقاء الحجارة صوب الأشجار حتى بدأت ذراعي تؤلمني، فتمددت قليلًا فوق العشب الناعم بالقرب من شجرة الصفصاف. واستغرقت في أحلام اليقظة حول أسرتي البديلة، أسرتي التي صنعتها من وحي خيالي لأبوين مملين، وسبعة من الإخوة والأخوات، أربعة ذكور وثلاث إناث. كان النهار حارًا، وفي مقدوري تذوق نقاط العرق المالحة أعلى شفتي، وبينما أتمدد، أخذت أراقب الكتل السحابية المنتفخة ذات اللون الداكن وهي تفترش السماء.

ومع سماعي لأول دوي خفيض لهزيم الرعد نهضت نافضة العشب عن ملابسي وعدت أدراجي إلى المنزل.. قصفت العاصفة الرعدية منزلنا «مونك» لمدة ساعة كاملة، احتست أمي فيها الجين وأخرجت المخبوزات من الفرن محدثة الروسي عن جمال تلك العاصفة قائلة- لم أكن لأجد مؤثرات صوتية للحفل أجمل من ذلك - على الرغم من أنها كانت تشعر بالضيق في واقع الأمر من العاصفة التي داهمتنا وربما تفسد حفلها. حين بدأ المدعوون في التوافد إلينا عادت السماء إلى زرقتها ثانية، كان الشاهد الوحيد على مرور تلك العاصفة هو نقاء الجو عقبها، والقطرات المتدفقة من المزاريب الممتلئة بالمياه. قدمتُ المقبّلات لضيوف لم أراهم مطلقًا من قبل، ثم عدت إلى غرفتي ومعي فطائر بوب تارتس المحمصة من أجل عشائي.

تناولت طعامي في غرفتي، وحاولت القراءة. كنت قد اخترت غلافًا من بين كومة كتب أمي المتراصة إلى جوار فراشها. كان عنوان الكتاب Damage وهي رواية للكاتبة «جوزفين هارت»، سمعت أمي تذكر سابقًا أن الرواية لم

تعجبها، وأنها لم تجدها سوى مجموعة من النفايات التي تمت صياغتها في شكل أدبي، مما ولّد لديّ الرغبة في قراءتها للحكم بنفسي، وفي واقع الأمر لم تعجبني أنا أيضًا. كانت تحكي عن رجل إنجليزي الجنسية، مثل أبي، يقيم علاقة جنسية مع صديقة ابنه، كرهت كل أبطال الرواية، فتركتها جانبًا وجذبت كتابًا من سلسلة قصص نانسي درو[1] من على الرف، القصة رقم عشرة، The Password to Larkspur Lane Nancy Drew أعلم أنني كبرت على قراءة قصة كتلك، ولكنها السلسلة المفضلة إلى مهما مرّ الوقت، أمسكت بالقصة ورحت في النوم بينما أقرأها.

استيقظت على صوت باب غرفتي.. تسلل الضوء إلى الغرفة من الردهة وأصبح في مقدوري سماع موسيقى الروك قادمة من الأسفل. كنت منكمشة على جانبي في مواجهة الباب، وتغطي خصري ملاءة واحدة. فتحت عيني قليلًا فرأيت شيت واقفًا هناك عند باب الغرفة. تسلل الضوء إلى الغرفة من خلف ظهره، إلا أنه كان من السهل التعرف عليه من لحيته، ونظارته الضخمة ذات الإطار الأسود، وانعكاس الضوء الأصفر القادم من الصالة عليه. ترنح قليلًا، كما لو كان شجرة تضربها رياح عتية.

بقيت متجمدة بلا حراك، آملةً أن ينصرف. ربما لم يكن أنا من يبحث عنه، على الرغم من يقيني بأنني تمامًا من يريد.. فكرت في الصراخ أو محاولة الفرار من الغرفة ولكن أصوات الموسيقى والإيقاع الصادحة عبر المنزل بأسره كانت ستحول دون سماع صرخاتي المستغيثة. كما أن شيت لن يتردد حينها في قتلي. قررت أن أغمض عيني، لعله يبتعد، ولكني مع إغلاق عيني كان في مقدوري سماع صوت خطواته دالفًا داخل الغرفة مغلقًا بابها من خلفه.

عزمت على إبقاء عيني مغلقة متظاهرةً بالنوم العميق، وتعالت دقات قلبي متقافزة داخل صدري في عنف، إلا أنني حافظت على انتظام أنفاسي، فكنت آخذ نفسي من أنفي وأخرجه من فمي.

---

(١) شخصية خيالية في سلسلة من أدب الغموض الأمريكي ابتكرها الناشر إدوارد سترايتماير

أصغيت بينما تقدم شيت بضع خطوات تجاهي، ثم شعرت به يقف فوقي مباشرة، كان في مقدوري سماع صوت أنفاسه غير المنتظمة، وكان في مقدوري شم رائحته. رائحة فاكهة رطبة ممزوجة برائحة الكحول والسجائر.

ناداني هامسًا بصوت عالٍ بعض الشيء «لِيلِي».

لم أتحرك. مال نحوي أكثر مناديًا باسمي، ولكن بصوت أكثر هدوءًا هذه المرة. تظاهرت بأنني في سُبات عميق، ولا أستطيع سماع أي شيء. ألصقت ركبتي أكثر إلى صدري، متحركة بالطريقة التي اعتقدت أن الشخص النائم سوف يتحرك بها. كنت أعلم ما أتى به إلى غرفتي وما الذي يريده على وجه التحديد. كان يريد ممارسة الجنس معي، ولكن إلى حد علمي لم يكن يستطيع القيام بذلك إلا في حالة كوني مستيقظة، ولذلك قررت أن أبقى نائمة مهما حدث.

سمعت صوت انحناءة ركبتيه وحفيف بنطاله الجينز ثم فاحت رائحة أنفاسه الكريهة التي تحمل رائحة نفّاذة للبيرة حينما اقترب بوجهه من وجهي، لقد جثم إلى جواري. توقف صوت الأغنية الصاخب القادم من الأسفل، ليعقبها أغنية أخرى- بدت لي أنها لا تختلف عنها في شيء- ولا تقل عنها صخبًا. سمعت صوت سَحَّاب معدني لبنطال ينفتح ببطء، شيئًا فشيئًا، أعقبه صوت احتكاك سريع منتظم. كان يفعل ذلك لنفسه وليس لي.

إن خطتي تنجح بالفعل. ازدادت سرعة الاحتكاك وبدا صوتها أكثر ارتفاعًا ثم نادي اسمي عدة مرات أخرى في همسات خفيضة بصوت أجش. ظننت أنه لن يلمسني ولكني شعرت بحركة يده تجاه صدري. ثم سمعت صوته وهو يغلق سحاب بنطاله ثانية ليخرج مسرعًا من الغرفة. ارتطم بإطار الباب وهو في طريقه للخروج، ثم أغلق الباب من خلفه، لا مباليًا حتى أن يغلقه دون صوت.

بقيتُ في وضعي المنكمش على الفراش لدقيقة أخرى، قبل أن أنهض جارّةً كرسي مكتبي مُحاولةً أن أحشره أسفل مقبض الباب حتى لا يتمكن أحد من فتحه ثانية. لقد رأيت نانسي درو تفعل ذلك قبلًا. لكن الكرسي كان أصغر من

المطلوب - كان أقصر من أن يصل إلى مقبض الباب- ولكنه كان أفضل من لا شيء.. فلو عاد شيت ثانية سيكون من الصعب عليه فتح الباب، وسوف يسقط الكرسي على الأقل محدثًا جلبة.

لم أعتقد أنه سيكون في مقدوري النوم تلك الليلة، ولكنني نمت، وحين جاء الصباح، بقيت متمددة في الفراش لأفكر فيما على فعله.

كانت أكبر مخاوفي أن أخبر أمي بما حدث فتقول لي إنه كان على ممارسة الجنس مع شيت وأنها لا تجد مشكلة في ذلك، أو أن تلومني أنا وتصب غضبها العارم على أنا لدخوله إلى غرفتي، أو أنني السبب لأنني تركته يشاهدني وأنا أسبح في حمام السباحة تلك الليلة. أدركت أن ما حدث هو أمر على أن أهتم به وأتولى أمره بنفسي.

وكنت أعلم كيف سأتدبر ذلك.

الفصل الثالث

تيد

شارف الوقت على منتصف الليل حين وصلت أمام سلم منزل الرمل الحجري الذي أملكه أنا و«ميراندا»، انحسرت أضواء السيارة الأجرة الحمراء في الشارع مبتعدة بعد أن تركتني أمام المنزل، وحاولت أن أتذكر أين وضعت مفاتيح المنزل حين غادرت متجهًا إلى لندن قبل أسبوع.

وما أن فتحت سحّاب الجيب الأمامي لحقيبة سفري صغيرة الحجم، تأرجح الباب الأمامي للمنزل مفتوحًا. وقفت «ميراندا» هناك باديًا عليها النعاس، مرتدية قميص نوم قصيرًا وزوجًا من الشرابات الصوف. «كيف كان حال لندن؟».. سألتني بعد أن طبعت قبلة على فمي، وبدت رائحة نفسها كريهة نوعًا ما فتوقعت أنها ربما نامت أمام التلفاز.

- «إنها بلدة كئيبة».

- «وكيف حال زيارتك، هل كانت مثمرة؟».

«أجل، كانت كئيبة ومثمرة».. أغلقت الباب من خلفي وألقيت بأمتعتي على أرضية المنزل الباركيه، وفاحت رائحة طعام تايلاندي من المنزل. قلت لها «لم أتوقع أن أجدك هنا، ظننتك لا تزالين في «مين».

- «أردت رؤيتك يا «تيدي»، لقد مر أسبوع بأكمله على غيابك، هل أنت ثمل؟».

- «تأجل موعد إقلاع الطائرة فتناولت عددًا من كؤوس المارتيني، هل تفوح رائحتي؟».

- «أجل، فرش أسنانك، واتبعني إلى الفراش، فإنني منهكة».

شاهدت «ميراندا»، وهي تصعد الدرج المائل الذي يقود إلى الطابق الثاني من المنزل؛ حيث توجد غرفة نومنا، وأخذت أراقب عضلات ساقيها النحيفين تنقبض وتنبسط بينما تتحرك ويتمايل قميص نومها ذهابًا وإيابًا مع انحناءات أردافها المثيرة، وحينها تذكرت «براد داجيت»، وهو يحني جسدها فوق طاولة المطبخ ويرفع تنورتها ثم....

نزلت إلى أسفل عند مستوى القبو؛ حيث يوجد مطبخنا وغرفة الطعام، فتشت في الثلاجة فوجدت علبة من الكارتون تحتوي على الجمبري الأحمر بالكاري فتناولته باردًا كما هو، بينما أجلس على طاولة تقطيع اللحوم والدواجن. بدأ الألم يصيب رأسي، وشعرت بالعطش. ثم أدركت أنني أعاني من آثار الثمالة بفعل ما شربته من جين في المطار، وما شربته على متن الطائرة، وبسبب عدم نومي كذلك.

لعبت المصادفة دورها ببراعة حين وجدت أن مقعد سيدة البار ذات الشعر الأحمر في درجة رجال الأعمال على الطائرة كان بجانبي كذلك، جلسَت في الجهة المقابلة لي، على بعد صف واحد من خلفي، ولم نتوقف عن الحديث عبر الممر الضيق بين مقاعد الطائرة بعد اكتمال ركابها، حتى وإن كنا قد اضطررنا إلى عدم الخوض في أمر خيانة زوجتي مؤقتًا حتى لا نلفت الانتباه. وحين رأتنا السيدة العجوز التي كانت تجلس إلى جواري ناحية النافذة نتحدث على هذا النحو تطوعت قائلة «هل ترغب في الجلوس أنت وزوجتك إلى جوار بعضكم البعض؟».

فأجبتها «شكرًا لك، يسعدنا ذلك بالطبع».

وبمجرد أن جلست إلى جواري، وطلبت كأسًا من كوكتيل الجين مع التونيك من مضيفة الطيران سألتها عن أسمها مرة أخرى.

فأجابت «اسمي لِيلِي».

- «لِيلِي ماذا؟».

- «سوف أخبرك، ولكن علينا أن نلعب سويًا أولًا».

- «حسنًا».

- «إنها لعبة سهلة للغاية، وبما أننا على متن طائرة واحدة في رحلة طويلة، ولن نرى بعضنا البعض ثانية، يمكننا أن نلعب سويًا لعبة الحقيقة المطلقة، وتقتضي أن نخبر بعضنا البعض الحقيقة المطلقة عن كل شيء».

- «ولكنكِ حتى لم تخبريني باسمك كاملًا».

ضحكت ثم قالت «هذا صحيح، ولكن هذه اللعبة قائمة على تلك القاعدة أيضًا، فإننا لو عرفنا بعضنا البعض معرفة جيدة، سوف نفسد اللعبة».

- «ربما أحتاج إلى مثال حتى أفهم أكثر».

- «حسنًا، أنا أكره الجين، ولقد طلبت كأس المارتيني حينها لأنني رأيت واحدًا منه أمامك وبدا الأمر أنيقًا».

- «أحقًا ذلك؟».

قالت «لا تصدر أحكامًا، والآن حان دورك».

فكرت لدقيقة قبل أن أقول «حسنًا، إني أحب الجين كثيرًا لدرجة أنني أشعر بالقلق في بعض الأحيان من أن أكون مدمنًا على الكحوليات، لو تركت نفسي لهواي سأشرب ست زجاجات كاملة من الجين في ليلة واحدة».

قالت «حسنًا تلك بداية جيدة للعبة، ربما تعاني من الإفراط في الشرب، فزوجتك تخونك وهذا يفسر الأمر. ولكن ماذا عنك، هل سبق لك وخنتها؟».

«كلا، لم أخنها... ولكني لدي ذلك الأمر.... ما الذي قاله «جيمي كارتر» لوصف ذلك؟ لدي شهوة في قلبي بالطبع. فلقد تخيلت أنني أمارس الجنس معك بالفعل، على سبيل المثال».

«أحقًا ذلك؟» رفعت حاجبيها، وبدا عليها قدر من الدهشة.

قلت لها «إنها لعبة الحقيقة المطلقة، هل نسيتِ؟ لا تندهشي، فمعظم الرجال الذين تلتقيهم يتخيلونك في أوضاع شائنة ووضيعة، عقب خمس دقائق فقط من لقائك».

- «هل تلك هي الحقيقة؟».

- «أجل».

- «وما مدى وضاعة تفكيرهم؟».

- «لا أظن أنك تودين معرفة ذلك».

«بل ربما أود».. قالتها وهي تحرك نفسها تجاهي في مقعدها، ارتشفت قليلًا من كأس الجين والتونك الذي في يدي، فارتطمت مكعبات الثلج التي في الكأس بأسنانها. ثم قالت «إنه أمر مثير للاهتمام، لا أستطيع تخيل كيف هو الحال حين ألتقي بشخص وأرغب في ممارسة الجنس معه في الحال».

قلت لها: «إن الأمر لا يسير هكذا على وجه التحديد، ولكنه أشبه باستجابة مترسخة تجعل الرجال تتخيل الأمر، فحين كنا نقف في الصف المؤدي إلى بوابة الصعود مثلًا، نظرت إليك وتخيلتك عارية. ألا يسري نفس الأمر مع النساء مطلقًا؟».

«أن نتخيل فجأة أننا نمارس الجنس مع أحد الرجال؟ كلا، إننا لا نفكر على هذا النحو، ولكن ما يشغلنا هو سؤال هل قد يرغب ذلك الرجل الذي قابلناه توًا في ممارسة الجنس معنا؟».

ضحكت «حسنًا، إنه بالفعل يرغب في ذلك، أعرف تلك الحقيقة، وثقي بي، على الرغم من أنك لن ترغبي في معرفة أكثر من ذلك».

- «أرأيت، أليست تلك اللعبة ممتعة؟ لمَ لا تخبرني الآن أكثر عن الطريقة التي تود بها قتل زوجتك؟».

- «ماذا؟ لا أدرى مدى جديتي بشأن ذلك الأمر».

- «هل أنت متأكد من ذلك؟ إن الطريقة التي حكيت لي بها قصتك تنبئني بمدى جديتك».

- «لا أنكر أنني حين رأيتهما معًا كنت سأقتلهما دون تردد، ولو كان بحوزتي مسدس لصوبت طلقاته عبر النافذة».

«إنك تفكر في قتلها إذن». بدأت أصوات محركات الطائرة في الأزيز معلنة عن استعدادها للإقلاع، رشفتُ من كأس الجين في يدي، فطالما أصابني التوتر من الطيران. «انظر، أنا لا أحاول دفعك إلى قول ما لا تريد قوله، أنا فقط مهتمة بالأمر حقًا. هذا جزء من اللعبة، الحقيقة المطلقة».

«عليك أن تبدئي أنت إذن فكل ما أخبرتيني عنه هو عدم حبك للجين».

«حسنًا» ثم استغرقت دقيقة من التفكير قبل أن تردف «في واقع الأمر، أنا لا أؤمن أن القتل بهذه الدرجة من السوء التي يتصورها الناس.. فكلنا سنموت في نهاية المطاف. ما المشكلة إذن إذا ما عجلنا من موت قلة من الأشرار عن الموعد المحدد لهم؟ ويبدو لي أن زوجتك، على سبيل المثال، من ذلك النوع الذي يستحق القتل».

تعالى صوت أزيز الطائرة، وطلب قائدها من المضيفات أن يتخذن مقاعدهن. وشعرت براحة للحظة أنني لست مضطرًا إلى الرد على حديث السيدة الجالسة إلى جواري على الفور. لقد أثارت كلماتها بداخلي تلك الأفكار التي عصفت بي طيلة أسبوع كامل ولم تفارقني فيه الخيالات وأنا أقتل زوجتي.

كنت أحدث نفسي أنني بقتلي «ميراندا» سوف أسدي معروفًا إلى العالم، لتظهر هذه المسافرة فجأة لتمنحني مبررًا أخلاقيًا لتنفيذ رغبتي. وبينما أصابتني الدهشة مما قالت، كنت أيضًا في حالة من الثمالة - كان الجين يسري عبر جسدي- التي تجعل المرء يفكر لمَ قد يرغب في أن يفيق من الأساس؟ شعرت بأنني صافي الذهن وخليع في الوقت ذاته، ولو كنت في أي مكان يتسم بقدر من الخصوصية كنت سأحتضن لِيلِي وأحاول تقبيلها. ولكني، بعد إقلاع الطائرة استكملت الحديث.

«لا أنكر أن فكرة قتل زوجتي تراودني وتروق لي. كان هناك اتفاق ما، قبل الزواج بألا تحصل «ميراندا» في حالة الطلاق على نصف ما أملك، ولكن ما ستحصل عليه كثير، كثير بما يكفي ليجعلها تعيش عيشة رغدة لما تبقى من حياتها.. ولم يكن هناك بند في الاتفاق متعلق بالخيانة. في مقدوري الاستعانة بمحام، وأن أطلب منه استئجار محقق، وأن يرفع قضية، ولكن ذلك سيكون مضيعةً لوقتي وإهدارًا لأموالي، وسوف أتعرض للإهانة في نهاية الأمر».

«لو كانت أتت لتعترف لي بشأن علاقتها- حتى ولو أنها أخبرتني أنها وقعت في غرام «داجيت» وترغب في تركي - كنت سأطلقها. كنت سأكرهها، ولكني كنت سأتجاوز الأمر. ولكن ما لا أستطيع تجاوزه... ما لا أستطيع نسيانه هو الطريقة التي تصرفت بها هي و«براد»، ذلك اليوم الذي رأيتهما فيه وهما يمارسان الجنس معًا. حين تحدثت إليهما قبل اكتشافي للخيانة، بدا هادئين تمامًا ومقنعين. تمكنت «ميراندا» من الكذب بمنتهى السهولة، لا أدري كيف تعلمت أن تصبح ذلك الشخص المخادع الدنيء. ولكني بدأت حينها في التفكير مليًا في سلوكها، وربطت بين كافة الأمور المتعلقة بها، وأدركت كيف أنها كانت تتصرف على نحو مختلف باختلاف الأشخاص، وزالت الغشاوة عن عيني ورأيت أنها كانت ذلك الشخص المزيف الكاذب السطحي طوال الوقت. بل وأنها ربما تكون سايكوباتية.. كيف لم ألاحظ ذلك من قبل».

«أعتقد أنها تصرفت على النحو الذي ظننت أنك تريد أن تراه حتى تجذبك إليها، كيف التقيت بها؟».

أخبرتها عن قصة لقائنا، في حفل انتقال واحد من الأصدقاء المشتركين بمقاطعة نيو إكسيس في إحدى الليالي الصيفية، وقعت عيني عليها في الحال. ارتدى ضيوف الحفل الآخرون فساتين صيفية وقمصانًا ذات أزرار، بينما ارتدت «ميراندا» شورت جينز ممزق الحواف قصير للغاية لدرجة أن بطانة جيوب الشورت البيضاء ظهر جزء منها من عند حوافه الممزقة، وتيشيرت حمالات بلا أكمام مرسوم على جهته الأمامية لوحة تصويب جاسبر جونس. تحمل في يدها زجاجة بيرة اللاجر الأمريكية «بابسيت بلو روبين» ووقفت تتحدث إلى «شاد بافون» صديقي الذي اشترى المنزل وذهبنا للاحتفال به. ألقت «ميراندا» رأسها إلى الخلف في ضحكة مجلجلة.. وطرأ على ذهني أمران في الحال: أنها أكثر امرأة رأتها عيني جاذبية، وأن «شاد بافون» لم ينطق في حياته بأي شيء مضحك، فما الذي أضحكها إلى هذه الدرجة؟ أشحت بنظري عنهما سريعًا، باحثًا في الحفل عن أي شخص بين الحضور أعرفه. وفي الواقع كان رؤيتي «لميراندا» أشبه بلكمة تلقيتها في الصدر، أشبه بإدراك مفاجئ إلى أن هناك نساء مثلها خارج أغلفة المجلات الماجنة وأفلام هوليود، وإنها دون شك، لا بد وأن تكون في صحبة أحدهم هنا.

علمت من زوجة «شاد» أنها تدعى «ميراندا هوبارت»، وأنها كانت تعيش بالاتفاق في منزل أحدهم في نيو إكسيس منذ عام.. وأنها فنانة من نوع ما، وجدَت وظيفة في شباك تذاكر واحد من السينمات الصيفية.

سألتها «هل هي غير مرتبطة؟».

- «صدق أو لا تصدق، أجل.. عليك التحدث إليها».

- «أشك أنني نوعها المفضل من الرجال».

- «لن تعرف ما لم تسألها بنفسك».

وحين انتهينا من حديثنا معًا، كانت «ميراندا» هي من يتقرب إليّ.. استمر الحفل لوقت متأخر، فجلست بمفردي في الحديقة الخلفية المنحدرة بمنزل «شاد» و«شيري». وكان بمقدوري بفعل ضوء المنارة المتقطع الذي يلف متناوبًا،

أن أرى لمعان سطح المحيط الأرجواني عبر مجموعة من أسطح المنازل. جلست «ميراندا» إلى جواري وقالت بصوت عميق خالٍ من أية نبرة «سمعت أنك فاحش الثراء، هذا ما يتحدث عنه الجميع هنا».

كنت قد تمكنت مؤخرًا من إدارة عملية استحواذ بين شركة صغيرة قامت بتطوير برنامج لتحميل الصور وموقع تواصل اجتماعي كبير مقابل مبلغ اعتبرته تافهًا.. قلت لها «أجل أنا ثري».

قالت وهي ترسم على وجهها ابتسامة تحدٍ «ليكن في معلومك أنني لن أنام معك لمجرد أنك ثري».

«من الجيد معرفة ذلك».. خرجت الكلمات من فمي خرقاء، بينما بدا صف الأسطح مائلًا قليلًا أمامي «ولكني أراهن على أن ذلك الأمر لن يمنعك من الزواج مني».

ألقت برأسها إلى الخلف وضحكت مقهقهة، ضحكة مشابهة لتلك التي رأيتها تضحكها أول مرة حين قال لها «شاد» شيئًا ما، ولكن مع قربها مني بدت الضحكة طبيعية دون أي اصطناع. تفحصت ذقنها، وتخيلتني أطبق بشفتي فوق ذلك العنق الناعم الشهي، «سوف أتزوجك بالطبع».

«هل أعتبر ذلك عرضًا للزواج مني؟».

أجبتها «ولمَ لا».

- «متى ينبغي علينا الزواج إذن؟».

- «ربما عطلة الأسبوع المقبل، لا أظن أن علينا التسرع في قرار مصيري مثل هذا».

- «أتفق معك، إنه التزام خطير».

قلت لها «أنا أعلم تمامًا ما الذي سأقدمه في هذه العلاقة، فهل يمكنني أن أعرف بدافع الفضول ما الذي ستقدمينه فيها؟ هل يمكنك الطهو؟».

- «لا يمكنني الطهو، ولا الحياكة، ولا القيام بأعمال التنظيف، هل أنت واثق من رغبتك في الزواج مني؟».

- «يشرفني ذلك».

تحدثنا أكثر، ثم قبلنا بعضنا البعض هناك فوق العشب، قبلنا بعضنا بشكل عنيف ارتطمت أسناني بأسنانها، وذقني بذقنها.. ضحكت ضحكة عالية فقلت لها إنني عدلت عن أمر الزفاف.

تزوجنا بالفعل، ليس بعد أسبوع ولكن بعد عام.

سألتُ «لِيلِي» «هل تظنين أنها كانت تخدعني من البداية؟» كانت الطائرة قد أقلعت ونحلق في الجو بالفعل، بين البلدان، تتصاعد سرعتها بشكل رهيب ونرتفع إلى مسافات شاهقة ذات درجة حرارة منخفضة تصل حد التجمد، إلا أننا كنا نشعر بالهدوء في ذلك الهواء الزائف داخل الطائرة وعلى مقاعدها الدافئة، وصوت أزيزها الثابت.

أجابت لِيلِي «ربما».

- «ولكن الطريقة التي تقربت بها مني... الطريقة التي تحدثت بها عن أمر ثرائي منذ البداية، لقد بدا الأمر وكأنه مزحة بالنسبة لها، بدا وكأنه أمر لن تقوله مطلقًا لرجل تنصب له فخ الزواج».

- «إنه علم النفس العكسي، أن تتحدث فيما تريده في الحال، فتبدو بريئة بشكل ما».

صمتُ مفكرًا في الأمر.

ثم أردَفَت تقول «ولكن كونها استغلتك لا يعني أنها لم تُكنّ مشاعر لك، ولا يعني أنكما لم تمضيا أوقاتًا سعيدة معًا».

- «لقد أمضينا أوقاتًا سعيدة معًا، وها هي تمضي الآن أوقاتًا سعيدة مع شخص آخر».

- «في رأيك ما الذي ستحصل عليه من «براد» من علاقتها معه؟».

سألتها «ماذا تعنين؟».

«ما هدفها يا تيد؟ إنها تهدد زواجها، وحتى إذا حصلت منك على نصف ما تملك، فإنها لن تحصل على بيت أحلامها على الشاطئ، الذي تقوم ببنائه من أجلها.. فعلاقتها «ببراد» سوف تفسد كل شيء عليها».

«لقد فكرت مليًا في ذلك، وفي بداية الأمر ظننت أنها قد وقعت في حب «براد»، ولكني الآن أعتقد أنها لا تعرف الحب، إنها لا تحب أحدًا. لقد أصابها الملل، اكتفت «ميراندا» مما لديّ، عدا كوني بالطبع محفظة نقودها المفعلة. وإنها لن تتغير، فهي لازالت في مقتبل العمر وتمتلك من الجمال ما يمكنها من جرح قلوب عدد لا حصر له من الرجال. ربما يجدر بي قتلها حقًا، أن أخلص العالم منها».

استدرت تجاه جارتي في المقعد ولكني لم أنظر إلى عينيها.. ورأيتها وقد عقدت ذراعيها فوق ساقها، ورأيت بصيلات شعر جلدها وقد أصابتها القشعريرة في الجزء المكشوف من يدها، ولم أعلم هل كان ذلك بسبب البرد في الطائرة أم بسببي.

«سوف تُسدي خدمة إلى العالم».. قالتها بصوت هادئ لدرجة جعلتني أميل أكثر تجاهها وأنا أرفع عيني «إني أؤمن بذلك إيمانًا راسخًا، كما ذكرتُ لك آنفًا، فكلنا سنموت في نهاية الأمر. إنك إذا ما قتلت زوجتك فسوف تفعل بها ما سوف يحدث لها على أية حال، فالموت قدر محتوم. ولكنك بقتلها سوف تنقذ الآخرين. إنها شخص سلبي، ووجودها على قيد الحياة يجعل العالم مكانًا أكثر سوءًا، وما فعلته معك أسوأ من الموت.. كل إنسان يموت، ولكن ليس على كل إنسان أن يرى من يحبهم في أحضان شخص آخر.. إنها من بدأ يا تيد، لقد سددت الضربة الأولى إليك».

كان في مقدوري عبر اللون الأصفر المنبعث من ضوء القراءة في الطائرة رؤية انعكاس الكثير من الألوان المختلفة في لون عينها الأخضر الباهت. رمشت

بعينها فتحوّلت جفونها إلى اللون الوردي. وجعلني قرب وجوهنا ونحن نتحدث أشعر بحميمية معها أكثر من حميمية ممارسة الجنس، وقد أدهشني تأثير التقاء أعيننا معا كما لو كنت اكتشفت أن يدها داخل بنطالي فجأة.

«كيف أقتلها؟» شعرت بقشعريرة تسري في أوصالي وأنا أطرح سؤالي.

«بأي طريقة تفلت بها من الجريمة».

ضحكت، فذهب تأثير سحر اللحظة «بهذه السهولة؟».

«أجل بهذه السهولة؟».

سألتني مضيفة الطيران السمراء ذات الورك النحيف التي تضع أحمر شفاه أرجوانيًا لامعًا، وهي تمد يدها نحو كأسي الفارغ «هل ترغب في كأس آخر يا سيدي؟».

أردت كأسًا آخر ولكني حين قمت بتحريك رأسي تجاه المضيفة أصابني دوار مفاجئ، فطلبت منها كوبًا من الماء بدلًا من الخمر.. وحين استدرت ثانية إلى جارتي في المقعد وجدتها تتثائب، وتمدد يدها أمامها فتلامست أطراف أصابعها مع ظهر المقعد الذي أمامنا».

قلت لها «إنك متعبة».

«قليلًا، ولكن لنكمل حديثنا، فتلك هي أكثر المحادثات التي خضتها إثارة على متن طائرة».

انتابني شيء من الشك.. هل أنا مجرد محادثة مثيرة بالنسبة لها؟ يمكنني سماعها وهي تتحدث إلى صديقة لها في اليوم التالي قائلة لن تصدقي أمر ذلك الرجل الذي قابلته في المطار.. لقد أخبرني المجنون بكل تفاصيل خطته لقتل زوجته.. وكما لو كانت تقرأ أفكاري لمست ذراعي بيدها قائلة:

- «آسفة، لم أعني ذلك، إنني أتعامل مع الأمر بجدية، بنفس الجدية التي تتوقعها مني. إننا نمارس لعبة الصراحة، أتتذكر، وإنني بمنتهى الصراحة والصدق ليس لدي مشكلة أخلاقية معك لرغبتك في قتل

زوجتك. إنها من أخطأت في حق نفسها، واستغلتك، وتزوجت منك واستولت على أموالك، ثم خانتك مع الرجل الذي استولى أيضًا على أموالك، إنها تستحق أي عقاب يلحق بها».

- «يا إلهي، إنك لا تمزحين».

- ««كلا لا أمزح، ولكني مجرد شخص لا تعرفه يجلس إلى جوارك في الطائرة. عليك أن تأخذ قرارك بنفسك، هناك فارق كبير بين أن ترغب في قتل زوجتك وبين أن تنفذ ذلك بالفعل، وهناك فارق أكبر بين قتل أحدهم والإفلات من العقاب».

- «هل تتحدثين من واقع خبرة سابقة؟».

قالت وهي تتثائب مرة ثانية، «أرفض الإجابة عن هذا السؤال، أظن أنني في حاجة إلى أخذ قيلولة قصيرة، إذا لم يكن لديك مانع، وأنت استمر في التفكير في أمر زوجتك».

رجعت بمقعدها إلى الوراء وأغلقت عيناها.. فكرت في النوم أنا أيضًا ولكن الأفكار تصارعت في رأسي بلا هوادة أو رحمة.. صحيح أنني كنت أفكر في قتل زوجتي، ولكني الآن أخرجت ما في صدري وصرّحت به.. بحت بمكنون صدري إلى شخص يظن أن قتلي لزوجتي فكرة جيدة. هل هذه السيدة صادقة؟ استدرت ونظرت إليها وكانت تتنفس بالفعل بعمق عبر أنفها.

تفحصت وجهها، أنفها الرقيق، المتغضن قليلًا من طرفه، شفتها العليا المنحنية بالكاد فوق الأخرى السفلى، شعرها الطويل ذا التموج الخفيف، الذي استقرت خُصَلِه الناعمة خلف أذنيها الصغيرة غير المثقوبة.. بدا النمش الغامق واضحًا عبر أنفها البيضاء، ولكنك إذا ما أمعنت النظر ستجد عددًا لا حصر له من النمش الصغير للغاية عبر وجهها، ومجرة من العلامات التي بالكاد يمكن ملاحظتها. أخذت نفسًا عميقًا فجأة واستدارت نحوي فأشحت بوجهي حين استقرت برأسها فوق كتفي.

بقينا على هذا الوضع لقرابة الساعة على الأقل، وبدأت ذراعي التي رفضت تحريكها أن تؤلمني، ثم بدأت في التخدر، ثم لم أعد أشعر بها على الإطلاق. طلبت كوكتيلاً آخر من الجين والتونيك، وتذكرت ما قالته رفيقة رحلتي عن القتل وفلسفتها الخاصة به. ووجدت كلامها معقولاً، لماذا يتم التعامل مع إنهاء حياة أحدهم على أنه شيء بهذا القدر من البشاعة؟

سوف يأتي أناس جدد على سطح هذا الكوكب في لمح البصر، وسوف يموت كل من هم على سطحه دون شك، البعض سوف يموت ميتات بشعة، والآخر سوف تصعد روحه في طرفة عين. السبب الحقيقي في التعامل مع القتل على أنه صورة من التعدي الوحشي على الآخرين، هو حال الأحباء الذين سيتركهم المقتولون من خلفهم. الأحباء الحقيقيون. ولكن ماذا لو لم يكن هذا الشخص محبوبًا من الأساس؟ تمتلك «ميراندا» عائلة كما أن لديها أصدقاء، ولكنني أدركت عبر ثلاث سنوات وهي عمر زواجنا، أنهم في أعماقهم يعرفون حقيقتها التي نجحت في إخفائها عني. يعرفون أنها مجرد شخص مستغل زائف، يستغل مظهره في الحصول على ما يريد. قد يحزنون على موتها قليلاً، ولكني لا أعتقد أن هناك من سيفتقدها حقًا.

بدأت الطائرة في الارتفاع والانخفاض قليلًا، وجاء صوت كابتن الطائرة الأمريكي الرخيم قائلًا: «أيها السادة، إننا نمر ببعض المطبات الهوائية فأرجو منكم العودة إلى مقاعدكم وربط أحزمتكم حتى نعبر ذلك المطب الهوائي العنيف». ما أن أنهيت مشروبي حتى انخفضت الطائرة فجأة كما لو كانت سيارة تنزل بسرعة بالغة من فوق منحدر.. شهقت سيدة تجلس من خلفي بقوة، واستيقظت شريكتي في الجريمة ولم أدرِ إذا كان ما فاجأها هو انخفاض الطائرة المباغت أو بسبب وضعيتها، وهي تنام فوق كتفي.

قلت لها «إنه مجرد مطب هوائي».. على الرغم من أن معدتي التي تقلصت من الانحدارة الأولى، قد ازدادت تقلصًا بفعل شعوري بالخوف.

«أوه».. اعتدلت في جلستها وهي تفرك عينيها براحة يدها ثم قالت «كنت أحلم».

- «بمَ كنت تحلمين؟».

- «لا أذكر».

اهتزت الطائرة بضع مرات أخرى ثم استقامت ثانية.. قلت لها «فكرت فيم تحدثنا فيه معًا».

«ثم؟».

مكتبة
t.me/t_pdf

الفصل الرابع

لِيلِي

قبل عام من وصول «شيت» إلى منزلنا، حين كانت قطتي «بيس» لاتزال حية، وجدتها محاصرة عند سياج حديقة الخضروات من قبل قط شارع ضال أسود ضخم. سمعت مواء «بيس» ورأيت شعرها ينتفش، ولكن كان من الواضح أنها خائفة وتتراجع. وشاهدتها حينما أنقض عليها القط الضال المتوحش فوق ظهرها غارسًا مخالبه فيها من الخلف. أعلم أن القطط لا تصرخ في الواقع، ولكن الصوت الذي أطلقته «بيس» لا يمكن وصفه سوى بالصراخ. وكأنه صرخة بشرية تدوي من الرعب. تقدمت صوبهما، وصفقت بيدي لأخيفه، ففر القط الضال بعيدًا. أخذت «بيس» ثانية إلى المنزل وفتشت في شعر جسدها على أية جروح ودماء، ولم أجد، ولكني كنت على يقين من أن القط البشع سوف يعود إلى هنا ثانية.

قالت أمي «عليك فقط ألا تدعي «بيس» تخرج من البيت».

حاولت ولكن «بيس» كانت تموء باكية عند الباب، وكان ذلك في الوقت الذي استضاف فيه أبي ندوة كبرى في منزلنا، ندوة تضم عددًا من الطلاب الذين تناوبوا على المنزل في ليالي أيام الثلاثاء والخميس، وأخذوا يترددون ذهابًا وإيابًا أمام الباب الأمامي للمنزل يدخنون السجائر، وكان في مقدور «بيس» الهروب بسهولة.

كنا في فصل الربيع وبدأ الجو يميل إلى الدفء فكنت أنام ونافذة غرفتي نصف مشرعة. وفي صباح أحد الأيام، عقب بزوغ الفجر بقليل، سمعت «بيس» تعوي في الخارج، بصوت عالٍ مذعور. ارتديت حذاءً خفيفًا بسرعة وهرعت إلى الأسفل صوب الحديقة الخلفية. لمحتهما في الضوء الرمادي للصباح الباكر في الحال، «بيس» محاصرة في نهاية السياج ثانية، والقط الضال المتوحش رابض أمامها متخذًا وضع الاستعداد للهجوم عليها.

وقف كلاهما بلا حراك في تلك اللحظة المهولة وبدا كما لو كانا تماثيل شمعية في المتحف القومي. صفقت بيدي وأنا أصيح عاليًا، ولكن القط الأسود القبيح اكتفى بإدارة رأسه نحوي، ناظرًا إلى بلا مبالاة، ثم استدار ثانية نحو «بيس». أيقنت في تلك اللحظة أن ذلك القط المتوحش سوف يقتل «بيس» إذا سنحت له الفرصة، إذا لم يكن ذلك الصباح فسوف يكون في صباح أي يوم آخر.

كانت هناك كومة من حجارة الرصف على حافة فناء المنزل الذي لم ينتهي العمل فيه بعد، كانت الكومة مهجورة لدرجة أن الطحالب قد نمت على بعض من الحجارة فيها، جذبت أكبر حجر بينها يمكنني حمله، كانت حافته حادة وكان رطبًا بفعل الندى. مشيت بهدوء وسرعة للوقوف خلف القط الضال، في الواقع لم أكن في حاجة إلى التحرك بهدوء فلم يكن خائفًا مني، وزاد من إرهابه «لبيس». بدون تفكير رفعت الحجر الذي في يدي أعلى رأسي، وهويت به على القط بأقصى قوة لدي. أدار رأسه في اللحظة الأخيرة وأطلق صيحة ذعر بينما هوت حافة الحجر على جمجمته وباقي الحجر على كل جسده. تراجعت «بيس» مهرولة نحو الفناء الخلفي بأقصى سرعة. ارتجف جسد قط الشارع الضال، قبل أن يسكن. عدت أدراجي إلى المنزل متوقعة أن أحدهم قد استيقظ على أثر صوت عملية القتل، ولكن كان السكون يخيم على المكان.

كان أمرًا بالغ السهولة.

لم يكن الحاجز المؤدي إلى القبو مغلقًا، تسللت عبر المكان المظلم متخذة درجات السلم المكسوة بأوراق الشجر متحسسة مدخل القبو حتى عثرت على

مجرفة الثلج مستندة إلى الحائط. استخدمت حافة المجرفة البلاستيكي لإزاحة الحجر من فوق القط، ثم وضعت المجرفة تحته لرفعه، لم أتمكن من رؤية إصابة رأس القط، وأصابني الرعب من أن يكون القط لا يزال حيًا، وأن الضربة تسببت فقط في فقدانه الوعي، وسوف يفيق منها منتقمًا مني. ولكني حين رفعت جسد القط بالمجرفة لم يكن إلا جثة هامدة، وفجأة شممت رائحة سيئة لأكتشف أن القط قد تغوط حين مات. لقد توقعت أن أجد القط مضرجًا في الدماء وليس الغائط. أصابتني الرائحة بالقرف إلا أنني كنت سعيدة لقتلي ذلك الوغد.

لم يكن ثقيل الوزن بالقدر الذي توقعته لقد منحه شعر جسده المنفوش مظهرًا أكبر من حجمه الحقيقي. تمكنت من حمله بعيدًا لمسافة عشرة أقدام عند حافة منطقة الأشجار وألقيت بجثته فوق كومة من أوراق الشجر المتعفنة. وأمضيت خمس دقائق أخرى في نزع بعض الكتل الصخرية حتى أضعها فوقه، حتى توارت جثته بالكامل. كان ذلك جيدًا بما يكفي، فوالدي لا يذهبان إلى هذا المكان على أية حال.

صعدت إلى فراشي ثانية وأنا أرتجف من البرد، لم أظن أنني سأكون قادرة على النوم من جديد، ولكني ذهبت في نوم عميق.

في الأيام القليلة التي تلت الحادث، كنت أذهب لأطمئن على جثة القط، لأجدها هناك كما هي، يطن فوقها الذباب لا أكثر، حتى استيقظت في صباح يوم ما لأجدها ببساطة وقد اختفت. لابد وأن ذئبًا أو ثعلبًا ما قاموا بجرها.

استعادت «بيس» حياتها من جديد، فأضحت تدخل وتخرج من المنزل كما عهدت، وكنت أتخيل أنها حين كانت تحك جسدها في كاحلي، أو تموء وهي جالسة فوق حجري أنها تشكرني على ما فعلت من أجلها. لقد استعادت عرشها من جديد، وكل شيء في عالمها يدور في فلكها الآن.

وبعد ما حدث من «شيت» في مساء تلك الحفلة، تذكرت في الحال حادث قط الشوارع الضال. وقد ألهمني الموقف بعض الأفكار لقتله دون الإمساك بي.

وكان أهم عامل لتحقيق ذلك هو عدم العثور على جثة «شيت» مطلقًا، ومن ثم كان على البحث عن بعض الأمور المتعلقة به.

بعد الحفل بدا أن «شيت» قد اختفى لفترة، لم يخرج من البناية ولم يظهر داخل منزلنا. رأيته ذات ليلة جالسًا على العشب ينظر إلى نافذتي. كنت أغلقت ضوء غرفتي للتو استعدادًا للنوم حين لمحته هناك يتمايل قليلًا مثل شجرة في النسيم.. كان يرقبني.. تركت النافذة مفتوحة قليلًا حتى يتسلل إلى الغرفة بعض النسيم. انتابني الخوف وشعرت بالحماقة والدموع تملأ عيني، ولكني أخبرت نفسي أنني لن أسمح «لشيت» أن يتسبب في بكائي ثانية. وأدركت حينها متيقنة أنه فقط يراهن على الوقت، منتظرًا حتى تحين الفرصة المناسبة لينقض على ويغتصبني ثم يقوم بقتلي. أردت إخبار أمي بكل ما حدث، ولكني فكرت في أنها ستأخذ صف «شيت» وأنها ستتهمني بأنني أبالغ وأضخم الأمور. وكان أبي لايزال بعيدًا عن المنزل برفقة «روز»، الشاعرة، وقد وشت الطريقة التي تحدثت بها أمي عن ذلك الأمر ذات ليلة، وكأنه لن يعود إلى هنا ثانية. سألتها بينما كانت تعد كمية كبيرة من الحمص في المطبخ.

«هل اتصل أبي؟».

«لم يتصل أبوك».. قالتها بفاصل زمني بين كل كلمة والتي تليها، لتترك التأثير المطلوب «آخر ما سمعت عن أبيك أنه جعل من نفسه أحمق في نيويورك، لذا لا أتوقع أن نتلقى اتصالًا منه في القريب العاجل. إنك لست قلقة عليه يا حبيبتي، أليس كذلك؟».

«كلا، أسأل عنه فقط، وماذا عن «شيت»؟ هل غادر؟».

«شيت؟» كلا لا يزال هنا، لمَ تسألين عنه؟».

«لم أره منذ فترة فاعتقدت أنه انتقل من المسكن العلوي إلى مكان آخر، فظننت أن بإمكاني العودة إلى الشقة العلوية ثانية».

كنت أحب الشقة العلوية القابعة فوق استوديو أمي بجدرانها ناصعة البياض ونوافذها الكبيرة. كان هناك كرسي يكسوه قماش أحمر محشو، كانَ موجودًا في منزلنا وتم نقله فيما بعد إلى تلك الشقة، لأنه كان به مزق صغير في قعر ذلك الكرسي يسرب ما به من كوريات صغيرة ببطء، ولكني كنت أحب ذلك الكرسي وأفتقده. وكنت استغل أية فرصة يخلو فيها الجناح بالأعلى لأصعد إليه ومعي أحد كتبي لأقرأها.

- «لا يزال في مقدورك الصعود إلى هناك، «شيت» لن يعضك».

- «هل يمتلك سيارة؟».

- «هل يمتلك سيارة؟ يا إلهي، لا أعتقد ذلك.. لا أعتقد حتى أن لديه مكان آخر غير هنا ليعيش فيه حاليًا».

- «ولكن كيف يأتي إلى هنا إذا لم يكن يمتلك سيارة».

ضحكت أمي، وهي تلعق بعض الحمص من على إصبعها «ابنتي البرجوازية.. حبيبتي لا يمتلك الجميع سيارة. إنه يستقل القطار من المدينة.. لماذا تطرحين الكثير من الأسئلة عن «شيت»؟ ألا تحبينه؟».

- «كلا، إنه فظ».

- «ها أنت ذا تبدين مثل والدك.. حسنًا أيًا كان رأيكما في «شيت» فإنه فنان، وإننا نسدي صنيعًا لعالم الفن بتقديمنا له مساحة تمكنه من التركيز على أعماله الفنية في فصل الصيف. ضعي ذلك في اعتبارك رجاءً يا لِيلي، فإن العالم لا يدور حولك».

حصلت من أمي على ما أريد من معلومات، «شيت» لا يملك سيارة وقد أتى إلى هنا بالقطار، الأمر الذي يعني أن في مقدوره جمع أغراضه والرحيل في أي وقت دون رجعة، وهو ما سهّل من مهمتي كثيرًا. مهمتي التي بدأتُ في الإعداد لها، فأمضيت الوقت في الأجمة المجاور للمزرعة القديمة، مجمعة أكبر عدد من الصخور الضخمة التي تساعدني قواي على حملها. وتعمدت أن يراني

«شيت» كثيرًا، فجلبت واحدًا من كراسي التمدد القديمة خارجًا ووضعته في مكان مشمس يقع بين المنزل الرئيسي والاستوديو. لم أرغب في أن يستمر في تجنبي مثلما يفعل الآن، فلا بد وحتى تنجح خطتي أن يثق بي إلى درجة ما، لا بد وأن تنشأ بيننا علاقة من نوع ما.

في الأيام الأولى التي بدأت فيها في لفت انتباهه متمددة في الشمس وأنا أقرأ واضعة سماعات الأذن، لم يظهر «شيت». وقد هُيِّئ لي أنني قد رأيت خيالًا منه لمرة أو مرتين خلف باب الشقة الزجاجي المغلق وهو يراقبني. ولكن ذات يوم خرج من مكمنه ليدخن سيجارة مرتديًا وزرته الملطخة بالطلاء فوق اللحم، لا قميص من تحتها. نظرت رافعة رأسي من فوق رواية «أجاثا كريستي» التي كنت أقرأها، فأومأ برأسه تجاهي ملوحًا بيده للتحية. أردت في أعماقي أن أتجاهله، ألا أجعله يشعر بمتعة استجابتي له، ولكني أرغمت نفسي على رفع يدي والتلويح له.

في اليوم التالي حين توجهت إلى مكاني الجديد المخصص للقراءة، كان الطقس حارًا والرطوبة مرتفعة، ذلك المناخ الذي تبدأ يومك فيه بالاستحمام بماء بارد، لتتصبب عرقًا من جديد حتى قبل مغادرتك للحمام. أخرجت من خزانتي لباس السباحة البيكيني أخضر اللون، كنت ألبسه منذ عامين ولكن جسدي حينها لم يكن ممتلئًا بالقدر الكافي. وجدته مناسبًا لي من أعلى، وإن كان ضيقًا على جسدي قليلًا من أسفل، فإنني الآن أمتلك فخذين.

وأخرجت كذلك شورتًا قصيرًا كنت قد طلبت من أمي أن تشتريه لي مع بداية هذا الصيف، كان شورتًا قطنيًا منقوشًا بخطوط ملونة نموذجية قالت لي أمي إنه يجعلني شبيهة بـ«كينيدي» إلا أنها اشترته لي على أية حال. أخذت كتابي وعبوة من واقي الشمس وتوجهت إلى الكرسي القابع أمام الشقة التي يسكنها «شيت» مباشرة. كرهت الشمس، وكرهت حرارتها، فإنها ستضر بشعري الأحمر وبشرتي ذات النمش وتزيد من دكانته. أخذت أدهن نفسي

بواقي الشمس، محاولة تذكر ما إذا كان الرقم المرتفع المكتوب على زجاجته مؤشرًا جيدًا أم مؤشرًا سيئًا لتأثيره على بشرتي. واستمررت في مراقبة الجناح، وسرعان ما خرج «شيت» إلى النافذة. كان في مقدوري رؤية وهج سيجارته البرتقالي بوضوح. مرت خمس عشرة دقيقة، أمضيتها في الاستماع إلى شريط «البؤساء» وقراءة «الجريمة النائمة» Sleeping Murder، حين نزل «شيت» عبر درج الاستوديو حاملًا في يده كوب من القهوة يمشي الهوينى تجاهي حيث أتمدد.

«مرحبًا لِيلِي».. ألقى على التحية وهو يقف على بعد خمسة أقدام، وقد جعلته أشعة الشمس الحارقة التي ألقت بوهجها على شعر ذراعه وكتفه العاريين كمن يومض تحت الضوء. أما عن رائحته فيبدو وأنه لم يستحم منذ عدة أيام.

رددت عليه التحية.

رفعت غلاف الكتاب نحوه باستخفاف، ثم تذكرت أن على أن أعامله بنوع من اللطف حتى لا يشك في أي شيء حين أصعد إلى شقته فيما بعد «أقرأ رواية لأجاثا كريستي، شخصية ميس ماربل».

قال لي وهو يأخذ رشفة كبيرة من فنجان قهوته، الذي كان مثل كل شيء يملكه ملطخًا بالطلاء «جميل، هل الأمور على ما يرام معك؟».

كنت أعلم أن السؤال الذي أراد طرحه حقًا هو هل الأمور على ما يرام بيننا، هل الأمور على ما يرام بعد تلك الليلة التي دلف فيها إلى غرفتي. أراد أن يعلم هل عرفتُ بوجوده هناك فأجبته «أجل كل شيء بخير».

هز رأسه ذهابًا وإيابا قبل أن يقول «الجو حارق هنا».

استهجنت وأنا أهز كتفي ووجهت عيني ثانية نحو الكتاب. كنت قد اكتفيت حتى الآن ولم أرغب حقًا في الاستمرار في التحدث إلى «شيت». تظاهرت بالقراءة إلا أنني كان في مقدوري الشعور به وهو يتفحصني. تصبب العرق حيث التقى مثلثي البيكيني من أعلى وبدأت نقطة عرق تأخذ طريقها عبر

قفصي الصدري. لم أشأ أن أمسح نقطة العرق تلك بينما «شيت» يراقبني، على الرغم من أنها جعلتني أشعر وهي تتخذ طريقها فوق جسدي كما لو كانت أعين «شيت» تطلقان أشعة ليزر وهما تتفحصاني.. أخذ رشفة عالية أخرى من فنجانه ثم مضى.

عاد أبي إلى المنزل.. ومع عودته جلب الكثير من الصياح وبعض الدموع.. غادر الرجل الروسي، واجتمع شمل أبي وأمي، لبعض الوقت، وأصبحا لا يتفارقان، يشربان الخمر كما اعتادا في الفناء الخلفي غير المكتمل، وهما يستمعان إلى موسيقى الجاز. سعدت بعودة أبي لعدة أسباب، واحد منها هو أن اهتمام أبي وأمي ببعضهما البعض، سوف يمنحني الفرصة للتركيز على التخلص من «شيت». جهزت كل شيء في الأجمة وخطتي الآن محكمة، كومة الأحجار مستمرة في الارتفاع عاليًا، والحبل في مكانه داخل البئر القديم. يتوقف التنفيذ الآن على اختيار اليوم المناسب، حيث لا يراني فيه أحد عند الفناء الأمامي للمكان الذي يعيش فيه «شيت»، ولا يرانا أحد معًا متجهين نحو منطقة الأشجار.

وقد حان ذلك اليوم، ذاتَ خميسٍ هادئ تلى عودة أبي بثلاثة أيام، أمضيت ما بعد الظهيرة في غرفتي أعيد قراءة رواية البيت الأعوج Crooked House وأنصت إلى صوت والدي الخفيض وهما يشربان سويًا. وقد بدءا في الشرب اليوم مبكرًا بزجاجة خمر على طاولة الغداء، ثم انتقلا إلى الفناء في الخارج، يحتسيان الجين ويستمعان إلى الموسيقى. حين انتهت آخر مقطوعة موسيقية، لم تبدأ بعدها واحدة أخرى، وسمعت صوت باب غرفة نومهما يغلق، وصوت ضحكاتهما يعلو من خلفه. نظرت عبر نافذة غرفتي، ووجدت أن الظلام قد حل لتوه، وتمددت ظلال الأشجار القريبة عبر الساحة العشبية. أدركت أن التوقيت المثالي قد حان. خاصة أن منزلنا لن يستقبل زوارًا جدًا في الوقت الراهن، كان من المستبعد أن يغادر والدي غرفة نومهما قبل الصباح.

ارتديت بنطالًا من الجينز، وزوجًا من الجوارب وحذاء رياضيًا خفيفًا، فالهاموش كثير هناك، وأنا لا أريده أن يوخز كاحلي. وجدت سترة علوية بيضاء اللون مكشوفة الذراعين كنت قد اشتريتها منذ بضع سنوات، مطرزة بشكل فراشة، ضيقة قليلًا على جسدي. كل ما أردته هو أن أتأكد أن «شيت» سوف يتبعني إلى الأجمة. دسست المطواة التي أعطاها لي جدي «هيدرسون» في جيبي. لم أخطط لاستخدامها ولكن شعوري بها في جيبي كان مطمئنًا. لم يكن من السهل توقع «شيت» ولم أشأ أن يباغتني بمحاولة ممارسة الجنس معي قبل الوصول إلى البئر. جذبت معي كذلك قلمًا مزودًا بإضاءة من الدرج العلوي للطاولة. فدائمًا ما تكون منطقة الأشجار مظلمة، خاصة في وقت المساء.

خرجت من الباب الأمامي ونزلت السلم الخشبي وصولًا إلى الطريق الأسفلتي. اختصرت الطريق عبر الفناء، حيث انتابني القلق فجأة من أن الضوء يخبو سريعًا. كست صفحة السماء من خلف الاستوديو سحبًا أرجوانية اللون وبدت أشبه بألوان طلاء خلفتها فرشاة مشبعة بالماء. وبمروري إلى جوار كرسي التمدد هناك لمحت دخان سيجارة في الهواء وحين نظرت إلى أعلى كان «شيت» واقفًا هناك في الشرفة يدخن سيجارته. كم كان ذلك مثاليًا، فليس على الآن الطرق على بابه، أو القلق من أن يجذبني عنوة داخل المكان.

قال لي «مرحبًا لِيلِي الصغيرة»، خرجت الكلمات من فمهِ لزجة.

توقفت ونظرت إلى أعلى محدثة إياه «شيت هل يمكنك أن تقدم لي خدمة؟»، لا أعتقد أنني نطقت اسمه من قبل، بدت الكلمة غريبة في فمي، كما لو كنت أتلفظ بلفظ نابٍ لا يليق بي نطقه.

«خدمة؟ أي شيء من أجلك، سوف أفعل أي شيء من أجلك يا جولييت، يا زهرتي الصغيرة». تحدث إلى وهو يضع يده فوق صدره في مشهد مسرحي مفتعل، كنت أعلم أنه يقلد مسرحية شيكسبير ولكنه كان ممثلًا فاشلًا فجولييت هي من كانت في الشرفة أما روميو فكان بالأسفل.

«شكرًا لك، هلا نزلت إلى هنا؟».

«سأنزل إليك في الحال».. ثم قام بنقر سيجارته في الهواء، فاستقرت فوق الطريق مبعثرة شررها ورمادها. دخل إلى شقته، ووقفت منتظرة إياه. ظننت أنني سأكون متوترة، ولكني في واقع الأمر لم أكن.

الفصل الخامس

تيد

بعد أن تسلمنا أمتعتنا في مطار «لوجان»، توجهت أنا وليلي إلى ساحة سيارات الأجرة عند صالة E واتجهنا إلى «سنترال باركينج».. أوقفتني بمجرد أن أصبحنا بمفردنا في الرقعة المظلمة، وكان الطيار قد أعلن قبل مغادرتنا الطائرة أن درجة الحرارة في بوسطن تبلغ ثلاث عشرة درجة مئوية، إلا أن الجو المحمل برياح لطيفة جعل درجة الحرارة الفعلية تبدو أكثر برودة من ذلك.

ثم قالت «دعنا نلتقي بعد أسبوع من الآن، لنختر مكانًا لهذا اللقاء، وإذا ما غيرت رأيي لن أذهب في الموعد، وإذا ما عدلت أنت أيضًا عن فكرتك ولم تظهر، سنعتبر أن ما دار بيننا وما تحدثنا فيه لم يحدث على الإطلاق».

- «حسنًا، أين يجب أن نلتقي؟».

- «أي بلدة حيث لا يعرفك فيها أي شخص هناك».

فكرت لدقيقة قبل أن أقول «ما رأيك في «كونكورد؟»».

- «هل تقصد «كونكورد ماس (ماساتشوستس)» أم «كونكورد عاصمة نيوهامشاير؟»

- «كونكورد ماس».

اتفقنا على أن نلتقي في بار فندق «كونكورد ريفر إن»، يوم السبت المقبل في تمام الساعة الثالثة، «لن يفاجئني عدم حضورك ولن يصيبني بضيق أو صدمة».

قلت لها «اتفقنا»، وأنا أصافحها يدًا بيد. وكم بدا غريبًا أن تصافح على هذا النحو الجاد والرسمي شخصًا عرض عليك المساعدة في قتل زوجتك. ابتسمت «لِيلِي» ابتسامة واسعة كما لو كانت شعرت بنفس الشيء. كانت يدها صغيرة في راحة يدي ناعمة مثل قطعة من الحرير باهظ الثمن، قاومت رغبتي في جذبها نحوي.

وقلت لها بدلًا من ذلك «هل أنت صادقة معي حقًا؟».

تركت يدي ثم قالت «سوف تكتشف ذلك بنفسك الأسبوع المقبل».

وصلت مبكرًا ذلك السبت إلى فندق «كونكارد ريفير إن».. حين طلبت لِيلِي أن نلتقي في مكان لا يعرفني فيه أحد، وقع اختياري على كونكورد، وعلى الرغم من أنني بالفعل لا أعرف أحدًا هناك، إلا أن ذلك المكان أيضًا لعب دورًا كبيرًا في طفولتي. لقد نشأت في «ميدلهام»، والتي تبعد عن «كونكورد» بنحو عشرة أميال، ونحو ثلاثين ميل عن «بوسطن». ميدلهام عبارة عن مجتمع زراعي، مساحات ممتدة من الحقول والغابات المفتوحة، خضعت في السبعينيات من القرن الماضي إلى عملين تنمويين تمثلا في مجموعة من الشوارع ذات نهايات مسدودة والتي أطلق عليها أسماء الأشجار التي تم اقتلاعها ولم تعد موجود هناك، ومساحة فدان تم تخصيصه لبناء منازل مفتوحة، أعدت لاستقبال الموظفين الذين يعملون بشركة «ليكسترونكس»، التي تقع على مقربة من المنازل والتي كان يعمل بها أبي.

تخرج أبي في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، عمل مبرمج حاسوب في الوقت الذي كان فيه أغلب الناس يجهلون من هو مبرمج الحاسوب. التقى أبي بـ «إيلاين هاريز» في مقر عمله بشركة «ليكسترونكس»، حيث كانت تعمل موظفة استقبال هناك، وكانت دون شك أجمل امرأة رأتها عينه. لست متيقنًا

مما إذا كان أبي قد واعد أي فتاة أخرى في الثلاثين عامًا التي عاشها قبل أن يلتقي أمي، وسيصدمني حقًا لو أن ذلك قد حدث.

أما أمي على الجانب الآخر، فقد أمضت العشرينيات من حياتها في علاقة غير مستقرة مع فتى من زملائها في جامعة بوسطن، والذي عمل عقب تخرجه كلاعب محترف للهوكي قبل أن تنهي إصابة في الركبة حياته المهنية. أخبرتني أمي ذات مرة أنها حين أنهت علاقتها معه - مدركة أنها قد أضاعت ثمانية أعوام مع «شاب مستهتر»- أقسمت في الحال أنها سوف تجد الزوج الخام البسيط الذي يمكنها الوثوق به.

واتضح فيما يبدو أن ذلك الزوج هو «باري سيفرسون». تواعدا لمدة ستة أسابيع، أعقبتهما فترة خطوبة امتدت لستة أسابيع أخرى، ثم الزواج في حفل صغير بـ « ويست هارتفورد» بمقاطعة «كونيتيكت» مسقط رأس أمي.

السبب الذي جعل من «كونكورد» مكانًا مهمًا بالنسبة لي هو رغبة أمي العارمة في الانتقال إليه. فقد قررت في مرحلة مبكرة من زواجها أنها تكره «ميدلهام» بعزلتها، ولا يشغلها شيء الآن سوى تلك الضاحية «كونكورد» بما تنعم به من مظاهر ثراء، وما تضمه من منازل جملونية مترفة، وبمن تجوب شوارعها من ربات المنازل الأنيقات اللاتي يعشن فيها، وما بشوارعها من متاجر مجوهرات فخمة. سأم أبي من حديثها ذلك، فكانت أمي ترتدي أجمل ملابسها وتصحبني أنا وشقيقتي الكبرى لتناول الغداء في كونكورد، وغالبًا ما كنا نتناوله في «كومكورد ريفر إن»، وعقب ذلك كانت تتوجه لزيارة المتاجر، فتشتري ملابس جديدة، أو حليًا ومجوهرات، وأنواعًا من الجبن الزرقاء الفاخرة والنبيذ من متجر «كونكورد تشيز». لم يفاجئني أنا أو أبي حين غادرت «إيلاين» وتركت أبي، بينما كنت في السنة النهائية بمدرسة «دارتفورد- ميدلهام الثانوية، لتنتقل للعيش في شقة مستأجرة بالقرب بشارع «مين ستريت» الرئيسي القريب من «كونكورد سنتر». عاشت هناك لقرابة عام، قبل أن تغادر إلى كاليفورنيا بصحبة محاسب مُطَلّق.

أبي الآن رجل متقاعد ولا يزال يعيش في ميدلهام، حيث يمضي وقته في ابتكار نماذج مجسمة للحرب الثورية الأمريكية. أزوره مساء كل خميس، إذا كانت درجة الحرارة أعلى من ١٥ درجة مئوية، فيعد لي يومها اللحم على شوايته. أما شقيقتي فكانت تزوره في عيد الشكر من كل عام، وهو الوقت الوحيد الذي نراها فيه، نظرًا لأنها تعيش في هواوي مع زوجها الجديد وأبنائه الأربعة. ولكنها ترى أمي أكثر بكثير من ذلك، ليس ذلك فقط بسبب تواجد أمي في كاليفورنيا، ولكن لأن أمي وشقيقتي متشابهتان.. حين وقع الطلاق، كنت أفكر أحيانًا في أن أسرتنا انقسمت وفقًا للنوع والتفضيل الجغرافي، فمكثت أنا وأبي في الشرق، بينما انتقلت كلٌ من أمي وشقيقتي إلى الغرب.

كان من المستحيل ألا أتذكر أمي وأنا أصعد الدرج المؤدي إلى «كونكورد ريفر إن»؛ حيث كنت أجلس برفقتها في المكان ذي الجدران المزينة بأوراق الحائط لنتناول وجبة الغداء في المكان المخصص للطعام، من أطباق المأكولات البحرية. كانت ترتشف مشروبها «بينك ليدي»، بينما أشرب أنا البيبسي المزود بشريحة الليمون.

كنت أنا و«لِيلِي» قد اتفقنا على أن نلتقي في الحانة وليس المكان المخصص للطعام. ولكن ما نسيته هو أن الحانة تحتوي على مكانين مختلفين عند مدخلها، الأول أنيق على شكل حرف L يقع في الجهة المقابلة لغرفة الطعام مباشرة، والآخر أكبر منه الاتجاه المعاكس. اخترت المكان الأصغر مساحة بالحانة، نظرًا لأنه كان خاويًا، وكان في مقدوري من مقعد الحانة الذي أجلس عليه أن أراقب الطرقة المؤدية للحانة الآخر في الخلف. طلبت زجاجة بيرة «غينيس»، وحدثت نفسي بأن أحتسيها ببطء، حيث لم يكن في نيتي أن أثمل هذه الليلة على الإطلاق.

أمضيت مع زوجتي الكثير من الوقت في الأسبوع السابق الذي عدت فيه من رحلة عملي إلى لندن. لم تكف «ميراندا» عن طرح أفكارها المتعلقة بالأثاث المناسب لمنزل «مين». تغطت طاولة المكتبة العتيقة بقصاصات صور الأثاث التي أخذتها «ميراندا» من مختلف مطبوعات قوائم الأثاث، والمطبوعات التي

قامت بتحميلها من على الإنترنت. حاولت ألا أفكر فيها هي و«براد داجيت»، بينما كانت تريني نموذجًا تلو الآخر من الأشياء التي يحتاجها البيت الجديد والتي لا يمكن الاستغناء عنها. وافقتها على كل شيء: أرضيات البلاط الساخنة في الحمامات التي تبعث على تدفئته، موقد طهو «فايكنج رانج» الذي تبلغ قيمته عشرين ألف دولار، وحمام السباحة الداخلي. وما جعلني أوافق على كل ما تقول دون جدال هو معرفتي بأنها سوف تموت، وأنني سأكون ذلك الشخص الذي سينال شرف إرسالها إلى الموت. فكرت في الأمر مليًا، وأخذت أقلبه في رأسي من كل الاتجاهات كمن يمسك قطعة من الألماس ويقلبها في يده يمينًا ويسارًا باحثًا عن أية عيوب أو شقوق، أخذت أفتش عن أي شعور بالذنب أو تردد بداخلي، ولم أجد أيًا منهما على الإطلاق. كل ما وجدت هو قناعتي المتجددة بأن «ميراندا» ليست سوى وحش يستحق الذبح.

عادت إلى «مين» يوم الخميس على وعد مني أن ألحق بها في عطلة نهاية الأسبوع، وقبل مغادرتها أخذتني إلى المكتبة لتريني بعض الأغراض التي أرادت شراءها من بين كومة المطبوعات أمامها. ثم بحثت عن صورة على هاتفها المحمول للوحة جدارية تعتقد أنه ستكون مثالية لغرفة الطعام.

قالت «يبلغ حجمها ستة أقدام في تسعة أقدام، أرى أنها مثالية للجدار الجنوبي من الغرفة».

نظرت إلى الصورة الصغيرة على شاشة هاتفها، وبدت كما لو كانت لوحة لرأس رجل تخرج النار من أذنيه.

«إنها لوحة لـ«مات كريستي»، إنها استثمار مضمون، يمكنك البحث عن اسمه على الإنترنت حتى تعرف بنفسك». ثم ذكرت رقمًا سخيفًا في عبارة تحتوي على كلمة صفقة.

فقلت لها «سوف أفكر في الأمر».

قفزت فرحة دون أن ترفع قدمها حقًا من على الأرض، ثم قبلتني قائلة «شكرًا لك، شكرًا لك».. ضغطت بيدها بين فخذيّ. وعلى الرغم من مشاعري

تجاهها، شعرت بالإثارة. قالت «حين تأتي إلى «مين» سوف أشكرك على طريقتي الخاصة، اتفقنا؟».

انتابتني رغبة مفاجئة في جذبها، وثني جسدها على النحو الذي فعله «براد داجيت» وهو يضاجعها ولكني لم أثق بنفسي. لم أثق من أنني لن أسحق وجهها فوق المطبوعات المتكومة على الطاولة، أو أن أناديها صارخًا بالخائنة الساقطة. ولكني بدلًا عن ذلك أخبرتها أنني ربما لن أستطيع القدوم إلى «مين» قبل مساء يوم السبت على الأقل، ولم يبدو عليها الإحباط أو الضيق لدى سماع ذلك.

وبعد أن حزمت أمتعتها استعدادًا لعطلة نهاية الأسبوع الطويلة، تمشيت معها نحو مرآبنا الخاص حيث نترك سياراتنا. بعد أن حملنا الأمتعة في (الميني كوبر) قلت لها «آمل ألا يكون براد يضايقك أو يتسبب في أية مشاكل خلال ذلك الوقت الطويل الذي تمضيانه سويًا».

- «ماذا تقصد؟»

- «لم يتجرأ عليك مطلقًا، أليس كذلك؟».

ارتسم على وجهها تعبير مندهش كما لو كانت تفكر «براد؟ كلا، إنه يتصرف بمنتهى المهنية.. لماذا تسأل، هل تغار منه؟».

كانت مثالية في قدرتها على الكذب بتعبير الدهشة، الذي ارتسم على وجهها، ثم التفكير ثم الرد دون أي توتر. لو لم أرهما بعيني من خلال المنظار، لما صدقت أن هناك علاقة بين زوجتي والمقاول الذي استأجرته. في السنوات الأولى التي عرفت فيها «ميراندا» كنت أراها كشخص لا يستطيع إخفاء مشاعره، كشخص لا يمكنه الخداع، كيف كنت ذلك الأحمق طيلة هذا الوقت؟

دلفت إلى السيارة وأمسكت بالمقود وألقت إلى بقبلة عبر النافذة قبل أن تنطلق بسيارتها عبر ممرات المرآب الضيقة. شعرت بيقين يتسلل إلى داخلي حول قتلها، فمع إنكار علاقتها ببراد تبدد كل تردد انتابني.

تأخرت «لِيلِي» عن موعدنا المتفق عليه، وازدادت قناعتي بأنها لن تأتي كلما مر الوقت وأنا أحتسي شرابي.. وانتابني حينها شعور غريب، مزيج بين الارتياح والإحباط في آنٍ واحد. فإن عدم رؤيتي للِيلِي ثانية يعني أن حياتي ستعود إلى سابق عهدها. ولكن هل يمكنني أن أزعم صدقًا أنني سأظل على رغبتي في قتل زوجتي بدون مساعدتها وتشجيعها لي؟ هل ستكون لدي حتى الرغبة في المحاولة؟ وماذا لو قتلتها وأفلتُّ بجريمتي، ما الذي يمكن أن يمنع «لِيلِي» من إبلاغ الشرطة عما دار في رحلتنا وإفصاحي لها عن رغبتي في تنفيذ تلك الجريمة وأنا ثمل؟ كلا لن أقتلها، إذا لم تظهر «لِيلِي» سوف أذهب وأواجه زوجتي بما رأيت وسأرتب للطلاق، قد يسفر ذلك عن قضايا ومشاحنات قانونية لا تنتهي وإهانات مستمرة، إلا أنني سأنجو في نهاية الأمر. صحيح أن «ميراندا» سوف تحصل على الكثير من أموالي-حتى مع ما أبرمناه من اتفاق ما قبل الزواج- ولكن في مقدوري دائمًا كسب المزيد من الأموال. وفي النهاية سوف يحصل «براد» على ما يستحق، زوجتي.

وما أصابني بقدر من الإحباط بينما أجلس وحيدًا في «كونكورد ريفر إن»، وقناعتي بأنني لن أرى «لِيلِي» مرة أخرى، هو أنني كنت آمل بيني وبين نفسي أن من بين أسباب ترتيبها لهذا الموعد معي دافعًا عاطفيًا. فأنا لم أستطع مطلقًا أن أطرد من رأسي صورة وجهها الجميل أو شعوري بملمس يدها الناعم بين راحة يدي. فربما أجد في إقامة علاقة مع «لِيلِي» انتقامًا حقيقيًا يشفي غليلي مما فعله «براد» و«ميراندا»، العين بالعين. وقد لفت انتباهي كذلك أن المكان الذي اخترناه لتناول الشراب معًا هو بار في فندق. حيث يمكنني استشعار تلك الأَسِرَّة الخاوية التي تقبع فوق سقف البار نصف الخشبي مباشرةً، داخل الغرف.

وكما فعلت طيلة الأسبوع، بدأت في التفكير من جديد في كل شيء حدث ليلة سفري إلى بوسطن، والظهور المفاجئ لسيدة ترغب في مساعدتي على قتل زوجتي. تذكرت تلك الليلة جيدًا، برغم تأثير الجين حينها. أتذكر كل شيء بوضوح تام، كل موقف وإن كان الأمر أشبه باسترجاع مجرد لحلم غير

حقيقي. بدأت في الشك في مدى وضوح ذكرياتي عن تلك الليلة، هل هي حقًا بذلك الوضوح الذي أذكرها به أم هل أنني أقحم رغباتي الشخصية وطموحي على المشهد. وقد حاولت منذ عودتي إلى المنزل في تلك الليلة العثور على أية معلومة عن «لِيلِي» بالطبع، فقمت بزيارة موقع كلية «وينسلو كوليدج»، التي تعمل بها، فلم أجد إلا صفحة واحدة تلخص أهداف وإنجازات الكلية، أرشيف وينسلو، ولم يكن هناك سوى اسمين في ذلك القسم «أوتو ليمك» مدير الأرشيف، و«لِيلِي هايوارد» أمين الأرشيف. ولكل منهما رقم هاتفه الخاص، بينما يشتركان في إيميل إلكتروني واحد وهو archives@winslow.edu بدأت في البحث على الإنترنت عن أي شيء آخر بشأن «لِيلِي»، ولكن بحثي لم يسفر عن شيء. لا صفحة خاصة بها على الفيس بوك، ولا صفحة لها على موقع (يد إن)، ولا صور لها. في الواقع لم يفاجئني ذلك، لا تبدو من نوع الأشخاص الذين سيكون لهم أي تواجد على مواقع التواصل. حتى ولو كان لها أي تواجد فإنه لن يكشف عما أريد معرفته عنها. ما الذي يمكن أن يدعو أحدهم إلى مساعدة غريب على قتل زوجته؟ ماذا سوف يعود عليها من ذلك؟

وما أن فرغت من مقدار النصف لتر من البيرة التي أشربها حتى لمحتها قادمة تمشي على مهلٍ عبر الرواق المعقوف وهي تحدّق في المداخل، فتحركت بكرسي البار الذي أجلس عليه ملوّحًا لها بيدي حتى تعرف مكاني.

قالت بصوت تشوبه الدهشة «أنت هنا».

أجبتها «وأنت هنا كذلك، دعينا نجلس على واحدة من تلك الطاولات، ماذا تشربين؟».

قالت كأس «نبيذ أبيض».. فطلبت لها «ساوفيغنون بلانك» وطلبت كأسًا آخر من «غينيس» لنفسي، وحملت الكأسين إلى الطاولة الجانبية التي قامت باختيارها. بدت كما تذكرتها منذ آخر مرة رأيتها فيها، فيم عدا أنها اليوم قد رفعت شعرها الأحمر الطويل لأعلى على شكل كعكة بسيطة. وبينما وضعت كأسها أمامها على الطاولة كانت تخلع معطفًا رماديًا ترتدي من أسفله سترة

صوفية داكنة الصُفرة فوق قميص أزرق، أما وجنتيها فقد بدت متوردة منذ دخولها.

سادت دقيقة من الارتباك لم ننطق فيها بشيء، واكتفينا بالارتشاف من مشروباتنا.

قلت لها حتى أكسر ذلك الصمت «وكأننا على موعد غرامي سيئ للمرة الثانية».

ضحكت ثم قالت «أعتقد أن كلانا لم يتوقع مجيء الآخر».

- «لا أدري، ولكني توقعت مجيئك».

- «أنا لا، لم أتوقع أنني سأجدك هنا، ظننت أنك سوف تستيقظ في اليوم التالي تعاني من آثار السكر البين، وذكريات مشوشة حول التخطيط لقتل زوجتك».

- «بالفعل كنت ثملًا للغاية ولكني لا زلت أذكر كل شيء».

«وهل لا تزال لديك الرغبة في قتلها؟» طرحت السؤال كما لو كانت تسألني هل لا أزال أرغب في طلب بطاطس محمرة. إلا أن عينها كانت تحمل بريق الإثارة، أو ربما التحدي.. كانت تختبرني.

- «أكثر من أي وقت مضى».

- «يمكنني إذن أن أساعدك إذا كنت ترغب في ذلك».

- «هذا هو سبب قدومي إلى هنا».

راقبت «لِيلي» وهي تحك رأسها، ثم أشاحت بنظرها عني لتنظر حولها في البار الصغير. تتبعت نظراتها نحو أرضية البار الخشبية غير المصقولة وسقفه الذي لم يتجاوز ارتفاعه سبعة أقدام. لم يكن هناك سوى زبون واحد يجلس على كرسي البار الذي كنت عليه وأمامه كوب من القهوة الأيرلندي المغطاة بالكريمة المخفوقة. فسألتها «هل هذا المكان مناسب؟».

- «لا أحد يعرفك هنا، أليس كذلك؟».

- «كنت في هذا المكان من قبل، ولكن لا أحد في كونكورد يعرفني، كلا».

فكرت في أمي، وفي العام الذي أمضته هنا في هذه البلدة.. وتساءلت في نفسي عما إذا كانت قد ترددت على هذا البار. هل كان هذا المكان هو وجهتها للبحث عن زوج جديد؟ هل كانت هنا حيث التقت بـ «كيث دونالدسون»، ذلك الرجل المُطَلق الذي أقنعها بالانتقال إلى كاليفورنيا؟ إنهما لم يتزوجا، وهي لاتزال هناك في كاليفورنيا، لكن مع رجل آخر. أراها مرة واحدة كل عام.

قالت «لِيلِي» «تبدو متوترًا».

- «أنا بالفعل متوتر، ألا تعتقدين أنه من الغريب ألا أكون متوترًا في موقف كهذا؟».

- «هل أنت متوتر بسبب ما نخطط له، أم قلق ومتوتر بشأني؟».

- «كِلا الأمرين، أفكر الآن في سبب وجودك هنا.. أفكر أنك ربما كنتِ شرطية وسوف تسجلين لي كيف سأقوم بقتل زوجتي».

ضحكت لِيلِي قائلة: «أنا لا أحمل أية أجهزة، لو لم نكن في مكان عام لتركتك تفتشني، ولكن حتى ولو كنت أخفي جهازًا ما لأسجل لك، هل في مقدوري القبض عليك لمجرد التخطيط للقتل؟ ألن يكون ذلك مكيدة لاختلاق قضية؟».

«ربما، أعتقد أن في مقدوري الدفاع عن نفسي بزعم أن حديثي عن قتل زوجتي لم يكن سوى محاولة لإغوائك».

- «تلك هي مرتك الأولى، أليس كذلك؟».

- «ماذا؟ أتعنين محاولة إغوائك؟».

- «أجل».

- «ألا زلنا نمارس تلك اللعبة التي لعبناها سويًا في الطائرة؟ لعبة الحقيقة المطلقة تلك؟ لن أكذب عليك إذن وأنكر أنني لم أفكر فيك على هذا النحو، ولكن كل ما ذكرته عن زوجتي وما شعرته حول الموقف كان صدقًا. كنت صادقًا معك على الطائرة».

- «وأنا أيضًا كنتُ صادقة معك، وأريد مساعدتك».

قلت لها «أصدقك، ولكني لا أستطيع فهم دوافعك. فأنا أعلم تمام العلم ما سأجنيه مما نخطط له..».

قالت لِيلي بينما ترتشف من كأسها.. «طلاق سريع».

- «أجل طلاق سريع للغاية..».

- «ولكنك لا تفهم ماذا سأجني أنا من ذلك؟».

- «أجل، وهذا ما أود معرفته».

قالت:

- «لقد فكرت في أنك ربما تتساءل بالفعل، أعتقد أنني كنت سأقلق لو لم يشغلك هذا الأمر». ثم ثبتت عينيها على قبل أن تردف «أتتذكر حين أخبرتك عن شعوري حيال القتل؟ وكيف أنني لا أراه أمرًا غير أخلاقي، كما يظن الجميع، إنني في الواقع أؤمن إيمانًا راسخًا أن الناس يبالغون في مفهومهم عن قداسة الحياة، يعج هذا العالم بالحياة والأحياء فيه، ولكن حين يسيء أحدهم استخدام سلطته، أو كما فعلت «ميراندا» وأساءت إلى حبك لها فإن ذلك الشخص إذن يستحق القتل. يبدو القتل كما لو كان عقابًا مبالغًا فيه، ولكني لا أفكر في الأمر على هذا النحو. كل إنسان يعيش حياته كاملة، حتى لو توفي مبكرًا. تعد كل تجربة حياة كاملة في ذاتها.. هل تعرف مقولة تي. إس إليوت؟».

- «أية مقولة؟».

- «إن حياة الزهرة وحياة شجرة النخيل في عمرهما متساويان. أعلم أن ذلك ليس مبررًا للقتل، ولكنه يوضح كيف يظن الكثير من الناس أن كل البشر يستحقون حياة مديدة، في حين أن الواقع يقول إن البعض ربما لا يستحقون تلك الحياة على الإطلاق. أعتقد أن البعض قد أصابهم الهوس بالحياة وقدسيتها لدرجة جعلتهم يسمحون للآخرين باستغلالهم أو تعريضهم للأذى. آسفة أنني خرجت عن الموضوع، ولكن ما أريد توضيحه لك أننا حين التقينا في المطار واخترتَ أن تبوح لي بما يدور في رأسك ورغبتك في قتل زوجتك هو ما سمح لي أن أشرح لك فلسفتي عن القتل. هذا هو الأمر بكل صدق. أحب التحدث معك، ولو كنتَ جادًا بشأن قتل «ميراندا» فسوف أساعدك في ذلك».

راقبت «لِيلِي» في خُطبتها القصيرة وقد انتابتها الحماسة، وكانت تميل نحوي بينما تتحدث كزهرة عباد شمس حين تميل بعودها نحو ضوء الشمس لتحصل على أكبر قدر ممكن منه. ثم راقبتها وقد تراجعت مرة أخرى كما لو كانت قد رأت أنها أفصحت بالكثير. وكانت تحرك عنق كأسها بين أصابعها، وفكرت للحظة أنها ربما تكون مختلة، إلا أنني قررت المضي قدمًا على أية حال. أعرف ذلك الشعور جيدًا، يشبه شعوري حين أكسب مبلغًا ماليًا كبيرًا، من خلال القيام بمخاطر شديدة الحمق والرعونة.

قلت لها «أود القيام بذلك، وأحتاج إلى مساعدتك».

«سوف أساعدك».

أخذت رشفة أخرى من كأسها، ظهر انعكاس حاملة المصابيح النحاسية المعلقة في سقف البار على كأسها فلمع الكأس وانعكس وميضه على وجهها، كانت أكثر جمالًا وشعرها مرفوع للأعلى، ولكنها بدت أيضًا أكثر حدة. ذكرتني بالفتيات اللائي يظهرن على أغلفة المطبوعات التي اشترتها زوجتي.

«لدي سؤال كم عدد الأشخاص الذين قمتِ بقتلهم؟» أردت أن يبدو سؤالي مزحة حتى أقدم لها مخرجًا منه، ولكني كذلك أردت أن أعرف أيضًا ما إذا كانت ذلك الشخص الذي يُطبّقُ نظرياته.

قالت «لن أجيب عن هذا السؤال، فقط لأننا لا نعرف بعض جيدًا ولكني أعدك بأنني بعد موت زوجتك سوف أخبرك بكل شيء تود معرفته، ولن يكون بيننا أية أسرار، وهذا شيء أتمناه بصدق».

بدا الهدوء على ملامح وجهها وهي تقول ذلك، ولكني شعرت رغم هذا كما لو كان حديثها يحمل لي إثارة جنسية في تلك الحانة الهادئة. أصبح كأسي فارغًا.

سألتها:

- «هل فكرت في الأمر، هل فكرت في طريقة تنفيذه؟».

قالت بينما تضع كأسها إلى جوار كأسي:

- «لدي الكثير من الأفكار، وإن لدينا ميزة كبيرة جدا هنا، وتلك الميزة هي أنا. يمكنني أن أساعدك، ولن يعرف أي شخص على الإطلاق أننا حتى التقينا، فإنني شريك جريمة خفي. يمكنني أن أقدم لك حجة غياب عن مسرح الجريمة، ونظرًا لأنه لا يوجد هناك من يعلم بشأن معرفتنا لبعضنا البعض، فسوف تصدقني الشرطة.. ليس هناك أي تواصل على الإطلاق بيني وبينك. كما أن في مقدوري مساعدتك بطرق أخرى».

- «لا أتوقع منك أن تقومي بقتلها نيابة عني».

- «حتى تتمكن من قتل أحدهم والإفلات بالجريمة لا بد وأن يتم إخفاء الجثة جيدًا كي لا يعثر عليها أحدهم على الإطلاق. إذا لم يكن هناك جثة، لن يكون هناك جريمة قتل، ومن ثم لن يكون هناك قاتل.. هناك الكثير من الطرق لإخفاء جثة.. ويمكنك أن تترك جثة في العراء وتجعل

الأمر يبدو عكس ما حدث في الواقع.. وهذا ما نحتاج إلى حدوثه مع «ميراندا»، نظرًا لأنها لو تغيبت سوف تبحث عنها الشرطة حتى يتم العثور عليها.. وحين يعثروا عليها يجب أن تدلهم جثتها على قصة بعيدة تمام البعد عنك. لا بد أن تدلهم على طريق لن تكون فيه مطلقًا. لدي سؤال مهم «ما هو شعورك حيال براد داجيت؟».

- «ما الذي تعنيه؟».

- «هل لديكَ أي تصور فيما إذا كان يجب أن يحيا أو يموت هو الآخر؟».

- «أريده أن يموت».

قالت:

- «جميل، سوف يجعل ذلك من مهمتنا أكثر سهولة».

الفصل السادس

لِيلِي

حين نزل «شيت» من الجناح ليلحق بي في الفناء، سعدت لوضعه قميص أسفل وزرته. كانت رائحته لا تزال كريهة، بدت أشبه بعصير تفاح حامض. أخبرته بأنني قد وجدت شيئًا ما في الأجمة خلف الأشجار وأني في حاجة إلى مساعدته. وأخبرته أنني كنت سأطلب مساعدة أبي في ذلك ولكنه مشغول. سعد «شيت» كثيرًا بطلبي مساعدته، كما أنه أدرك أن أبي وأمي الآن قد عادا إلى غرفة نومهما.

سرنا عبر الشريط الضيق في غابة الصنوبر، الذي يفصل بين ملكية والدي لأرضهما وبين والأرض المهجورة التي يملكها جيراننا. سألته «هل ذهبت إلى الأجمة من قبل؟» كان يسير من خلفي متعثرًا قليلا في مشيته وهو يحاول، باستخدام ساعديه، حماية وجهه من فروع الأشجار التي ربما تضرب وجهه فجأة.

«تمشيت عند خطوط السكك الحديدية القديمة، حين وصلت إلى هنا».

كانت خطوط السكك الحديدية القديمة في الاتجاه المقابل لوجهتنا.

قلت له «إن الأجمة مكان لطيف، يقع خلف مزرعة قديمة مهجورة لا يعيش فيها أحد الآن، إنني أذهب إلى هناك أغلب الوقت».

«كم تبعد هذه الأجمة عن هنا؟».

«إنها خلف الأشجار هناك»، تسلقنا الحجارة المتبعثرة من الجدار المتهدم على حدود منطقة الأشجار. وقد جعلت أشعة شمس المغيب الخافتة زهور المراعي البرية المتناثرة مثل مصابيح صغيرة وامضة، أما السماء من فوقنا فبدأ لونها في التحول من اللون الوردي إلى الأرجواني الغامق.

قال شيت «يا له من مكان جميل»، فشعرت بضيق غير مبرر من مشاركة «شيت» لمكاني الخاص.

«إنه هناك» وبدأت في السير في اتجاه البئر.

«وأنت أيضًا جميلة».

أرغمت نفسي على الاستدارة والنظر إليه.

قال:

- «آسف، كنت أحدث نفسي...ولكن يا إلهي أنظري، إنك لا تعرفين كم أنت جميلة، أليس كذلك يا لِيلِي الصغيرة؟ لا تمانعين، أليس كذلك؟ لا تمانعين أن أنظر إليك». ترنح قليلًا وهو يحك بيده شعره الفوضوي.

- «لا بأس، ولكني أريدك أن تساعدني أولًا، فهناك شيء ما مربوط في الحبل ولا استطيع جذبه من البئر».

- «حسنًا، لنذهب ونلقي نظرة، كيف عثرتِ على بئر هنا؟».

تجاهلت سؤاله وقدته عبر الأجمة.. كنتُ قد اكتشفت هذه البئر منذ أربعة أعوام، لم تكن بالغة العمق، حيث يمكنك رؤية قاعها باستخدام كشاف ضوئي، ولا يوجد شيء هناك سوى بعض الصخور، أو بعض المياه المتجمعة من الأمطار.. لست متأكدةً حتى إن كانت بئرًا من الأساس أم مجرد حفرة عميقة، ربما كان بداية محاولة لحفر بئر ولكنها فشلت.

وقد وجدتها وأنا في الثامنة من عمري تقريبًا بينما كنت ألعب في الأجمة وأركض هنا وهناك. صدر عن وقع قدمي على الأرض صوت أجوف وصوت احتكاك خشبي، وحين فتشت بإزاحة الأعشاب الصفراء الجافة وجدتُ أسفلها غطاء البئر، وكان عبارة عن قطعة خشبية مربعة قديمة بدت وكأنها قد تم وضعها فوق فوهته لمنع شخص مثلي من السقوط فيه. لم تكن البئر محكمة الغلق بالقطعة الخشبية التي فوقها؛ حيث بالكاد تمكنت من تغطية فوهتها مستطيلة الشكل، وكانت جوانب البئر محددة بطبقات صخرية، لم يكن معي كشاف ضوئي حينها، لذا ألقيت بقطع من الحجارة لاكتشاف عمقها، فارتطمت بشيء صلب بعد ثوانٍ قليلة فأدركت أنها ليست عميقة للغاية.. وحينها فكرت في أنه ربما يوجد كنز هناك أو أن البئر مفتاح للغز كبير، فهرعت لإحضار كشاف لتصيبني خيبة الأمل حين اكتشفت أنها ليست سوى بئر عادية أو مجرد حفرة في الأرض.

وما أن وصل «شيت» لمكان البئر ورآها حتى قال «مهلًا، انتظري قليلًا. متى عثرت على هذا المكان؟».

أجبت كاذبة «منذ أسبوع، لمحت الحبل أولا ثم جذبت غطاء البئر، ووجدت أن هناك شيئًا ثقيلًا بالأسفل في القاع».

كان إسقاط الحبل أسفل البئر من ضمن تفاصيل خطتي، وكنت قد وجدت ذلك الحبل الطويل البالي، في قبو منزلنا، علاوة على وتد معدني، وأحضرت كلاهما إلى الأجمة منذ بضعة أيام. قمت بربط أحد طرفي الحبل بإحكام في واحدة من أكبر الصخور التي استخرجتها من الأجمة، وقمت بإسقاطها داخل البئر، ثم ثبتُّ الطرف الآخر من الحبل جيدًا في الأرض باستخدام الوتد. لم يبدو الأمر متقنًا تمامًا، ولكن لا يهم فكل ما كنت أحتاج إليه هو أن أثير فضول «شيت» لمعرفة ما يوجد عند الطرف الآخر من الحبل، وأن أجعله شيئًا يصعب جذبه. ساورني القلق من قدرة «شيت» على جذب الحبل بسهولة وهو في وضع الوقوف، فأنا في حاجة إلى أن يجثو على ركبتيه أمام الحفرة.. ولكني لم أعد

في حاجة إلى القلق، فـ«شيت» يتصرف كطفل صغير متحمس للاكتشاف.. فجَثى على ركبتيه أمام البئر وأمسك بالحبل من تلقاء نفسه.

- «أوه، ما هذا؟».

- «لا أدري، يبدو طينًا أو وحلًا من نوع ما».

رفع إصبعه بالقرب من أنفه ليشمه «لا تبدو رائحته طبيعية، فرائحته كرائحة شامبو».

«ربما يكون شيء ما ولا يرغبُ مَن وضَعَهُ أن يخرجه أحد»، وتحركت من مكاني بحيث أقف خلفه مباشرة، لوى عنقه ونظر نحوي، فرأيت واحدة من عينيه الرطبة المنتفخة تحدق في صدري، فتوترت وانتفض شعر ذراعي مقشعرًا.

«هل تحبين الفراشات؟»، سألني بينما كانت عيناه لاتزال تتفحص أعلى سترتي.

«أظن هذا».. وتراجعت لا إراديًا خطوة إلى الخلف شاعرة بالاشمئزاز وبالغضب من نفسي، كوني أحضرت هذا الرجل معي إلى مكاني السري. ليس في رأسه شيء سوى الجنس دون شك.. وقد يرغب في أن يلتصق بجسدي قبل أن يجذب الحبل.. يا لي من حمقاء.. حاولت التفكير في شيء أقوله له ولكن عقلي لم يسعفني وهرب الكلام من فمي الذي أصابه الجفاف.

إلا أن «شيت» بادر بقول «لم تخبري والديك عن هذا المكان أليس كذلك؟».

«كلا، لم أفعل، خشيت أن يغضبا مني، وألا يسمحا لي بالاحتفاظ بما في هذه البئر إذا أعجبني ووجدته شيئًا ذا قيمة».

«ربما علينا أن نلقي نظرة»، وعاد بعينيه ثانية نحو فوهة البئر قائلًا «والآن، ما الذي سأحصل عليه إذا ما وجدنا صندوق كنز بالأسفل؟».

تصرفَ كما كنت أرغب تمامًا، ممسكًا بالحبل محاولًا إحكام قبضته عليه، وأحنى رأسه داخل الحفرة قليلًا وحرك ركبتيه إلى الأمام. فقلت له «احترس حتى لا تسقط»، لقد خططت لقول ذلك حتى أجعله يشعر بالأمان.

- «كم يبلغ عمق هذه البئر؟».

- «ليس عميقة للغاية».

أطلق شيت صيحتين داخل البئر وتردد صدى صوته.

«دعني أمسكك»، وقد خططت لذلك أيضًا حتى يعتاد على يدي ممسكة بظهره، فلم أرغب في دفعه فجأة وأنا أقترب من ظهره فيقاومني.

جذبت قماش وزرته بكلتا يدي وهو يقول «لقد أمسكته، سوف أقوم بجذبه لأعلى».

استجمعت كل ما أملك من طاقة وقمت بدفعه بأقصى قوة ممكنة. حاول رفع رأسه ولكنها كانت داخل فوهة البئر بالفعل وصدمت مؤخرة دماغه بحافة البئر الحجرية، وتحرك جسمه كله للأمام ساقطًا في البئر، وللحظة شعرت أنني كنت سأسقط معه أنا أيضًا داخل البئر من شدة الدفعة، وهو الاحتمال الذي لم يرد على بالي مطلقًا. ولكنه بشكل ما تمكن من رفع رجله قليلًا ليعوق استكمال سقوطه للأسفل، دفعت بجسده إلى جانب البئر ودوى صوت صرخته من هول المفاجأة تدوي في أذني. واحد من حذائيه الثقيلين انحشر بين حجرين من الحجارة المسطحة على مدخل البئر. «يا إلهي! النجدة» ثم دوى صوت صلصلة، حيث اصطدم شيء ما بقاع البئر، أظن أنها نظارته.

نهضت واقفة، ووجدت أن أحد أظافري قد كُسر إثر تعلقه بوزرته، لاحظته لأن يدي كانت ترتعش بقوة وعليها قطرة دم.

«لِيلِي، يا إلهي، ساعديني».

ربضت بالقرب من المكان الذي حُشرت فيه ساقه بين الحجارة، وكان من الواضح أنها لن تتحمله وسوف يسقط داخل البئر على أية حال، ولكني أمسكت بطرف حذائه البالية وقمت بدفعه ليسقط. صرخ «شيت» عاليًا وسمعت صوت احتكاك أعقبه صوت ارتطام جسده بقاع البئر. توقعت أن أسمع المزيد من صرخاته ولكن ساد الصمت، فيما عدا أصوات تناثر التراب والحصى المستمرين في السقوط داخل البئر، وصوت غُرابين ينعقان على الجهة الأخرى من الأجمة.

قمت بلف القلم المزود بالإضاءة بعد أن جذبته من جيبي الخلفي، الذي لم يكن شعاعه قويًا، ولكنه كان كافيًا بما يسمح لي بالرؤية عبر ظلام البئر الدامس. ظننت أن يدي سترتعدان ولكني كنت ثابتة. شعرت أنني لم أفقد تركيزي، وأن عقلي منتبه تمامًا، كما لو كنت مستغرقة في قراءة كتاب جيد يلتهم الوقت. نظرت عبر حافة فوهة البئر ووجّهتُ ضوء القلم إلى أسفل، كنت على يقين من أن «شيت» لن يموت على أثر السقطة، وسوف يتوسل لمساعدته. وكنتُ مستعدة لذلك أيضًا. ولكني وجدته ساكنًا في قاع البئر مستلقيًا على ظهره، وساقيه في الجهة المقابلة وعنقه ملتوٍ بزاوية مضحكة..

حدقت فيه لفترة. كان ضوء القلم ضعيفًا وتعكرت البئر بالغبار الكثيف، ولكني وجدت «شيت» مستقرًا في القاع دون حراك.. ثم رأيت حركة بسيطة وسمعت شيئًا أشبه بـ«أنة» مكتومة ربما تكون صدرت من «شيت» أو من شيء آخر يستقر في قاع البئر المضطرب.

نهضت ثم سرت بضع خطوات باتجاه كومة الصخور الثقيلة التي قمت بجمعها، اخترت الأكثر ضخامة بينها وكان عبارة عن صخرةٍ ضخمة خشنة ذات نتوءات. وكان على حملها بكلتا يدي فوضعت القلم المصباحي في فمي، وسرت كمشية البطريق وأنا أحملها حتى وصلت إلى البئر، حدّقت بداخله، واستعنت بالقلم المضيء ليبدد شيئًا من ظلامه، وصوّبتُ الصخرة قدر المستطاع ثم ألقيتها على رأس «شيت» مباشرة. لم أراقب الصخرة بعدما

ألقيتها ولكني سمعت صوت فرقعة، وبدا أشبه بصوت بطيخة انفجرت. لو كان هناك احتمال أن «شيت» قد نجا من أثر السقطة، فإنه الآن ميت دون شك.

آلمني ذراعي جرّاء حمل الصخرة، انحنيت بجسدي لدقيقة. كان هناك غراب يراقبني من فوق شجرة قيقب عتيقة على حدود الأجمة. فكرت فيما إذا كان قادرًا على شم رائحة الموت المنبعثة في الهواء، وأظن أنه قادر على ذلك بالفعل، أحنى رأسه لأسفل وضرب بجناحيه الأسودين في الهواء، كما لو كان يرحب بي في عالم جديد خاص.

وبعد أن أعدت القلم المضيء إلى جيبي ثانية، رفعت الوتد من على الأرض والحبل المربوط فيه وألقيتهما في البئر وأخذت أتردد بين كومة الأحجار التي قمت بجمعها والبئر، وألقيت منها ستة أحجار ضخمة فوق «شيت». كنت سأقوم بتغطيته بشكل أكبر في وقت لاحق، إلا أني فكرت أنه لا مانعَ من البدء في ذلك مبكرًا. وكنت سأستمر لولا أنني لاحظت أن الصباح أوشكَ أن ينبلج، وتحول لون السحب في السماء إلى الأرجواني والرمادي الداكن، وبدأت الأجمة والأشجار المحيطة تفقد ألوانها، واكتسب كل شيء درجات متنوعة من اللون الرمادي. قامت خطتي المبدئية على أن أعود متوجهة إلى الشقة التي كان يقيم فيها «شيت»، وأن أقوم بجمع كل أغراضه وأن أعود إلى هنا ثانية لإلقائها في البئر. ثم أقوم بتغطية كل شيء بالصخور قبل أن أضع غطاء البئر. ولكني حين وجدت في طريق عودتي أن الظلام لايزال دامسًا بين الأشجار وأن مصباح القلم بالكاد يضيء أسفل قدمي، قررت أن أقوم بجمع أغراض «شيت» على أن أقوم بحملها إلى البئر في الصباح الباكر. كنت أعلم أن والدي سوف ينامان إلى وقت متأخر.

كان كل شبر في الشقة الصغيرة التي فوق الاستوديو مألوفًا لي وأعرفه تمام المعرفة، فطالما كانت واحدة من الأماكن المفضلة لدي قبل أن يشغلها «شيت»، ولكني لم أخطُها منذ قدومه إلى هنا مع بداية فصل الصيف. كنت قلقة من أن يكون لديه الكثير من الأغراض التي على نقلها، ولكني وجدتها قليلة. كان لايزال واضعًا كل ما يخصه داخل حقيبة يد خضراء مموهة وجدتها مفتوحة

فوق الفراش. بدأت في البحث في المكان باستخدام القلم الضوئي الخافت، ولكني أدركت أن في مقدوري ببساطة إشعال مصابيح الشقة. وحتى لو لمح أحد والدي ضوءًا قادمًا من هنا لن يكون غريبًا أن يصدر ضوء من المكان الذي يقيم فيه «شيت».. في واقع الأمر قد يستغربان أكثر إذا لم يكن هناك أية أضواء.

انعكس ضوء المصباح الأصفر الخافت على الجدران ناصعة البياض وعلى جزء كبير من الأرضية. لم يكن هناك سوى قطع قليلة للغاية من الأثاث في شقتي الصغيرة، فقط الكرسي القماش المحبب إلى وقد بدا هابطًا فارغ الهواء، وكرسيين آخرين خشبيين بهما تنجيد، كل منهما به مزق في قماشه يخرج منه الحشو. وذلك الكرسي ذو الرسوم المطبوعة كان أيضًا بقعتي المفضلة للقراءة، وكم سعدت حين رأيت «شيت» يستخدمه لرص كتبه فوقه بعضها فوق بعض، فهذا يعني أنه لم يجلس عليه.

وجدت بعض الملابس المتناثرة حول السرير النقال، قميصين، وزوجًا من الملابس الداخلية البيضاء، استخدمت أحد القميصين لرفع ملابسه الداخلية من على الأرض ووضعها في الحقيبة. فاحت من حقيبته النصف ممتلئة رائحة عفنة، ورائحة مزعجة لمعطر من معطرات الجسم، إلا أن رائحة الشقة نفسها لم تبدُ على الدرجة التي توقعتها من السوء، فاحت منها رائحة زيت التربنتين ورماد السجائر بشكل ملحوظ. وفي المنتصف كان هناك كوب للقهوة مملوء لمنتصفه بأعقاب السجائر. رفعته وأخذت أفكر أين يمكنني وضعه ثم قررت دسه في الحقيبة، فـ«شيت» لن يرتدي ملابسه بعد الآن.

جلبت من الحمام فرشاة أسنان «شيت» وأنبوب معجون أسنان أوشك على الانتهاء، وزجاجة تحتوي على سائل أبيض كريستالي اللون يبدو وأنها تحتوي على مزيل عرق، وزجاجة شامبو للشعر. وتركت الصابونة وما عليها من شعر ملتصق في مكانها. ومن المطبخ - والذي كان عبارة عن زاوية بها حوض وبعض من الخزائن القليلة، وطبق إلكتروني للتسخين- جلبت عبوتين من النودلز سريعة التحضير، وزجاجة بلاستيكية كبيرة من «بوبوف الفودكا»، أفرغت

الفودكا في الحوض وتركت الزجاجة على واحدة من الخزانات. انتابني القلق فجأة من أنني تركت بصماتي في كل المكان، وأنه كان على ارتداء قفاز. ولكن سوف يكون لديّ متسع من الوقت غدًا لمسح البصمات. علاوة على أن الأمور لو سارت كما أخطط لها، لن يشك أي شخص في أن «شيت» قد قُتل. سوف يظنون ببساطة أنه رحل، ومن الصعب أن يفتقده أحد.

بعد أن ملأت الحقيبة عن آخرها بأغراضه قمت بغلقها، وتأكدت من قدرتي على حملها في الصباح.. كانت ثقيلة ولكن يمكن حملها.. لم يتبق من أغراض «شيت» سوى أدوات الرسم الخاصة به. أربع لوحات ثلاثة منها وُضِعَت باتجاه الحائط فلم أتمكن من رؤية المرسوم عليها، والثالثة كانت لا تزال لوحة غير مكتملة فوق حامل مسند اللوح.

كانت لا تزال في مرحلة مبكرة، مجرد مجموعة من الألوان فوق خطوط بالقلم الرصاص، ولكن كان في مقدوري معرفة أنها لوحة لحمام السباحة الكائن في الناحية الخلفية للمنزل، وشخص في منتصف الحمام، ليس له أي تفاصيل محددة ولكني كنت أعرف أنه أنا. كان حجم اللوحة صغيرًا، لم تتعدَ حجم شاشة تلفاز عادية.. خلعت اللوحة من على الحامل وقمت بتطبيقها حتى تكسر إطارها الخشبي الرقيق، وقمت بوضعها على الأرض، ووضعت ما تبقى من اللوحات فوقها. لم أهتم بالنظر إليها ولكنها بدت لوحات مكتملة، لتلطيخات من الألوان هنا وهناك، وشيء يشبه إنسان، في مقدوري رسم ما يماثلها على أي حال.

كان حامل اللوحات يخص «شيت»، فأنا على يقين أن تلك الشقة لم تحتوِ على حامل لوحات من قبل، كان صغير الحجم بثلاثة أرجل داعمة، قمت بطيه وثنيه لأصغر حجم ممكن حتى أصبح في حجم حقيبة صغيرة ووضعته فوق كومة اللوحات.

تفحصت الغرفة من حولي للتأكد من أنني أخذت كل شيء، وحتى لو كان هناك ما تبقى فسوف يبدو كما لو كان «شيت» قد تركه من خلفه بمحض إرادته.

شعرت بوخز في إصبعي الذي انكسر ظفره، نظرت إليه فوجدت الدم قد تخثر وتحول لونه إلى اللون البني واكتسب قوامه لزوجة، لا أعتقد أنني خلّفتُ آثارًا من الدم هنا أو هناك. وانتابني شعور مفاجئ برغبتي في ترك المكان والعودة إلى غرفة نومي.. شعرت بالجوع، لو أن أيًا من والدي لم يلتهمها، فلا زالت هناك فطيرة الراعي في انتظاري بالثلاجة ويمكنني تناولها.

ضبطت منبهي على الساعة السادسة صباحًا، ولكني وقبل أن يرن منبهي الذي له شكل البومة كنت مستيقظة بالفعل وخارج الفراش وانتهيت من ارتداء ملابسي تقريبًا. حصلت على قسط قليل من النوم، ولكنه كان نوعًا من النوم الذي تسمع فيه كل صرير وكل طقطقة حولك، حيث تظن أنك لم تنم حقًا، ثم تدرك أن الأفكار الغريبة التي تصارعت في رأسك كانت أحلام حقيقية، وأن الوميض الذي ينعكس من خلف الستائر يعلن عن طلوع الفجر.

احتاجت مهمة نقل جميع الأغراض من الشقة إلى البئر إلى ثلاث رحلات من وإلى الشقة.. بدأت بنقل الحقيبة، وذلك كان الجزء الأصعب، حيث كان على جرّها فوق الأرض بين حين وآخر نظرًا لصعوبة حملها. غطى الندى العشب مما سهل مهمة جر الحقيبة.. نظرت داخل البئر قبل إلقاء الحقيبة بداخله، ووجدت «شيت» مستقرًا هناك كما هو تحتَ الحجارة التي ألقيتها من فوقه، وتطن حول جثته بعد الذبابات السوداء. وفي رحلتي الثانية كان على إحضار اللوحات الأكبر حجمًا، لم تكن ثقيلة إلا أنها كانت صعبة ومزعجة في حملها، وكان على كسر واحدة منها حتى أتمكن من دسها داخل البئر.

وفي رحلتي الثالثة، أحضرت حامل اللوحات الذي يمكن حمله على الظهر مع اللوحة الصغيرة التي بدأها «شيت، ولم ينتهِ منها لحمام السباحة الخاص بي. بعد أن فرغت من إلقاء كل شيء داخل البئر أحضرت ما تبقى من حجارة فقمت بجمعها وألقيتها فوق كل ما يحتويه البئر من أسرار، كان مشهدًا مُرضيا، خاصة وأنا أرى كل ما يتعلق بـ«شيت» يختفي أسفل كومة من الصخور. استعنت بالمجرفة القديمة الصدئة، التي كنت استخدمها في قلقلة الصخور، في حفر الأرض وإخراج الكثير من التراب والإلقاء به في البئر، حتى واريتُ

كل ما بداخل البئر بالتراب، وبدا كأن لم يكن شيء هناك فيما عدا الصخور والتراب.. لم يكن الأمر مثاليًا ولكنه كان معقولاً.

آخر ما فعلت قبل أن أرحل كان إلقاء المجرفة الصدئة داخل البئر، ثم وضع غطائه عليها كما كان. وباستخدام يدي اللتين كانتا متسختين بالفعل قمت بالردم فوق الغطاء بالعشب والأتربة كنوع من التمويه. وأخذت أجوب في المكان قبل مغادرته ممعنة النظر في الأرض للتأكد أنني لم أترك أي شيء من خلفي، ولم أجد أي شيء، ولا حتى عقب سيجارة.. غادر «شيت» هذا العالم بلا رجعة.

كان صباحًا هادئًا لا شيء فيه سوى طنين الحشرات المتصاعد، ونعيق الغربان المالك الأصلي لتلك الأجمة. أصدرت صوتًا شبيهًا بأصواتهم ردًا عليهم، كما كنت أفعل في بعض الأحيان، وفكرت في الطريقة التي يرونني بها الآن.

لدى عودتي إلى المنزل أخذت حمامًا طويلاً، قمت فيه بحك أصابعي للتخلص من بقايا الأتربة والأوساخ. وقد منحتني المياه الساخنة المترقرقة فوق جسدي شعور بالقوة والأمان في الوقت ذاته. حين فتحت أمي باب الحمام منادية باسمي، جفلت وقفزت من مكاني وكدت أسقط تقريبًا.

سألتها «ما الخطب؟».

«لا شيء حبيبتي، كنت أفكر أنا ووالدك في تناول الإفطار في مطعم (شادي) وأردنا اصطحابك معنا».

- «حسنًا، متى سنذهب؟».

- «بمجرد أن تنتهي من حمامك».

اعتدنا الذهاب إلى مطعم «شادي» من أجل تناول وجبات العشاء، إنه مطعم أبي المفضل، وكذلك مطعمي المفضل أنا أيضًا، خاصة لتناول وجبة الإفطار. طلبت الخبز الفرنسي المحمص مع طبق جانبي من لحم الخنزير المقدد والمقرمش. جلس والدي في الجهة المقابلة لي من الطاولة وكتفيهما

متلامسين، يتبادلان صحنًا من الفاكهة حتى وصول طبق اللحم البقري بالذرة الخاص بأبي، وطبق بيض الأومليت الخاص بأمي. تسللت الأفكار حول «شيت» إلى رأسي طيلة مدة الإفطار ولكنها كانت سرعان ما تتبدد بمجرد أن يقول أيٌّ من والدي شيئًا ما لإضحاكي، أو حين كنت أفكر في مذاق طعامي الشهي. شعرت وكأن معدتي وعاء فارغًا يمكنني ملئه إلى الأبد.

قالت أمي «إنك جائعة يا لِيلي».

فرد أبي «إنها فتاة في مرحلة النمو، أوشكت على أن تصبح شابة الآن».

كان وقت الإفطار رائعًا، حتى مع محاولات والدي لإفساده بسؤالي عما إذا كنت أرغب في تفويت سنة دراسية أخرى. كانت تلك نصيحة أحد معلميّ بنهاية العام الدراسي ولكني رفضت ذلك المقترح مع بداية الصيف. أصرت أمي على إثارة الموضوع كثيرًا، فعاقبتها بعدم الانضمام إلى معسكر شهر يوليو. كنت أعلم أنها تتطلع إلى هذين الأسبوعين اللذين أكونٍ خارج المنزل فيهما. أدهشني إثارتهما للموضوع ذلك اليوم، ولكن الأمر لم يطُل ولم يفسد إفطاري.

لم أسمع أي حديث عن «شيت» طيلة الأسبوع، وفكرت في أنه لن يكون من الطبيعي عدم السؤال عنه مطلقًا.. لذا، وعلى طاولة الغداء حيث كنت أجلس أنا وأمي في حالة من الصمت، وبينما لم أعرف مكان أبي كالمعتاد سألتها عما حدث «لشيت».

- «لقد غادر، ألم تعلمي ذلك؟».

- «إلى أين ذهب؟».

- «يا إلهي، لا أدري يا لِيلي، أعتقد أنه ذهب إلى مكان آخر ليستضيفه أحدهم.. إنه حتى لم يلقِ تحية الوداع ذلك الناكر للجميل».

في تلك الظهيرة توجّهتُ إلى الشقة الصغيرة التي استضافت «شيت»، وقد بدا أن أحد والدي قد جاء إلى هنا ونظّمها، وقد تم نزع الملاءة عن السرير الصغير وتفريغ صندوق القمامة الذي كان في المطبخ. جلست على الكرسي

المفضل لي لدقيقة، على الرغم من أنني لم يكن معي كتاب. كانت النوافذ مفتوحة وحملت إلى المكان نسمات باردة، النسمات الأولى التي كنا ننتظرها منذ فترة، لتلطف مناخ الشقة. كنت أنتظر أمرين منذ قتلي لـ«شيت». أن يتم القبض على أو أن أشعر بالذنب حيال ما اقترفت.. ولكن في واقع الأمر، أن أيًا منهما لم يحدث.

الفصل السابع

تيد

حين أخبرت «ميراندا» عن نيتي للقدوم إلى «كينويك» لمدة أسبوع مع حلول شهر أكتوبر، ارتسمت على محياها سعادة حقيقية. كنا جالسين قبالة بعضنا البعض في مطبخنا بالطابق الأول بمنزلنا الحجري نتناول «لينغويني» بصوص البطلينوس (الطبق الوحيد الذي يمكنني طبخه) مع زجاجة من بينو غري.. قالت «هذا رائع، سوف تتفرغ لي وحدي لأسبوع كامل».

تفحصت وجهها، بحثًا عن أي تعبير يشي بخداعها، ولكني لم أجد. لمعت عيناها ذات اللون البني الداكن بما بدا لي حماسًا حقيقيًا.. صدقتها للحظة، وانتابني ذلك الشعور الدافئ الذي يغمر المرء حين يجد أن هناك من يرغب في تمضية الوقت معه. ولكن ما لبث أن تبدد ذلك الشعور بعدها بثانية، واعترتني الدهشة من جديد من قدرة زوجتي على التمثيل ومن طبيعتها المخادعة.. ألم ينتابها أي شعور بالذنب حيال ما كانت تفعله مع «براد داجيت».

سألتني «هل علينا حجز ذلك الجناح ثانية؟».

«أي جناح».

«يا إلهي! إنك سريع النسيان، إنه المكان الأول الذي نزلنا فيه، ذلك المكان الذي احتوى على حوض للاستحمام به دوامة مياه».

«أجل.. بالطبع يمكننا حجزه».

عقب تنظيف المكان، صعدنا إلى أعلى لمشاهدة التلفاز، واتفقنا على مشاهدة فيلم «المفتش» Sleuth المعروض على واحدة من قنوات الأفلام الخمسمائة لدينا. غيرت «ميراندا» ملابسها وارتدت قميص النوم القصير الذي ترتديه في المساء ومدّدت ساقيها على الأريكة واضعة قدميها فوق حجري.. تفحصت أصابع قدميها المزينة بدقة بالغة بطلاء أظافر وردي اللون.. مسكت إحدى قدميها بيدي، وضغطت بإبهامي على إصبعها الصغير الناعم. لم تقل شيئًا، ولكن جسدها استجاب وتحرك مقتربًا من جسدي، وتقوست قدمها مرفوعة لأعلى ربما دعوة لمزيد من المداعبة. إلا أن حضورها الفاتر جعلني مدركًا حقًا لحالي، كتفي المتيبستين، القميص غير المريح الذي كنت لاأزال أرتديه، الطريقة التي كنت أجلس بها متكلفًا إلى جوار ذراع الأريكة، رسغي الذي لم يكن في حالته الطبيعية ولم أضعه في وضع مريح.. رفعت يدي عن قدم زوجتي، وبدا أنها لم تلحظ.. كنت أعلم أنها ستذهب في النوم قبل انتهاء الفيلم.

كان الذهاب إلى «مين» لمدة أسبوع فكرة «ليلي»، التي اقترحتها قبل انتهاء لقاءتنا في «كونكورد ريفر إن». قالت لي إنه من المهم أن أعرف ما يدور هناك، وأن أعرف شكل جدول أعمال «براد»، وكيف تقضي «ميراندا» أيامها.

قلت لها «ولكني بوجودي هناك كل شيء سيتغير، سوف يتصرف كل من «براد» و«ميراندا» بشكل مختلف عن واقعهما».

«لا يهم، ما يهمني أكثر هو معرفة عادات عمل طاقم العمل الذي بمنزلك، وعدد العمال هناك، وهل يتواجدون بشكل يومي أم لا؟ وكم عدد المرات التي يذهب فيها «براد» إلى هناك بمفرده؟ عليك أن تراقب الوضع، وكلما حصلت على معلومات أكثر كان ذلك في صالحنا».

وافقتها.. وكان الجزء الأصعب هو إلغاء جدول أعمالي لأسبوع كامل. ولكني فعلت، وبالفعل قامت «جانين»، مساعدتي الشخصية، على إعادة ترتيب جدول مواعيدي.. واقتضت الخطة أن أسافر متوجهًا إلى «كينويك» في وقت متأخر من مساء يوم الجمعة على أن أعود إلى «بوسطن»، عقب تسعة أيام مساء يوم السبت. وعلى غير ما توقعت بدأت في التطلع لذلك الأسبوع، وأنا أشعر في قرارة

نفسي بالاستمتاع بفكرة أنني سأفسد على «براد» وميراندا» علاقتهما طيلة ذلك الوقت.. وفكرت في ردة فعل «براد»، حين أخبرته «ميراندا» عن قدومي، حتى ومع جلوسي هناك على أريكتي، فإن مجرد إعلاني الخبر لـ«ميراندا» جعلني أشعر بأن مجريات الأمور تتغير لصالحي.. ربما أشعر ببعض القوة غير المفهومة.

انتفضت «ميراندا»، فاستدرت لأنظر إليها في انعكاس شاشة التلفاز البالغ حجمه ٤٨ بوصة، فرأيت عينيها مغمضتين، وانفرجت شفتاها قليلاً. راحت «ميراندا» في النوم. أخذت أحدق بها أو بمعنى أدق أحدق بانعكاسها على الشاشة عليها لفترة بدلاً من متابعة الفيلم. برزت منحنياتها وملامح وجهها بفعل الظلال القاتمة المتموجة على الشاشة، فبدت «ميراندا» كما لو كانت نسخة أخرى منها بالأبيض والأسود أمامي. انفتح فمها أكثر قليلاً، وارتعش عصب عند صدغها. أبهرني جمالها الطبيعي بينما أدركت في الوقت ذاته أن ذلك الجمال لن يبقى حتى يشيخ. فوجهها المستدير، الأشبه بوجه الدمية، سوف يسمن وينتفخ، وجسدها النموذجي المثير سوف يصيبه الوهن بفعل الزمن.

ولكنها لن تعيش حتى تشيخ، أليس كذلك؟ فأنا سوف أقتلها، أليس هذا ما سأفعل؟ كانت تلك هي الخطة، التي حين كنت أفكر فيها، وفي الإفلات بما سأقدم عليه، يغمرني شعور من الرضا والقوة، وكذلك مزيج من الشعور بالخوف والحزن. لقد كرهت زوجتي، ولكن السبب في تلك الكراهية هو أنني أحببتها بصدق ذات يوم..

هل أنا على مشارف ارتكاب خطأ سأندم عليه لما تبقى من حياتي؟ حين تداهمني تلك الهواجس وأفكر على هذا النحو ويبدأ الخوف من التملك مني، تنتابني رغبة في الاتصال بـ«لِيلي»، والإنصات إليها وهي تتحدث عن القتل بشكل بسيط، كما لو كانت تتحدث عن التخلص من أريكة قديمة.. ولكننا كنا اتفقنا على عدم التواصل مع بعضنا البعض لفترة، وألا نتقابل حتى أمضي

الأسبوع في «مين»، وكان ذلك سببًا آخر لانتظاري قدوم ذلك الأسبوع.. فكل يوم يمضي يقربني من العودة إلى «لِيلِي» ولقائها من جديد.

أخبرني «جون»، موظف الاستقبال في الفندق أن «ميراندا» في حانة «ليفري» أو «الأسطبل» وعرض على توصيل حقائبي إلى الجناح. شكرته وذهبت للعثور على «ميراندا» متخذًا السلالم الضيقة التي تشبه في طرازها سلالم العصر الاستعماري والمنحدرة بشكل حاد تجاه الطابق السفلي؛ حيث تتواجد البارات.. ووجدت البار المسمى بالأسطبل، لأنه كان أسطبلًا بالفعل فيما مضى، ذا أرضية حجرية، ومدفأة حجرية، وطاولة بار طويلة من البلوط يتخذ في انحناءاته شكل اليخت.. وجدت «ميراندا» بمفردها في البار، إلا أنها كانت تتحدث بحماس إلى نادلة البار الموشومة، والتي كان اسمها «سِيد» أو «سيندي»، لا أذكر على وجه التحديد.

قاطعت حديثهما مقبّلا زوجتي، ولاحظت غياب رائحة السجائر من فمها، ثم طلبت «هيندريك مارتيني». خلعت سترتي الصوفية المنقوعة بفعل الأمطار التي هطلت فوقي في المسافة بين سيارتي والحانة.. كانت الأمطار خفيفة في بوسطن، إلا أني وجدتها في «مين» تمطر بغزارة، لدرجة أن مَسّاحات السيارة على كامل سرعتها لم تتمكن من جعل الرؤية واضحة خلال رحلتي على الطريق.

قالت «ميراندا» «إنك غارق».

- «بل إنني أقطر مياه».

- «لم أعلم أنها تمطر على هذا النحو، فإنني لم أخرج طيلة اليوم».

قدمت لي سيد أو سيندي مشروبي قائلة: «إن زوجتك تعيش حياتها».

وضحكت ضحكة عالية بينما تقول ذلك.

«أعلم أنها تعيشها»، ثم استدرت موجهًا حديثي إلى «ميراندا» «ماذا كنت تفعلين طيلة اليوم؟».

«لم أضيعه سُدى، فقد اتخذت قرارات بخصوص أثاث غرف الضيوف، ثم تلقيت رسالة، ثم انتظرت قدوم زوجي الحبيب على أحر من الجمر.. أوه كدت أنسى».. ثم رفعت زجاجة البيرة التي في يدها قائلة «في صحة الأسبوع الكامل الذي سنمضيه سويًا».. حركت كأسي من الجين البارد من أجل النخب، وأخذت منه رشفة كبيرة فأمدني فورًا بالدفء.. «هل أكلت؟»، سألتني «ميراندا».

أخبرتها بأنني لم آكل بعد، وفتحت قائمة الطعام لألقي نظرة على ما تحتويه.

بقينا هناك حتى وقت إغلاق الحانة، وشربت ما يكفي من الخمر الذي جعلني حين توجهت برفقة «ميراندا» إلى الجناح القابع في الجهة الخلفية من الحانة واستلقائنا عاريين على الفراش كبير الحجم، بالكاد ما أتذكر سبب قدومي إلى «مين» لأسبوع كامل، وبالكاد ما أتذكر أمر «براد داجيت»، أو حتى «لِيلِي» نفسها.

انتهت الأمطار في صباح اليوم التالي، وانقشعت السحب بعيدًا عند البحر، كان يومًا من أيام شهر أكتوبر المشرقة.. كانت السماء زرقاء وذات لون فضي لامع، وتحول لون الأشجار إلى باقة من اللونين الأصفر والأحمر..

وعقب وجبة الغداء، تمشيت أنا و«ميراندا» إلى المنزل، لم يستغرق الأمر أكثر من خمس وعشرين دقيقة عبر طريق «ميكماك رود»، ليس وقتًا أطول بكثير من المستغرق عند اتخاذ ممشى الجرف.. يعد طريق «إيه وان» أكثر الطرق ازدحامًا في هذا الجزء من العالم، ولكن طريق «ميكماك» المتفرع منه بديع بما يحمله من مناظر خلابة تظهر من أعلى المنحدر الذي يطل على المحيط الأطلسي..

يتفرع طريق «ميكماك روود» من طريق «إيه وان» الرئيسي عند مركز «كينويك سنتر»، ثم يمر على مرفأ «كينويك هاربور» وشاطئ «كينويك بيتش»، وتلك هي المناطق الثلاث الرئيسية المكونة للمدينة. كان شاطئ «كينويك بيتش» الأقل خصوصية في شواطئ «كينويك»، وهو عبارة عن سلسلة من الأكواخ

التأجيرية الممتدة بطول الشاطئ الرملي، إنه مكان للتخييم يعج بسيارات موديل «وينباجو» في شهور الصيف. لست متأكدًا على وجه التحديد ولكني أظن أن «ميراندا» قد أخبرتني عن امتلاك «براد» لمجموعة من تلك الأكواخ التأجيرية، وأنه منذ طلاقه يعيش في واحدة من تلك الأكواخ منذ قرابة العام. لم أعر اهتمامًا لتلك الأخبار حينها نظرًا لجهلي بحقيقة مضاجعته لزوجتي، إلا أنني الآن أولي اهتمامًا بالغًا لكل شيء.

لم تكن هناك سوى شاحنة واحدة عند الممر الخاص بمنزلنا، شاحنة «تيوتا بيك أب» عليها ملصقًا من النوع الممتص للصدمات يحمل عبارة «لو أن الله لا يرغب في أكلنا للحيوانات لما خلقهم من اللحم».

قالت ميراندا «إنها سيارة «جيم»، لقد استعان به براد لينهي حائط الجبس في القبو».

سرنا تجاه الناحية الخلفية من المنزل ودلفنا عبر أبواب الباحة، كان من المستحيل ألا أفكر في المرة الأخيرة التي كنت فيها هنا، المرة الأولى التي تلصصت فيها على «براد» و«ميراندا» وهما يتشاركان السيجارة في المطبخ، ثم مراقبتي لهما من نهاية ممشى الجرف، لأراهما يتضاجعان في غرفة المعيشة المستقبلية لمنزلي.

«انتظر حتى ترى البار بالأسفل».. قادتني «ميراندا» عبر الأرض الخشبية المكتملة وتعالي إيقاع خطواتها في مساحة البهو الخاوية.. كان «جيم» هناك بالأسفل يستمع إلى موسيقى الروك، التي تصدح من مذياع عليه أتربة ويتناول غداءه الموضوع فوق برميل مقلوب لشركة «كويكريتيه» للأسمنت، بدا عليه الاضطراب والحرج لدى رؤيتنا كما لو أمسكنا به نائم في أوقات العمل، لا يتناول وجبته.

أخفض صوت المذياع.. «سوف يصل براد متأخرًا قليلًا، هل تبحثان عنه؟».

«إننا نلقي نظرة وحسب، فـ«تيد» لم يرَ تطورات المنزل منذ، منذ..».

ثم استدارت نحوي فهززت كتفي في لا مبالاة. لا أظن أنني قد تفقدت هذا الجزء من المنزل منذ أن كان المنزل لايزال هيكلًا.. كنت أعلم بشأن إصرار «ميراندا» على صنع «عرين رجل» مميز معد خصيصًا لي، على الرغم من أنني لم أطلب منها ذلك مطلقًا.. كانت تتخيل في ذلك المكان المخصص لي أثاثًا من الجلد، وطاولة بلياردو، وبار كامل، وجدران من اللون الأحمر الداكن..

وحين أشارت «ميراندا» إلى رغبتها في تخصيص تلك المساحة لي، رأيته دليلًا على كرمها، إنها ترغب في صنع مكان خاص في المنزل من أجلي بمفردي.. إلا أن التفكير في هذا المكان الآن يثير حنقي، إنها تنفق أموالي التي تعبت في جمعها على مكان لست متأكدًا أنني حتى سأستخدمه في نهاية الأمر.

أخذتني في جولة لتريني أرفف البار التي تم الانتهاء منها، والمكان الذي سيتم وضع طاولة البلياردو فيه، وعرضت على درجات اللون المحتمل الذي ترغب في طلاء الغرفة به.. وحين غادرنا كان «جيم» قد انتهى من وجبته واستأنف عمله، وصدحت أغنية لـ«ستيلي دان» من الراديو.

لم نلتقِ بـ«براد» ذلك اليوم حتى انتهينا من جولتنا، وعدنا أدراجنا نحو الممر المؤدي إلى الطريق. أطلق نفير شاحنته، مبعثرًا الحصى بينما توقف بها بشكل مفاجئ، أوقف المحرك وخرج من الشاحنة، وجدته يرتدي بنطلون سبور أزرق اللون، مدسوسًا بداخله قميص خفيف، وترجل من شاحنته بخفة الرياضيين.. صافحني على نفس النحو المعتاد، ونظر إلى عيني مباشرة وهو يسألني عن رأيي فيما تم إنجازه وتقدُّم سير العمل بالمنزل.. وبدت «ميراندا» غير مهتمة لحديثنا وهي تنظر إلى الخلف باتجاه المنزل، وكيف أنه يطل على المحيط في جو ساد فيه السكون والهدوء بعد الظهيرة.

قال براد «سمعت أنك باقٍ هنا طيلة الأسبوع».

«لقد فكرت في أخذ عطلة قصيرة، وأن أعتني بـ«ميراندا»».

ضحك «براد»، وربما أكون مبالغًا في تحلِيلي، إلا أنها كانت ضحكة نابعة

من القلب، لقد تمكنت من رؤية حشوات أسنانه.. ولمحت «ميراندا» تدير رأسها ناظرة نحوه.

قال براد «إن «ميراندا»، هي المقاول العام الحقيقي هنا لهذا المشروع، وكم تحب التأكيد على تلك الحقيقة.

«أجل إنها تخبرني بذلك طوال الوقت».

قالت «ميراندا» «أنا هنا، في مقدوركما إشراكي في هذا الحديث».

قبل أن أغادر أنا وميراندا، عائدين سَيرا إلى الفندق ثانية، أخبرت «براد»، أن عليه القدوم إلى بار «الأسطبل» ليلًا لنحتسي شرابًا معًا، فأجاب بأنه سوف يحاول.

قالت «ميراندا»، ونحن في طريق العودة عبر «ميكماك» «ألا ترى أنك تعامله كما لو كان صديقًا حميمًا لك؟».

- «إنه صديقك أنت، وحاولت أن أكون ودودًا معه حتى لا يشعر بأن عليه الابتعاد لوجودي هنا في البلدة».

- «ما الذي تعنيه؟».

- «أعتقدت أنكما صديقان، ألم تلتقيا في الفندق مطلقًا لتناول مشروب معا؟».

- «يا إلهي، كلا، إنه يعيش هنا في المدينة ولن يدفع خمسة دولارات من أجل تناول جعة بادلايت».

- «أين يذهب الذين يعيشون في هذه المدينة من أجل الشرب إذن؟».

«هناك مكان اسمه «كوليز» يقع على شاطئ «كينويك بيتش»، الذي لم أقم بزيارته بشكل شخصي، ولكن علينا الذهاب إليه يوم ما خلال هذا الأسبوع، لا يمكننا تناول طعامنا في الفندق كل ليلة».

«موافق تمامًا».. ضاق الطريق الجانبي لمسافة فلفّت «ميراندا» ذراعها في ذراعي، وجذبتني نحوها.. على الرغم من سطوع الشمس كان الطقس باردًا عند ذلك الطريق.

سألتها «هل تظنين إذن إن «براد» لن يأتي الليلة؟».

- «ليس لدي فكرة، ربما يشعر بأن عليه القدوم نظرًا لأنك من يدفع له ويوقع على الشيكات، وقد طلبت منه القدوم، ولكنه إذا لم يأتِ لن يدهشني ذلك».

- «ألم تتناولا أنت وهو الشراب معًا حقًا؟ لقد ظننت أنكما تشربان معًا منذ أن رأيتكما تتشاركان السيجارة وتلك الأمور».

- «يا إلهي، لقد أثار ذلك ضيقك حقًا، أليس كذلك؟ كلا لسنا أصدقاء، ولكننا نتعامل سويًا بلطف. إنه موظف لدينا، ويؤدي عمله بشكل رائع، وأكن له الاحترام، ولكن ليس على بالضرورة أن أشاركه الشراب.. إلى جانب أنني وفقًا لما سمعته عنه فإنه يمتلك بالفعل الكثير من شركاء الشراب الذين يمضي معهم أوقاته».

- «ماذا تعنين؟ ما الذي سمعته عنه؟».

- «سمعت أنه مدمن على الشرب، ولديه الكثير من العلاقات النسائية، وقد تركته زوجته لهذا السبب، ولكن تلك حياته الشخصية لا شأن لنا بها طالما يؤدي عمله المطلوب.. ولكن ما سر اهتمامك المفاجئ به؟».

- «إنني هنا لأسبوع كامل، وظننت أن على التعرف إلى بعض الرفاق، أي من الأشخاص الذين تعرفينهم».

- «لقد كونت صداقة وحيدة هنا مع نادلة البار «سيد»، وهي من أخبرني عن مطعم «كوليز» وعن سمعة «براد»، هيا لنذهب إلى غرفتنا ونأخذ بعض القيلولة، ولنذهب بعدها ونشرب في المساء، هل يروق لك ذلك؟».

لم يظهر «براد» في الحانة تلك الليلة، جلست أنا و«ميراندا» نحتسي الخمر ونتحدث مع «سيد»، على الرغم من انشغالها مع جمهور سهرة ليلة السبت الذين توافدوا على البار. كان لـ«سيد» شعر أشقر قصير شائك تصففه بطريقة «سبايكي»، وأوشام متشابكة تغطي ذراعًا كاملًا لها، حين كانت تتحدث إلينا، لم ترفع عينها عن «ميراندا» على الإطلاق، وهو الأمر المألوف بالنسبة لي، والأمر الذي استمتعت به في مرحلة ما في حياتي.. ربما تمارس كلٌّ من «ميراندا» و«سيد» الجنس أيضًا، لا استبعد وجود علاقة بينهما، ربما تضاجع «ميراندا» البشر والحجر الذين في «كينويك» جميعًا.

وكنت طيلة السهرة كلما تأرجح باب البار الثقيل عند دخول أحدهم إليه، استدير لأنظر ما إذا كان ذلك الوافد هو «براد»، أمّا «ميراندا» فلم تنظر مطلقًا. إما أنها كانت تعلم بشأن عدم قدومه، أو أنها لا تهتم، ولأني أشك في عدم اهتمامها بقدومه، أدركت أنها تعرف شيئًا لا أعرفه، إما أن هناك وسيلة للتواصل بينهما أجهلها، أو أنها تعرف أن لديه خططًا لذلك اليوم بالفعل.

لم أرَ «براد» مرة أخرى حتى ظهيرة يوم الاثنين التالي، حين استشرعت هبوب رياح باردة لطيفة من المحيط، فقررت التمشية على ممشى الجرف.. كانت «ميراندا» في قيلولة»، ذلك الصباح ذهبنا بسيارتنا إلى الساحل لزيارة الفنار هناك بدا من الواضح أنها تستحق التمتع بمشاهدته. يقع ذلك الفنار بنهاية منعطف أرضي؛ حيث الضباب الكثيف. التقطنا بعض الصور التي ظهر فيها الفنار بالكاد، ثم توجهنا بالسيارة إلى كوخ هادئ على الساحل لتناول الغداء، وحين عدنا إلى الفندق، اقترحت «ميراندا» أخذ قيلولة كما تفعل كل يوم، ولحقت بها..

وللغرابة، تحسنت العلاقة الجنسية بيني وبين «ميراندا» منذ معرفتي بخيانتها لي وأصبحت أفضل من ذي قبل، فغضبي تجاه زوجتي جعلني أكثر أنانية في علاقتنا، وأقل اهتمامًا باحتياجاتها في الفراش، وأكثر تمحورًا حول

احتياجاتي أنا، وقد استجابت لذلك على نحو لم يحدث في أي وقت مضى. بعد ظهيرة ذلك اليوم، قلبت «ميراندا» على بطنها، وأمسكت بها في ذلك الوضع الذي رأيتها فيه مع براد، دافعًا بوجهي في زاوية رقبتها بين خصلات شعرها وأنا أجذب رسغيها.. أدهشني وصولها إلى النشوة قبل أن أصل إليها بوقت قصير حين تأوهت بصوت غريب.. «كم كنت متوحشًا اليوم، راقني ذلك».. ثم كورَت جسدها في وضع الجنين وراقبتها وهي تستغرق في النوم.. أخذت في عد مفاصل عمودها الفقري، وتفحصت الغمازتين أعلى ردفيها، ورأيت كدمة صغيرة أعلى فخذها.. فأخذت أفكر، هل تكون بنفس ذلك الهدوء عقب مضاجعة «براد»؟ وهل تعتبر ذلك حقها في علاقات لا تنتهي مع رجال يشبعون رغباتها طيلة حياتها؟ وشعرت أن كل التوتر الذي تخلصت منه بالعلاقة الجنسية قد عاد إلى من جديد. وفكرت في شعوري إذا لكمتها بكل قوتي في مؤخرة عنقها.

ارتديت ملابسي وغادرت دون أن أترك لها ملحوظة بنزولي، وشعرت بتحسن بمجرد وصولي إلى الممشى، محاطًا بالضباب البارد، محدقًا نحو المحيط الشاسع اللامتناهي. مشيت بخطوات سريعة، مركزًا على موضع الأقدام الزلق، محاولًا عدم التفكير في المرة الأخيرة التي اتخذت فيها هذا الطريق باتجاه الممشى. حين بلغت وجهتي، نظرت إلى ساعتي ملاحظًا أن الوصول إلى منزلي الجديد من فندق كينويك قد تجاوز الثلاثين دقيقة بقليل.

وقفت عند المنحدر، محدقًا نحو الجانب الخلفي من منزلي، إلا أني هذه المرة لم أخشَ أن يراني أحد.. فأنا الآن مالكٌ يتفحص ممتلكاته، وليس الزوج المخدوع الذي يراقب زوجته. مشيت على الطريق الرطب الممتد من الأرض، ثم استدرت تجاه الجانب الأمامي للمنزل، وحين وصلت إلى ممر السيارات لمحت شاحنة تغادر فظننت أنني قد فوت لقاء «براد».. ولكن ما أن وصلت إلى واجهة المنزل حتى وجدت شاحنة «باك آب» ثنائية اللون تقف هناك وإلى جوارها

«براد» تتدلى السيجارة من فمه. كان يضرب رقمًا على هاتفه، ولكنه توقف حين لمحني. ابتسم فتحركت السيجارة أسفل وأعلى.. ابتسمت له أنا أيضًا وتحركت تجاهه مادًا يدي لمصافحته.

لقد حان الوقت الذي سأتعرف فيه على «براد بادجيت».

مكتبة
t.me/t_pdf

الفصل الثامن

لِيلِي

لم أكن أخطط للوقوع في الحب ولكن من يخطط لذلك؟ كان «إريك ووشبرن» طالبًا في الصف الثالث ورئيس أخوية «أدبية» في «ماثر» تدعى «سانت دونستان»، على الرغم من أنني لم أكن أعرف هذا عندما قابلته. تقابلنا في المكتبة.

كان وقت الإغلاق قد حان في إحدى ليالي فبراير قارسة البرودة، وكنا آخر من غادر، وعبرنا الباب الزجاجي الدوار معًا نحو رياح شديدة. عرض علي إريك سيجارة فلم أقبل، فأشعل لنفسه واحدة وسألني عن الاتجاه الذي سأمضي إليه.. مشى معي إلى مبنى «برنارد هول» للسكن الجامعي، كانت إشارة بدت في ذلك الوقت وكأنها نابعة من الشهامة البالغة وليس لدوافع شريرة يضمرها في نفسه.. وفي المدخل دعاني «إريك» إلى حفل في ليلة الخميس في «سانت دونستان»، فأخبرته بأنني سآتي.. لم يكن «إريك» شديد الوسامة لقد كان ذا وجه طويل وجبهة عريضة وأنف بارز وأذنين كبيرتين، ولكنه كان طويلًا ونحيلًا وكان صوته عميقًا وشجيًّا. في تلك الليلة كانت يرتدي معطفًا رماديًّا داكنًا طويلًا ووشاحًا أرجوانيًّا داكنًا لفه حول عنقه عدة مرات. كنت قد سمعت عن «سانت دونستان» وكنت أعرف أنها جمعية النخبة في كلية لها نصيب من طلاب المدارس الخاصة المتعجرفين.

وكنت أعرف مكان الجميعة حق المعرفة الذي يعرف باسم «مانور»، بناءً من الحجارة والأردواز على الطراز القوطي الحديث يقع على الحافة

الشمالية للحرم الجامعي؛ حيث تطل «ماثر» على الأراضي المهجورة في مدينة «نيوتشيستر». كان بناءً جميلًا تزينه المنحوتات الحجرية والتماثيل.. وكان بابه الأمامي طويلًا مقوسًا وجميع نوافذه من الزجاج الملون.

لقد كان من نوع العمارة الذي جذبني إلى الكلية في المقام الأول.. كنت قد رأيت أماكن عديدة، ولكن كانت «ماثر» هي الكلية الخاصة التي بلغ عمرها مئتي عام ولا تحوي سوى ألف طالب فقط، المكان الوحيد الذي يبدو مناسبًا. كان الحرم الجامعي بمساكن الطلاب المبنية من القرميد وممراته التي تعبر من تحت القناطر وباحة الكلية التي تصطف فيها أشجار الدردار أشبه بمكان علِقَ في الماضي في رواية يملؤها الغموض، وتجري أحداثها في ثلاثينيات القرن العشرين؛ حيث يغني الفتيان في مجموعة مكونة من أربعة أفراد، وتمشي الفتيات وهن يرتدين التنورات بخفة ونشاط من فصل لآخر. شعرت أمي - التي كانت تسعى بكل السبل لإقناعي بالالتحاق بكلية أوبرلين التي تخرجت فيها - بالإحباط الشديد عندما اخترت «ماثر» بينما لم يبالِ أبي بشيء كالمعتاد.

قال إريك» بعد أن دعاني إلى دونستان: «لِيلِي ما اسم عائلتك؟».

أجبته: «كينتنر».

فقال: «آه. أنت كينتنر.. لقد سمعت أنك هنا».. بدت طريقة قوله لهذا معتادة ومكررة وكأنه يعرف بالفعل من أكون.

سألته: «هل تعرف أبي؟».

فأجاب: «بالطبع أعرفه.. لقد كتب Left over Right».

أصابتني الدهشة.. لقد كان معظم المعجبين بأبي يذكرون عمله Slightest Folly المسرحية الهزلية عن المدرسة الداخلية، ولم أسمع من قبل أي شخص يذكر مسرحيته الهزلية عن حياة خياط في مدينة لندن.

سألت: «ما الوقت؟».

كنت أمسك بالباب الخارجي لمبنى برنارد هول لأبقيه مفتوحًا، فلقد كنت أتلهف على الدخول.

أجاب: «العاشرة تقريبًا.. انتظري انتظري».. وضع إريك يده داخل جيب معطفه الطويل وأخرج بطاقة مربعة صغيرة أعطاني إياها.. كانت بطاقة بيضاء طبع عليها صورة جمجمة.. ثم قال: «أريهم هذه على الباب الأمامي».

تمنيت لـ«إريك» ليلة طيبة ودخلت مهجعي.. كانت «جيسيكا» رفيقتي في السكن لاتزال مستيقظة فأخبرتها عن الدعوة.. كانت «جيسيكا» من هواة الانخراط في الحياة الاجتماعية في «ماثر»، وتملكني الفضول حيال ما تعرفه عن «إريك ووشبرن» وحفل ليلة الخميس.

قالت «جيسيكا»: «حصلتِ على بطاقة الجمجمة؟»، واختطفتها من بين أصابعي، ثم قالت بصوت أعلى: «حصلتِ على بطاقة الجمجمة من إريك ووشبرن اللعين».

سألتها: «ما الذي تعرفيه عنه؟».

أجابت: «إنه أشبه بشخصية ملكية.. أعتقد أن جده الكبير، الكبير للغاية هو من أنشأ «ماثر».. بربك ألم تسمعي عنه من قبل؟».

قلت: «لقد سمعت عن دونستان».

فقالت: «حسنًا بالطبع سمعت عن سانت دونستان.. هل تسمح الدعوة بحضور شخص إضافي معك؟».

فأجبتها: «لا أعتقد ذلك فهو لم يذكر هذا».

ذهبت إلى الحفل وحدي.. كان «إريك» هناك وراء البار عندما وصلت في البداية، قدم لي شرابًا مخلوطًا بالفودكا دون أن يسألني عما أريده أولًا. ثم أخذني من ذراعي وقدمني إلى العديد من أعضاء «سانت دونستان» قبل أن يعود إلى واجباته وراء البار. قال إنها وظيفة دوارة يتناوبونها بينهم في ليلة الخميس، وإن الدور قد وقع عليه.. شعرت بقليل من خيبة الأمل من الديكورات

الداخلية في «مانور»، فلقد كنت أتوقع شيئًا يتناسب مع مظهره الخارجي ذي المعمار القوطي. لا أعرف ماذا بالضبط..

سجاد فارسي وكراسي من الجلد؟ بدلًا من ذلك وجدت نسخة لطيفة نوعًا ما للأخويات الأخرى التي شهدتها في الصف الأول. غرف منخفضة السقف وأثاث متداع ورائحة سجائر المارلبورو، التي تنتشر في المكان والبيرة الرخيصة.. تجولتُ في غرف الطابق الأول وتحدثت مع العديد من الأعضاء الذين سألوا كثيرًا عن والدي.. بعد أن تناولت كأسي الثالثة من الفودكا ذهبت إلى المشرب لأودع إريك وأشكره على دعوتي.

قال: «لتأتِ الأسبوع المقبل»، وأعطاني دعوة أخرى من جيبه.. ثم أكمل قائلًا: «فلن أقوم حينها بدور الساقي».

عندما عدت إلى المهجع ألحت «جيسيكا» في معرفة كل التفاصيل. أخبرتها الحقيقة بأنه لا يوجد شيء يثير الاهتمام بشكل خاص في سانت دونستان، وأن الجميع كانوا لطفاء، ولكنهم لم يكونوا رائعين بشكل مذهل. وأخبرتها بأنه لا يوجد ممرات سرية أو طقوس للقبول. وأخبرتها بأنه لم تكن هناك غرفة تصطف فيها جماجم فتيات الصف الأول.

قالت «جيسيكا»: «هذا فظيع لِيلي.. أنت لم تقابلي ماثيو فورد أليس كذلك؟».

أجبتها: «لقد قابلت ماثيو.. إنه قصير القامة وطويل شعر الناصية».

فقالت: «يا إلهي! إنه مثير».

سواء كان هذا جيدًا أم سيئًا لقد أصبحت «سانت دونستان» حياتي الاجتماعية الجديدة الرئيسية ذلك الشتاء والربيع.. كنت أذهب إلى جميع حفلات ليلة الخميس وحفل عشاء عرضي كمواعدة لأحد الأعضاء.. لم أكن متأكدة من سبب دعوتي كثيرًا إلى هناك.. بدا لي أن إريك يحظى بحبيبة، وهي زميلة له في الصف الثالث تسمى «فايث»، التي كانت تميل إلى التواجد بجواره في معظم الحفلات.. ذات ليلة ذهبت إلى غرفة البلياردو في مانور ورأيتهما يتبادلان القُبَل.. كان الاثنان يستندان إلى رف كتب مدمج في الحائط.. كانت

«فايث» تشب على أطراف قدميها ورغم ذلك كان إريك مضطرًّا إلى الانحناء من أجل تقبيلها.. كانت إحدى يديه في شعرها والأخرى تضغط على مؤخرتها.. كان «إريك» في مواجهتي فنظرنا إلى بعضنا سريعًا قبل أن أخرج من الغرفة.

كان الأعضاء الآخرون في الجمعية (لم تكن سانت دونستان أخوية بالمعنى الدقيق للكلمة ولم يكونوا يشيرون إلى أنفسهم كإخوة)، يحاولون مغازلتي ولكن بدون ملامسة، طريقة سمجة كنت قد شهدتها في منازل الأخوية في المرات القليلة التي ذهبت فيها مع «جيسيكا»، خلال الدراسة في الخريف.. لا لقد كانت المغازلات في حفلات ليلة الخميس إطراءات مبهمة عن شكلي، يتبعها عروض سمجة لتناول مشروب آخر أو مخدرات ترفيهية من نوع ما في مهاجعهم..

وكنت أرفض على الدوام ليس لأن الفتيان الذين يقدمون العروض كانوا كريهين ولكن لأنني وقعت في حب «إريك ووشبرن»، رغم وجود «فايث» الجميلة ذات الشعر الأسود منذ الحفل الأول في مانور، عندما تسلل من وراء البار ليريني الغرف ويقدمني إلى أصدقائه. ولقد مس قلبي ذلك الحب من طريقة إمساكه بذراعي من فوق رسغي حينها، وكأنه كان يخبرني ويخبر الآخرين بأنني أنتمي إليه بشكل ما. كان «إريك» سبب ذهابي إلى «سانت دونستان» على الدوام رغم أنني كنت استمتع بالتحدث مع الآخرين حتى عندما كانوا يغازلونني وهم ثملون..

كان في مقدوري تصنيف الفتيان الذين قابلتهم على أنهم أبناء أثرياء متعجرفون (مثلما كانت أمي تقول دومًا) إلا أنهم في واقع الأمر كانوا مهذبين في العادة ويجرون أحاديث لا تتمحور حول ما أهدروه في الليلة السابقة، أو ما يخططون لتبديده في الليلة الحالية. لقد كانوا فتيانًا يتظاهرون بأنهم رجال، ولذلك حاولوا بذل بعض الجهد لإثارة إعجابي بأفكار حول السياسة والأدب.. ورغم أن كل هذه المحاولات كانت مجرد حيلة إلا أنني كنت أقدّر ما يبذلونه من جهد.

كان «إريك» من دعاني للمرة الأولى إلى «سانت دونستان»، لذلك كنت عادة ما أبحث عنه لأودعه عندما أغادر إحدى حفلات ليلة الخميس. فكان يضع إحدى بطاقات الجمجمة في يدي، ويطلب مني القدوم في الأسبوع التالي. وإن لم يكن متواجدًا في نهاية حفل ما، كان ينجح في العثور على خلال الأسبوع ليعطني الدعوة. حتى إنه ترك البطاقة ذات مرة في صندوق البريد الخاص بي في مركز الطلاب. كنت أعتقد أن الدعوات دليل على شيء من العاطفة، شيء ضئيل للغاية ولكنها كانت تجربتي الأولى.. وكان هذا يكفيني.

كان امتحاني الأخير في الصف الأول في ظهيرة يوم الثلاثاء، وكنت قد رتبت أموري على أن استقل الحافلة في الصباح التالي من مدينة «نيوتشيستر» إلى نهر «شيبوج»؛ حيث ستأخذني أمي بالسيارة إلى المنزل.. بعد الامتحان كنت أخطط لأن أحزم أشيائي القليلة واستمتع بالعزلة في الليلة الأخيرة في مبنى برنارد هول.. كانت «جيسيكا» قد أنهت امتحاناتها مبكرًا وغادرت في اليوم السابق.. وعندما عدت من اختبار الأدب الأمريكي وجدت بطاقة الجمجمة على الأرضية المشمعة في غرفتي في المهجع، وقد كتب إريك رسالة على ظهرها: «**هناك برميلان ممتلئان.. تعال ساعدينا على إفراغهما الليلة**».

بعد أن أنهيت تعبئة حقائبي مشيت عبر الحرم الجامعي الموحل نحو مانور، ولم أشعر بالدهشة عندما لم أجد سوى عدد قليل من الأعضاء مع عدد قليل من صديقاتهم يلتفون حول البار. كان معظم الطلاب قد غادروا بالفعل.. وبدا أن «إريك» مسرور للغاية برؤيتي. شربت أكثر مما أشرب في العادة وقد سعدت عندما لاحظت أن «فايث» ليست موجودة في أي مكان، بل إنني سألت «إريك» عنها فقال: «آه لقد ذهبت بالمعنى الحرفي والمجازي».

فسألته وقد انتابني شعور مريع بأنها ماتت، وأنني لم أسمع عن ذلك: «ماذا تعني؟».

قال: «لقد ذهبت من هنا»، وهو يشير بيده حوله براحة يد مفتوحة.. ثم قال: «وذهبت من هنا»، وهو يشير إلى قلبه فقهقه العديد من أصدقائه. أدركت أن «إريك» كان ثملًا على نحو لم أشهده من قبل.

قلت: «أنا آسفة».

فقال: «لا تأسفي.. إنها لم تكن تناسبني.. الحمد لله حظي جيد لقد تخلصت منها».. ثم قام بإشارة أخرى مسرحية. فجأة أدركت أن «إريك» دعاني إلى «سانت دونستان»، تلك الليلة لكي يغويني وأنني سأسمح له بغوايتي.. كان هذا ما أنتظره. كنت أعرف تمام المعرفة أنها ليست سوى علاقة عابرة لليلة واحدة فحسب، كنت عذراء وقررت أن الوقت المناسب قد حان لفقد عذريتي.. فأنا لست بتلك الحمقاء لأعتقد أنه يجب على أن أفقد عذريتي مع شخص يحبني، بل كان ما يهمني هو أن أفقدها مع شخص أحبه.

كان مانور في سانت دونستان يحوي ثلاث غرف نوم في الطابق الثاني. كان «إريك» الرئيس، لذلك يحظى بأكبر غرفة نوم، والتي كانت تحوي سقفًا عاليًا وتطل على قاعة الاجتماعات في الكلية.. وبدلًا من وجود سرير عادي كان هناك سرير بقوائم عالية مصنوع من الخشب الداكن اللون.. بدا أن إريك أكثر توترًا مني عندما اضطجعنا على السرير بكامل ملابسنا نقبل أحدنا الآخر.. قال «إريك» أنه سيذهب إلى الحمام لذا تجردت من ملابسي وانسللت تحت الغطاء.. وعندما عاد كان قد نثر الماء على وجهه وكانت رائحة معجون الأسنان تنبعث من فمه. تجرد إريك من ملابسه باستثناء الملابس الداخلية واندس تحت الغطاء معي.

سألني: «هل يجب أن أرتدي الواقي؟».

فأجبته بالموافقة.. لم أخبره بأنني عذراء خشية أن يصيبه التردد. مارسنا الجنس مرتين في تلك الليلة.. سألني «إريك» لاحقًا عما إذا كنت قد شعرت بالنشوة.. فأخبرته بأني لم أشعر بها ولكني استمتعت كثيرًا، وكانت تلك هي الحقيقة.. غادرت قبل الفجر.. كان «إريك» يتقلب في السرير بينما كنت أرتدي ملابسي، ولكني نجحت في الخروج من الغرفة قبل أن يستيقظ.. لم أكن أرغب في سماع وعودٍ زائفة.. أردت خلال الصيف أن تكون ذكرياتي عن «إريك» سعيدة فحسب.

كان هذا أول صيف بعد أن أصبح طلاق والديَّ نهائيًا.. أصبحت أمي أشبه بالمجنونة وقد شغلتها الشائعات التي تتحدث عن أن أبي قد خطب مرة أخرى وأنهما يعدان عرضًا من أجل معرض نيويورك. تحدثت مع أبي على الهاتف مرتين فدعاني إلى زيارته في مدينة لندن ولكني رفضت.. لقد كنت أشعر بالسعادة لقضاء الصيف في ولاية كونتيكت في القراءة.. كان المنزل خاليًا من الضيوف.. وكانت خالتي اللطيفة موجودة طوال شهر أغسطس/ آب وقد جعلته أمي صيفًا خاليًا من المتسكعين على حد وصفها. لم يتصل بي «إريك»، وحتى لو أراد ذلك فلم يكن يعرف طريقة للاتصال بي. وعلى حد علمي لم يكن «إريك» يعرف أين أعيش أو رقم هاتف أمي غير المذكور في دليل الهاتف.

ولقد تقدمت بطلب غرفة منفصلة للسكن في الصف الثاني في «ماثر» رغم اعتراضات جيسيكا، وتأكيدها أن على البقاء لأننا رفيقتان مثاليتان. وفي شهر أغسطس/ آب أتاني خطاب من قسم التسكين بأنني حصلت على غرفة رباعية مع ثلاث رفيقات أخريات، ثلاث فتيات لم أكن أعرفهن. كان على أن أعلق مع ثلاث طالبات ربما كُن غير اجتماعيات لدرجة أنهن طلبن غرفًا منفصلة في عامهن الثاني في الكلية، أو ربما كن ثلاث صديقات وضعن معًا كثلاثي. الأخبار الجيدة هي أن الغرفة كانت تقع في مبنى «روبينسون هول» أقدم مهجع في الحرم الجامعي، برج مبني من الطوب يواجه باحة الكلية. وكانت هناك مقاعد مدمجة تحت نوافذ كل الغرف الرباعية في هذا المهجع التي كان بعضها يحوي مدفأة عاملة.

وصلت في وقت متأخر من مساء يوم الانتقال.. وكان من الواضح أن الثلاث رفيقات في غرفتي صديقات مقربات من بعضهن البعض فلقد قمن بتزيين الغرفة المشتركة بملصقات أفلام ديفيد لينش وفرقة سميثز الموسيقية.. كنت أعرفهن من الصف الأول ولكن ليس بشكل شخصي. كانت ثلاثتهن بشعر أسود حالك وبشرة شاحبة: نسخة قوطية من فتيات المدرسة الإعدادية.. بالنسبة إلى كانت الفتيات يبدون مثل الممثلة «وينونا رايدر» في ثلاثة أفلام مختلفة.. كانت أكثرهن تطرفًا في التشبّه تمتلك شعرًا شائكًا وترتدي الأسود فقط مثل

وينونا في فيلم «بيتلجوس» (Beetlejuice). وكانت الأخريان تبدوان أكثر تحفظًا: وينونا في فيلم ريتالي بايتس» (Reality Bites) (شعر قصير ينحسر عن الجبهة) ووينونا في فيلم «ميرميدز» (Mermaids) (سترة صوفية ضيقة ولؤلؤ وشعر الناصية المقصوص والمنسدل على الجبهة، ربما كان هذا مثيرًا للسخرية وربما ليس كذلك).

لا أعرف كيف رأتني الفتيات الثلاث في تلك الليلة من شهر سبتمبر / أيلول عندما وصلت وأنا أرتدي بنطالًا قصيرًا وقميصًا كتانيًّا ذا ياقة. ولكن رغم أحمر الشفاه الداكن والآذان المثقوبة مرتين كانت الفتيات لطيفات وعرضن خفض صوت فرقة جوي ديفيجن الموسيقية، بينما كنت أضع أغراضي.. كنت قد قبلت كأسًا من الخمر من وينونا فيلم «ميرميدز» (Mermaids) عندما طُرق الباب. وجدت «إريك ووشبرن» عند عتبته. انتابتني دهشة بالغة، وللحظة قصيرة اعتقدت أنه أتى من أجل إحدى رفيقاتي الجديدات. ولكنه كان هناك من أجلي. كان يرتدي بنطالًا قصيرًا وقميصًا يحمل شعار أوكسفورد وتفوح منه رائحة السجائر والويسكي.. ذهبت معه إلى مانور وصعدنا إلى غرفته مباشرة. أخبرني بأنه كان يفكر فيَّ طوال الصيف وأنه حاول جاهدًا معرفة المكان الذي أعيش فيه، بل إنه أخبرني بأنه متأكد من حبه لي.. وصدقته كالحمقاء.

الفصل التاسع

تيد

بدأت أنا و«براد» لقاءنا بشرب البيرة ثم احتسينا ويسكي أيرلندي من نوع «جيمسون آند جينجر»، متخذين أحد المقاعد المغلقة مرتفعة الظهر التي تتمتع بالخصوصية بحانة «كوليز»، إحدى الحانات القليلة في منطقة «كينويك بيتش».. وقد أظهرت قائمة المشروبات الخاص بهم أن ذلك البار قائم منذ عام ١٩٥٧. لن يتشكك أي شخص على الإطلاق في هذا الادعاء، فالجهة الخلفية من البار تعج بالحلي الخاصة بشعارات الخمور القديمة المتسخمة، والتي تم تقديمها في البار عبر عقود طويلة، بيرة ماركة «شيلز» و«جين لايد ميرور» و«سبادرز ماكنزي»، وكم أشعر بالسعادة، الآن، لأن قائمتهم تضم ويسكي«جيمسون آند جينجر».

حين وجدت «براد» في موقع البناء وهو على وشك الرحيل، اقترحت عليه الذهاب لاحتساء البيرة.. رحب بدعوتي، عارضًا على توصيلي بسيارته التي قطعنا بها ميلين وصولاً إلى حانة «كولينز» على شاطئ «كينويك بيتش»، وصلنا بعد تمام الخامسة مباشرة وكنا أول الزبائن حضورًا، ألقت فتاة البار، التي تبدو في مثل عمري وترتدي سترة سوداء اللون التحية على «براد» حين دلفنا إلى المكان قائلة «مرحبًا «براجيت»».

سألته بعد أن جلسنا على المقاعد المغلقة القابعة بمنتصف البار «ماذا دعتك؟».

«نادتني بـ«براجيت» أنه كنيتي هنا، مزيج بين براد وداجيت».. ثم مال بجسده جانبًا على مقعده المرتفع تجاه البار.. لم أكن أعلم ما الذي أود معرفته من «براد» على وجه التحديد بذهابنا للشرب معًا، ولكن لِيلي طلبت مني أن أجمع معلومات، وكان ذلك ما على فعله.. كلما عرفت عنه المزيد كلما كان ذلك أفضل.

تحدثت أنا و«براد»، خلال الساعة الأولى من لقائنا عن سير العمل في المنزل، أدهشني بحديثه المرتب- وإذا قِسنَا حديثه بالنسبة فإن ٨٠٪ منه حديث مهني متوازن و٢٠٪ هراء- مثله مثل بائع السيارات الماهر الذي يتمكن من تشتيت ذهنك عن نوع جلد تنجيد السيارة، ويستطيع في الوقت ذاته أن يبيع لك نظام الملاحة باهظ الثمن. احتسينا الـ«هينكينز»، وتحدثنا، وراقبته عن كثب.

وجدته نهمًا في الشرب يستطيع إنهاء زجاجة كاملة من البيرة في ثلاث جرعات.. وعلى الرغم من وسامته البادية، إلا أن آثار الزمن قد بدأت في الظهور على قسمات وجهه.. وقد خلفت الشمس بعض البقع الغامقة على بشرته الملوحة بفعل أشعتها، كما بدأت مسحة لون أرجوانيه في الظهور عند وجنتيه أثر الإفراط في الشراب.. وعلى الرغم من هيئته الذكورية، إلا أن هناك جزءًا ناعمًا عند ذقنه، والذي يمكن رؤيته بشكل جزئي من أسفل لحيته ذات اللونين الأسود والرمادي.. ربما أفضل ما في ملامحه هو عينيه ذات اللون البني الداكن، ورأسه المكسوة بشعر أسود كثيف، والذي بدأ يشتعل شيبًا من الجانبين.

بعد أن تجاذبنا أطراف الحديث عن المنزل مع شرب عدد من زجاجات البيرة قلت له «آمل ألا تكون «ميراندا» قد أرهقتكَ في الفترة الماضية، إنها شديدة الدقة والتحديد بشأن ما تريد».

«تلك ميزة في الواقع، فالعميل المزعج هو ذلك الذي لا يكف عن تغيير رأيه.. كلا.. السيدة «سيفرسون» كانت رائعة في هذا الصدد».. ثم أخرج «براد» سيجارة من علبة المارلبورو الأحمر، التي ظلت أمامه على الطاولة منذ

أن جلسنا، ثم نقر فلتر السيجارة على خشب الطاولة، وسألني إذا كنت لا أمانع أن يخرج لتدخين سيجارته.

وبينما كان في طريقه للخروج، تفحصت هاتفي، الذي لم يكف عن الاهتزاز صامتًا في جيبي طيلة العشرين دقيقة الماضية، أرسلت لي «ميراندا» عدد من الرسائل النصية المتتالية التي انتهت برسالة تقول «أين أنت بحق السماء؟» بعثت إليها برسالة أخبرها أنني أحتسي البيرة مع «براد» وسوف أعود إلى الفندق قريبًا، وأن في مقدورها تناول العشاء بدوني.. راسلتني بـ«حسنًا» وأعقبتها برموز قبلات متتالية بعد بضع ثوانٍ.

استدرت في مقعدي تجاه النوافذ الأمامية للمشرب؛ حيث يقف «براد» نافثًا دخان سيجارته في الهواء الطلق، الذي حل عليه الظلام الآن. ولمحت من الزاوية التي كانت عليها رأسه أنه كان يحدق في هاتفه، وأعتقد أنه كان يكتب عليه شيء ما. ربما كان يراسل زوجتي. استشطت غضبًا، ولكني ذكرت نفسي أنني الآن في مهمة تقصي الحقائق.. وأن الحرب قد اندلعت من تلك المناوشات الصغيرة، وأنني كلما تمكنت من إدخال «براد» في حالة من السكر، كلما أصبح في مقدوري التعرف على نقطة ضعفه.. ذهبت إلى الحمام حاملًا معي زجاجة البيرة الخاصة بي الممتلئة حتى ثلاثة أربعها، وقمت بسكب معظمها في الحوض حتى لا أثمل.

حين عاد «براد» لم نفتح موضوع «ميراندا» مرة أخرى، وبدأ في طرح أسئلة عن عملي، وعن حياتي بوجه عام، وحين علم بشأن ذهابي إلى هارفارد بدأ في سؤالي عما أعرفه بشأن برنامجهم للهوكي، وعن عدد بطولات الهوكي التي حضرتها. وعلى الرغم من عدم اهتمامي باللعبة، إلا أنني كنت قد حضرت مباراتين للهوكي وأنا في السنة الدراسية الثانية مع زميل غرفتي إنجليزي الجنسية المهووس بتلك الرياضة، والذي أصبح فيما بعد محرر مجلات ناجح.. وانتقل من الهوكي إلى الحديث عن أداء فريق كرة القاعدة الأمريكي «ريد سوكس» في الموسم الأخير، وهو الموضوع الذي كنت على علم به أكثر من

سابقه.. فأخبرته عن امتلاكي لمجموعة كبيرة من التذاكر في العام الماضي في كبائن المدرجات المتميزة، ووعدته بأن أصطحبه إلى مباراة العام المقبل. وبعد احتساء كأس آخر من ويسكي «جيمسون»، وبعد أن شعرت بأنني استنفدت مخزوني من الحديث عن الرياضة، سألته عن طلاقه.

أجاب عقب أن أخرج سيجارة أخرى من علبته ونقرها على الطاولة «لدي طفلين رائعين، وطليقة لعينة ومنفرة».

«هل يعيش الأطفال معها؟».

«أجل ولكنهما يقوما بزيارتي في عطلات نهاية الأسبوع، أسمع، فعلى الرغم من كل ما أحمله لها من مشاعر إلا أنها أم جيدة، وحال الطفلين أفضل معها.. ولكن الطلاق لو لم يقع حينها، كنت سأقتلها أو كانت هي ستقتلني، كان سيحدث ذلك دون شك.. فإنها لعينة لحوحة لا تتوقف عن الأسئلة والطلبات، براد، أين أنت بحق الجحيم؟ براد، عد إلى المنزل وقم بإصلاح المرحاض، براد، متى ستأخذني والأولاد إلى فلوريدا مجددًا؟ براد، ألا يضايقك أن تعمل على تشييد كل تلك المنازل الجميلة في حين تسكن زوجتك وأبناؤك في هذا المنزل العفن؟ إنها لا تتوقف، لحسن الحظ أنني لا أمتلك مسدس»، ثم ابتسم ابتسامة واسعة كشفت عن أسنانه المائلة للاصفرار بفعل النيكوتين.

ثم أردف: «أنت تفهم ما أتحدث عنه بالتأكيد، أو كيف عساك أن تفهم ذلك فما هو العيب في «ميراندا لتتفهمني؟»».

«لا عيب فيها، فعلاقتنا أشبه بعلاقة عروسين حديثي الزواج، يعيشان سويًا في الجنة».

صاح عاليًا «أوه اللعنة» ثم قال « أراهن على أن...»، وقام بالتلفظ ببعض الكلمات، ثم مد إلى قبضته عبر الطاولة فبادلته القبضة وبادلته ابتسامة مرتبكة، وأنا أفكر كيف أصبح على هذه الدرجة من الثمالة فجأة؟ فعلى الرغم من أن أننا كنا نشرب دون توقف منذ ساعتين، إلا أن براد بدا فائقًا منذ خمس دقائق فقط».

قلت له «كلا، إن «ميراندا» رائعة».

فقال «كلا، هراء، أعني، وأرجو ألا تسيء فهمي، أنت لست سيئ المظهر أو أي شيء آخر، ولكن كيف تمكنت من الحصول على زوجة مثلها؟».

«أظن أنني رجل محظوظ».

«أجل، إنه الحظ وبضعة ملايين من الدولارات».. اعتلى وجهه الشعور بالندم بمجرد أن تفوه بذلك، ولم أتمكن من الرد؛ لأنه رفع راحة يده في الحال نحوي قائلًا «أوه، لم أقصد قول ذلك، لم أعني ذلك حقًا».

- «لا عليك، ليست هناك مشكلة».

- «بل إن هناك مشكلة، فأنا لم أقصد ما قلت تمامًا، يا لي من أحمق، لقد أفرطت في الشراب.. آسف يا رجل، إنها هي المحظوظة لزواجها من رجل مثلك.. أنا متأكد أن زواجها منك ليس له علاقة بأموالك».

ابتسمت قائلًا «كلا، فأنا متأكد أن أموالي كانت أحد الدوافع وراء ذلك الزواج، ولكن هذا لا يزعجني».

«كلا يا رجل، صحيح أنا لا أعرف «ميراندا» جيدًا، ولكنها لا تهتم بهذه الأمور».. وبدا أن «براد» سيقدم عريضة مطولة من الأسف على ما قال، فأسعدني دخول سيدة شقراء تضع مساحيق تجميل ثقيلة إلى مكان جلوسنا، اتجهت نحوه وضربته على ردفه مازحة.

ثم قالت «مرحبًا براجيت»، ثم مدت يدها لمصافحتي بعدم اكتراث، وهي تقول «مرحبًا صديق براجيت، أنا «بوللي»، وإنني واثقة أنك لم تسمع عني من قبل».

قال براد «بول، أقدم لك «تيد سيفرسون»، إنه صاحب المنزل الجديد الذي أقوم ببنائه على الميكماك».

قالت بوللي وهي تنظر نحوي «أوه كلا»، وبالرغم من مساحيق التجميل البهلوانية التي تضعها، يمكنك أن تدرك حين النظر لها أنها كانت جميلة يومًا ما، بل وربما بالغة الجمال. «بوللي» ذات شعر أشقر طبيعي، وعينان زرقاوان، وصدر كبير تستعرضه من خلال القميص المفتوح الذي تلبسه.. وقد بدا الجزء المكشوف من صدرها نُحاسيًا من أثر الشمس وبه نمش.. «لقد حدثني «براد» كثيرًا عن ذلك المنزل، وسمعت أنه سيصبح رائعًا».

قلت «تلك هي الخطة».

«حسنًا يا أولاد، كنت أفكر في الانضمام إليكما، ولكني أجد أنكما تتحدثان في العمل ففقدت اهتمامي».

قلت لها «لتأخذي مشروبًا معنا».

«شكرًا لك، سوف أترككما لحديثكما على أي حال».

ثم غادرت مكان جلوسنا، تاركة خلفها رائحة عطرها الثقيل.

سألت براد «هل هي صديقتك؟».

أجاب براد بضحكة كشفت الكثير من أسنانه، «كانت صديقتي في الصف الثامن ربما، ولكن بما أنها ظهرت هنا ليس لدي مانع من الفرار، فإنني أعيش بالقرب من هنا، لتحصل على مشروب آخر، ثم أقلك إلى منزلي هل توافق؟».

«بالطبع».. على الرغم من أن آخر شيء أردته هو شرب المزيد من الخمر، وثاني آخر شيء أردته هو ركوب السيارة مع براد الثمل وهو خلف المقود. ولكن تلك كانت فرصتي لمعرفة المكان الذي يسكن فيه براد، ولن أفوتها.

مال الليل إلى البرودة، ولكن الضباب ارتفع وتلألأت السماء بالنجوم. وعلى الرغم من أن كوخ براد كان يبتعد عن المكان بنحو ثلاثمائة ياردة فقط، ولكن براد اصطحبني معه في سيارته، وركنها عشوائيًا أمام أول مجموعة من الأكواخ التي تتراص على شكل نصف دائرة عبر الطريق المواجه للشاطئ.. حيث توجد لافتة كتب عليها بخط اليد «أكواخ كريسنت» ورقم هاتف.

قلت له بينما كان يفتح الكوخ المظلم «لقد أخبرتني «ميراندا» أنك تمتلك تلك الأكواخ».. كانت جميع الأكواخ مظلمة لا ضوء فيها سوى ذلك المنبعث من مصباح الشارع ونجوم السماء.

«والداي هما ملاك تلك الأكواخ، ولكني أنا المسؤول عن إدارتها.. إننا لسنا في موسم العمل الآن ولكن الأمور تسير بشكل جيد في أوقات الصيف.

قام بتشغيل مصباح أرضية طويل، بينما نتوجه إلى الباب الأمامي. وجدت المكان من الداخل ألطف مما توقعت، على الرغم من قطع الأثاث القليلة المنتقاة وفقًا للمنفعة، كانت الجدران مطلية باللون الأبيض وخاوية من أي شيء عليها.. الشيء الوحيد الذي ميز كوخ «براد» عن باقي الأكواخ الاستئجارية هو وجود شاشة تلفاز ضخمة في غرفة المعيشة.. ظننت أن المكان بالداخل ستفوح منه رائحة السجائر، ولكني لم أجد ذلك.

توجه «براد» صوب الثلاجة المتواجدة في المطبخ مباشرة، سمعت صوت غطاءين لزجاجتين يفتحان، ثم خرج وفي يده زوجين من الهينكينز المشبرتين.. جلسنا على الأريكة ذات اللون البيج، وهبط «براد» مسترخيًا في جلسته قليلًا وانفرجت قدماه، بدت زجاجة الهينكينز صغيرة الحجم في يده الضخمة.

سألته من باب قول أي شيء «منذ متى وأنت تعيش هنا؟».

«نحو عام، ولكنه وضع مؤقت».

«أجل، يمكنني رؤية ذلك، أعني أنك لن ترغب في العيش هنا لفترة طويلة».

انتابني شعور سيئ بمجرد أن قلت ذلك وأنا أراقب وجه براد الذي تغير إلى حالة امتعاض تحولت سريعًا إلى عبوس وتفكير.. «كما قلت لك إنه وضع مؤقت، حتى تتحسن أحوالي من جديد».

لم أضف شيئًا، وساد الصمت بيننا، فنظرت حولي ولاحظت وجود مجموعة من مجلات الصيد المتكومة فوق بعضها البعض بعناية عند ركن من الطاولة، وعلى قمتها قبع ريموت التحكم الخاص بالتلفاز. وعلى الطاولة الجانبية

القريبة مني كان هناك صورة لولد وفتاة على متن قارب.. وارتدى كلا الطفلين اللذين كانا في أعمار الثانية عشرة والعاشرة جاكيت نجاة برتقالي اللون.

أمسكت بالصورة «هل هذان طفلاك؟».

«جاسون وبيلا، التقطت لهما تلك الصورة على قاربي القديم، الذي قمت ببيعه في بداية هذا الصيف لشراء سيارتي «البرمارل»، هل تمارس الصيد؟».

وعلى الرغم من إجابتي بالنفي، استمر في حديث عن قاربه، وكنت بالكاد أسمعه ولكن ذلك لا يهم، فما كان يعنيني هو أنني أعرف أمر جديد عن «براد داجيت»، وبعيدًا عن حقيقة كونه ينام مع زوجتي، وجدتني أمقت ذلك الشخص للغاية.. «ليس «براد» سوى سكير أناني، والذي ربما يزداد توحشًا وأنانية وسكرًا كلما تقدم في العمر.. لا يهتم بأبنائه بأكثر من وضع صورة لهما على طاولة في منزله، ومن الواضح أنه لا يهتم بإنسان آخر سوى نفسه.. «براد» ليس سوى شخص سلبي في هذا العالم.. فكرت في «ليلي»، وفكرت في موت مفاجئ يوافي «براد»، وفي الواقع لم أمانع.. بل وإنني أردت لذلك أن يحدث، ليس لرغبتي في عقاب «براد» على ما فعله مع زوجتي، ولكن لأن اختفاء «براد» من على سطح هذا الكوكب سيجعله مكان أفضل.. فمَن ذلك الشخص الذي تصبح حياته أفضل بوجود «براد» فيها؟ ليس أبناءه، ولا طليقته، ولا حتى «بوللي» التي قابلناها في البار والتي ربما تظن أنها صديقته، في حين أنه يتهرب منها.. إن «براد» ليس سوى وغد، وغياب وغد عن هذا العالم سوف يكون في صالح الجميع.

قاطعت حديث «براد» المطول عن قاربه وأخبرته بأنني سأذهب إلى الحمام، والذي وجدته نظيفًا مثل باقي الشقة.. سكبت زجاجة البيرة في الحوض، وأخذت ألقي نظرة على خزانة العقاقير الخاصة بـ«براد». والتي لم تحتوِ على الكثير، بعض شفرات الحلاقة، ومزيل عرق ومرطبات للشعر. زجاجة من أقراص الإيبوبروفين، علبة من صبغة شعر غير مفتوحة، زجاجة من المضاد الحيوي منتهية الصلاحية منذ أكثر من خمس سنوات، فتحت الزجاجة ونظرت إلى ما بداخلها فوجدت حبوب زرقاء، أدركتُ أنها فياجرا.

«براد» الفحل إذن لم يكن على تلك الدرجة من الفحولة، ضحكت بصوت عالٍ في الواقع.. وحين خرجت وجدت «براد» كما هو في مكانه على الأريكة ولكنه مغمض العينين وصدره يرتفع وينخفض بثبات. راقبته قليلاً في محاولة لاستشعار أي شيء تجاهه بخلاف الاشمئزاز، أي شعور آخر كالشفقة مثلًا أو غيرها، ولكني في الواقع كنت غير قادر على ذلك.

قبل مغادرتي قمت بهدوء بالبحث داخل الأدراج التي بالمطبخ، وجدت درجًا يكتظ بالأدوات الخاصة بعمله مثل شريط قياس، وبكرة من الخيوط، ولفة من الشريط اللاصق، وفي مؤخرة الدرج وجدت مسدسًا صغيرًا من نوع سميث آند ويسون، وهو ما أدهشني بسبب ما قاله في وقت سابق مازحًا أنه لو كان يمتلك مسدسًا لقتل زوجته.. وللحظة طائشة فكرت في سرقة ذلك المسدس، إلا أنني عدلت عن الفكرة؛ لأنه سوف يعلم على الأرجح مَن أخذه حين يكتشف السرقة، تركته مكانه ولكني أخذت واحدًا من مجموعة مفاتيح جديدة داخل إحدى العلب.. فإنه لن يكتشف أمر ذلك المفتاح من بين كل تلك المفاتيح المتشابهة، وربما يكون ذلك هو مفتاح هذا الكوخ، أو يفتح كل أكواخ «كريسنت كوتاج».

ألقيت نظرة أخيرة قبل أن أغادر، ووجدت أن «براد» لم يتحرك عن وضعه.. خرجت إلى الهواء شديد البرودة، وجربت المفتاح في باب كوخ «براد» الأمامي، ووجدته يعمل.. تركت الباب غير موصد ووضعت المفتاح في جيبي. أخرجت هاتفي من جيبي وكنت على وشك الاتصال بـ«ميراندا» لتأتي وتقلني، لكنني قررت أن أعود إلى الفندق سيرًا. أحببت تلك البرودة التي أشعر بها على وجهي، وحين أخذت نفسًا عميقًا جعلني ذلك الهواء المعبق برائحة الملح أشعر بأنني حي أكثر من ذي قبل.. بدأت في السير، إنها مجرد بضعة أميال، وأشعر بأنني أتمتع بكل الطاقة التي في العالم.

الفصل العاشر

لِيلِي

طوال دراستي في الصف الثاني في الكلية، التي يتوافق أن إريك كان حينها في الصف الرابع كنت أقضي كل ليالي الخميس والجمعة والسبت تقريبًا في «مانور سانت دونستان»، في غرفة نوم إريك في الطابق الثاني. وفي ذلك الوقت كنت أعتقد أن تلك هي أسعد فترات حياتي. ولكنني بالنظر إلى الماضي أدركت أنه كان أيضًا وقتًا للشكوك والقلق، ليس بسبب ما حدث لي لاحقًا فحسب.

كنت قد وقعت في حب «إريك ووشبرن»، الذي أخبرني بأنه يحبني. صدقته ولكنني كنت أعرف أننا شابان وأن «إريك» سرعان ما سيتخرج في الكلية وينتقل إلى مدينة نيويورك، ويحصل على وظيفة في القطاع المالي كما يخطط. وكانت خطتي هي قضاء العام الدراسي التالي في لندن في معهد «فاونس» المختص بدراسة الحفاظ على الفنون. وعلى الرغم من أننا كنا نتحدث عن مستقبلنا معًا، إلا أنني أخبرت نفسي بأن كل شيء سيتغير عندما يتخرج «إريك».

كنت أعيش حياتين منفصلتين في ذلك العام. فمن يوم الأحد إلى الخميس أقوم بكل الأعمال الدراسية والقراءة.. وكانت رفيقاتي في السكن النسخ الثلاث من الممثلة «وينونا رايدر» يستمعن إلى الموسيقى الصاخبة ويدخن السجائر بلا توقف، ولكنهن كنا هادئات بشكل مثير للدهشة ولطيفات إلى حد ما. لقد اكتشفت أن هناك الكثير من الأشياء المشتركة بيني وبين رفيقتي التي تشبه الممثلة وينونا في فيلم «ميرميدز» (Mermaids). فلقد كانت تحب القراءة

بشراهة مثلي وترعرعت على حب نانسي درو. وفي مساء الخميس كنت أتردد على «مانور سانت دونستان» من أجل الحفل الأسبوعي، فأحضر أكبر حقيبة يد عندي وأضع فيها طقم ملابس إضافية وبعض أدوات التجميل؛ لأنني كنت دائمًا ما كنت أقضي الليل وفي بعض الأحيان الإجازة الأسبوعية هناك.

ومن صباح يوم الجميعة إلى مساء الأحد كنت أنا و«إريك» نكاد لا نفترق باستثناء أوقات حضور الصفوف الدراسية أو مباريات الراكيت أو مباريات ألتيمت الفريسبي أو أي من الألعاب الودية، التي يمارسها «إريك» مع أصدقائه ويراها مهمة.. كنا نشاهد الأفلام في مسرح الجامعة ونذهب إلى مدينة «نيوتشيستر»، لتناول لطعام الإيطالي، وفي بعض الأحيان كنا نذهب إلى حفلات لا تستضيفها سانت دونستان أو أي من أعضائها ولكن كنا نادرًا ما نفعل هذا. لقد انتقلنا إلى علاقة مريحة تمتلئ بالأشياء الروتينية المتوقعة النكات اليومية، التي لا يفهمها سوانا وما بدا لي علاقة جنسية مناسبة للغاية.. كنت أناديه «ووشبرن» وكان يناديني «كينتنر».. نعمنا بحياة لطيفة تغيب عنها المآسي، تلك المآسي التي ترتبط بخيبة الأمل أو الخيانة.. كنت أعتز بما أصبحنا عليه وأحتفظ به لنفسي وأخبر «إريك» دون غيره بمدى قوة ارتباطي به.. بدا لي أن «إريك» يبادلني مشاعري وفي بعض الأحيان يتحدث بجدية بالغة عن مستقبلنا معًا بعد الكلية.

كانت «فايث» حبيبة إريك السابقة في الصف الرابع أيضًا وكانت لا تزال تحضر الحفلات ليلة الخميس بشكل منتظم، ولكنها الآن تواعد «ماثيو فورد».. ونظرا لأني و«فايث» حبيبتين مميزتين لأكثر الأعضاء شهرة في «سانت دونستان»، كانت فايث تتقرب مني ذلك العام وفي بعض الأحيان كانت تسألني عن علاقتي بـ«إريك»، ولكن ذلك لم ينطلي على مطلقًا.. لم أكن معجبة بـ «فايث»، التي كانت كثيرة المرح وماكرة وتحب أن تكون محور الاهتمام ولكني لم أمانع في قضاء بعض الوقت معها.. فلو لم تكن «فايث» موجودة في الجوار لربما تحول الفضول حول الفتاة التي قضت عامين مع «إريك» إلى هوس.. ولكنها كانت هناك واستطعت التعرف عليها وبفضل هذا لم أفكر فيها كثيرًا.

تمكنت من رؤية الأمور، التي جعلت «إريك» ينجذب إلى فايث. إنها مستديرة الوجه مثيرة بشعر أسود قصير. وكانت ملابسها من طراز ذا أوفيشيال بريبي هاندبوك[1] (The Official Preppy Handbook)، ولكن كانت ستراتها ضيقة للغاية وتنوراتها قصيرة جدًّا.. وعندما كانت تتحدث كانت تقترب وتصنع اتصالاً بصريًّا يلطف الأمور ولكنها كانت تضحك كثيرًا وتلقي النكات المضحكة عن نفسها. وإذا ذهبنا إلى أي مكان معًا كانت «فايث» تضع ذراعها بذراعي.. ولو كانت تقف ورائي كانت تمرر أصابعها في شعري.. لم يكن أي واحد من والديَّ يبدي لي الحب بطريقة جسدية، لذلك غالبًا ما كنت أشعر بأن لمسات «فايث» تلك مزعجة، وفي بعض الأحيان مطمئنة.. ذات مرة كانت «فايث» ثملة وأخبرتني بأنها تريد رؤية لون عينيَّ.. اقتربت مني وبدت عيناها البنيتان كبيرتين في ناظري.

قالت وأنفاسها الدافئة تلفح خدي: «إنها أشبه ببساط ملون.. هناك نقاط من اللون الرمادي والأصفر والأزرق والبني والأرجواني».

نادرًا ما كان «إريك» يتحدث عن «فايث»، ولكنه سألني ذات ليلة بينما كنا نضطجع في السرير عما إذا كنت أشعر بالضيق من تواجد «فايث» المبالغ.

أجبت: «ليس للدرجة، ولكنها قد قررت أننا صديقتان مقربتان.. هل لاحظت هذا؟».

فقال: «إنها صديقة مقربة للجميع.. كلا لا تأخذي ذلك في اعتبارك، فأنا أعتقد أنها معجبة بك بالفعل وتريد أن تكون صديقتك.. كل ما في الأمر أن..».

فقلت: «لا تقلق.. أعرف ما تقصده.. أنا لا أنوي مصادقتها بأي حال من الأحوال.. فليس هناك أي شيء مشترك بيني وبينها باستثنائك أنت».

فقال: «كلا ليس هناك شيء مشترك بينكما.. أنا متأكد من هذا.. إنها ليست سيئة.. وهي.. و«مات» ثنائي جيد».

---

(١) دليل ساخر صدر عام ١٩٨٠ للطلاب الذين يلتحقون بمدارس تعدهم للدراسة الجامعية

فقلت: «أعتقد هذا».

وكان هذا آخر حديثنا عن «فايث».

ذلك الصيف عدت إلى منزلي «مانك».. كانت أمي قد حصلت على صديق جديد «مايكل بياليك»، أستاذ اللغويات الملتحي من الجامعة، والذي بدا مناسبًا لها بشكل مدهش. يبتعد منزله الذي كان اصطبلًا في السابق عنا نصف ميل تقريبًا، يعيش فيه مع ابنه ساندي العبقري في عزف البيانو.

كان «مايكل» يحب الطبخ، وبسبب هذا كانت أمي تقضي الكثير من الوقت في منزله وتترك لي المنزل لأكون فيه بمفردي. كانت وظيفتي في المكتبة تستغرق أربع ساعات كل يوم من الاثنين إلى الجمعة، وكنت أقضي بقية الأيام في القراءة أو العبث في المنزل. كان الحب يغمرني والسلام يملؤني. بل إني عدت إلى أجمَتي المفضلة، المثوى الأخير لـ«شيت».. كان غطاء البئر لا يزال في مكانه وكان يبدو مثلما كان منذ سنوات، عندما اكتشفته لأول مرة يختبئ تحت الحشائش الصفراء. وكان بيت المزرعة المجاور لا يزال خاليًا.

خططت لزيارة «إريك» في مدينة نيويورك خلال الإجازات الأسبوعية، ولكن عندما أتى إريك لزيارة منزلي أعجب به كثيرًا أو هذا ما ادّعاه على الأقل.

قال إريك: «أريد قضاء كل إجازاتي الأسبوعية هنا كينتنر.. ستكون هذه حياة مثالية.. أقضي أيام العمل في المدينة ثم استقل القطار مساء الخميس وأصبح هنا معك.. إجازة أسبوعية في الريف».

فقلت: «ألن يصيبك الملل؟».

فأجاب: «لن يحدث.. أحب المكان هنا.. ماذا عنك؟ فقد أطلب منك قضاء كل وقتك هنا هل يروق لك هذا؟!».

فقلت: «إن هذا هو المكان الذي قضيت فيه الصيف طيلة حياتي.. ليس لدي مانع.. وأعدك بأنني سوف أجعلك تتوق إلى الإجازة الأسبوعية بفارغ الصبر».

وهكذا تحوّل صيفنا إلى نسخة أخرى من عامنا الدراسي.. أقضي أيام الأسبوع بمفردي والإجازة الأسبوعية معًا. لم أمانع لأنني لم أكن أشعر بالقلق من قضاء الوقت بمفردي.. وكانت الأيام التي قضيتها وحدي تقربني من الإجازة الأسبوعية وتقربني من رؤية «إريك»، وهو يخرج من القطار وحقيبة سفره الصغيرة تتدلى معلقة في كتفه وابتسامة كبيرة ترتسم على وجهه.. وكانت هذه الإجازات الأسبوعية أكثر روعة.. فبعيدًا عن الكلية كانت علاقتنا تبدو أكثر نضجًا وأكثر أريحية. كنا نشعر بأننا متزوجان.. ولم أكن أمانع في رؤية «إريك» يومين فقط كل أسبوع.

ولم يكن «إريك» يمانع لأسباب خاصة به.

كان من الممكن ألا أكتشف تلك الأسباب أبدًا، وربما كنت سأذهب إلى لندن في الخريف وأنا أعتقد أن «إريك» لايزال حب حياتي لولا زيارة أبي لمدينة نيويورك في الأسبوع الأخير من شهر أغسطس/ آب، وطلبه بأن أتناول الغداء معه هناك. كان أبي سينشر كتابًا جديدًا، مجموعة قصصية قصيرة وكان في نيويورك لمقابلة وكيله وناشره الأمريكيين، من أجل قراءة الكتاب في متجر ستراند بوكس. لم يَدْعُنِي أبي إلى جلسة القراءة ولم يفاجئني هذا.. فلقد سألته ذات مرة عندما كنت في الصف الثاني الثانوي على ما أعتقد عما إذا كان بإمكاني الذهاب إلى إحدى جلسات القراءة فأجابني: «يا إلهي لِيلِي أنت ابنتي.. أنا لن أعرضك لهذا.. سوف تشعرين في النهاية بضرورة قراءة كتبي وهذا أمر سيئ بما فيه الكفاية. لذا لن أطلب منك الاستماع إلى وأنا أقرؤها بصوت عالٍ».

لذلك أخذت يوم إجازة من المكتبة ولحقت بالقطار المتجه إلى مدينة نيويورك. تناولت مع أبي الغداء في مطعم أنيق ملحق بردهة الفندق الذي يقيم فيه في وسط المدينة، وتحدثنا عن عامي التالي في لندن. وعدني بأن يبعث رسالة إلكتروني تحوي أسماء الأصدقاء والأقارب الذين يجب زيارتهم، إلى جانب بعض المعالم المفضلة لديه في لندن والتي كانت في معظمها حانات.

ثم أخذ يسألني عن أخبار أمي وصديقها الجديد. بدا الاستياء الشديد على وجه أبي، عندما سمع أن أستاذ اللغويات رجل مهذب بشكل عام. وبعد الغداء افترقنا أمام الفندق.. كرر أبي على مسامعي ما قاله لي قبل ذلك: «لقد نضجتِ صغيرتي رغم ما آلت إليه الأمور بيني وبين أمك».. عانقنا بعضنا البعض عناق الوداع. لقد كان يومًا لطيفًا ذا طقس معتدل على غير المعهود في أواخر شهر أغسطس في تلك المدينة، لذلك اتجهت إلى وسط المدينة نحو مكتب «إريك» المكان الذي لم أزره من قبل.. أصبح الهواء الذي كان خانقًا طوال الشهر فجأة خاليًا من الرطوبة..

وكانت تغمرني السعادة لمجرد المشي في الدروب الهادئة في المدينة منتصف النهار. لم أكن قد قررت ما إذا كنت سأذهب إلى «إريك» في العمل لأفاجئه أم لا؟، ولكني كنت أفكر في الأمر وبدأت أتخيل النظرة التي ستعتلي وجهه حين أدخل مكتبه. تركت أفكاري الحالمة عندما سمعت شخصًا ينادي باسمي. التفت لأرى «كاتي ستون» طالبة في الصف الثاني في كلية ماثر كنت أعرفها في حفلات سانت دونستان تعبر الشارع وتلوح لي.

قالت «كاتي» وهي تخطو على الممشى، بينما كانت سيارة أجرة تعبر مسرعة: «اعتقدت أنه أنت.. لم أكن أعرف أنك في المدينة هذا الصيف».

فقلت: «لا.. أنا أعيش في منزل أمي في ولاية كونتيكت، ولكن أبي هنا وكنت أتناول معه الغداء».

فقالت كاتي: «هل ترغبين في شرب القهوة؟ لقد انصرفت من العمل مبكرًا.. يا إلهي! إن نيويورك كئيبة في شهر أغسطس».

ذهبنا إلى مقهى في أقرب زاوية وطلبنا «لاتيه» مثلجًا.. أخذت « كاتي» تتحدث عن طلاب الكلية الذين تعرفهم، والذين لم أسمع عن العديد منهم من قبل.. لقد كانت تجمع الشائعات وتنشرها.. وشعرتُ بالدهشة لأنها لم تسألني عن «إريك»، لذلك سألتها: «هل ترين إريك كثيرًا؟».

اتسعت عينا كاتي قليلًا عند سماع اسمه وقالت: «آه.. لم أكن أنوي التحدث عنه.. لا، لا أراه كثيرًا بل نادرًا.. إنه يعمل في مكان ما هنا كما تعلمين».

فقلت: «نعم أعلم.. لماذا لم تنوِ التحدث عنه؟».

فقالت: «أنا لا أعرف ما تشعرين به بعدما أصبحتما لا يرى أحدكما الآخر.. أنا لا أعرف ما إذا كنت تريدين سماع أخباره».

سرت في جسدي قشعريرة باردة.. كنت على وشك أن أخبر كاتي بأنني لا أزال أرى «إريك» بالطبع، ولكن شيئًا ما منعني.. وبدلًا من ذلك سألتها: «لماذا ما الذي يحدث معه؟».

فأجابت: «لا أعرف.. فأنا قليلًا ما أراه ولكنه لا يتواجد مطلقًا في الإجازات الأسبوعية.. إن أباه مريض.. ربما تعرفين هذا؟».

فقلت: «لا.. ما الذي أصاب والده؟».

فقالت: «سرطان على ما أعتقد.. يذهب إريك إليه كل إجازة أسبوعية. ربما كانت علاقتهما وثيقة؟»، نطقَت كاتي العبارة الأخيرة على هيئة سؤال، واستطعت أن أومئ برأسي للتأكيد على ما قالته، رغم شعوري بحاجة ملحة للخروج من ذلك المقهى، والابتعاد عن «كاتي».. لحسن الحظ بدأ هاتف كاتي الجوال يرن وأخذت كاتي تبحث عنه في حقيبتها الضخمة فسمحت لنفسي بالمغادرة.. استعرت المفتاح من صانع القهوة وأغلقت على نفسي داخل المرحاض.. كان عقلي يعمل بسرعة يحاول يائسًا فهم المعلومات التي تلقيتها للتو بينما كان هناك جزء مني يشكك فيما قالته «كاتي».

فربما كان هناك سوء فهم سخيف للأمور.. وكان هناك جزء آخر مني أكثر منطقية يعرف أن هذا حقيقي، وأنني كنت حمقاء.. لقد كان «إريك» يعيش حياتين ولا أحد يعرف أنه كان يراني خلال الإجازات الأسبوعية. بعد أن أعدت المفتاح كانت «كاتي» لاتزال تتحدث في الهاتف فانتهزت الفرصة وربت على كتفها وأشرت إلى ساعتي وتحركت سريعًا نحو الباب.. أنزلت «كاتي» الهاتف عن أذنها ووقفت ولكني قلت: «آسفة» وواصلتُ السير.

حالما أصبحت في الخارج ذهبت إلى شارع سكني جانبي.. وكانت إحدى الأبنية تحوي دَرَجًا صخريا تظلله شجرة مورقة.. جلست أعلى الدرج غير عابئة بأن يراني المالك ويأمرني بالرحيل. لا أعرف المدة التي جلستها على ذلك الدرج ولكن ربما جلست ساعتين تقريبًا.. شعرت بالبؤس لبعض الوقت ولكن سرعان ما بدأت أشعر بالهدوء. حلّلتُ الموقف.. كان «إريك» قد رتب أموره بحيث يراني في الإجازات الأسبوعية فقط، ولا نجتمع في المدينة مطلقًا. لقد كانت هذه هي الطريقة التي يتبعها «إريك»، وكانت نفس الطريقة التي كان يتبعها في الكلية. ولكن لماذا كان يكذب حيال مكان تواجده في الإجازات الأسبوعية؟ كانت هناك إجابة واحدة فقط- لقد كان إريك مرتبطًا بفتاة أخرى هنا في مدينة نيويورك.

قبل الساعة الخامسة بقليل مشيت نحو المبنى الذي يقع فيه مكتب «إريك».. كنت أعرف العنوان ولكني لا أعرف شكل المبنى.. كنت أمشي ببطء وعينيّ تتفحصان الحشود.. كنت أعرف أنني لن استطيع مقابلة «إريك» بالصدفة ولكن لم يكن بمقدوري مغادرة المدينة أيضًا.. كنت أريد أن أرى مكان عمله وربما أراه دون أن أجعله يراني.

كان مكتبه يقع في مبنى حجري غريب الشكل يضم أربعة طوابق بجوار مطعم «غريز بابايا». جلست على مقعد على الجانب المقابل لمدخل المبنى وجذبت صحيفة نيويورك بوست من علبة القمامة.. فتحت الجريدة، ولكن أبقيت عيني على الأبواب الأمامية للمبنى.. بعد الخامسة بقليل خرج بعض الرجال الذين يرتدون البذلات وسيدة ترتدي تنورة وقميصًا. لم يظهر «إريك» ولكنه خرج في المجموعة التالية التي ضمت ثلاثة رجال. كان «إريك» يرتدي بذلة رمادية فاتحة وعندما وصل الرجال الثلاثة إلى الممشى بدءوا في نفس الوقت إشعال السجائر.. لم أتفاجأ لرؤية «إريك»، وهو يدخن رغم أنه أخبرني بأنه توقف عن التدخين يوم التخرج. لم يدخن إريك سيجارة واحدة خلال زيارته لي في كونتيكت في الإجازة الأسبوعية، وكان هذا لأنه شخص يعيش حياتين منفصلتين.. بدأ زملاؤه في العمل يتجهون نحو وسط المدينة وهم

يدخنون السجائر ووقف «إريك» للحظة ونظر إلى هاتفه الجوال.. وقفت سيارة أجرة بجواره واعتقدت أن إريك سوف يستقلها ولكن بدلًا من ذلك خرجت من السيارة فتاة ذات شعر أحمر ترتدي فستانًا قصيرًا وقبَّلَت إريك في فمه بينما كان يلقي سيجارته بعيدًا.

تحدثا قليلًا وهو يضع يده على خصرها.

شعرت بألم يئن في صدري وبأن العالم ينهار أمام عينيَّ، واعتقدت لوهلة أني سأصاب بنوبة قلبية. ثم تجاوزت كل هذا.. تمالكت نفسي وأخذت نفسًا عميقًا وتمعنت في الفتاة.. بدت مألوفة ولكني لم أر وجهها بعد.. جعلتني حقيقة أنها ذات شعر أحمر أيضًا أشعر بالمزيد من الضيق رغم أني استطعت أن أعرف رغم المسافة أن شعرها أحمر نتيجة صبغة شعر وليس جينات وراثية.

التفت «إريك» هو والفتاة ذات الشعر الأحمر واعتقدت للحظة مروعة أنهما سينزلان عن رصيف المشاة ويعبران الشارع باتجاهي ولكنهما اتجها شمالًا، وقد شبكا ذراعيهما معًا.. شاهدتهما من فوق الصحيفة واستطعت أخيرًا رؤية وجه صديقة «إريك» في المدينة بوضوح. إنها «فايث» ولكن بشعر أحمر.. وحين استعدت ذكريات الماضي لم تصيبني الدهشة بالفعل عندما اكتشفت أنها «فايث». لقد كانت هي بالطبع.. ولكني أتذكر شعوري بالصدمة من طريقة تغييرها لمظهرها ولون شعرها الذي أصبح أحمر اللون مثل شعري.. شعرت بالغضب.. بل شعرت بغضب شديد لم أشعر به من قبل طوال سنوات عديدة.

الفصل الحادي عشر

تيد

قبل أن نغادر «كونكورد ريفر إن»، وبعد أن قررت أنا ولِيلي ضرورة سفري إلى «مين» لقضاء بعض الوقت مع «براد» و«ميراندا» من أجل جمع بعض المعلمات، كنا قد اتفقنا على موعد لقائنا التالي. وحددنا أن يوافق ذلك الموعد يوم السبت التالي لموعدنا الأول بأسبوعين، وأن يكون في نفس الساعة ولكن ليس في نفسي المكان، حيث اتفقنا على أن نلتقي عند مقابر «أولد هيل بيرينج جراوند»، والتي تقع أعلى منحدر التل القابع أعلى «مونمنت سكوير» بـ«كونكورد سينتر». حيث يوجد هناك الكثير المقاعد، فيمكننا الجلوس جوار بعضنا البعض دون أن نلفت الأنظار إلينا كما هو الحال في الحانة.

ذهبت في وقت باكر من ظهيرة يوم السبت المحدد، توافد عدد من السائحين على المكان ولكنهم لم يتواجدوا أعلى التل. جلست فوق أحد المقاعد الحديدية، أسفل سماء ملبدة رمادية اللون، وقد تناثرت أوراق الأشجار الملونة بفعل هبوب الرياح من حولي، أخذت أفتش عن لِيلي، وأجوب بعيني بين الناس وأتفقد السيارات التي تصل إلى المكان على الرغم من جهلي بنوع سيارة لِيلي من الأساس. حاولت أن أخمن، أعتقد أنها سيارة من النوع الكلاسيكي ولكنها في الوقت ذاته ذات طابع خاص، ربما تكون «بي. إم. دابليو» عتيقة، أو «ميني أوستن» قديمة، ولكني حين لمحت لِيلي لم تكن خارجة من سيارة، كانت تسير بخفة عبر «مين ستريت» وتتقافز خصلات شعرها الأحمر مع كل خطوة تخطوها.

راقبتها بينما كانت تقترب من المقابر، ثم غابت عن نظري وهي تمر بجوار بعض المباني. وانتابتني دفعة من الحماسة والإثارة لأنني سألقاها، إثارة نابعة في جانب منها من المشاعر التي تتملكني لدى رؤيتها، ولكني أشعر على الجانب الآخر بإثارة بسبب ما سأحكيه لها عن رحلتي، وتفاصيل ما حدث هناك، وعن مفتاح الباب الأمامي الذي سرقته من «براد». شعرت كما لو كنت طفلاً يحمل إلى أمه شهادة دراسية بدرجات عالية.

ظهرت لِيلِي من جديد عبر مسار المقبرة، وابتسمت لي قبل جلوسها على الجهة المقابلة من المقعد. قالت وبدا صوتها الهادئ متهدجًا من الصعود إلى التل «يا له من مشهد».

لقد رأيتك وأنت تسيرين إلى هنا عبر «مين ستريت» قدمت إلى هنا سيرًا، هل كان في مقدورك معرفة أن هناك من يراقبك من بعيد؟».

«كلا لم أكن أفكر في ذلك، كان كل ما يقلقني أن أتأخر عليك فأصل بعد أن تكون قد غادرت».

«غادرت! لم أكن لأغادر قبل أن ألقاك، فلدي الكثير في جعبتي لأخبرك إياه».

استدارت نحوي، وبدا وجهها في ضوء نهار شهر أكتوبر الرمادي ناصحًا بلون بياض الثلج، وبدا شعرها أكثر احمرارًا مما تذكرت آخر مرة، كانت تعكس بحضورها الأخّاذ ألوانًا حية مثيرة وسط القبور الباهتة أحادية اللون. أردت أن أقترب منها وألمسها لأتأكد من أنها شخصًا حقيقيًا يجلس أمام ناظري، ولكني أحجمت عن ذلك.

سألتني «هل ذهبت إلى مين؟».

«أجل» ثم حدثتها عن أسبوعي هناك، وعن الوقت الذي قضيته مع «براد» وعن ذهابي إلى بيته وسرقتي للمفتاح.

سألتني «أتظن أنه لن يلحظ ضياع ذلك المفتاح؟».

«كلا، فإنه يمتلك كومة كبيرة من النسخ لذلك المفتاح داخل الدرج، كونه يعمل مديرًا للمكان. ولذا أعتقد أنه يحتاج إلى نسخ كثيرة من تلك المفاتيح. وإلى حد علمي أنها جميعًا مفاتيح رئيسية تفتح جميع أبواب الكوخ».

«حسنًا، سوف يساعدنا هذا المفتاح، ولكن عليك أن تحرص على التخلص منه بعد انتهاء مهمتنا أو أن تعيده حيث كان، لا يجب الإمساك بك بأي دليل مادي كما تعلم».

أومأت لها، ثم استأنفت قائلة: «ماذا وجدت أيضًا بشأن منزلك، هل هناك تاريخ محدد لاستكمال الأعمال فيه؟».

أخبرتها أن «براد» قد أخبرني أنه سوف ينتهي من عمله في المنزل بنهاية ديسمبر أو نهاية يناير على أقصى تقدير.

«هذا يعني أن علينا التسريع من خطتنا، أعتقد أنه من المهم أن ننتهي من خطتنا قبل انتهاء العمل في المنزل».

قمنا بوضع خطة وحددنا فيها أين ومتى يجب أن أكون، وما الذي سنعمل عليه أنا وهي معًا.. ناقَشَت «لِيلِي» الأمر معي كما لو كنا طالبين في المرحلة النهائية من الثانوية نقسم أدوارنا في تقديم مشروعنا النهائي في مادة العلوم. ولأني بطبعي شخص يهتم بالتفاصيل- فهذا ما فرضته على طبيعة عملي والمال الذي جنيته منه- ولأني بفطرتي أميل إلى تدوين الملاحظات، أردت أن أدون ملحوظات وراءها، ولكن لم يكن هناك ما أكتبه.. لا شيء على الإطلاق.. وكما أشارت «لِيلِي» تلك هي المرة الأخيرة التي سنلتقي فيها قبل أن أصبح أرملًا، وبعدها يمكن أن نلتقي ثانية، مصادفة، كما لو لم نتقابل من قبل مطلقًا.. وبينما كنا نتحدث محاولًا حفظ دوري وما على القيام به، شعرت ببعض الضيق في صدري والانقباض في فكي وحلقي، فملت برأسي وطقطقت عنقي.

سألتني «هل أنت بخير؟».

«أجل أنا بخير، الأمور فقط تأخذ مسارًا جادًا، فالتخطيط لرحلتي الاستطلاعية هناك في «مين» يختلف عن التخطيط لرحلتي القادمة».

اعتدلت «لِيلِي» في جلستها وعضت على شفتها السفلى بشفتها العليا قبل أن تقول «ليس عليك القيام بهذا، إنك سوف تقدم على ذلك من أجلك وليس من أجلي، وآخر ما أريده هو قيامك بأمر يطاردك لما تبقى من حياتك».

«أنا لست خائفًا من ذلك، ربما يعتريني القلق من أن يقع ما يسوء».

«إذا التزمت بخطتنا الموضوعة لن يقع ما يسوء، دعني أسألك- ماذا سيكون شعورك إذا ما ضرب «مين» زلزالًا اليوم ولقي كلٌ من «براد» و«ميراندا» مصرعهما بسببه؟».

«سأكون سعيدًا بالطبع».. أجبت بدون أي تفكير ثم أردفت «سوف تصل جميع مشاكلي إلى حلول، وسيموتان على النحو الذي يستحقانه».

«وهذا هو بالضبط ما نفعله، إننا نخلق لهما زلزالًا ليبتلعهما في باطن الأرض.. وإذا ما سارت الأمور على ما يرام، فإن كل شخص، بما في ذلك الشرطة التي ستحقق في الأمر سوف تصل إلى أن من قتل «ميراندا» هو «براد»، وأنه هرب من المدينة عقب ارتكاب جريمته.. وستتجه كل مجهوداتهم للبحث عنه والعثور عليه، وهو ما لن يحدث مطلقًا.. وربما تدخل أنت أيضًا دائرة شكوكهم أثناء التحقيق لبعض الوقت، وهذا طبيعي، ولكنهم لن يجدوا أي شيء ضدك وحجة غيابك ستكون نقطة قوتك وحصنك المنيع».

- «حسنًا، أنا أثق بك».

- «أنظر، إذا ما قررت التراجع في أي وقت، عليك أن تخبرني.. ولكن إذا كان كل ما يقلقك هو ألا تسير الأمور كيفما هو مخطط لها لا تقلق. إذا ما انتبهنا لكل خطوة نخطوها والتزمنا بخطتنا لن تصبح حتى في موضع شك.. سوف يتلقى كلٌ من «ميراندا» و«براد» العقاب الذي يستحقانه، وليس هذا فحسب، عليك أن تفكر في التعاطف الذي سوف تحصل عليه أنت في المقابل. فزوجتك الجميلة قتلت على يد عشيقها

المتوحش، وأنت لست سوى الزوج المسكين المخدوع والمصدوم كذلك.. أترى كم سيُضْحِي الأمر في منتهى السهولة».

كانت لِيلِي تبتسم بينما ترفع خصلة من شعرها من فوق جبهتها.

- «لمعلومك فقط، ليس هذا هو دافعي».

- «صحيح؟».

- «أجل حتى التقيت بك... وتطوعت لوضع الخطة».

كانت «لِيلِي» لا تزال مبتسمة وهي تقول «ثم تعقدت الأمور».

«أو ربما أصبحت أكثر سهولة».

ضحكت لِيلِي ثم قالت «صحيح، أو ربما أصبحت أكثر سهولة، أجل».

نظرنا إلى بعضنا البعض لدقيقة، وتلاشت ابتسامة لِيلِي وهي تضم معطفها عليها أكثر وترفع كتفها سألتها «هل تشعرين بالبرد؟».

«قليلًا، هل يمكننا التمشية، فتلك المرة الأولى لي في هذا المكان».

وافقتها وقمنا بالتمشية بين شواهد القبور المتمايلة التي أكل عليها الدهر وشرب، وهي تضع يدها في يدي تلتمس الدفء. مشينا بهدوء جنبًا إلى جنب شاعرين براحة تغمرنا دون أن نتحدث في شيء، كما لو كنا زوجين بينهما سنوات وسنوات من العمر والذكريات التي تجمعهما سويًا. قرأنا بعض العبارات المنقوشة على شواهد القبور، والتي خلدت أغلبها ذكرى أشخاص عاشوا في القرن الثامن عشر، ويظهر من التواريخ المنقوشة، أن بعضهم قد عاشوا حياة قصيرة، قد يعتبرها البعض اليوم مأساوية من فرط قصرها. إلا أنهم حظوا بحياة حقيقية، ومهما كانت أعمارهم صغيرة حين لقوا حتفهم، فإن ذلك قد حدث من وقت بعيد الآن.

بعض القبور حملت بعض العبارات التي بها كلمات ممسوحة لدرجة جعلت من الصعب قراءتها، والبعض الآخر حمل نقوشًا لجماجم مجنحة واقتباسات

مثل «تذكر أنك أيضًا سوف تعبر من هذا الباب»، مررت بإصبعي فوق واحدة من تلك النقوش وكان عبارة عن جمجمة على شكل أعين بومة وذات أسنان كاملة.. وبين الجمجمة والعبارة المحتوية عظمتين في وضع معاكس.. «أتساءل منذ متى توقفوا عن وضع رسوم ورموز عن الموت على شواهد القبور، إنها معبرة للغاية».

قالت «لِيلِي» وهي تشدني من ذراعي تجاهها لألتصق بها أكثر «أجل إنها كذلك»، انحدر المكان بنا قليلًا فوجدنا أنفسنا عند منحدر أسفل منطقة المقابر وأسفل شجرة هناك لا تزال، رغم الخريف موفورة الأوراق مترامية الأغصان. استدرنا في اتجاه بعضنا البعض في الوقت ذاته ووجدتني دون أن أشعر أضم «لِيلِي» بين ذراعي وأقبّلها، تبادلنا القبلات في نهم. ووجدتني أحل أزرار معطفها وأدس يدي حول خصرها فوجدتها ترتدي بلوفر من الكشمير، وارتعدَت بينما أضمها.

سألتها «ألا زلت تشعرين بالبرد؟».

أجابت «كلا»، ثم تبادلنا القبلات ثانية، قبلات شهية، أخذ كل منا يعتصر فيها الآخر ويضمه إليه أكثر، مررت بيدي فوق جسدها من الأمام فاستشعرت أضلعها الأمامية وصدرها الصغير المستثار. أفقنا على صوت تهشم غصن فاستدرنا تجاه الصوت، لنجد أن هناك شخصًا يقف من بعيد وحيدًا لدى إحدى المقابر ويلتقط صورة لها، ابتعدت أنا و«لِيلِي» ولكن استمررنا في النظر إلى بعضنا البعض.

قالت «يا له من يوم».

«بالفعل» كان صوتي أجش قليلًا.

«هل تحفظ الخطة، أم علينا أن نراجعها؟».

«الخطة كلها هنا» ثم نقرت على رأسي.

«حسنًا، إذن».

لم يتحرك أيٌّ منا فقلت لها «هل يمكننا فيما بعد، أن نكمل هذا؟».

- «سأحب ذلك».

- «وسوف تخبريني عن أسرارك؟».

- «سوف أفعل ذلك، سأخبرك بكل شيء وأكشف لك عن أسراري، فكم أتمنى أن يحملها معي أحد».

وتذكرت حين سألتها مازحًا في «كونكرد رفير إن» عن عدد الأشخاص الذين قامت بقتلهم، وفكرت في نوع الشخص الذي أورط نفسي معه بعلاقتي تلك، ولكني أخبرت نفسي مجددًا أن ذلك لا يهمني حقًا.

«علينا أن نفترق هنا».

«أجل أعلم علينا أن نفترق قبل أن نظهر مصادفة سويًا في إحدى الصور التي يلتقطها ذلك الرجل».

نظرت أعلى المنحدر فوجدت الرجل يقف هناك محدقًا في عدسة كاميرته تجاه صف من المقابر، قالت «لِيلِي»: «سوف أذهب أولًا».

- «حسنًا، وداعًا حتى ألقاك المرة المقبلة...».

- «أجل، حتى ألقاك المرة المقبلة...وحظ سعيد لك».

تركتني وسارت مبتعدة مارة بسلسة من المقابر المتجاورة، وتجاوزت رجل الكاميرا الذي لم يستدر لها أو ينظر نحوها مطلقًا.. وقفت في مكاني.. كما أنا ولم يفارق مذاق شفتاها فمي، أغلقت معطفي ودسست يدي في جيبي، حدقت بعينين نصف مغمضتين نحوها وأنا أراقبها وهي تذهب بعيدًا تحت ضوء السماء الرمادية. وللمرة الأولى منذ أن قررت قتل زوجتي تعتريني تلك الرغبة في قتلها حالًا..

شعرت كما لو كنت طفلًا ينتظر قدوم الكريسماس واحتفالات رأس السنة والوقت الذي يفصله عنه طويل جدًا عليه، ويمر ببطء شديد. أردت لـ«ميراندا» أن تموت.. لقد جعلت من قصة حبنا أضحوكة، لقد جعلت مني أنا أيضًا أضحوكة.

وأخذت أفكر في الطريقة التي اعتادت أن تنظر بها «ميراندا» لي، ولا زالت تنظر بها كما لو كنت محور الكون بالنسبة لها.. كم كانت مخادعة.. وها هي الآن وقد مزقت قلبي بخيانتها. كيف لي أن أتقاسم أموالي مع من اقتلعت قلبي من بين أضلعي على هذا النحو ولم تبالِ؟ كان هذا هو السبب وراء رغبتي في قتلها، والذي أقنعت نفسي به، وبأنه كافٍ.

ولكني الآن لدي سبب آخر، ألا وهو وجود «ليلي» في حياتي.. سوف أقدم على ذلك بسبب «لِيلِي»، سوف أقتل زوجتي حتى أتمكن من أن أصبح معها.. وهذا السبب يبدو لي الآن أكثر منطقية من أي سبب آخر.

الفصل الثاني عشر

لِيلِي

كانت هناك إجازة أسبوعية كاملة قبل رحلتي إلى مدينة لندن من أجل العام الدراسي الذي سأقضيه بالخارج وأخبرت «إريك» بأنني أصبت بنوبة برد مريعة في أواخر الصيف، وأنه يجب عليه ألا يأتي.. فوافق بشرط أن أدعه يقلني إلى المطار يوم الثلاثاء، الذي سأستقل فيه الطائرة من مطار «جون إف. كينيدي».. كنت أعتقد أن قضاء ساعتين معه في السيارة سيكون شاقًا على نفسي، ولكن سارت الأمور بشكل جيد.. فلقد حدثت نفسي بأن أتصرف وكأن شيئًا لم يكن.

خلال الصيف تحدثت أنا و«إريك» عن العام الذي سأقضيه في لندن مرات عديدة.. كنت قد أعطيته الفرصة للتعبير عن أية تحفظات له بسبب سفري ولكنه أصر على أن نبقى معًا، وأن نستمر في الإخلاص لبعضنا البعض.. ورتب لأن يزورني في لندن لأول مرة في شهر أكتوبر بعد ستة أسابيع من وصولي، وكان قد اشترى التذكرة بالفعل.. ولذلك قال لي أثناء وداعنا في منطقة التحميل في مطار جون إف. كينيدي: «تبدو ستة أسابيع وقتًا طويلًا ولكنها ليست كذلك.. فسوف نرى بعضنا البعض قريبًا».

قلت: «حسنًا.. قد يبدو هذا غريبًا ولكنك لو كنت تعتقد أن هذا الانفصال طويل للغاية سأتفهم الأمر.. وإذا أردت أن تقطع علاقتنا مؤقتًا أو أن ترافق

فتاة أخرى فلن يروق لي ذلك بالطبع، ولكني لن أغضب أيضًا. الآن هو الوقت المناسب لتخبرني وليس لاحقًا».

بدا عليه القلق وقال وهو ينظر في عينيَّ مباشرة: «هل هذا ما تريدينه؟».

فأجبته: «بالطبع لا.. ولكني أريدك أن تخبرني بالحقيقة.. فسوف يكون ردي سيئًا لو خنتني».

فقال: «يجب ألا تشعري بالقلق حيال هذا مطلقًا».. بحثت في وجهه عن أي إشارة للخداع.. كان ذلك ما أفعله طوال سنوات عديدة خلال إقامتي مع والديَّ وكنت أعتبر نفسي خبيرة في اكتشاف الكذب.. ولكني لم أر شيئًا في وجه «إريك» باستثناء الحب والصدق!

قلت: «لا أطيق صبرًا على رؤيتك في شهر أكتوبر المقبل»، وأنا أضمه بقوة للحظة بينما كانت سيارة رانج روفر عالقة وراءنا تطلق بوقها.. لم أكن أكذب.. لقد كنت أنتظر زيارة «إريك» لي.. هذا الوجه الذي أراني إياه، الوجه المحب البريء، جعل مصيره محتومًا.. لم أكن أعرف كيف سأنفذ ذلك ولكني أدركت أنني سأبحث عن طريقة لعقاب إريك عندما يزورني في مدينة لندن.

يقبل معهد «فاونس» عددًا قليلًا من الطلاب الأجانب كل عام لذلك خلال أسبوع التوجيه أقمت في فندق في ميدان «راسل سكوير»، ضمن مجموعة تضم أربعين طالبًا أمريكيًّا تقريبًا، سيذهبون جميعًا إلى أكاديمية «أوفرسيز»، وهي كلية أقيمت خصيصًا للطلاب الأمريكيين خلال العام الذي يدرسونه بالخارج أثناء دراستهم الجامعية.. في ذلك الأسبوع - إلى جانب الاجتماع والتحية وبعض جلسات التوجيه والإرشاد - كان من المتوقع منا أن نشكل مجموعات ونبحث عن سكن في مدينة لندن.. أخذنا قائمة تضم وكلاء عقاريين متخصصين في التسكين المؤقت، وعلمنا أن أفضل فرصة للعثور على أي شيء تتمثل في تشكيل مجموعات تضم أربعة أو ستة أفراد. كما اتضح بعد ذلك أن العديد من الطلاب الأمريكيين قد أتوا من كلياتهم في مجموعات.. وكنت أتساءل عما إذا

كان من الممكن أن أعثر على شقة صغيرة لنفسي، عندما اقتربت مني طالبة جميلة تمسك بقائمة الوكلاء وسألتني: «هل وجدت مجموعة؟».

فأجبتها: «لا ليس بعد.. وأنت؟».

فقالت: «لا ولكن أختي الكبرى خاضت هذا البرنامج من قبل وأخبرتني بأنهم سيدّعون أنه من الأسهل علينا أن نكون في مجموعة كبيرة ولكن هذه كذبة.. إنهم يريدوننا أن نشكل مجموعات كبيرة لسبب ما.. ومن السهل أن نجد شقة لاثنين لذلك نظرت حولي ورأيتك».. قالت كل هذا دفعة واحدة بلهجة تكساسية واضحة.

قلت: «سأود المشاركة لو كنت تودين ذلك»، وقد سررت بمقابلة شخص ما يبدو أنه يعرف شيئًا عن عملية استئجار شقة.

تراجعَت إلى الوراء قليلًا وقفز شعرها البني الطويل على كتفيها ثم قالت: «آه يا إلهي! كل هذه المجموعات تضم فتيانًا وفتيات معًا.. لا تخطئي فهمي أنا أحب الفتيان، ولكني لا أحب أن أتشارك شقة معهم. اسمي «إديسون لوجان».. تطلق على عائلتي إيدي ولكني أعتقد أنني سأستخدم اسمي كاملًا «إديسون» خلال تواجدي هنا في لندن ولكنك تستطيعين مناداتي بأي اسم تريدينه».

قلت ونحن نتصافح: «أنا لِيلي كينتنر».

استغرق منا البحث يومين. ولكننا عثرنا في النهاية على شقة تضم غرفة نوم واحدة في الدور الأرضي بجوار مبنى أنشئ على الطراز الإدواردي ويضم شققًا سكنية في حي «ميدا فيل».. تطلب الأمر رحلة طويلة في مترو الأنفاق من معهد فاونس إنستتيوت ومن دورات إديسون، ولكن الشقة كانت تقع بجوار ألطف حي رأيناه.. أخبرتني «أديسون» بأنه المكان الوحيد الذي رأيناه ولم يجعلها ترغب في الاستحمام على الفور لذلك وافقت.. اتصلت بأبي الذين كان كاتبًا زائرًا في ذلك الفصل الدراسي في مكان ما في ولاية كاليفورنيا لأخبره بأننا استأجرنا شقة في حي «ميدا فيل «فأشار إلى أنني أنيقة للغاية ورشح لي

حانة تسمى برينس ألفريد وأنهى حديثه بالقول: «الشيء الوحيد السيئ في لندن هو كل هؤلاء الطلاب الأمريكيين اللعناء».

اتضح أننا أنا و«إديسون» رفيقتان جيدتان في السكن، ويرجع هذا في الغالب إلى أن جداولنا الدراسية تجعلنا نادرًا ما نرى أحدنا الآخر. وبعد ثلاثة أسابيع تقريبًا من وصولنا بدأت أراها أقل فأقل، لأنها بدأت تواعد زميلًا من تكساس في برنامجها يعيش في شقة في منطقة «كامدن تاون». قالت إديسون: «أعرف أنه من الغباء أن آتي كل هذه المسافة إلى لندن وينتهي بي الأمر بمواعدة فتى من مدينة لوبوك يسمى «نولان» ولكنه فتى لطيف».

قلت: «لا تأسفي».

فقالت: «متى سيأتي صديقك؟ ما اسمه «إريك» أليس كذلك؟ متى سيأتي؟».

أخبرتها فوعدتني ألا تزعجني خلال زيارته.. أكدت لها أن الأمر ليس مهمًّا على أي حال رغم أنني كنت أريد أن تكون «إديسون»، بعيدة عندما يكون «إريك» هنا.. وإلى جانب الانهماك في الأعمال الدراسية في المعهد واستكشاف مكاتب لندن ومتاحفها كنت أقضي الوقت في محاولة اكتشاف طريقة لقتل إريك والإفلات من العقاب.. وكنت متأكدة من أنني توصلت إلى طريقة.

كان الجزء الأول من خطتي يعتمد على طبيعة «إريك» المحبة للتحدي. كنت قد قضيت وقتًا كافيًا في مشاهدته يلعب البلياردو في «سانت دونستان»، لأدرك مدى كراهيته للخسارة.. كان يحاول إخفاء هذا ولكنه حين يخسر خاصة أمام شخص لا يحبه كانت لا يبدي اهتمامه بالأمر ثم يبحث عن طريقة ليلاعب ذلك الشخص مرة أخرى ويفوز عليه.. وفي الصيف الماضي عندما زارني «إريك» في منزلي سألني عن شجرة البلوط الضخمة في الباحة الخلفية للمنزل..

كان إريك قد رأى علمين ملونين مثبتين في جذع الشجرة.. كان أحدهما قد وصل إلى ثلاثة أرباع الشجرة بينما كان الآخر بقرب القمة.. أوضحت لإريك أنه ذات صيف كان الصديق المقرب لأبي منذ الطفولة قد أتى لزيارتنا مدة

شهر وأنهما كانا يتناوبان تسلق الشجرة؛ حيث كان كل واحد منهما يحاول أن يضع علمه في مكان أعلى من الآخر. ولقد استمر الأمر عدة أسابيع ولم ينتهِ إلا عندما سقط أبي الذي كان ثملًا من الفرع الأول ذات ليلة وكسر رسغه. وبعد أن أخبرت «إريك» بهذه القصة عرفت أنه سيحاول تسلق الشجرة. ولقد فعل.. تطلب الأمر عدة محاولات قبل أن يصل إلى مكان أعلى مما وصل إليه أبي أو صديقه المفضل.

قال إريك: «في رأيك بماذا سيشعر أبوك لو وضعت علمي هناك بالأعلى؟».

ضحكت وقلت: «أعتقد أنه لن يبالي على الإطلاق بل سيشعر بأنه شيء مسلٍّ».

فقال: «وأنا لست مهتمًّا أيضًا، ولكن لو فكرت في الأمر ستجدين أنه سيجده ممتعًا».

فسألته: «هل تحب التحدي لهذه الدرجة؟».

عبس في وجهي وقال: «لا أعتقد أنني أحب التحدي. ربما يجب أن تقابلي أخي لتعرفي».

في ذلك الوقت عزوت إنكار «إريك» لحبه التحدي إلى قلة معرفته بنفسه ولكني أصبحت أراه الآن جزءًا من طبيعته الاحتيالية، فهو لم يرغب أن تعرف الناس شيئًا عن رغبته الجامحة في الفوز بأي ثمن.. ولكنه كان يكشف الكثير عن نفسه دون قصد.. وهكذا عرفت جزءًا من نفسه ثابتًا لا يتغير.

لذلك عندما سمعت عن مسابقة الجعة في بوتل أند جلاس - حانة عتيقة تقع في نهاية الشارع الذي أقطن فيه - أدركت أنني استطيع تشجيع «إريك» على المحاولة.. لم يكن من الضروري أن يثمل «إريك»، ليصبح جاهزًا لما أخطط له ولكن هذا سيساعدني كثيرًا.

وصل «إريك» إلى لندن في يوم سبت بارد وممطر.. حزمت «إديسون» التي أوفت بوعدها حقيبتها مساء يوم الجمعة لتقضي بضعة أيام مع «نولان». قالت: «عزيزتي لا بد وأنك متحمسة للقاء حبيبك».

فقلت: «أنا كذلك».

فقالت: «حسنًا حاولي أن تظهري حماستك تلك».

فقلت: «أنا متوترة قليلًا.. لا أعرف السبب ولكني كذلك».

فقالت: «سيتبدد هذا الشعور بعد خمس دقائق من وصوله إلى هنا.. أنتما الاثنان تحتاجان إلى المضاجعة فحسب».. ضحكت وغطت فمها بيدها.

كانت رحلة إريك قد غادرت مدينة نيويورك في الليلة السابقة، وكان من المقرر أن تهبط الطائرة في الثامنة صباحًا تقريبًا.. وكنت قد أرسلت إليه بالبريد الإلكتروني إرشادات تساعده على الوصول إلى شقتي.. لم أكن أكذب على «إديسون»، عندما قلت إنني أشعر بالتوتر.. لم يكن سبب ذلك التوتر هو ما خططت القيام به مع «إريك» ولكني كنت متوترة بسبب الوقت الذي سنقضيه معًا قبل أن يحين موعد تنفيذ الخطة..

كنت أعرف أنه ربما يريد ممارسة الجنس فور وصوله لذلك جمعت قواي حتى استطيع اجتياز هذا الأمر.. أخبرت نفسي بأنه اختبار لأعرف حقيقة شعوري نحو «إريك».. كنت أعلم أن تواجدي معه لن يغير مطلقًا ما أشعر به نحو خيانته لي، ولكني كنت أتساءل عما إذا كان من المحتمل أن يؤدي هذا إلى تغيير خططي حيال إنهاء حياته.. كنت أشك في هذا ولكنها كانت طريقة لأكتشف ما سيئول إليه الأمر.. وإذا سارت كل الأمور حسب الخطة فسوف يتواجد «إريك» في الجوار لاثنتي عشر ساعة أخرى.. يمكنني النجاح.

رن جرس الباب الساعة التاسعة والنصف، وصعدت الدرج الصغير لكي أفتح له.. كان التعب والإرهاق باديين على وجهه بسبب الرحلة، وكان شعره منفوشًا.. تعانقنا وتبادلنا القبل ثم قدته إلى الأسفل إلى شقتي في الدور الأرضي وأريته المكان وقلت: «ربما تكون مرهقًا».

فقال: «أنا كذلك ولكني لا أريد النوم طوال اليوم.. ربما آخذ غفوة ثم يمكننا الذهاب إلى مكان ما».

فقلت: «هناك حانة جيدة في آخر الشارع اسمها بوتل أند جلاس».

قال: «حسنًا دعيني أَنَمْ.. ساعة واحدة على أقصى تقدير إن كنت ستنضمين إليّ».

أخبرته بأن يذهب إلى السرير وأنني سأنضم إليه لاحقًا على أمل أن يغلبه النوم سريعًا.. ولكن بعد أن دخل غرفة النوم وبعد أن قضيت خمس عشرة دقيقة أتمهل في إعداد كوب من الشاي لنفسي وجدتُ أنني أريد بالفعل الانضمام إليه. لم يكن هذا اختبارا فحسب بل طريقة للوداع أيضًا.. دخلت غرفة النوم الصغيرة المعتمة كان إريك يتقلب تحت الغطاء وكنت أستطيع سماع تنفسه بانتظام.. تجردت من كل ملابسي وانسللت وراءه.. اهتز إريك ولكنه لم يستيقظ.. كان عاريًا ولم يجعلني ملمس جسده الدافئ أتراجع عن موقفي على النحو الذي توقعته أن يحدث.. وضعت يدي على صدره القوي ثم اتجهت إلى بطنه المسطحة ولامسته.. سرعان ما أصبح مستثارًا وغمغم «إريك» بشيء لم أفهمه ثم التفت نحوي ببطء.. فضممته إليَّ.. بدأ «إريك» يقول شيئًا ولكني جذبت رأسه لأسفل.. كان شعره غير مغسول ولكن كانت رائحته جيدة.. أرشدته إليّ، ثم جذبت الملاءة والغطاء فوق رؤوسنا ومارسنا الحب داخل هذا الكهف المعتم الخانق.. لم يتكلم أيٌّ منا، فقط كنا نتحرك بإيقاع بطيء وهادئ.

غط إريك في النوم مرة أخرى بعد أن انتهينا وابتعدت عنه ووضعت الملاءة حول خصري.. كان الهواء البارد يبدو لذيذًا على جذعي العاري وجسدي المغطى بالعرق.. فكرت فيما خططت لأفعله بـ«إريك» تلك الليلة وحاولت الشعور بالاستياء نحوه.. قارنته بـ«شيت» الذي أراد ممارسة الجنس معي، بينما كنت طفلة ولكن «شيت» على الأقل لم يتظاهر بأنه يحب أي شخص.. «إريك» أسوأ منه بمراحل عديدة فإنه يمضي حياته يأخذ ما يريده فقط ويجرح الأشخاص الذين يحبونه.. لقد أغدقت عليه حبي ومنحته حياتي وعاملني بازدراء.

استيقظ إريك مشوشًا وجائعًا بعد الظهر بقليل.. تحمم وارتدى ملابسه وذهبنا لاستكشاف المنطقة المجاورة.. أخذته إلى مكان يقدم الوجبات الجاهزة واشترينا ساندويتشات ومشروبات وأخذناها إلى حديقة صغيرة تسمى «ريمبراندت جاردنز»، تقع بجوار قناة مائية صغيرة.. كان المطر قد توقف ولكن كانت السحب الكثيفة تملأ السماء المكفهرة، وكانت قطرات الماء تقع من الأشجار وتصنع بركًا صغيرة في كل مكان.. وضعت سترتي على مقعد خشبي وجلسنا لنتناول الساندويتشات.. ولقد أنهيناها قبلما يبدأ مطر خفيف في الوقوع على أوراق الأشجار فوقنا.. قلت: «آسفة بشأن الطقس».

فقال: «إنه طقس مناسب للذهاب إلى الحانة».

قلت: «هل أنت مستعد لتناول مشروب؟ حانة بوتل ليست بعيدة عن هنا. ولكن لا تجرب تحدي الجعة لديهم.. هذا كل ما أطلبه منك».

فسألني: «ما هذا التحدي؟».

كان هذا كل ما يجب علي فعله.. عندما وصلنا إلى حانة «بوتل أند جلاس»، والتي كانت عادية وبسيطة بمقاييس لندن فلم تحتوي إلا على مقاعد خشبية ولم يكن هناك سجاد على الأرضية.. قرأ إريك عن تحدي الجعة ورأى أسماء الذين نجحوا فيه..

ومن أجل أن يخلد المرء اسمه على جدران حانة «بوتل» كل ما يجب عليه فعله هو أن يشرب خلال خمس ساعات على الأكثر نصف لتر من كل برميل من البراميل العشرة الموجودة في الحانة التي وضعوها صفًا واحدًا وراء البار. وهناك مراقبة على الذهاب إلى المرحاض لكي لا يقوم أحد بالتقيؤ.. أخبرني إريك بأن هذا لا يبدو صعبًا.. كنت قد فكرت في نفس الأمر وذكرته لـ«ستيوارت» الساقي في تلك الحانة في الأسبوع السابق.. فأخبرني «ستيوارت» بأن مجموعة الجعة التي تضم بورتر والجعة الداكنة وبيلسنر وجعة عصير التفاح تركيبة قوية، وأن الأمر أكثر صعوبة مما يبدو عليه.. وأخبرني بأنه رأى العديد من الأشخاص الأقوياء يعلنون استسلامهم أو يتقيؤون قبل النهاية.

قال «إريك» لي وللساقية، التي كانت سيدة كبيرة في السن لم أكن قد رأيتها من قبل: «سأقوم بهذا».

فقلت: «حقًّا؟ إريك؟»، بينما قالت الساقية: «حسنًا يا حبي»، وقدمت استمارة اشتراك ثم قالت: «اكتب اسمك هنا بجوار المكان المكتوب فيه «ابدأ واكتب الوقت وسوف أبدأ.. وعندما تنتهي من الكوب العاشر كل ما يجب عليك فعله هو العودة إلى ذلك البار وكتابة اسمك في النهاية ثم يعود الأمر بيدك.. يفقد معظمهم الأكواب الأخيرة في المرحاض».

أخذت أتظاهر بالتذمر قليلًا، ولكني كنت أعلم أن «إريك» لن يغير رأيه.. كانت الجعة الأولى من نوع فولرز إي إس بي وانضممت إليه.. أخذنا نتناول الجعة على طاولة في أحد الأركان.. قال «إريك»: «أنا في إجازة» ثم ابتلع كمية كبيرة.

فقلت: «لا أريد أن يصيبك شيء وأنت هنا».

فقال: «لن يحدث شيء.. عشرة أكواب كبيرة خلال خمس ساعات.. لا مشكلة».

بقيت ثلاث ساعات ونصف الساعة.. كان من الواضح أن إريك عاقد العزم على إنهاء التحدي، ولكنه كان يتناول الكوب السابع من جعة بورتر ببطء ملحوظ.. قال إريك: «أنا أكثر امتلاءً من أي شيء».. كان صوته أجشًا، وهو يتكلم، ربما كان ذلك بسبب إرهاق السفر وتناول الجعة.

قلت: «لنوقف هذا الأمر لقد سئمت من الجلوس في هذه الحانة».

فقال وهو ينظر حوله: «لا استطيع التوقف بعد أن وصلت إلى هذه المرحلة».. لاحظ بعض سكان المدينة الذين ظهروا وقت التحدث عن التوقف محاولة إريك لاجتياز التحدي وتخليد اسمه على الحائط.. كنت أعرف أن «إريك»، سوف يستمر بغض النظر عما يمكن أن يحدث.

فقلت: «إذن سأغادر.. أنا أتضور جوعًا ولا أريد الاستمرار في تناول شرائح البطاطس المقلية.. سآتي بطعام هندي جاهز وأتناوله في الشقة».

فقال: «أنا آسف لِيلِي».

فقلت: «لا تأسف.. استمتع بوقتك.. وحاول ألا تتقيأ على البار وسوف أراك خلال ساعتين.. هل تعرف طريق العودة؟».

فقال إريك: «نهاية الشارع أليس كذلك؟».

غادرت.. كان ذلك وقت الغسق وكانت السماء تصطبغ باللون الأرجواني الداكن وكان هناك ضباب رقيق في الهواء.. ذهبت مباشرة إلى المطعم الهندي الصغير الذي كنت قد ذهبت إليه مرات عديدة من قبل.. طلبت طبق روجان جوش (قطع لحم وصلصة وكاري) وطبق دجاج، بالإضافة إلى زجاجة كوكاكولا لأشربها خلال انتظار إعداد الطعام.. سألت بينما كان مالك المطعم يبلغ طلبي بالهاتف: «لا مكسرات في طبق روجان جوش؟» كنت أعرف الإجابة، ولكني كنت أريد تسجيلًا صوتيًّا من خلال السؤال.

«لا مكسرات في طبق روجان جوش ولكن هناك كاجو في طبق الدجاج».

«حسنًا.. أعرف.. شكرًا».

أخذت حقائب الطعام وعدت إلى الشقة.. وتركتها على الطاولة الخشبية الصغيرة في المطبخ وذهبت إلى غرفة النوم لأفحص حقيبة إريك بعناية. كان إريك قد أحضر عددًا من أطقم ملابس الخروج وكتاب «كن الأفضل في وول ستريت» (One Up on Wall Street) للمؤلف بيتر لينش وطقم رياضي للجري.. وكان إريك يضع اثنين من قلم إيبنفرين[1] داخل علبة ساندويتشات بلاستيكية بداخل جيب داخلي مغلق بزمام منزلق..

كان يجب أن يحمل «إريك» معه أحدهما كنت قد أخبرته ذلك مئة مرة من قبل ولكني كنت أعرف أنه لن يفعل.. كان إريك يعاني من حساسية شديدة من المكسرات، ولكن كان غروره يمنعه من حمل هذه الأقلام الطبية معه.. قال إريك: «ما الذي يفترض بي فعله؟ هل أضعها في حقيبة حول خصري؟» أقنع إريك نفسه بأنه لن يتناول أبدًا أي شيء أمام الناس يحتمل أن يكون

---

(١) جهاز طبي صغير يشبه القلم يستخدم لإعطاء جرعة من الإيبنفرين لعلاج الحساسية

فيه مكسرات حتى لو كان احتمالاً ضعيفًا.. أخذت الأقلام الطبية ووضعتها تحت مرتبة السرير ثم عدت إلى المطبخ.. كنت جائعة فتناولت بعض الطعام الهندي من العلب مباشرة قبل أن أفرغ علبة الدجاج في طبق كبير.. أخذت أوزع الدجاج والصلصة الصفراء اللون بشكل متساوٍ وأخرجت كل حبات الكاجو بشكل منظم ووضعتها في هاون حجري كنت قد وجدته في أحد الأرفف الممتلئة في المطبخ..

وعندما تأكدت من عثوري على كل حبات الكاجو جئت بالمدق وطحنت نصفها وجعلته مسحوقًا ناعمًا ثم وضعت المسحوق في طبق الدجاج وخلطته جيدًا وأعدت كل شيء إلى العلبة.. أخذت الكاجو الباقي ووضعته في منشفة ورقية مطوية وأخفيته وراء التوابل في الثلاجة.. غسلت الهاون والمدق، بالإضافة إلى الطبق وأعدتهم حيث وجدتهم.. ووضعت علب الطعام الهندي في الثلاجة الصغيرة.. كان طبق الدجاج أحد الأطباق المفضلة لدى «إريك» وكان المطعم الذي نشتريه منه في مدينة نيوتشيستر لا يضع فيه مكسرات مطلقًا.. لقد أصبح المسرح معدًّا.. كل ما يجب على القيام به الآن هو الانتظار.

حاولت قراءة رواية (Gaudy Night) ولكني لم استطع التركيز.. لم أكن أشعر بالقلق ولكني أردت الانتهاء من الأمر.. كان «إريك» قد بدأ تحديه في الساعة الواحدة والنصف تقريبًا لذلك سينتهي بطريقة أو بأخرى في السادسة والنصف تقريبًا.. وفي الساعة السادسة والربع تقريبًا سمعت ضجيج جرس الباب.. تحركت بسرعة نحو الباب وأنا أتساءل عما إذا كان «إريك» قد استسلم.. ولكن عندما وصلت إلى الباب الأمامي وفتحته وجدت «إديسون».. كانت تبكي وذراعاها تهتزان لأعلى وأسفل، وهي تبحث عن المفاتيح في محفظتها.

الفصل الثالث عشر

تيد

في السنة الأولى لي بمدرسة «دارتفورد ميدهام هاي سكول» الثانوية، طلبت من فتاة بالصف الثاني تدعى «ريبيكا راست» حضور الحفل الراقص لطلاب العام الأول معي.. «ريبيكا» تلك الفتاة الشقراء ذات الشعبية في المدرسة التي تعرفت عليها أثناء عملنا معًا في الصحيفة المدرسية.. بدت سعيدة بدعوتي لها، على الرغم من معرفتي أن اهتمامها الأكبر بالفتية لاعبي الأسطوانات في الحفل.. ولكن لا بأس، فكل ما كنت أبحث عنه ذلك اليوم هو المواعدة.

ولكني وقبل موعد الحفل بأسبوع التقيت بـ«ريبيكا»» مصادفة، في واحدة من حفلات الجعة المقامة بواحدة من القواعد العسكرية المهجورة بجوار المدينة. كنت أسمع عن تلك الحفلات، ولكني لم أحضر أيًا منها من قبل. وجدت مئات من الطلاب هناك تاركين سياراتهم في الساحة الأسفلتية القديمة المتهالكة المخصصة لذلك، يتزاحم الصغار سيرًا هنا وهناك حول التل المنحدر على الجانب الجنوبي من المباني هناك. أحضر معظم الصغار معهم علب مشروبات من بقايا والديهم في المنزل، أو اشتراها الأخوة والأخوات الأكبر منهم عمرًا.. أتيت مع «آرون»، صديقي المقرب والذي يشبهني، فهو لا يتمتع بشعبية ولكنه ليس منبوذًا كذلك. صدمنا المشهد الذي وجدنا فور وصولنا وقبل حتى نزولنا من السيارة، وشعرنا كذلك بالحرج؛ لأننا لم نحضر معنا أية مشروبات كحولية.. ولكني لمحت «رييكا» تخرج من سيارة مكشوفة برفقة عدد

من صديقاتها، فأقنعت نفسي أن على إلقاء التحية على الأقل على الفتاة التي سترافقني الحفل الراجل في الأسبوع المقبل.

ولدهشتي، بدا أنها فرحت كثيرًا لرؤيتي، وأمضينا معظم الحفل معًا نحتسي الجعة الدافئة ونستكشف القاعدة العسكرية المهجورة. صعدنا إلى سطح مهجور عبر سلم حريق صدئ، واستلقينا محلقين في السماء إلى النجوم التي بدت تتراقص وغير واضحة بفعل الجعة، ثم بدأنا في تقبيل بعضنا البعض..

إنها ليلة ربيعية دافئة ارتدت فيها «ريبيكا» قميصًا قصيرًا يكشف عن بطنها وتنورة قطنية قصيرة، وتركتني ألمسها في كل مكان، ولكنها عند مرحلة ما همست لي أن علينا أن نهدأ إلا لو كان معي واقٍ ذكري.. لم يكن معي، ولكني حين استلقيت في فراشي في وقت لاحق ذلك المساء قررت أن عليَّ شراء واقٍ ذكرى في أسرع وقت ممكن وقبل حفل الرقص حتمًا على وجه التحديد.. كم بدت فكرة منعشة، ولكن الأكثر إنعاشًا منها أنه أصبح لدي حبيبة للمرة الأولى.

مساء يوم الحفل أقليت «ريبكا» من منزل والديها المتواضع بجوار بحيرة «ميدلهام»، وبينما نظرت والدة «ريبكا» إليّ بنظرات متفحصة كمن يلتقط صورة لي، استند والدها إلى سيارته موديل «دودج دارت» مدخنًا سيجارة رامقًا إياي بنظرات باردة من أسفل الكاب الذي يرتديه ويسدله على عينه. سعدت حين أصبحت أنا وهي أخيرًا في أمان داخل سيارتي وفي طريقنا للحفل بفندق «هوليداي إن»، ارتدت «ريبيكا» فستانًا أزرق خفيفًا كاشفًا بحمالات من الرقبة.. صففت شعرها على شكل جديلة فرنسية، وفاحت منها رائحة الفانيليا.

وعلى الرغم من شعوري بقدر من التوتر مضت الساعات الأولى من الحفل على ما يرام، كانت «ريبكا» متحدثة جيدة وودودة، تناولنا كوردن بلو الدجاج ورقصنا معًا مرات عدة.. وخلال واحدة من الرقصات الهادئة قبلت «ريبكا»

بلطف من جانب رأسها، فجذبتني نحوها أكثر، وفكرت حينها في الواقي الذكري الملفوف بعناية إلى جوار رخصة القيادة بمحفظتي.

عشرون دقيقة قبل موعد انتهاء الحفل وفسدت كل خطتي، ذهبت إلى الحمام وحين عدت وجدت «ريبكا»، قد تركت طاولتنا، ولمحتها في نهاية قاعة الرقص تستند إلى الحائط تتحدث إلى طالب في السنة الأولى أعرف أن اسمه «بيل جونسون»، يلعب في الظهير الخلفي بفريق المدرسة لكرة القدم.. تسمرت في مكاني، وشعرت ببرودة تسري في أوصالي، وبدلًا من الذهاب إليهما عبر القاعة الصاخبة لمواجهتهما، عدت أدراجي إلى طاولتي، ومن هناك كان في مقدوري رؤية «ريبكا» تعانق «بيل» ويتبادلان القبلات ثم يغادران الحفل سويًا.

في مساء يوم الاثنين التالي قابلت «ريبكا» في ردهة المدرسة، واعتقدت أنها مدينة لي باعتذار على وشك أن تقدمه، إلا أنها تجاهلتني تمامًا وأشاحت بنظرها بعيدًا عني.. وأدركت في تلك اللحظة أنها، و«بيل»، دون شك قد مارسا الحب تلك الليلة. لا أدري هل كان الأصعب أم الأسهل على أن عددًا قليلًا من الطلاب كانوا على علم بتلك الإهانة التي تلقيتها ليلة الحفل، ولكني متأكد من أن «ريبكا» لو كانت اعتذرت عما بدر منها على الأقل لسارت الأمور بشكل مختلف.

كبحت غضبي ورغبتي العارمة في الانتقام لأكثر من عام، فأنا لست بذلك الأحمق الذي سينتقم بشكل فوري فيثير حوله الشكوك، كان ولا بد أن أترك فسحة كافية من الزمن ليمر الأمر.. ركزت في السنة النهائية على الحصول على أعلى درجات ممكنة، مطأطئًا رأسي، متجنبًا التعرض لأية مواقف مهينة مشابهة.. تم قبولي في جامعة «هارفارد»، وهو الأمر الذي أدهش حتى أساتذتي، وعلى الرغم من أن ذلك كان أفضل انتقام منها، إلا أنني كنت لا أزال أرغب في أن تدفع «ريبكا» ثمن إهانتها لي.. في الواقع، كنت أبحث عن وسيلة لإهانتها بنفس الطريقة التي أهانتني بها، ولكن لم أتوصل لها، ولذلك فقد جنحت إلى الخيار الثاني وهو أن أخيفها، أن أخيفها للغاية حتى تجف الدماء في عروقها.

قبل التخرج بأسبوع أوقفت سيارتي موديل «فورد إيسكورت» في نهاية ساحة انتظار سيارات كبيرة خاصة بمتجر خمور «آرنيز ليكورز» في ظهيرة يوم غير مشمس، ثم ترجلت عابرًا غابة صغيرة تقود إلى الجهة الخلفية من منزل السيد «راست».. وإذا كان هناك من رآني حينها فقد رأى فتى يرتدي سترة رياضية قطنية وكاب بيسبول، وهو اللبس الذي لا أرتديه عادة، ولكن لم يرني أحد من الأساس.. كنت قد أحضرت معي عتلة في حقيبة ظهري لتساعدني على فتح الباب الخلفي للمنزل، ولكني وجدته مفتوحًا بالفعل، والذي كنت أعلم أنه لا أحد يتواجد فيه حينها. فالسيد «راست» قد ترك المنزل منذ عدة أشهر والسيدة «راست» تعمل في فترات صباحية بصيدلية «سي. في.إس».. وكنت أعلم، أو ربما كنت آمل، أن تعود «ريبكا» إلى المنزل بمفردها بعد انتهاء موعد المدرسة في الساعة الثالثة، فاختبأت في خزانة الملابس بغرفة نومها وانتظرت.

وحين أفكر في الأمر الآن يمكنني استشعار مزيج من مشاعر الرعب والإثارة، اللذين شعرت بهما في تلك اللحظة في ذلك المكان المظلم، وملابس «ريبكا» تخشخش من حولي، وأنا أضع قناع التزلج فوق وجهي، والذي جعلني بدأت في التصبب عرقًا.. فتحت باب الخزانة قليلًا وكنت قادرًا على سماع صوت سيارتها تقف عند الباب الأمامي للمنزل، ثم سمعتها إيقاع خطواتها على الدرج صاعدة لأعلى.. ذهبَتْ إلى الحمام أولًا ومكثت به مدة بدت لي طويلة، ثم سمعت صوت شدها لسيفون الحمام، قبل أن تدخل إلى غرفة نومها، تدندن بصوت هادئ. كان قلبي يتقافز عاليًا بين أضلعي، لدرجة جعلتني أشك أنها ربما تكون قادرة على سماع دقاته..

كنت أخطط للقفز عليها فجأة من الدولاب مرتديًا قناعي، ولكني لم أعد في حاجة إلى ذلك.. فقد توجَهَت مباشرة صوب خزانة ملابسها لتفتح بابها. خطوتُ تجاهها خطوة، حاملًا المقص في يدي، وفي اليد الأخرى شريطًا لاصقًا.. فغرت فاها محاولة الصراخ عاليًا، ولكن لم يصدر عنها أي صوت.. رأيتها وقد شحب وجهها تمامًا، وكنت على يقين أنها على وشك السقوط مغشيًا

عليها، ولكنها بدلًا من ذلك استدارت في محاولة الهرب.. عرقلتها من الخلف، لأدرك أنها كانت عارية تمامًا فيما عدا ملابسها الداخلية..

أسقطتها أرضا وتمكنت من لف الشريط اللاصق حول رأسها وفمها أولًا، ثم بعد ذلك حول يدها وكاحلها.. لم يكن ذلك بالأمر السهل، فقد تلقيت عدة ركلات ولكني تمكنت من منعها من إصدار أية ضوضاء، ولم تتمكن من معرفة هويتي. بعد أن تم إحكام السيطرة عليها، قمت بجرها إلى خزانتها وقبل أن أغلق الباب عليها مررت بحافة المقص الحادة من فوق رقبتها. فأغمضت عينيها بشدة في خوف، بينما تنهمر منهما الدموع. بينما شممت رائحة بول نفاذة.

ألقيت بالمعطف، والقناع، والمقص والعتلة مع حقيبة ظهري داخل صندوق قمامة ضخم خلف متجر الخمور.. وتوجهت بسيارتي صوب المنزل وبداخلي مشاعر مختلطة ومتبادلة بين الرضا لانتقامي من «ريبكا» على الإهانة التي سددتها لي، والخجل من نفسي على مبالغتي في ذلك الانتقام.. استمرت تلك المشاعر طيلةٍ فصل الصيف، ولكن حل محل شعوري بالخجل الشعور بالخوف من أن أمسَك بفعلتي.. سيفتضح أمري أمام الجميع، وسأذهب حينها إلى السجن ولن أذهب إلى «هارفارد».. ولكن الشرطة لم تظهر على الإطلاق، واستمر تقدم الصيف وبدأت في الشعور أنني سأفلت بالأمر.. سمعت عن الحادثة مرة واحدة فقط من صديقتي النمامة «مولي»، التي أخبرتني قائلة «أنت تعرف «ريبكا راست، أليس كذلك؟ تلك الفتاة التي حضرت معها الحفل الراقص لقد تم الاعتداء عليها في منزلها وتقييدها وتركها في خزانة ملابسها».. وقد ظن الجميع أن الفاعل هو والدها ذلك المعتوه غريب الأطوار الذي يعمل في محطة البنزين. هذا كل ما وصلني عن الحادث.

لازلت أحلم بـ«ريبكا راست»، وفي تلك الكوابيس - وهي قطعا كوابيس- تموت «ريبكا» في الليلة التي قيدتها فيها وتركتها في الخزانة.. يقتلني الشعور بالذنب في تلك الأحلام، ويسيطر على الخوف من أن يتم الإمساك بي ولا استطيع أن أتذكر مطلقًا هل كنت أتعمد قتلها أم أن كل ما أردته هو إرعابها

فقط.. ولكني على أية حال قاتل، وظل ذلك الأمر يلقي بظلاله على حياتي بأسرها.

في صباح يوم الجمعة التي كانت ستطير فيه «ميراندا» إلى شاطئ «ميامي» لحضور إحدى حفلات توديع العزوبية، استيقظت، وقد راودني واحد من تلك الأحلام المزعجة.. كنت بمفردي في الفراش، تمددت هناك لدقيقة بينما تتسارع بعض لقطات من الحلم في رأسي. في بداية الأمر، ظننت أنه حلم عن «ريبكا راست»، ولكني أدركت بعد ذلك أن الشخص الذي قتلته في الحلم كان «ميراندا»، وأنني قمت باحتجازها في خزانة ملابس «ريبكا» لتلقى مصرعها هناك.. تذكرت بعض اللقطات الأخرى من الحلم، وهي أنني في جنازة لا ينظر فيها أحد نحوي، وشعور مريع داهمني بأنني قد نسيت إخفاء الجثة، ولقطة لأبي والماء يتساقط من أنفه، ولقطة أخرى لحقل واسع أحفر فيه بجنون.. وللحظة مريعة، ظننت أنها لم تكن لقطات من حلم ولكنها من ذكرياتي الأخيرة.

لقد راودني هذا الشعور من قبل، دائمًا ما يراودني وأنا في حالة بين النوم واليقظة- شعور موحش بأن ما كنت أحلم به، ليس حلما بل الواقع، وأنني قد تحولت إلى قاتل وأنها ليست سوى مسألة وقت حتى ينكشف أمري للجميع.. نفضت كل تلك الأفكار عن رأسي مغادرًا الفراش وأمسكت بهاتفي الموجود على الطاولة الصغيرة إلى جواري.. لقد تجاوزت الساعة الثامنة وأنا في العادة لا أنام إلى هذا الوقت المتأخر.. تذكرت أن خدمة السيارات سوف تصل في تمام الثامنة والنصف لتقل «ميراندا» إلى «لوجان»، ارتديت بنطالًا من الجينز وسترة قطنية ونزلت إلى أسفل.

«مرحبًا أيها الكسول».. قالت لي حين وجدتها في غرفة الطعام الرسمية جالسة على الطاولة العتيقة الطويلة وإلى جوارها أمتعتها.. كانت ترتدي فستانًا أزرق قصير وعليه زوجين من الأحذية الطويلة من طراز «كاوبوي» ومنهمكة في شيء على هاتفها.

«ألا تشعرين بالبرد وأنت ترتدين ذلك؟».

نظرت إلى أعلى قائلة «أجل ولكن ليس لوقت طويل فسوف أطلب من السائق أن يشغل المدفئة على درجة حرارة ميامي».. أغلقت هاتفها وقامت بوضعه في حقيبتها ثم نهضت واقفة، «ماذا سوف تفعل وأنا بعيدة عنك؟».

«أولًا، أنت دائمًا بعيدة عني فهذا ليس بالأمر الجديد، ثانيًا ليس لدي ما أفعله سوى العمل».

«عليك أن تتناول العشاء مع «ماك»، أنا متأكدة من إنه في مكان ما هنا».

«في الواقع إنه ليس هنا، إنه في جنازة عمته، وقد أخبرتك بذلك ألا تذكرين؟ سوف أخرج لحم الحَمَل من المبرد وأعد عشاءً خاصًا من أجلي بمفردي».

«تناوله كله رجاء، لقد أخبرتني «سيزي» أننا سنتناول العشاء معًا في مطعم «جويز ستون كراب» الليلة».

حملتُ حقائبها إلى الخارج، مقاومًا رغبتي في التعليق على مدى ثقلها بالنسبة لرحلة لثلاثة أيام فقط.. حدقت «ميراندا» من النافذة المطلة على الباب الخارجي قائلة «لقد وصلت الليموزين» ثم جذبتني لعناق حميم غير معتاد قائلة «سوف أفتقدك يا تيدي».

«كم تبلغ المدة التي ستفتقدينني فيها على وجه التحديد؟».

«لا تمزح يا تيدي، تعلم أنني سوف أفتقدك حقًا فأنت زوجي الرائع».

«سوف أفتقدك أنا أيضًا»، محاولًا إرغام صوتي على حمل أية مشاعر. الطريقة التي كانت تتصرف بها «ميراندا» جعلتني أشك في أن أمر حفل توديع العزوبية كان شيئًا من اختلاقها، هل هي ذاهبة إلى «ميامي» للقاء «براد» هناك؟

فتحت «ميراندا» الباب الأمامي، وقفز السائق من سيارته صاعدًا بخفة على الدرج لحمل حقائبها وتبعته إلى السيارة وتسببت رياح قوية في رفع حافة فستانها. استدارت لتلوح لي وبدت شاحبة وبردانة في ملابسها غير الكافية..

قبل أن أغلق الباب أخرجت نظارتها الشمسية الضخمة من حقيبتها وارتدتها ثم ألقت إلى بقبلة في الهواء.

لم أكن أخطط لليوم الذي أمامي، كان على إجراء بعض المكالمات، ومراجعة بعض البيانات، ولكن ذلك سوف يستغرق نصف الصباح فقط. صنعت لنفسي فنجانًا من القهوة وذهبت إلى حاسوبي.. قمت بالبحث عن اسم «لِيلي هايوارد» على جوجل لمئات المرات ولكني لم أحصل على نتائج تشبهها أو تتعلق بوظيفتها في كلية «ويسنلو كوليدج»، بحثت عن مدينة «وينسلو» وعرفت الطريق إليها من منزلي على خريطة جوجل، تحديدًا إلى مطعم في منتصف المدينة يبدو جيدًا..

ماذا سوف يضير إذا ما توجهت بسيارتي لتناول الغداء هناك؟ سيكون نهارًا خريفيًا جميلًا من أيام شهر أكتوبر بعد صيف حار طويل.. يمكنني التمشية، وتناول الطعام، وأخذ جولة في المدينة التي عاشت فيها «لِيلي» وإذا ما قابلتها -على الرغم من ضعف احتمال حدوث ذلك- ماذا سيكون الضرر؟ لن نحتاج لإلقاء التحية على بعضنا البعض، وإذا ألقيناها ما الاختلاف الذي سيقع؟

أنهيت عملي وتحمّمت ثم ارتديت ملابسي، وقررت وأنا في المرآب أن أذهب بسيارتي البورش ١٩٩ موديل ١٩٧٦ والتي ابتعتها عقب أول صفقة كبيرة لي بدلًا من سيارتي «الآودي».. تجنبت طريق «بايك»، وقدت باتجاه النهر، متخذًا طريق «ستورو درايف»، كان النهر مليئًا بممارسي رياضة التجديف الذين يتدربون استعدادًا لسباق «هيد أوف تشارليز» بنهاية الأسبوع.. كان يومًا مثاليًا، لولا تعكر صفو السماء بفعل أدخنة الطائرات المحلقة فيها.. حدقت لأعلى مفكرًا فيما إذا كنت أرى آثار الطائرة التي تقل زوجتي إلى فلوريدا.

ومن طريق «سترو درايف» انتقلت إلى طريق «سولدرز فيلد رود»، ثم شققت طريقي عبر طريقيّ «والثام» و«نيوتاون»، حتى وجدت «بوسطن بوست رود»، ثم توجهت غربا عبر الضواحي المؤدية إلى مدينة «ويلسون».. وفكرت وأنا أنقل السرعات في سيارتي البورش القديمة لِمَ اشتريت سيارتي الآودي بناقل حركة أوتوماتيكي؟ وقررت أن سيارتي القادمةَ، سوف تكون نموذجية تقليدية.

قدت عبر الشارع الرئيسي في قلب مدينة «وينسلو»، باحثًا عن مكان لركن سيارتي في المدينة، التي وجدتها لدهشتي صاخبة ومزدحمة.. كان الطلاب يعبرون الشارع في أعداد ضخمة، أغلبهم من الفتيات اللاتي يرتدين الجينز والأحذية العالية ويعقصن شعورهن إلى الوراء على شكل ذيل حصان..

وبينما كنت أنتظر الكثير من المجموعات لعبور الطريق حدقت صوب البوابات المعدنية المؤدية إلى الحرم الجامعي.. وتمكنت من رؤية ثلاثة مبانٍ منخفضة من الطوب يحدها عشب مشذب بعناية شديدة، وصف من أشجار البلوط ميز الطريق نحو الحرم الجامعي.. هل تتواجد «لِيلِي» في واحدة من تلك البنايات التي أمامي؟ هل هي من النوع الذي يجلب الغداء معها لتتناوله في مكتبها أم تذهب إلى قلب المدينة لتناوله هناك؟ إنه يوم الجمعة على أي حال، في يوم مشمس من أيام شهر أكتوبر.. أطلقت سيارة من خلفي نفيرها فتحركت بسيارتي البورش من الشارع الرئيسي إلى شارع جانبي بحثًا عن مكان للوقوف ولمحت واحدًا هناك بالفعل، ثم عدت سيرًا على الأقدام نحو مجموعة من المطاعم كنت قد مررت عليها سابقًا.. وجدت المطعم الذي قرأت عنه على جوجل هناك وكان اسمه «كارفري»، ولكني اخترت مطعمًا آخر اسمه «يلسون» مزود بمساحة طاولات خارجية في مواجهة كل من الشمس المشرقة وأبواب الحرم الجامعي..

طلبت من النادلة مشروب «بلودي ماري» مع سلطة «كوب»، وأخذت أراقب المارة.. حمَلَت الطالبات على وجوههن نظرة النسويات الجادة المبهمة، كما حملن فوق ظهورهن حقائب بدت لو كانت دخلت في احتكاك مع أحد لاعبي كرة القدم. أما غير الطالبات فكنّ مثل ربات المنازل في منتصف العمر، خرجن من أجل التبضع أو لتناول الغداء، يرتدين وشاحات صناعة منزلية وملابس واسعة تخفي أردافهن من تحتها.. رأيت كذلك أنماط قليلة من أساتذة الجامعات تمثلوا في بعض الرجال المميزين بقصات شعر سيئة ويرتدون جواكت خشنة، وسيدات كما لو كن النسخة الأكبر عمرًا من الطالبات.. ولكني لم أرَ ماري..

وبعد أن أنهيت الغداء وطلبت كأسًا آخر من «بلودي ماري»، تمشيت صوب حرم «ويلسون» الجامعي.

كانت كلية لطيفة، ينحدر حرمها بعيدًا بشكل لطيف عن مركز «وينسلو» تجاه بحيرة محاطة بممرات للتمشية. جلست لفترة على مقعد خشبي في الحدائق النباتية، المتاخمة لمعهد الموسيقى ذي السطح المرتفع.. لم يكن هناك أحد من حولي، وتخيلت أن يكون هذا هو نوع الأماكن الذي تفضله لِيلي لتناول غدائها فيه. ربما على هذا المقعد الذي أجلس عليه تحديدًا.. بقيت جالسًا في مكاني حتى تراكمت السحب وحجبت الشمس وتحول الطقس فجأة إلى البرودة.

كنت قد نسيت إعادة سداد رسوم وقوف سيارتي لفترة أخرى عقب الغداء فوجدت مخالفة وقوف خاصة بمدينة ويلسون تنتظرني أسفل سيارتي البورش وقيمتها خمسة عشر دولارًا. دسستها في جيبي ودلفت إلى السيارة وشعرت فجأة بالتعب فاتخذت طريق «بايك» مباشرة إلى «بوسطن»، وما أن وصلت إلى المنزل حتى تلقيت رسالة من «ميراندا» تخبرني فيها عن سلامة وصولها إلى ميامي وأن الحفل قد بدأ.. قمت بالرد عليها، ثم توجهت إلى حاسوبي لتفقد بريدي الإلكتروني.. لم أكن في حاجة إلى العمل، فَسوقُ البورصة الذي عانى من الكساد لسنوات قد بدأ في الانتعاش، والمؤشر الخاص بأسهمي على خير ما يرام، وما كان العمل إلا مسألة ملء لوقت فراغي.

رسالة أخرى من «ميراندا» تقول: لا تنس إخراج لحم الحمل من المبرد.

أرسلت لها شكري على تذكيرها لي.

كنت بالفعل قد نسيت، فتوجهت إلى المطبخ بالطابق السفلي وأخرجت قطع اللحم من المبرد ووضعتها تحت المياه لأخلصها من التجمد.. بدت رسالة «ميراندا» غريبة بالنسبة لي، كانت طريقة وداعها لي شديدة العاطفية.. هل كانت مُقدِمَةً على أمر بالغ الشر؟ أم أنها ربما تكون قد قطعت علاقتها

بـ«براد»، ونادمة على ما فعلت؟ حتى لو أن هذا هو الحال، فإنه لن يمحو جريمة الخيانة التي اقترفتها بالفعل.

توجهت إلى خزانة الخمور واخترت نوع «أولد ورلد سيراه»، الذي يتناسب مع عشاء الليلة، فتحت الزجاجة وصببت بعضًا منها.. بدأت قطع اللحم في التحول من حالة التجمد إلى الليونة، فتركتها في الوعاء البلاستيكي في المياه الباردة وصعدت إلى أعلى إلى غرفة المعيشة.. لم أطلع على الصحف ذلك اليوم فجلست على مقعد جلدي وأخذت في تصفحها وأنا أحتسي بعض النبيذ.. وبعد فترة وضعت الجريدة جانبًا، وأخذت أفكر في «ميراندا» و«براد» و«لِيلِي»، وكل ما حدث وما هو على وشك الحدوث، منذ أن التقيت بـ«لِيلِي»، ذلك اليوم في المطار في لندن. أخذت لا إراديًا أفكر في ذلك الحلم المزعج الذي راودني هذا الصباح، وهذا الشعور البشع أنك بمجرد قتلك لأحدهم لا يمكنك إصلاح ما اقترفت وإعادته للحياة ثانية. حيث لن تتمكن من الاستيقاظ من النوم محدثًا نفسك أنك ربما اقترفت كل أنواع الخطايا في حياتك، ولكنك لست بقاتل فلا داع للانزعاج. ثم أدركت فجأة أن في مقدوري وضع نهاية لخطتي لقتل «ميراندا» و«براد»، وأنني اتخذها وسيلة للاقتراب من «لِيلِي»، وأنه ليس على بالضرورة قتلهما للوصول إلى ذلك الهدف..

حيث يمكنني ببساطة أخبار «ميراندا»، أنني أرغب في الحصول على طلاق منها، وأبعث برسالة إلكترونية إلى «لِيلِي» أسألها فيها، إن كان لديها الوقت لقبول دعوتي على العشاء.. وليس هناك مخلوق آخر على وجه الأرض سيعلم بشأن الخطة التي وضعناها. وحينها سوف تحصل «ميراندا» على «براد»، وأحصل أنا على «لِيلِي»، وسوف تستمر الأرض في الدوران.. طالما كنت بارعًا في تحقيق المواءمات، وأعلم أنه في مقدوري وضع كل مشاعري بالخزي والغضب مما فعلته «ميراندا» داخل صندوق خاص وأغلقه إلى الأبد.. سوف أوكل أمر زواجي إلى محام، نصف ثروتي سيكفيني وأكثر.. غمرتني مشاعر الراحة، بدا الأمر أشبه باستيقاظي من حلم وإدراكي أنه كان مجرد حلم ولم يحدث بالفعل.

رن جرس الباب، فجفلت في مكاني.

نظرت إلى ساعتي فوجدتها وقد تجاوزت السادسة، من عساه يزورني في وقت كهذا، أخبرت نفسي أنه ربما كان رجل البريد، وفكرت فيما إذا كنت في انتظار طرد ما أو ما شابه.

وضعت السلسلة، ثم فتحت الباب لخمس بوصات، استغرقت دقيقة لاستوعب أن الواقف عند عتبة بابي في بوسطن هو «براد داجيت» قادمًا من «مين» إلى هنا.. ارتسم على وجهي ذهول كمن يرى أمامه رجل يرتدي بدلة توكسيدو في قصة خيالية.

قال وقد بدا صوته متهدجًا قليلًا «تيد، سعيد لآنك هنا، هل يمكننا التحدث؟».

قلت وأنا أفك سلسلة الباب وأفتحه له ليتمكن من الدخول قائلًا «بالطبع، تفضّل».

وما أن خرجت الكلمات من فمي حتى ندمت عليها، فليس هناك سبب مقنع يجعل «براد» يقطع كل هذا الطريق من «مين» إلى هنا لرؤيتي.. وبينما كان في طريقه للدخول حركت الباب برفق مانعًا تقدمه سائلًا «براد ما الذي أتى بك إلى هنا؟».

«دعني أدخل أولًا ولسوف أشرح لك الأمر».. بدا صوته مرتعدًا تفوح من أنفاسه رائحة الخمر، التقت عينانا وشعرت فجأة بالخوف دفعت الباب بقوة أكبر ولكنه لم يبتعد.. دس يده في جيبه ونظر نحو المسدس الذي أخرجه منه قبل أن يردد قائلًا «دعني أدخل يا تيد» تراجعت إلى الوراء بينما دخل «براد» إلى منزلي.

الفصل الرابع عشر

لِيلِي

«إديسون ماذا حدث؟».

أجابت باكية «ملعون نولان، اللعنة عليه» ثم دخلت عبر الباب ونزلت السلم ورائي، ناثرةً أثر المطر عن معطفها بيدها فتساقطت القطرات على مؤخرة رأسي.

سألتها بينما ندخل شقتنا «هل تشاجرتما؟».

نظرت إلى وهي تمسح دموعها المنهمرة على وجنتيها براحة يديها قائلة «لديه حبيبة أخرى في جامعة تكساس كريستيان.. لديه حبيبة غيري وعلاقتهما جادة يا لِيلِي».

«اللعنة.. كيف اكتشفت الأمر؟».

أخبرتني إديسون أنها بينما كانت تتصفح الكمبيوتر الخاص به قرأت رسائله الإلكترونية، واعترف لها بالأمر مؤكدًا على أنه كان ينوي إخبارها كل شيء عن «ليندا»، وعن اعتقاده في البداية أن ما بينهما - هو وإديسون - مجرد نزوة عابرة، وأنه لا يعرف الآن ما يجب فعله.. أصغيت إليها بلا تركيز. فتحت لها زجاجة خمر وأخذت أصب لها كأسًا في الوقت الذي يحاول فيه عقلي جاهدًا اكتشاف ما يجب فعله عند عودة «إريك». هل يجب أن أتخلى عن خطتي برمتها وأخبره أن طبق الدجاج يحوي كاجو بداخله؟ أم أترك الأمور تسير وفقًا للخطة الموضوعة، وتصبح حينها «إديسون» شاهدة على ما سيحدث؟

ربما يكون وجود «إديسون» هنا في صالحي.. فسوف تدعم قصتي- بأن «إريك» الثمل، قد تناول عن طريق الخطأ طعامًا هنديًا يحوي كاجو، وأننا عجزنا عن العثور على قلم إيبنفرين الخاص به على الفور. ولكن قد تسير الأمور على عكس ما هو مخطط لها أيضًا مع وجودها هنا، فربما تتصل بالإسعاف لتأتي في الوقت المناسب وتنقذه..

وقد تلاحظ عدم وجود قلم إيبنفرين الخاص بإريك في المكان المخصص له.. وكذلك لن استطيع الكذب أمامها إذا سألني «إريك» عما إذا كان طبق الدجاج يحوي مكسرات بداخله.. والأهم من كل هذا ليس منصفًا أن أدع «إديسون» تشاهد «إريك»، وهو يموت بسبب فرط الحساسية.. فقررت تأجيل الأمر.

سألَت إديسون: «مهلًا.. أين إريك؟ ألم تصل طائرته بعد؟».. وهي تدور برأسها وتنظر في أرجاء الشقة الصغيرة وكأنها تعرفه وتفتقده مثلًا.

فأجبتها «هل سمعت عن التحدي في حانة بوتل آند جلاس؟».

«تقصدين تحدي احتساء نصف لتر من كل برميل من البراميل العشرة الموجودة في الحانة أليس كذلك؟».

أخبرتها عن إصرار «إريك» على خوض التحدي وعن شعوري بالجوع والملل من انتظاره فغادرت.

«لم تحظ أيًا منا بالليلة التي كانت تحلم بها مع رجلها».

«الأمر هين بالنسبة لي ولكنك أنت من تلقي ضربة قاضية، ماذا نويتِ أن تفعلي؟

وقبل أن تجيب رن جرس الباب مرة أخرى فقلت لها «هذا إريك.. استعدي لمقابلته لا بد وأنه ثمل».

«لِيلِي سأغادر.. لقد نسيت تمامًا أنه سيأتي الليلة».. وقفت إديسون والتقطت محفظتها من فوق طاولة المطبخ.

«محال ستبقين هنا».

صعدت السلالم مرة أخرى وأنا أعد نفسي لاستقبال «إريك» الثمل، ولكني حين فتحت الباب لم يكن هو الطارق، بل وجدت «نولان» هناك بعينين حمراوين من فرط البكاء.. «ها قد أتى صاحب الحبيبتين» فنظر إلى نظرة مرتبكة.

«هل هي هنا؟» كان «نولان»، نحيل البنية وطويل القامة بأذنين حمراوين. وشعره المقصوص جيدًا أشقر اللون يكاد يبدو أبيض. ويرتدي عقدًا من الأصداف البحرية حول عنقه.

«إنها هنا ولكن هذا لا يعني أنها تريد رؤيتك.. انتظر سأتحقق من الأمر».

تركت «نولان» عند المدخل ونزلت السلالم.. كانت إديسون تعيد ملء كأسها مرة أخرى.. قلت لها «خمني من هنا».

«من؟» وبدت على وجهها نظرة حيرة صادقة.

« إنه نولان.. لقد تركته عند المدخل.. هل أطلب منه المغادرة؟».

تنهدت إديسون تنهيدة طويلة قبل أن تقول «كلا سأقابله»، واستمرت في الجلوس مكانها إلى جوار المنضدة، فأدركت أنها تنتظر مني أن أذهب وآتي به.. صعدت السلالم لما يبدو أنها المرة العشرون تلك الليلة.. وحين وصلت إلى الباب تنامى إلى صوت رجلين يتحدثان مع بعضهما البعض.. وتعرفت على صوت «إريك».. لقد عاد من الحانة.

«أرى أنكما قد تقابلتما»، فتحت الباب لأجدهما معًا يضع «إريك» يده على كتف نولان ويخبره عن تحدي الحانة.. عرفت أن «إريك» قد كسب التحدي من طريقة التفافه نحوي وابتسامته الجذابة المرتسمة على وجهه.. «يبدو أنك قد كسبت التحدي».

«كسبته بصعوبة، الأمر أصعب مما يبدو بكثير».

«هيا أدخلا.. إريك دع نولان ورفيقتي وحدهما.. إنهما بحاجة للتحدث».

نزلنا جميعًا وقعقعت أقدامنا على درجات السلالم.. لنجد «إديسون» تقف في المدخل وعلى وجهها نظرة تحد.. ناداها» نولان» بصوت أجش «أد». ثم قدم «إريك» نفسه لها بصوت يبدو طبيعيًّا بالنسبة لشخص تناول كل هذا القدر من الجعة.. تلك هي إحدى صفاته الراسخة، فهو شخص مهذب ولطيف على الدوام بغض النظر عن الظروف.. سياسيٌّ بطبعه.

دلفت أنا وإريك إلى الداخل، بينما وقف نولان وإديسون خارج الباب على السلم المضاء بمصباح يتدلى من السقف.. أخبرت إريك بالأمر وانتظرت استكشاف أي رد فعل يظهر عليه حين يسمع أن نولان يواعد امرأتين في نفس الوقت، مثله.

سألني إريك: «هل تعتقدين أنهما سيتوصلان لحل ما؟» وقبل أن يمنحني فرصة للرد قال «أحتاج إلى تناول شيء ما، فأنا جائع».

كنت على وشك إخباره بأن هناك طعامًا هنديًّا في الثلاجة استطيع أن أسخنه من أجله، وأنه يجب ألا يخاطر بتناول طبق الدجاج؛ لأنني أعتقد أنه يحتوي على مكسرات، عندما دخلت إديسون إلى الشقة مرة أخرى معلنة «لا تقلقا سوف نمنحكما بعض الخصوصية ونذهب لتناول مشروب»..

وقف نولان خلفها وأدركت من الاحمرار الذي يحيط بفمهما أنهما كانا يتبادلان القبلات في المدخل. لا أعرف ما قاله لها ليغير من رأيها بتلك السرعة.. جذبت إديسون معطفها ومحفظتها وذهب الاثنان. وحينها أدركت أن في مقدوري العودة إلى خطتي ثانية.. أصابني القلق باضطراب في المعدة ولكن ما حدث بين «نولان» و«إيدسون» جعلني أكثر إصرارًا على المضي قدمًا فيها، فكثيرًا ما يكسر رجال مثل نولان وإريك قلوب الفتيات ويفلتون من العقاب، وها قد حان وقت عقاب واحد منهم.

«إريك أنا متعبة، شربت كثيرًا وأرهقتني إديسون.. سأذهب إلى النوم.. هناك طعام هندي في الثلاجة، وقد أحضرت لك طبق دجاج».

«أنت ملاكي».. ثم طبع قبلة على جانب فمي بإهمال.. توجهت إلى غرفة النوم وخلعت البنطال الجينز والسترة الثقيلة، وارتديت بيجامتي الصوفية التي تمدني بالدفء في تلك الشقة الباردة. استطعت سماع إريك وهو يتحرك في أرجاء المطبخ. سمعت قعقعة الأطباق ثم طنينًا عاليًا للميكروويف القديم. ثم شممت رائحة طبق الدجاج- رائحة البهارات وحليب جوز الهند- خلال تسخينه.

جلست على حافة السرير يغمرني الهدوء، في حين تتصارع الأفكار محمومة داخل عقلي وتتبدل المشاهد والصور. تخيلت «شيت» على الأجمة وقت الغسق يمارس الجنس فوقي متأرجحًا غافلًا عن أن موته قاب قوسين أو أدنى. رأيت «إريك» يخرج من مكتبه ويشعل سيجارة ويقابل «فايث»، ورأيته في ليلتنا الأولى معًا ونحن نمارس الحب لأول مرة، وعينيه البنيتين على بعد بوصة واحدة مني.

توقف الميكروويف عن الطنين، وسمعته وهو يفتح بابه ويغلقه، ثم ساد الصمت لوهلة.. افترضت فيها أنه كان يتناول الطعام بسرعة وربما لايزال واقفًا.

مرت دقيقة، ثم فتح باب غرفة النوم.. وقف «إريك» هناك وطبق الطعام في يده وقد تحول وجهه إلى اللون الأحمر بالفعل.. «هناك مكسرات فيه» وهو يشير إلى الطبق.. كان يتحدث بصعوبة.

«هل أنت متأكد؟ أين قلم إيبنفرين الخاص بك؟».

قال وهو يطعن الهواء بيده ويحركها بهيستيريا ويشير بإصبعه نحو المكان الذي توجد فيه حقيبته: «الحقيبة».

جذبت الحقيبة من مكانها ووضعتها بجوار السرير على الأرض.. وضع «إريك» الطبق على منضدة غرفة النوم وهرع إلى الحقيبة وأزاحني عن طريقه.. أخذ يبحث في الجيب ذي الزمام المنزلق؛ حيث ترك الأقلام ثم التفت إلي والذعر باد في عينيه واحمرار جلده يزداد شيئًا فشيئًا.. ثم أخذ يحك عنقه بيده.. سألته في فزع «ألم تحضرهم؟».

«أجل»، ولم استطع تمييز الكلمة إلا بصعوبة.. بدت وكأنها آتية من مسافة بعيدة، كأنها صرخة رجل محبوس في مكان سحيق تحت الأرض داخل كهف ضيق رطب.

ألقى «إريك» بمحتويات حقيبته على الفراش، وبدأ يبحث فيها بسرعة مبعثرًا محتوياتها. جلس وقد تصلب جسده وأخذ يزم شفتيه في محاولة للتنفس وإدخال الهواء إلى رئتيه.. بدأتُ أساعده في البحث عبر ملابسه وأدوات نظافته الشخصية ولكنه أمسكني من ذراعي مقلدًا حركة الاتصال الهاتفي فسألته «هل تريدني أن أتصل بالنجدة؟».

أومأ برأسه.. ازداد الاحمرار حول رقبته وحلقه بشكل رهيب وبدا أشبه بكتلة أرضية على خريطة طوبوغرافية. وشاب وجهه الذي لايزال شاحبًا مسحة بنية اللون.. هرعت إلى الغرفة المجاورة وأمسكت بالهاتف وانتظرت لحظة مصغية إلى ما يحدث في غرفة النوم التي يحتضر فيها، فسمعته يفتح سحاب آخر أعقبه صوت ارتطام خافت.

أعدت سماعة الهاتف إلى مكانها بهدوء وعددت إلى عشرة ببطء ثم مشيت إلى المدخل وألقيت نظرة على الفراش، فوجدت «إريك» ممددًا على الأرض ولا تزال يده على عنقه، ولكنه لم يعد يحكه.. رأيت يده هناك ساكنة دون حراك.. راقبته لفترة كافية حتى تأكدت أنه لم يعد يتنفس. وانتظرت دقيقة أخرى زيادة في التأكيد ثم دلفت إلى الغرفة ووضعت أصبعين على حلقه لاستشعر النبض الذي اختفى تمامًا. عدت إلى الهاتف واتصلت بـ٩٩٩ وأخبرتهم باسمي وعنواني وأخبرت المرأة ذات الصوت الفرح على الطرف الآخر بأن صديقي تعرض لصدمة فرط الحساسية.

تحركت بسرعة بعد المكالمة.. أخذت بعض حبات الكاجو الكاملة من المنشفة الورقية في الثلاجة ووضعت بعضه في طبق الدجاج الذي كان لا يزال دافئًا بسبب تسخينه في الميكروويف ووضعت البعض الآخر في الوعاء الذي جاء فيه الطعام الجاهز.

ثم رميت المنشفة الورقية في قاعدة المرحاض وجعلت المياه تتدفق عليه قبل أن أغسل يدي. وفي غرفة النوم التي يستلقي فيها «إريك» ساكنًا في مكانه، دسست يدي أسفل مرتبة الفراش وأخرجت العلبة البلاستيكية التي تحوي أقلام إيبنفرين التي لم تستخدم.. استخدمت جورب من ملابس إريك المتناثرة في أرجاء الغرفة لمسح بصماتي من على العلبة البلاستيكية ثم وضعتها في إحدى فردتي حذائه الرياضي.. والذي بدا مكانًا ربما يحتفظ فيه المرء بدواء الحالات الطارئة..

لم يكن «إريك» ليفعل هذا بالطبع ولكنه لم يعد قادرًا الآن على نفي أنه من وضعها في حذائه، أو إثبات أنني من دسست له حبات الكاجو المطحون في الطبق وتركته يأكله. كل ما على قوله أن «إريك» كان ثملًا وربما قرر تناول الدجاج بينما كنت نائمة وأننا لم نستطع العثور على الأقلام.. حاولت التفكير فيما إذا كان هناك شيء آخر يجب على فعله لتهيئة المكان. ربما يجدر بي الضغط على صدر «إريك» عدة مرات ليبدو أنني حاولت إنعاش قلبه.. هل يستطيع الطبيب الشرعي اكتشاف الحقيقة؟ كنت على وشك البدء في إنعاشه عندما رن جرس الباب مرة أخرى.

صعدت على السلالم جريًا وأدخلت المسعفين.

عقب ثلاثة أيام من إبلاغ عائلة «إريك» بالخبر وإجراء ترتيبات إعادة الجثمان إلى الوطن، زارني الشرطي الذي وصل إلى شقتي بعد المسعفين ليلة الجمعة الماضية، وأخبرني بأنه لن يكون هناك تحقيق.

ورغم ارتياحي لدى سماعي ما قال انتابتني الدهشة، فمع كل ما قرأت من روايات بوليسية توقعت أن كل حالات الوفاة غير المعتادة تخضع لتحقيقات صارمة مما أصابني بقدر من خيبة الأمل.. قلت له وأنا أرسم الحيرة على وجهي «حسنًا. ما الذي يعنيه هذا؟»

«يعني أن الطبيب الشرعي اعتبر الوفاة حادثة ولا يرى ضرورة لإجراء المزيد من التحقيق.. اتفق مع قراره على الرغم من أن التحقيق الرسمي

قد يثير الشكوك حول حانة بوتل آند جلاس والتحدي الذي يقيمونه.. ربما أتوجه إلى هناك بنفسي وأتحدث إليهم حول هذا الأمر».. أشعّت الطيبة من عيني الشرطي الذي كانَ كَثُ الشارب لدرجة حجبت شفته العليا. كررت على مسامعه ثانية ما ذكرته آنفًا عن الحادث، وهو أن إريك كان ثملًا، وعلى الرغم من إخباري له أن الطعام يحتوي على مكسرات، لكنه تناوله ولم يتذكر أين وضع أقلام الحساسية.

قلت له قبل أن يغادر «شكرًا جزيلًا».

فكرر «حسنًا أعتقد أنني ربما أذهب إلى تلك الحانة وأتحدث إليهم مرة أخرى».. تريث قليلًا في المدخل ثم دار على عقبيه وذهب.. كان قد أخبرني باسمه ولكني نسيته.

سألتني المستشارة التربوية في معهد «فاونس»، عما إذا كنت أريد العودة إلى أمريكا فأخبرتها بأنني أفضل البقاء في لندن.. وإذا كان هناك مراسم تأبين فربما أذهب لحضورها، ولكني سعيدة بوجودي في لندن ومهتمة بالبرنامج رغم صدمتي بوفاة حبيبي.. تلك هي الحقيقة بالفعل.. لقد أحببت شقتي في الدور الأرضي في حي «مايدا فالي»، وأحببت عدم تواجد «إديسون» فيها بعد الحادث على الإطلاق إلا فيما ندر.

لم أظن قبلًا أن أجواء المدينة تروقني، كنت أفضل هدوء «كونتيكت» على الحياة الكئيبة في نيويورك، إلا أن السكن في لندن أمر مختلف.. لا أدري على وجه التحديد، ولكن هناك ما يبعث على السكينة في بناياتها المنتظمة في صفوف طويلة إلى جوار بعضها البعض، وما يزينها من أشجار كثيفة الأوراق، وربما ما يكتنفها من غموض.. اتسمت الشوارع المجاورة لمكان معيشتي بالهدوء الشديد، لدرجة تعلو معها أصوات الطيور على أصوات البشر.. سعدت حين تلقيت رسالة على بريدي الإلكتروني، تفيد بأن عائلة ووشبرن قررت إقامة جنازة عائلية، خاصة أنها تخطط لإقامة مراسم تأبين كبير في وقت ما في المستقبل. قررت حضور التأبين، لا أريد أن أثير التساؤلات بعدم حضوري، الذي قد يبدو غريبًا، علاوة على رغبتي في معرفة ما إذا كانت «فايث» ستظهر

في مراسم التأبين أم لا، وأردت معرفة رد فعلها حال رؤيتي. ترى هل تآمرت على خداعي بإرادتها مع إريك خلال الصيف، أم كانت ضحية خداعه مثلي؟ سؤال ملح لم يفارقني، ولا بد وأن أحصل على إجابة عنه.

ها قد مر أكثر من شهر ونصف الشهر على وفاة «إريك»، قررت اليوم أن أسلك طريقَ عودة مختلفًا إلى البيت، استقللت مترو الأنفاق مرورًا بحانة «بوتل آند جلاس» في ليلة مظلمة باردة ووجدت نوافذها محاطة بأضواء خافتة وبداخلها عدد من مرتادي الحانات الذين يحبون التوافد عليها عقب انتهاء نوبات العمل..

لم أذهب إلى هناك منذ يوم وفاة إريك، دفعت الباب وولجت إلى المكان المزدحم الذي تعالت فيه الأصوات، طلبت زجاجة من بيرة «غينيس» وتوجهت حاملة إياها نحو الحائط المعلقة عليه قواعد التحدي الشهير.. لم يتغير أي شيء هناك، لا في المكان ولا في شروط التحدي فهل مر ذلك الشرطي اللطيف إلى هنا وتحدث إلى ملاك الحانة عن ذلك التحدي كما أكد على سابقًا؟ لو أنه فعل، فلا بد وأنهم قد ضربوا بكلامه عرض الحائط.. استقرت إلى جوار قواعد التحدي لوحة خشبية تحمل أسماء الفائزين به والذي احتل اسم إريك المرتبة قبل الأخيرة فيها.. وإلى جوارها لوحة أخرى لصور الفائزين التي تم التقاطها عقب فوزهم مباشرة بطريقة عفوية، واشتركوا جميعًا في شحوب وجوههم وأعينهم الزائغة.. وجدت صورة إريك هناك في أقصى اليمين، وقد رفع رأسه قليلًا في زهو بانتصاره الكبير وعينيه تشعان فخرًا، ظهرت بشرته وقد لوحتها شمس الصيف، ومع ميل رأسه إلى الوراء بدت أهدابه المميزة أكثر جمًالا فكرت في أخذ صورته والاحتفاظ بها لنفسي، إلا أنني تراجعت عن القرار، إنها تنتمي إلى هنا، وهي دليل دامغ على براءتي من دمه.

أنهيت زجاجتي وأنا أفكر في أن مسيرتي المهنية كقاتلة قد آن لها الأوان أن تنتهي. ليس لأنني لم تعد لدي رغبة في قتل أحدهم، ولكن لأنني لن أسمح لأي مخلوق بتعريضي لذلك الأذى الذي يستوجب عقوبة القتل. لن أسمح لأحد بالاقتراب مني وجرح مشاعري مثلما فعل إريك.. أصبحت الآن امرأة ناضجة

ونجوت من مراهقة وآلامهم الحب الأول الموجعة. شعرت بالارتياح لقراري، لن أعرض نفسي لتلك الأوجاع مجددًا، ومن الآن فصاعدًا أنا المسؤول الأول والأوحد عن سعادتي.

عدت أدراجي إلى شقتي الخالية وأعددت لنفسي عشاءً خفيفًا ثم جلست كعهدي على كرسي المفضل لأقرأ.

وبدأت صفحات حياة طويلة وغير معقدة تمتد أمامي.

الفصل الخامس عشر

تيد

تراجعت في خوف وعيني على المسدس الذي يشهره «تيد» في وجهي.

قلت له «اللعنة ماذا تريد؟» حدقت في وجهه، الذي كان رمادي اللون على عكس طبيعة تيد، كما رأيت أن عضلات عنقه مشدودة، بدا أنه ليس على ما يرام.

«يا له من مكان جميل تملكه هنا».. خرجت الكلمات من فمه بإيقاع غريب كما لو كان يحفظها.

«هل يمكنني أن أصطحبك في جولة في المكان يا براد؟ هل يمكنني أن أحضر لك شيئًا تشربه؟».

انخفض حاجباه المحتدان، كما لو أن كلماتي قد أربكته «أجل، فهذا المكان ألطف بكثير من الجحر الحقير الذي أسكنه، أليس كذلك؟ هنا حيث يعيش الرجال الحقيقيون، أليس كذلك؟».

تذكرت فجأة تلك الليلة التي كنت أشرب فيها أنا و«براد» والملحوظة التي أبديتها على المكان الذي يسكنه ونظرة الحقد تلك التي ارتسمت على وجهه حينها، فأدركت أن «براد» هنا ليقتلني، وبدلًا من أن يصيبني الهلع، فكرت بعقلانية وهدوء، أعلم أن في مقدوري التحدث إليه وأن أثنيه عن القرار الذي أتى من أجله، أعلم أنني أكثر ذكاءً منه.

«براد ما الذي تفعله بهذا المسدس الذي تمسكه في يدك؟».

«ما الذي أفعله به في رأيك؟» ثم رفع المسدس مصوبًا إياه نحو رأسي، اختفى كل شيء من حولي في الغرفة فيما عدا المسدس.

«يا إلهي! براد فكر للحظة».. وحدقت في المسدس، غالبًا هو نفس المسدس الذي كان في درجه بـ«كينويك».. مسدس مزدوج الحركة.. شاهدت «براد»، وهو يشد أجزاء مسدسه، وكل ما يحتاج إليه هو الضغط على الزناد.. على التحرك، إما بمهاجمته أو الهرب منه.. كنت على بعد أقل من قدمين فقط فوجدتني أندفع للأمام. المرة الأخيرة التي دخلت فيها في مشاجرة كنت في الصف الثالث مع فتى يدعى «بروس» في الصف الأول..

اندفعت بجسدي نحو «براد» بكل ما أوتيت من قوة بحيث يبتعد مسدسه عني.. طار «براد» إلى الخلف، ساقطًا عند عتبة الباب والتي ارتطمت رأسه بها محدثة دويًا.. ظننت أنه فقد وعيه، ولكني سمعته يتمتم بكلمة لم أفهمها.. فاستدرت مسرعا نحو السلم، وبينما كنت لاأزال عند الدرجة الأولى وأنا أفكر في الهاتف الذي في الطابق الأول انطلقت رصاصة من مسدس «براد» احتاجت إلى أقل من بوصة واحدة لتصيبني. استمررت في الركض والقفز على درجات السلم إلى الدور العلوي.. وبمجرد أن صعدت إلى أعلى، كان في مقدوري سماع خطوات «براد» الثقيلة من خلفي.. اقتربت من الهاتف القابع فوق طاولة قديمة الطراز، تعثرت ساقطًا فوق السجادة متسببًا في سقوط الطاولة والهاتف التي عليها. شعرت بشيء دافئ حول معدتي فوضعت يدي فوقه. وحين رفعتها رأيت يدي ملطخة بالدماء، وسألت نفسي للحظة من أين تأتي هذه الدماء.. ثم رأيت «براد» فوقي مصوبًا مسدسه نحوي كان يتنفس بصعوبة وخيط من اللعاب يتدلى من شفته السفلى.

سألته «لماذا؟» ولكني بمجرد أن نطقتها أدركت أن «براد» ليس بالمريض النفسي الذي أتى إلى هنا من أجل قتلي لأنني أهنت مسكنه، إنه يفعل ذلك بسبب زوجتي. وفي لحظة واحدة تكشف كل شيء لي، «ميراندا» تستغل «براد»

للتخلص مني، إنها لا تريد الحصول على نصف أموالي، بل تريد كل ما أملك.. كيف لم أفهم هذا من قبل؟

شعرت بألم رهيب يخترق بطني، تلويت، ضاحكًا في الوقت ذاته.

نظرت إلى الأعلى نحو وجه «براد» الأحمق ومسدسه المرتعد قائلًا «لن تصبح ميراندا معك أبدًا».

«أنت لا تعرف شيئًا على الإطلاق».

«براد إنها تستغلك، من سيكون محل شكوكهم في رأيك، إنها في فلوريدا.. وأنت وهي على علاقة يعلم بها الجميع».

رأيت نظرة شك في وجهه، وشعرت ببصيص من الأمل.

وضعت يدي على الجرح الذي في معدتي شعرت بملمس الدماء المتدفقة سميكة ودافئة.

قال «هل تظن نفسك مهم للغاية».

«براد أنت أحمق».

«سوف نرى من هو الأحمق».. وضغط على زناده.

الجزء الثاني

المنزل نصف المكتمل

الفصل السادس عشر

لِيلِي

«مرحبًا يا أنت»، قلتها لـ«تيد سيفرسون».. كان جالسًا في بار مطار «هيثرو» صالة رجال الأعمال.. تعرفت عليه في الحال ولكن ساورني الشك من أنه تعرف على حين ألقيت عليه التحية.. كنا قد التقينا مرة واحدة منذ أكثر من عامين حين قابلت «فايث هوبارت» في متجر خارجي بـ«ثاوز إند».

«ينادونني الآن بـ«ميراندا»» قالت لي فايث ذلك حين رأتني.

- «أوه».

- «إنه اسمي الفعلي، فايث هو اسمي الأوسط، فأنا أدعى ميراندا فايث».

- «لم أعرف ذلك من قبل، إذن فإنك قد فقدت اسمك في ظروف غامضة».

ضحكت قبل أن تقول «أجل أظن ذلك، أعرّفك على خطيبي تيد».

استدار شاب وسيم يبدو عليه شيء من الصرامة من أمام أحد الأرفف العتيقة في المتجر وقام بمصافحتي، تلك المصافحة المهنية الجافة والتي ردد خلالها بعض كلمات المجاملة المعتادة، ثم عاد إلى جلسته ثانيةً. أخبرت «ميراندا»/«فايث» أن لدي لقاء مع أحدهم وأن على الذهاب.. وقبل أن أغادر قالت لي بصوت خفيض «ما حدث لإريك، كان مريعًا، آسفة لأنني لم أتواصل معك بعد الحادث ولكنك كنت في لندن و...».

«لا بأس يا فايث».

انصرفت، وأنا أفكر في قرارة نفسي كثيرًا ماذا لو التقيت بـ«فايث» مرة أخرى (أعتقد أن عليّ أن أدعوها بـ«ميراندا» الآن) هل فاجأها أمر وفاة «إريك» في لندن بينما كان في زيارة لي؟ هل كان يخدعها هي الأخرى؟ ولكني عقب أن رأيتها في المتجر ورأيت لون شعرها الجديد الأسود الفاحم، وحذاءها الذي يبلغ ثمنه خمسمائة دولار مع خطيبها غير المنتبه، وبعد أن رأيت طريقتها المصطنعة في التعبير عن قلقها عليّ، تيقنت أنها كانت هي الأخرى تخدعني.. حين كانت على علاقة بإريك في نيويورك، كانت على علم بمواعدته لي في عطلات نهاية الأسبوع في «شيباوج». هل كانت تنتقم مني لمواعدتي لإريك في المقام الأول؟ أم هل كانت فقط واحدة من تلك النساء التي تهوى خطف الرجال من غيرهن من النساء؟ وشعرت للحظة، هناك في «ثاويز إيست» ببوسطن بنفس ذلك الشعور بالألم الذي داهمني حين اكتشفت خيانة «إريك» لي، وأن حياتي لن تعود إلى سابق عهدها مطلقًا.

حدثت نفسي أن عليّ التوقف عن القلق، وحاولت تجاهل هذا الأمر تحديدًا، ولكني حين التقيت بـ«تيد» مصادفة في المطار (وقد أصبح الآن زوج «ميراندا» الخبر الذي قرأته في صحيفة «جلوب»)، قررت التحدث معه.. «مرحبا يا أنت» قلتها له مانحةً إياه الفرصة للتعرف عليّ، رغم شكي في أنه قد يتمكن من ذلك.. نظر لأعلى، ولم تكن لديه أدنى فكرة عمن أكون.. بدت عليه الثمالة من عينيه الحمراوين، وشفته السفلى المرتخية قليلًا.. وجدته يحتسي المارتين، فطلبت لنفسي كأسًا من المارتين أنا الأخرى على الرغم من كرهي له.

تشاركنا رحلة العودة إلى «بوسطن» وأخبرني كل شيء عن حياته، وعن خيانة «ميراندا» له، عن مشاعره الثائرة، عن غضبه وغيظه وحنقه.. باح لي بمكنون صدره كاشفًا المستور كله ظنًا منه أنه لن يلقاني ثانية مطلقًا. لو كنا في زمان أو مكان آخرين لما أفضى لي بكل ذلك. بل وإنه تجرد أمامي كاشفًا عن مدى كراهيته لزوجته لدرجة الرغبة في قتلها.. حدثت نفسي بالابتعاد عن كل

هذا، ولكني أدركت أن الوقت قد تأخر كثيرا منذ اللحظة الأولى التي تحدثت فيها معه.

لقد دخلَت «ميراندا» مجالي ثانية ولا بد وأن يكون ذلك قد حدث لسبب، ربما يكون ذلك بدافع الأنانية، أو ربما تلك هي العدالة، أو لسبب آخر مختلف تمامًا، تمكنت عبر الأسابيع القليلة التالية من إقناع «تيد سيفرسون» بقتل «ميراندا» وعشيقها «براد داجيت»، أيضًا. لم يكن الأمر صعبًا وما أن بدأنا في تنفيذ خطتنا، أمسكت صحيفة «صانداي جلوب» ذات صباح في مطبخي فرأيت صورة تيد، صورة غير واضحة فوق عمود في صفحة الحوادث وأسفلها خبر.

شرعتُ في قراءة الخبر وكوب القهوة في منتصف طريقه نحو فمي.

مصرع مواطن من «ثاوز إند» في منزله رميا بالرصاص.

بوسطن - تحقق شرطة بوسطن في مصرع أحد مواطنيها، والذي وقع في ميدان «وورسيستر سكوير» بقطاع ثاوز إند في وقت باكر من مساء يوم الجمعة.. حيث تلقت الشرطة اتصالا عن سماع دوي طلقات في الساعد ٦:٢٢ مساءً.. صرح المحقق «هنري كيمبال»، أن الضحية هو تيد سيفرسون البالغ من العمر ٣٨ عامًا عثر عليه مقتولًا في الطابق الثاني من منزله.

«إننا نحقق كذلك في عملية سطو وقعت مساء يوم الجمعة في نفس المربع السكني، الذي وقعت فيه جريمة القتل». أشار «كيمبال» في تصريحه «لم نتأكد بعد من حقيقة وجود علاقة بين الجريمتين، ولكننا نقوم باستجواب أي شخص يمكن أن يقدم لنا معلومة تساعدنا على حل القضية».

يعيش «تيد سيفرسون»، رئيس شركة «سيرفسون» للاستشارات في منزله برفقة زوجته، «ميراندا سيفرسون» والتي كانت في فلوريدا وقت وقوع الحادث.

وفقا لتصريح أدلى به «جوي روبنسون» أحد جيران القتيل فإن تيد وميراندا «زوجين شابين جميلين، يشبهان نجوم التلفاز لا أستطيع أن أصدق ما ألم بهما، وفي هذا الحي».

على كل من لديه معلومات حول عملية القتل أو السطو أن يدلي بها في مركز شرطة بوسطن - قسم مكافحة الجريمة.

وضعت قهوتي جانبًا، وشعرت ببرودة تسري في كل جسدي.. لم يخطر ببالي مطلقًا أنني بينما كنت وتيد نخطط لقتل «ميراندا»، أنها كانت تخطط للأمر ذاته. لابد أن الفاعل ميراندا بمساعدة براد.. مستحيل أن يكون ما حدث هو عملية سطو عشوائية أدت إلى جريمة القتل.. لقد خططت «ميراندا»، للتواجد في فلوريدا، ليكون لديها حجة غياب قوية. ولا بد أن «براد» قد سافر قادمًا من «مين» وأردى «تيد» قتيلًا. وربما قام بعملية السطو في منزل قريب لتضليل الشرطة.. وربما لا. وفي كلتا الحالتين فقد اختفى «تيد» من طريق «ميراندا»، وآلت لها جميع أمواله الآن.

فكرت في «تيد»، الذي وجد مقتولا في الطابق الثاني من منزله، لا بد وأنه سمح لبراد بالدخول ثم حاول الهروب منه، ولا بد وأنه قد أدرك قبل موته أن «ميراندا» قد خططت لكل هذا.. شعرت بغصة في حلقي والدموع في عيني، ولكنها لم تتساقط. كنت مغرمة بـ«تيد».. حين تحدثت معه في المطار، لم أنظر إليه سوى كونه مصدرًا لمزيد من المعلومات حول زميلتي العدوة.. «ميراندا فايث هوبارت»، والتي لم تكن تشغل بالي كثيرًا، حيث حدثت نفسي، بأنها على الرغم من سرقتها لحبيبي قديمًا، إلا أن ذلك لا يجعل منها شخصًا مؤذيًا للدرجة القصوى.. ولكني حين التقيت بـ«تيد» في المطار وسمعت قصة تعرضه للخيانة، أدركت أنني كنت مخطئة في حكمي الهين عليها.. إن الأذى متأصل في نفس تلك الإنسانة.

ربما انتابني قدر من الإثارة ولذة حصولي على ضحية جديدة، فالقتل له شهوة لم أشعر بها منذ سنوات عدة الآن.

ولكني أغرمت بـ«تيد»، لقد شغفني حبًا، كم أدهشني ذلك الشعور، الذي انتابني حين تبادلنا القبل عند المقابر في «كونكرد»، لم أتوقع أن يكون لقبلته ذلك الأثر عليّ. وحينها حدثت نفسي - مثلما أحدثها في كل مرة أرتبط فيها برجل- أن الوقوع في الحب أمر قدري ليس لنا من سلطان عليه.. لقد أحببت

«تيد» كثيرًا.. إنه رجل وسيم، ولكنه في الوقت ذاته غريب، رجل لم يدرك كم كان رجلًا محظوظًا فلم يحسن استغلال حظه..

كان واحدًا من هؤلاء الرجال الذين يملكون العالم بأسره ولكن دون أن يدرك تلك الحقيقة.. يمكنني أن أدرك كيف استطاعت ميراندا» الإيقاع به، ليس لكونها واحدة من أكثر النساء إثارة، ولكنها كانت متقبلة لنفسها على نحو لا يصدق.. لا بد وأن تلك السمة هي التي جذبت «تيد» إليها.. لم تكن حرارة القبلة وحدها هي من أوقعتني في غرام «تيد» - أوراق الشجر المتساقطة من حولنا ولمسة يده على جسدي- ما وجدته مع «تيد» هو شعور غير معتاد بقدرتي على أن أكون نفسي برفقته، قدرتي على مشاركة أسراري مع إنسان آخر.. لقد باح لي بكل ما يجول بخاطره، بأكثر أفكاره عمقًا، كشف لي عن رغبته في قتل زوجته، وشعرت بأنه ربما يكون في مقدوري يومًا ما أن أحدّثه عن ماضي حياتي.

ولكن «تيد» الآن رحل، وبلا رجعة.

لم أستطع التفكير سوى في رغبتي في رؤيته مجددًا، واستحالة حدوث ذلك.

بحثت على الإنترنت عن أي شيء قد يكشف لي المزيد من الأمور، حول ما حدث ليلة يوم الجمعة.. ولم يسفر بحثي عن شيء جديد، مجموعة من المقالات التي نقلت ما ورد في صحيفة «صنداي جلوب».. أخذت أفكر في الجريمة، وكيف رتبت لها «ميراندا».. لا بد وأن «براد» هو من أطلق الرصاص.. ربما يكون هناك طرف ثالث متورط في جريمة القتل، ولكني أشك في صحة هذه الفرضية.. كيف نفذوا جريمتهم إذن؟

تغادر «ميراندا» المدينة وتتأكد من كون «تيد» في المنزل بمفرده، ثم يأتي «براد» قادمًا من «مين» ويقوم بعملية سطو على أحد المنازل المجاورة، على أن يكون منزلًا تملك عنه «ميراندا» معلومات كافية، مثل أن صاحب المنزل غير متواجد ولا يمتلك أجهزة إنذار.. أمر يسهلٌ معرفته.. وعقب الانتهاء من مهمة السطو يتجه «براد» نحو منزل «تيد» ويدق الباب، ليسمح له «تيد» بالدخول

فيطلق عليه رصاصه ببساطة ويرديه قتيلًا.. وسوف تبدو الجريمة عملية سطو تحوّلت إلى قتل عن غير عمد، ومن ثم يعود «براد» أدراجه إلى «مين».

فكرت في حجة غياب «براد» فلا بد وأنه رتب لذلك، ولكن كيف عساه أن يفعل هذا، في حين أنه قاد سيارته جنوبًا من «مين» متجهًا نحو بوسطن ليرتكب جريمة القتل؟ فلا بد أن الطريق استغرق منه ثلاث ساعات، وربما أكثر بسبب حدود السرعات على الطريق السريع.. ربما اعتمدت «ميراندا» على حقيقة عدم معرفة أي شخص بشأنها وشأن علاقتها بمقاول البناء الذي يعمل لديها، ولكن هل هذا ممكن؟ لقد اكتشف «تيد» أمر العلاقة، ولا بد وأن هناك من يعرف بشأن تلك العلاقة في البلدة.. هل يمكن أن يكون أحد أعضاء فريق عمل براد؟ النادلة في حانة «كينويك»؟ من غير المرجح أنهما تمكنا من جعل علاقتهما سرًا تامًا.

أنا نفسي أعلم ذلك السر بكل تفاصيله، فكل المعلومات التي حصلت عليها من «تيد سيفرسون»، جعلتني في وضع خاص ومتفردًا، خاصة أنه ليس هناك من يعلم حتى إنني أنا و«تيد كنا نعرف بعضنا البعض.. يمكنني الذهاب إلى مركز الشرطة ببساطة وإخبارهم بكل شيء، دون أن أذكر أمر نيته لقتلها.. ولكن هناك احتمالًا كبيرًا أن تفسد الشرطة أمر إجراءات القبض عليها والإجراءات القضائية لتصبح «ميراندا» حرة طليقة في النهاية دون أن يتمكنوا من إثبات الجريمة عليها. وحتى وإن تمت إدانتها وثبوت الجريمة عليها سوف تتحول «ميراندا» إلى شخصية شهيرة ومحل حديث جميع القنوات لسنوات مقبلة، الجميلة التي تمكنت من إقناع عشيقها بقتل زوجها.

تستحق «ميراندا» العقاب الآن، أكثر من أي وقت مضى.

بعثت برسالة إلى صديقتي «كاثي»، أنني لست على ما يرام ولن أستطيع الذهاب معها لمشاهدة فيلم المساء.. ثم بعثت برسالة إلكترونية إلى رئيسي في العمل بـ«وينسلو كولدج» مخبرة إياه أنني أشعر بنوبة برد، ولن أستطيع القدوم

في اليوم التالي.. رئيسي في العمل شخص يخشى الجراثيم بشدة ويمنح الإجازات المرضية بمنتهى السعادة والرضا.

لديّ عمل على القيام به، وأول مهمة فيه هي السفر إلى «كينويك» ومقابلة «براد داجيت».. أدركت أن عليّ التحرك سريعًا؛ لأن الشرطة ربما تكون بالفعل ستحقق هناك، ويجب أن أسبقهم في ذلك.

الفصل السابع عشر

ميراندا

كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة صباحًا، وكنت قادرة على شم رائحة الكحول يفوح من أنفاسه.. تقَطّرَ جبينه عرقًا وبد أسفل عينيه منتفخًا ومتورمًا.

«هل أنت بمفردك؟».

أجاب براد «أجل».

كنا نقف على الممشى المعبد بالحصى أمام المنزل نصف المكتمل بـ «مين».. إنه يوم الأحد، وقام «براد» بقتل زوجي مساء يوم الجمعة، وأدركت بمجرد النظر إليه أنني أسأت تقدير قدراته.. بدا لو كان مصابًا بالحمى وعينيه لامعتين بشدة.

«سارت الأمور على ما يرام، تظن الشرطة أنها عملية سطو تحوّلت خطأً إلى جريمة قتل، تمامًا كما خططنا».

ردد ثانية «أجل».

- «هل أنت بخير؟ تبدو مريضًا؟».

- «أشعر أنني لست على ما يرام، الأمر أصعب مما تخيلت».

قلت له «حبيبي آسفة، أعدك بأن هذا الشعور لن يدوم طويلًا، سوف نتزوج وستصير غنيًا.. عليك أن تثق بي، لن يدوم هذا الشعور طويًلا».

«أجل، أعلم ذلك».

«عليك أن تتمالك نفسك إذن، فإذا ما جاءت الشرطة للتحقيق لا يمكنك أن تبدو مثل الزومبي هكذا، اتفقنا؟ لقد انتهى كل شيء الآن، ومات «تيد» ولا سبيل لنقطة رجوع».

مرت سيارة من طريق «ميكماك رود» استدار «براد» لمراقبتها.. راقبت «براد»، كان صباحًا باردًا، وتكثفت أنفاسه في الهواء على شكل بخار.. استدار نحوي ثانية ثم قال: «أعتقد أنه علينا ألا نلتقي هكذا»، ثم أخرج سيجارة من علبة المارلبورو خاصته، التي كانت في جيب سترته الأمامي وأشعلها محلقًا عليها بكلتا يديه، رغم عدم وجود رياح تطفئها.

- «إنك المقاول الخاص بي، وتعرض زوجي لحادث قتل لتوه، وأنا هنا لأخبرك بأننا في حاجة لتعليق العمل لفترة حتى نعرف ما ستؤول إليه الأمور.. ليس هناك مشكلة.. وأنا الآن في طريقي لزيارة أمي، ليس هناك من يعرف بأمر علاقتنا يا «براد» لا أحد.. عليك أن تتمالك نفسك».

- «أعلم.. سوف أتمالك نفسي.. إنه فقط.. أنت لم تكوني هناك، لم تشاهدي نظرة الرعب التي في عينه».

- «بالطبع يا حبيبي، من الطبيعي أن يبدو مرعوبًا».

- «وهناك أمرٌ آخر».

- «ما هو؟».

- «أعتقد أنه كان يعلم بشأن علاقتنا».

مكتبة
t.me/t_pdf

- «ماذا تعني».

- «لقد تفوه بأمور مثل، أنك لن تكوني لي وأنك تستغلينني».

- «ربما يكون قد ربط الأمور ببعضها.. ربما أنه استنتج أمر علاقتنا حين رآك أمام عتبة منزله، شاهرًا مسدسك في وجهه.. معرفته بعلاقتنا قبل ذلك أمر مستحيل».

- «بل أعتقد أنه كان يعرف بأمرها، لم تبد عليه المفاجأة، تصرف كما لو كان يعلم كل شيء».

فكرت للحظة، عن مدى إمكانية صحة زعمه، ولكني قررت أن ما قاله ليس صحيحًا «وكيف له أن يعرف يا براد».

«لا أدري يا ميراندا، أؤكد لك أنه كان يعرف وحسب».. قالها بنبرة عالية وعصبية واهتزت السيجارة في يده لأعلى ولأسفل.

- «ششش، لا بأس، ربما يكون قد علم بأمرنا ولكنه الآن ميت، لا خطر منه، حسنًا؟».

- «ربما يكون قد أخبر شخصًا ما».

- «من عساه أن يخبر، أنا أعرفه جيدًا، ليس لديه أصدقاء مقربون، ربما يكون قد شك في أمرنا، ولكن من المستحيل أن يكون أخبر ذلك لأي مخلوق آخر.. ثق بي».

«حسنًا»، ثم سحب نفسًا عميقًا من سيجارته.

«حبيبي، أصغِ إليّ عليك أن تستعد بقصتك حال قدوم الشرطة.. أنت مقاول بناء، وتعمل عندي أنا وتيد. لم يأتِ تيد إلى هنا كثيرًا مطلقًا، ولكني كنت متواجدة طوال الوقت. بدوت لك كشخص يشعر بالملل إلى حد ما، وأتدخل حاشرة أنفي في كل التفاصيل، ولكن كل شيء كان عاديًا بخلاف ذلك.. لم أحتك بك، ولم تحتك بي. فلِمَ تضيع على نفسك صفقة عمل جيدة مثل تلك؟ نحن أثرياء فاسدين.. وليس لديك فكرة عمن يكون قد قتل «تيد»، وليس لديك

فكرة عما إذا كنت أنا وتيد زوجين سعيدين، ولكننا بدونا سعيدين معًا، ولكنك لم تكن تهتم بتفاصيل كتلك. هذا كل ما في الأمر، وهذا كل ما تعرفه».

- «حسنًا».

- «كرر القصة على مسامعي».

- «يا إلهي، ميراندا لقد فهمت».

- «حسنًا، أخبرني عن ليلتك مع «بولي»؟ كيف كانت؟».

- «جيدة، تناولنا الغداء في مطعم كولي، ثم بدأنا في الشرب وانصرفنا قرابة الساعة الثالثة.. وعدنا إلى مكان سكني، ثمِلَت بشدة ثم فقدت وعيها قبل أن أذهب».

- «هل ضاجعتها؟».

- «ميراندا، يا إلهي!».

- «لا أطرح هذا السؤال من أجلي، فأنا لا أهتم، ولكن من الأفضل أن تكون قد ضاجعتها، في حالة لو أن الشرطة قامت بسؤالها».

- «ولماذا تستجوبها الشرطة؟ أعتقد أنك قلت لي أن..».

- «لن تستجوبها، ولكني فقط أتأكد وأفكر في كل الاحتمالات، إنها حجة غيابك وأريد أن أعرف ما إن حاولت الشرطة التأكد من صحة حجة غيابك تلك».

- «سوف تبلي حسنًا لا تقلقي، غالبًا سوف تخبرهم أنها حبيبتي، وأننا ذهبنا معًا تلك الليلة؛ حيث أسكن وشربنا ومارسنا الجنس، سوف تخبرهم أنني كنت هناك طوال الليل، ولن تذكر أنها فقدت وعيها، فأنا أعرفها جيدًا».

- «هل كانت لا تزال هناك حين عدت؟».

- «أجل، لم تتحرك من مكانها».

- «وهل أنت من قام بإيقاظها؟».

- «أجل، وقد فعلت ما أخبرتني به تمامًا أيقظتها في حوالي الساعة العاشرة، وأعدتها إلى سيارتها».

مرت سيارة أخرى من طريق «ميكماك» وراقبها «براد» مجددًا. أطفأ سيجارته، ثم ضغط بيده الأخرى على أحد سوالفه.. «حسنًا، عليّ الذهاب، أخبر فريق العمل أن يتوقفوا ليومين حتى أعرف ماذا سوف أفعل لاحقًا.. سوف أتصل بك لأغراض العمل فقط اتفقنا؟».

- «أجل، أعرف ذلك».

- «لن يحدث أي شيء يا براد هذا وعد مني، حتى إن الشرطة ربما لا تقوم باستجوابك من الأساس».

- «أعلم».

تقدمت خطوة للأمام، وحدقت في الطريق للتأكد من كونه خاليًا، ثم أمسكت بيد «براد» الضخمة وأخذتها نحو بنطلون اليوجا الضيق الذي كنت أرتديه، وقلتُ هامسة «وحين ينتهي كل ذلك، سوف أذهب أنا وأنت إلى أحد الشواطئ الاستوائية؛ حيث لا يعرفنا أحد هناك، وسوف تعود هالكًا».

«حسنًا، يا إلهي».. سحب يده بسرعة وتراجع خطوة للخلف «سوف يرانا أحدهم».

«إنك كثير القلق وهذه مشكلتك».

«حسنًا».. أخرج سيجارة أخرى من علبته.. ثم نظر نحو شاحنته ربما مفكرًا في الزجاجة التي يحتفظ بها هناك.

قلت بينما أتوجه إلى سيارتي «سوف أنصرف يا صغيري، حافظ على هدوئك اتفقنا؟».

أومأ لي.. وبينما أخذت المنعطف بسيارتي، أدركت أن «براد» كان غلطة كبرى. أمر لا ريب فيه، وليس في يدي شيء الآن سوى تمنياتي أن تكتفي الشرطة بالتحقيقات في بوسطن، وألا تقوم باستجوابه.

عدت إلى طريق ١-٩٥ ثم اتخذت الطريق الطويل المؤدي إلى أورونو.. حين تزوجت من «تيد» حاولت إقناع أمي أن تنتقل إلى منطقة قريبة من بوسطن، لكنها أصرت على البقاء هناك في «مين».. أعطيتها بعض الأموال فانتهى بها الأمر إلى شراء «تاون هاوس»، تبلغ مساحته ١٦٠٠ قدم مربع، وقعت في حبه منذ النظرة الأولى بسبب ثلاجته المميزة ورخامه الجيرانيت.. أخبرتها بأن امتلاك منزل لطيف في «أورونو» أشبه بامتلاك نصف مساحة انتظار في «بوسطن»، إلا أنها أصرت ولم تتحرك من هناك.. أظن أن رغبتها في الاستمرار في «مين» هو أن تغيظ أصدقائها بما أصبحت تملكه من أموال الآن، هذا علاوة على امتلاكها إلى خزانة ملابس جديدة وسيارة مرسيدس.

«هل أخبرت أبيك أنني أقود سيارة مرسيدس الآن؟ لقد امتلكنا واحدة ذات مرة لمدة خمس دقائق فقط».. قالت لي هذا عقب شرائها للسيارة.

- ««أبي لا يهتم بنوع السيارة التي تملكينها يا ماما».

- «كلا، أنت تقولين ذلك، لأنك تظنين أنه لكونهِ شخص مثقف لا يهتم بنوع السيارات التي يملكها الآخرين».

- ««كلا، إنه بالفعل لا يهتم بنوع السيارة التي تملكينها يا ماما».

- كان ذلك منذ بضعة أسابيع مضت، ولم نتحدث أنا وهي منذ ذلك الحين، حتى اتصلت بها بلأمس لأخبرها أن «تيد»، زوج ابنها، قد لقي مصرعه في محاولة سطو مسلح.. وأخبرتها أنني قادمة للمكوث معها ليومين لعدم رغبتي في البقاء في بوسطن.

«بالطبع لا ترغبين في البقاء يا فايث».. لازالت أمي تناديني بـ«فايث»، الاسم الذي كانوا ينادونني به منذ كنت في السادسة من العمر، وحتى انتهاء الجامعة، والذي أصررت على أن ينادوني به حين انتقلت للصف الأول، ووجدت أن هناك فتاة أخرى في الفصل تسمى «ميراندا».. وبعد التخرج حين طلبت من أمي أن تعود إلى مناداتي بـ«ميراندا»، رفضت قائلة: «لقد تعودت على اسمك هذا يا فايثي ولن أعود إلى ميراندا ثانية».

كان في مقدوري إدراك أن المحقق «كيمبول» انزعج حين أخبرته أنني في الطريق إلى «مين»؛ حيث قال لي «يمكننا أن نحجز لك غرفة في أحد الفنادق هنا، أو يمكن لوالدتك أن تأتي هنا للإقامة معك».

«هل بقائي في بوسطن أمرا مهمًا؟».

«سوف يساعدنا وجودك هنا على الإجابة عن أي سؤال قد نحتاج للحصول عليه».. تحدث المحقق «هينري كيمبول» بصوت خفيض، وبدا متوترًا على أن يكون قد وصل إلى أية رتبة في الشرطة. حين التقيت به وجدته له شعرًا بني اللون طويل إلى حد ما وعينين لهما ذات اللون. كان يرتدي معطفًا خشنًا على بنطال من الجينز، بدا لي كواحد من هؤلاء المفكرين أصحاب الروح التائهة الذين يعملون في المجلات الأدبية حين كنا في الجامعة.

وفكرت كم سأحتاج من الوقت حتى أجعل شخص مثله يقع في حبي، وكانت الإجابة أنه لن يأخذ أكثر مما يحتاجه فنجان قهوة للغليان.

«أنا ذاهبة فقط إلى «مين»... لديك رقم هاتفي المحمول... لا يمكنني البقاء في منزلي الآن.. أنت تتفهم الأمر..».

«بالطبع أتفهم الموقف تمامًا سيدة سيفرسون، حسنًا سوف نبقى على تواصل، وسوف اتصل بك في الحال إذا طرأ أي جديد في التحقيق».

أجرينا تلك المكالمة بعد أن تعرفت على جثة «تيد»، أخذت سيارة أجرى عائدة إلى منزلي وقمت بحزم حقيبتي. قال لي «براد» أن الذهاب إلى «مين» بهذه السرعة قد يثير الشكوك، إلا أنني رأيته أمرًا طبيعيًا للغاية.

فبعد فقدي لزوجي من الطبيعي أن أرغب في تمضية بعض الوقت مع أمي.. هذا ما لم تكن تعرف أمي مصادفة.. وقد منحني السفر إلى «مين» فرصة التوقف عند «كينويك» لأطمئن على أعصاب «براد»، ومعرفة مدى ضرورة قلقي حيالها. وقد اكتشفت أنني لا بد وأن أقلق دون شك.

حين وصلت إلى طريق «بورت لاند»، بدأت في فقد إشارة محطة الراديو التي كنت استمع إليها، فشغلت واحدة من الأسطوانات صنعها «تيد» من أجلي.. بدأت الأسطوانة بأغنية أشار إلى أنها كانت في الحفل الذي التقينا فيه أنا وهو أول مرة، أغنية «mansard roof لفريق «فامباير ويكإند».. لم أستطع تذكر أنني سمعت تلك الأغنية في الحفل، ولكنني أحببتها وغنيت معها.

عندما تزوجت « تيد» لم يخطر ببالي قتله.. صحيح أنني لم أقع في حبه، ولكني كنت معجبة به بما يكفي، فضلًا عن سخائه معي، لم يتذمر أبدًا من نفقاتي رغم إسرافي الشديد.. ولم يكن هناك داع للتذمر على ما أعتقد، فثروته غير قابلة للنفاد.. استيقظت يومًا في صباح مشرق وقد ملأت الشمس غرفتي بأشعتها وأنا لا أزال على فراشي الوثير.. نظرت نحو «تيد»، الذي يغط في نوم عميق وهو ممدد إلى جواري، فرأيتُ وجهًا متغضنًا فوق الوسادة..

تفحصت رقعة صغيرة من الشعر أسفل ذقنه، والتي ربما كان قد أهمل حلاقتها في اليوم السابق.. كان يشخر في نومه، وللحقيقة لم يكن الصوت مرتفعًا، لكنه يصدر صوتًا مع كل نفس يأخذه كما لو أن شيئًا محشورًا بأنفه. كان شخيره أشبه ما يكون بصوت الحازوقة مع كل نفس لعين يأخذه.

الإصغاء إلى مثل هذا الصوت يثير جنوني، أدركت حينها أنني لن أحتمل الاستمرار على هذا الوضع لما تبقى من حياتي. لن احتمل الاستيقاظ كل صباح إلى جوار نفس الوجه، وهو يشيخ إلى جواري، يشيخ ثم يشيخ، ويشخر ثم يشخر. إن ذلك سيئ بما يكفي لأكره حياتي معه، ولكن الأكثر سوءًا بالنسبة لي هو أن «تيد» سوف يستيقظ من نومه عاجلًا وسوف ينظر إليّ وقد ارتسمت السعادة على وجهه وهو يقول لي شيئًا مثل «مرحبًا، أيتها الجميلة».. لا يمكنني

احتمال هذا.. كيف لي أن أرغم نفسي على الابتسام في هذا الوجه في حين أنني لا أرغب في شيء سوى سحقه.. تقلب «تيد» في الفراش قليلًا، فأدركت أنه على وشك الاستيقاظ.. أزحت الغطاء الناعم من فوقي بأقصى سرعة ممكنة واضعة قدمي على الأرض في محاولة لمغادرة الفراش قبل أن يستيقظ، ولكني لم أكن سريعة كفاية للأسف، شعرت بأصابع تيد تمر على ظهري وهو يقول بصوت ناعس عميق «إلى أين تذهبين أيتها الشهية؟»

أدركت في الحال أنني لن أتمكن من الاستمرار.. لقد أردت المال، ولكني لا أستطيع تمضية ما تبقى من عمري مع «تيد» ولا حتى بالقرب منه. وكنا قد بدأنا في العمل على بناء المنزل الذي ابتاع أرضه من أجلي في «كينويك»، وحينها خطر ببالي «براد داجيت» المقاول الذي استعنا به، وفكرت فيما إذا كان من الممكن أن يكون مفيدًا في شيء علاوة على أعمال البناء.

في الوقت الذي كنت وصلت فيه إلى ضواحي مدينة «بانجور»، كانت الأسطوانة انتهت مرتين، ولكني استمعت إلى كل ما صدحت به من أغاني في المرتين. خرجت من طريق ١-٩٥ عابرة خزان «توماسي هيل ستاندبايب»، وصولًا إلى طريق «كيندوسكيغ أفينو»، والذي قادني إلى البلدة التي بدت مقبضة وكالحة، حيث ذبلت معظم الأوراق على أشجارها وتساقطت بالفعل مفترشة الطرق فاكتست المدينة بألوانها المعتادة من الخشب والطوب، التي تميز مبانيها المنخفضة تحت سمائها الرمادية المنخفضة كذلك.

دلفت إلى شارع «ستيت ستريت»، مجاوزة نهر «بينوبسكوت ريفر»، متجهة شمالًا صوب «أورونو»، وقبل منزل أمي بمسافة ربع الميل رن هاتفي، فأخفضت صوت المذياع وأجبت.

«السيدة سيفرسون معك المحقق «كيمبول»».

«مرحبًا» وعلى الرغم من أنه ربما يتصل لأي شيء عادي، شعرت بضربات قلبي متسارعة.

«آسف لإزعاجك، ولكن هل لديك فكرة عما كان يفعله زوجك خلال ذلك اليوم... أعني يوم مقتله؟».

«على حد علمي، فقد مكث طيلة اليوم بالمنزل، رأيته صباح يوم الحادث قبل استقلالي الطائرة إلى «فلوريدا»، وقال لي أن لديه بعض الأعمال التي عليه إنجازها.. وكان يخطط لتناول العشاء بمفرده ليلًا، كان سيطهو لحم الحمل، وبعثت له برسالة لأذكره أن يخرج اللحم من المبرد. جعلت صوتي يرتعد في تلك العبارة.

«أوه، هل كان زوجك على معرفة بشخص ما في وينسلو؟».

أبطأت سيارتي، باحثة عن منزل أمي.

«وينسلو؟ كلا لا أعتقد ذلك، لماذا؟».

«لقد وجدنا مخالفة مرور لسيارة زوجك في وينسلو، وقد تم تحريرها الساعة ٢:٣٢ من ظهيرة يوم الجمعة، التي قتل فيها.. وأردنا أن نعرف إذا ما كانت لديك معلومة عن سبب ذهابه إلى هناك».

لمحت المشى المؤدي إلى منزل أمي، وإلى جواره تقف سيارتها المرسيدس ذات اللون الأبيض الماسي.

- «ليس لدي أية فكرة، أين تقع وينسلو؟ أليست تلك البلدة التي بها الجامعة؟».

- «أجل، هل لدى زوجك جهات اتصال عمل هناك؟».

- «ربما، أنا لا أعرف، لماذا تسأل؟ هل تظن أن ذهابه إلى هناك قد يكون له علاقة بما حدث؟».

- «كلا، كلا إننا فقط نتبع أي خط.. وهكذا على حد علمك، لم يلتقِ زوجك بأي شخص يعرفه خلال يوم الجمعة».

- «أجل، ولكن كما تعلم أنا لم أكن هناك..».

- «بالطبع سيدة سيفرسون وشكرًا لك، وإذا ما تذكرت أي شيء جديد، أو تذكرت من يمكن أن يكون الشخص الذي ذهب زوجك إلى لقائه في وينسلو قومي بالاتصال بي، لديك رقمي أليس كذلك؟».

- «إنك اتصلت بي الآن، فأصبح معي الرقم».

- «صحيح، شكرًا لك».

مكثت في سيارتي قليلًا، رغم رؤيتي لأمي من بعيد تحدق نحوي من نافذة غرفة المعيشة بالطابق الثاني من منزلها. وانتابني بعض القلق أن تجد الشرطة ضرورة للتحقيق في أمر الأماكن التي تردد عليها «تيد» يوم الجريمة، لقد راهنت على افتراضهم لوقوع الحادث نتيجة مقاومة «تيد» للسارق وإغلاق التحقيق على هذا وانتهينا. فكرت فيما إذا كانت أمي لا تزال تدخن وتمنيت لو وجدت سجائر لديها في المنزل، حاولت أن أهدئ من روعي، أمر طبيعي تمامًا أن تسأل الشرطة عن الأماكن التي تردد عليها «تيد» ذلك اليوم.

هذا إجراء روتيني لا أكثر. ولكن لماذا توجه «تيد» إلى وينسلو؟ ولماذا لم يخبرني؟ فأنا لم أكذب على المحقق حين أخبرته أنه ليس هناك من يعرفه «تيد» في وينسلو على حد علمي. ولكن اسم البلدة كان يدق جرسًا ما في رأسي لا أدري سببه..«وينسلو».. ربما يكون هناك شخص ما أعرفه يعيش فيها، أو ربما أخلط بين «وينسلو» و«وينشتر.. ولكن ما الذي يدفع «تيد» إلى الذهاب إلى وينسلو ذلك اليوم؟ هل لديه أسراره هو الآخر؟ والآن ظهر ما يدعو للقلق من أجله إلى جانب قلقي من «براد» وعدم قدرته على السيطرة على انفعالاته. تلك قصة حياتي، قلق لا ينقطع.

ترجلت خارج سيارتي ليلفحني هواء «أورونو» البارد، بينما أسير فوق أوراق الشجر الجافة المتكدسة عبر المشى، جلبت حقيبتي من سيارتي الميني كوبر، واتخذت طريقي صوب الباب الأمامي لمنزل أمي.

الفصل الثامن عشر

لِيلِي

أخذت أفكر وأنا في طريقي من «وينسلو» إلى «كينويك» في «ميراندا»، وما فعلته بـ«تيد».. كان إنسانًا بريئًا، فعلى الرغم من تخطيطه لقتل «ميراندا» وعشيقها «براد»، كنت أعلم في قرارة نفسي أنه ليس قاتلًا بطبعه، لم يكن متوحشًا ولا قاسي القلب. وها قد أدركت الآن أنه كان الضحية طيلة الوقت.. وفكرت فيما إذا كان قد استشعر نية «ميراندا» للغدر به ولو في عقله الباطن، وكان ذلك سبب رغبته في قتلها، كونه استشعر الخطر منها ونيتها في الانقضاض عليه غدرًا، مثلما تستشعر بعض الحيوانات الخطر قبل حدوثه.

يوم بارد وغير مشرق، إلا أن نافذة سيارتي كان بها شق قد مكنني من استنشاق هواء البحر، بمجرد أن خرجت من طريق ١-٩٥ إلى شمال «بورتسماوث»، لم أكن على معرفة جيدة ببلدة «مين»، فمنذ أن عشت في ماساتشوستس»، لم أزر «كاب كود» سوى عدة مرات، نزلت خلالها في «ويتفيت» بمنزل زميلة عمل وصديقة لي، ولكني لم أتوجه إلى الجزء الشمالي من ولايتي سوى في مناسبات محدودة.. وصلت إلى طريق «روت١» وعبرت منطقة «كيتري»، أرض المتاجر ومنافذ البيع، ولمحت متجر «تريدنج بوست»، الذي ابتاع منه «تيد» المنظار الذي تجسس به على «ميراندا». يمكنني تخيله على نفس هذا الطريق منذ بضعة أسابيع، يمكنني تخيل شعوره حينها، ذلك الخواء الرهيب والألم الذي يعتصر القلب حين يخذلك من تحب.

بمجرد أن تجاوزت المتاجر، اتضح المشهد متجليًا من الطريق، ويمكنني أن ألمح الآن أهوار البحر، ومن بعيد، أرى المحيط الأطلسي الذي يبدو رمادي اللون مثل لون السماء الهادئة، التي كما لو كانت تلتحم به من على تلك المسافة.

استغرق العثور على فندق «كينويك إن» بعض الوقت، حيث خرجت من طريق «روت١» عند شاطئ «كينويك بيتش»، ثم كان عليّ العودة جنوبًا إلى ميناء «كينويك هاربور».. اجتزت بسيارتي مجموعات صغيرة من الكبائن والأكواخ المواجهة للشاطئ، وتساءلت: أيٌّ منها يا ترى ملكٌ لـ«براد» وعائلته..

مررت كذلك من أمام مطعم «كولي» ولافتته النيون التي كانت مضاءة حتى ذلك الوقت الباكر من ظهيرة يوم الأحد.. ولمحت شاحنة تقف هناك وفكرت فيما إذا كان «براد» في المطعم بالفعل. وعقب انتهاء «كينويك بيتش» شق طريق «ميكماك» طريقه عبر البنايات الفاخرة.. بحثت بعيني عن المنزل الذي كان يعمل كل من «تيد» و«ميراندا» على بنائه، وكان في مقدوري العثور عليه في الحال، مبني رهيب ضخم أصفر اللون يجثم فوقَ ربوة عالية ومن خلفه يموج المحيط بلونه الداكن..

رأيت هناك صندوقين كبيرين للنفايات، ولكني لم ألمح وجود أية سيارة في محيط المنزل.

سرت في طريقي حتى بلغت الفندق، وتركت سيارتي عند أقرب مكان منه.. رأيت أسفل اللافتة الخشبية التي تحمل اسمه، لافتة أخرى فرعية مزينة تعلن «هناك غرف شاغرة».. توقعت ذلك، ففي مثل هذا الوقت من العام من شهر أكتوبر يتوجه السائحون إلى أعالي الجبال لمشاهدة تغير ألوان أوراق الشجر في فصل الخريف، تاركين الشواطئ إلى قلة من المترددين عليها.

تفحصت الفندق المبني على طراز هيكل خشبي في مواجهة الطريق مباشرة، والمزود بمساحة خلفية خاصة واسعة، تم تصميمها لتبدو على نفس طراز المبنى الأصلي. تم طلاء كل الأعمال الخشبية الخارجية باللون الأبيض، والذي بدا مبهجًا ومريحًا حتى تحت السماء المتجهمة رمادية اللون.. لست

واثقة أن حجز غرفة في الفندق من الذكاء، ففرصة إقامة «ميراندا» هناك ضئيلة للغاية.. زوجها لقى مصرعه لتوه، ولا بد أن تكون في «بوسطن» لتهتم بالأمر.. ولكني لست واثقة بنسبة مئة بالمئة من عدم وجودها. ولكننا وإن التقينا مصادفة لن تقع كارثة، فلن يخطر على بالها أنني على علاقة بزوجها من الأساس.. ليس بيننا أي جهات اتصال أو أصدقاء مشتركين على الإطلاق.. ولكن قد تتسبب رؤيتها لي هنا في هذا التوقيت في أن تأخذ حذرها، وأنا أريدها هادئة تمامًا حتى تنجح خطتي.

قررت البقاء، أود أن ألقي نظرة على المكان الذي أمضت فيه «ميراندا» أغلب العام الماضي.. فالناس بالتأكيد يعرفونها هنا، وربما يدور بينهم بعض الحديث عنها مما يمنحني ميزة لم تخطر على بالي.

تمشيت من السيارة صوب الفندق مستنشقة الهواء، الذي بدا كرائحة خشب محترق.. وما أن لمحني أحد عمال الفندق حتى خرج إلى من أحد أبوابه الجانبية فاتحًا لي الباب لأتمكن من الدخول للفندق حاملة حقيبتي.. مشيت على الأرض الخشبية غير المستوية وصولًا إلى مكتب الاستقبال الخاوي من أي موظف.. انتظرت دقيقة، ثم قرعت الجرس، فظهر رجل رمادي الشعر ذو شاربٍ كث من أحد المكاتب الجانبية.. أظهرت شارة اسمه «جون كورنج» خدمات الاستقبال والإرشاد.

- «هل ترغبين في المغادرة؟».

- «بل أرغب في حجز غرفة، هذا إذا كانت هناك غرف شاغرة، فليس لدي حجز.»

استغرق الأمر خمس عشرة دقيقة حتى يصف لي مختلف الغرف المتاحة، واستقررت في النهاية على واحدة في القسم القديم بالفندق، وقد أخبرني بأن سقفها منخفض، إلا أنها تطل على منظر رائع للمحيط.

سألني «هل أنت في زيارة عابرة؟».

«أخذت إجازة ليومين وفكرت في زيارة المكان هنا؛ لأنها المرة الأولى لي.. فكرت في مكافأة نفسي».

«حسنا، لقد اخترت الوجهة المثالية.. هناك خدمة العشاء هنا، ولكن عليك الحجز مسبقًا للحصول على تلك الخدمة.. غرف العشاء مغلقة الليلة، ولكن مطعم «ليفري» مفتوح ويقدم طعامًا طيبًا في رأيي.. عليك أن تجربي طبق «لوبستر بي. إل. تي». ويسعدني أن أرشح لك المطاعم القريبة من هنا في أي وقت.. هل ترغبين أن يساعدك أحدهم في الوصول إلى غرفتك؟».

أخبرته أنني لست في حاجه لذلك، وصعدتُ الدرج الضيق إلى الطابق الثاني. وجدت المشهد من غرفتي يطل على مساحةٍ ضيقة من المحيط ومجموعة كبيرة من الأشجار، إلا أن الغرفة كانت لطيفةً ذات جدران زرقاء داكنة.. فكرت فيما إذا كان «تيد» و«ميراندا» قد نزلا في نفس هذه الغرفة ومارسا الحب على نفس ذات الفراش.

أفرغت حقيبتي، وأبلغت «جون» في مكتب الاستقبال أنني سوف أبقى ليومين إلا أني في واقع الأمر أحضرت معي ملابس لما هو أطول من ذلك، استعدادًا لأي تطورات في الموقف.. شعرت أن الغرفة دافئة أكثر من اللازم، وشى صوت المبرد بأنه لا يعمل بكفاءة، فتحت النافذة، ووقفت هناك استشعر الهواء البارد يغمرني..

قلّت كثافة السحب المنخفضة مع حلول بعد الظهيرة، فتمكنت من رؤية ظلال الفندق الممتدة عبر الطريق. سيحل الظلام في غضون الساعة أو أقل. عزمت على التمشية على ممشى الجرف في اليوم التالي، ثم تركت النافذة مواربة واستلقيت على الفراش الناعم محدقة في سقف الغرفة الذي تقاطعت عليه بعض الأشعة الخافتة، تخيلت ميراندا في نفس الموقف فوق هذا الفراش تحدق إلى نفس المشهد..

رأيتها مستلقية هناك عارية أسفل غطاء ناعم تفكر في الرجلين اللذين في حياتها - زوجها وعشيقها- وتخطط لعملية القتل. حاولت التفكير في «تيد»، إلا

أن عقلي كان يعود ثانية إلى «ميراندا».. أمن الممكن أن أكون مخطئة بشأنها، وأن يكون زوجها قد تعرض للقتل على يد سارق بالمصادفة البحتة؟ رفض عقلي تصديق ذلك، على الرغم من أن الاحتمال قائم. وهذا أول ما على التأكد من صحته وحسمه، ولهذا لا بد وأن التقي بـ«براد» في أسرع وقت ممكن.

انهمك عقلي في التفكير بـ«ميراندا»، تذكرتها منذ عدة سنوات مضت، وهي تحدق في عيني يوم ثملنا سويًا في سانت دونسان، حين قالت لي إنها ترغب في تفحصهما، وسمحت لها.. لا زلت قادرة على شم رائحة الفودكا اللطيفة تفوح من أنفاسها، بينما تلمس خصري بيدها.. أخبرتني بطيف الألوان المنعكس في عيني، وفكرت فيما تريد من كل ذلك، ولم اهتدِ لشيء سوى أن دوافعها تتعلق بـ«إريك»، فأنا الآن حبيبة صديقها السابق وربما أرادت أن أشعر بالتوتر في وجودها، ولكنني حين استرجع الموقف أشك في أنني كنت مقصدها، ربما أرادت أن تسبر أغواري بطريقتها الخاصة.. ترى ماذا رأت هناك في عيني؟ هل رأت «شيت» مستقرًا داخل البئر؟ أم رأت فيهما قواسم مشتركة بيننا أبعد من «إريك واشبيرن».

قطع تواصل أعيننا صوت قادم من نهاية الغرفة لفتى لا أذكر اسمه قائلًا «قبلة تلك».. لا أنسى تلك اللحظ مطلقًا، ترى هل لازالت تذكرها هي الأخرى؟

مكثت في غرفتي حتى تجاوزت الساعة الخامسة بقليل، ثم غيرت ملابسي مرتدية بنطالي الجينز الضيق للغاية، ورفعت شعري لأعلى ذيل حصان، ووضعت مساحيق تجميل أكثر من المعتاد، من بينها محدد عين داكن اللون. حيث خططت عقب تناولي للغداء في مطعم «ليفري»، أن أتوجه إلى «كوليز»، وأردت أن يتناسب مظهري والمكان.

كان المكان هادئًا حين اتخذت مقعدًا في البار، والذي بدا النادل من خلفه كعملاق يعاني من عسر الهضم في الحمالات ورابطة العنق اللتين يرتديهما. وجدته يقطع الليمون إلى شرائح، بينما أخذت العاملة تمسح الطاولات.. جلس رجل رمادي الشعر ممسكًا بجيتار يضبط مكبر الصوت في إحدى نهايات المكان، وفي الجهة المقابلة له كانت هناك مدفأة لا تشتعل فيها النيران..

علقت حقيبتي على خطاف مزود في أسفل البار المصنوع من خشب البلوط وجلست طالبة زجاجة من البيرة الخفيفة. عرضت شاشة التلفاز المعلقة أعلى الزجاجات بعض الأخبار البارزة عن مباريات كرة القدم، وتصنعت الاهتمام.. وفكرت فيما إذا كان هناك من سيأتي إلى المكان مساء يوم الأحد، ولكن ما أن دقت الساعة السادسة حتى توافد إلى المكان على الأقل نحو خمسة عشر شخصًا دفعة واحدة، جلس أغلبهم على البار، وكان رجل الجيتار قد غني أغنيتين لفريق «إيجللز»، بينما أوشكت على الانتهاء من زجاجتي الثانية. شعرت بالجوع فلم آكل منذ وجبة الإفطار وطلبت برجر الديك الرومي مع البطاطس الحلوة المقلية.. وبمجرد وصول وجبتي، جلس «جون» موظف الاستقبال الذي حجز لي غرفتي على بعد مقعدين مني وطلب «جراي جوس» مارتيني».

قلت له «مرحبًا» وأنا أحرك مقعد البار تجاهه.

راقبت عينيه مستقرة على وجهي، ورأيت فيهما نظرة مختلفة قليلًا عن تلك التي نظر إلى بها في الاستقبال.. بعد لحظة صمت طويلة «مرحبًا أيتها النزيلة التي بلا حجز مسبق، كيف وجدت غرفتك؟».

- «إنها لطيفة، لقد كنت محقًا».

- «ألم تخفضي رأسك وأنت دالفة إليها من الباب؟».

- «تقريبًا».

وصل مشروبه، الذي كان ممتلئًا عن آخره بشكل ملحوظ «كيف تتوقع مني أن أشرب ذلك؟»، قالها لساقي البار والذي وبدون أي كلمة قام بوضع شفاطة سوداء في كأس المارتيني، وقام جون بالشفط منه ليقل منسوب المشروب ربع بوصة، ثم نقر بإصبعه الشفاطة باتجاه نادل البار الذي صدها بصدره وتركها تسقط على الأرض.

«لطيف أن يكون بمقدورك مغادرة عملك وقطع مسافة أقل من مئة ياردة للحصول على كأس مارتيني».

«لم أكن أمزح حين أطريت على هذا المكان، أنظري إلى الدعاية المجانية العظيمة التي أقدمها له بشربي هنا».. بدت ضحكته أشبه بالقهقهة التي ارتفع معها كتفه وانخفض.

تجاذبنا أطراف الحديث، بينما أتناول وجبتي وهو يشرب كأسه، مضيفًا الثلج إليه.. فقدت الأمل أن يسفر حديثنا عن أي إشارة لـ«تيد» و«ميراندا»، إلا أنه ومع وصول كأسه الثاني استفسر قائلًا «هل ذكرت أنك من بوسطن؟».

- «كلا أنا من ماساتشوستس، وينسلو على بعد قرابة العشرين ميل منها غربًا».

- «هل قرأت عن جريمة القتل التي وقعت في ثاوز إند؟ مقتل تيد سيفرسون؟».

- «أجل، قرأت أنها كانت عملية سطو مسلح أو شيء من هذا القبيل أليس كذلك؟».

«أجل، كان يشيد منزلًا له هنا، على مسافة ميل أعلى الطريق»، ثم أشار بإصبعه الضخم تجاه الشمال قبل أن يردف «إنها يقيمان هنا - كانا يقيمان هنا- طيلة الوقت».

- «أوه يا إلهي هل كنت تعرفه؟».

- «أجل كنت أعرفه جيدًا، وزوجته «ميراندا» أقامت هنا طيلة العام الماضي تحديدًا».

قال نادل البار قاطعًا صمته «أجل كانت تعيش في الفندق، وكانت تأتي في كثير من الليالي إلى هنا لتناول الغداء».

سأله جون «هل سمعت سيدني بالخبر؟» لاحظت توقف سيدتين عن حديثهما منتبهين إلى الحديث الدائر بيننا.

«لا أعرف، ولكني على ثقة من أن الخبر قد وصلها، فالمدينة كلها ليس لها حديث آخر».

سألتهم محاولة الاستمرار في المحادثة «هل اكتمل بناء المنزل؟».

أجاب جون «كلا، إذا تمشيت إلى نهاية الجرف سترينه هناك، مبنى ضخم للغاية، وفي رأيي مظهره قبيح، ولكنه مجرد رأي شخصي».

«ماذا في اعتقادك سوف يحدث له؟».

«لا أدري على وجه اليقين، ولكني سمعت أن «ميراندا»، سوف تكمل بناءه وتنتقل إلى هنا للعيش فيه».

«أجل سوف تنتقل للعيش هنا بالتأكيد» أكدت واحدة من السيدتين اللتين كانتا تسترقان السمع إلى حديثنا، وبدا أنهما في العشرينيات من العمر، ارتدت واحدة منهما معطفًا خفيفًا، والأخرى سترة واقية من الأمطار، وكان صوتها خشنًا كمن أمضت سنوات مراهقتها كلها في التدخين.

سأل جون «هل تظنين ذلك؟».

«أجل، أعني أنها عاشت هنا طيلة العام الماضي، ولم تكف عن الحديث عن المنزل، وكيف أنها أحبته وعن مدى الروعة التي سيكون عليها وغيره.. كما أنها في الأصل من «مين» أورانو.. أعني أنها ربما لن ترغب في الانتقال إلى العيش في منزل ضخم كهذا الآن نظرًا لوفاة زوجها، ولكن لن يدهشني قدومها.. يمكنها الآن العيش في أي مكان تريده بأموالها».

سألت:

- «ولكن لمَ كانت تعيش هنا طالما لم يكتمل بناء المنزل؟».

- «كانت تشرف على عملية البناء، فقد ذكرت أنها من قام بتصميم المكان.. كان زوجها يأتي إلى هنا في عطلات نهاية الأسبوع، كنا نعرفه جميعًا معرفة جيدة».

- «كيف كان يبدو؟».

- «كيف كان يبدو؟ كان شخصًا لطيفًا، ولكن بعيد بعض الشيء على ما أعتقد.. كان الجميع هنا يعرفون ميراندا»، أكثر ربما لتواجدها هنا باستمرار».

«علاوة على أن ميراندا كانت دائمًا ما تحضر إلى البار، ولكن تيد لم يفعل». أضافت السيدة التي ترتدي الكاب، وبمجرد أن قالتها تحول وجهها إلى لون شاحب حين تذكرت أن «تيد» قد قتل، ثم وضعت يدها على فمها قبل أن تقول «لولا أنه قد..». ثم توقفت.

سألت «هل كانا ثريين».

استجاب كل من في دائرة نميمتنا الصغيرة إلى سؤالي في الحال، قالت الشابتان في نفس واحد «أوه أجل».. وزفر «جون» بصوت عال، وأومأ نادل البار برأسه بشكل مبالغ.

ثم قال جون «ثراء فاحش، لا بد أن تذهبي وتري المنزل بنفسك، ستتعرفين عليه بسهولة، أعتقد أنه يحتوي على عشر غرف نوم دون مبالغة».

انطلق عازف الجيتار يشدو أغنية «مونلايت مايل» لفريق «ستونز»، بينما استمر أصدقائي الجدد في الحديث عن ثراء «تيد» و«ميراندا سيفرسون».. وصفته الفتاة صاحبة المعطف «بالبليونير»، أما جون فأشار إلى أنهما كانا «في رغد من العيش».. ذهبت إلى الحمام وحين عدت وجدت السيدتين قد ذهبتا للتدخين خارجًا، وأن «جون» طلب لي بيرة أخرى.

قلت له بينما أتخذ مقعدي «بما أننا منهمكين في النميمة، أليس من الغريب أن تظل هنا في الفندق طيلة هذا الوقت بعيدًا عن زوجها، هل تعتقد أنها كانت تواعد أحدهم؟».

حك «جون» أحد جانبي شاربه المبروم قائلًا «لا أظن ذلك، كانت تبدو سعيدة حين ترى تيد».. بدا صوته فاترًا نوعًا ما، كما لو كنتُ تجاوزت بسؤالي الكثير.

«كنت أتساءل فحسب، إنه أمر حزين للغاية».

بقيت لاحتساء المزيد من البيرة، وغادر جون بعد كأسه الثاني من المارتيني، فتسللت وانضممت إلى السيدتين بعد أن قدمت نفسي لهما.. تعرفت عليهما «لاوري» و«نيكول» وكلاهما تعملان نادلتين، واحدة في مطعم أسماك في «بورتسماوث»، والأخرى نادلة بأحد الفنادق القابعة على شاطئ البحر على بعد ميلين من هنا. وليلة الأحد هي ليلة خروجهما للسهر معًا.

كل ما أرادتا الحديث عنه هو «تيد» و«ميراندا» وتبدل حديثنا بين الاحترام في جانب منه والبذاءة في جانب آخر.. وبحلول الثامنة اكتظ المكان بالوافدين ومن بينهم زوجان صديقان لـ«لاوري» و«نيكول»، واللذان انضما إلى مجلسنا، ويدعيان «مارك» و«كالي»، وهما في الثلاثينيات من العمر ويعملان كذلك في مجال المطاعم، والكثير مما ذُكر آنفًا عن «تيد و«ميراندا» تكرر مع جلوسهما ولم يضيفا أي جديد.. لم أكن مصغية إلى كل ما يدور، وقد قررت العدول عن الذهاب إلى مطعم «كوليز»، وإرجاء ذلك إلى مساء اليوم التالي.. كما أنني ونظرًا لشربي الكثير من البيرة التي قدمها لي أصدقائي الجدد، وعلى الرغم من كونها من النوع الخفيف، إلا أنني شعرت بثمالة لا تؤهلني للحديث مع «براد داجيت» هذه الليلة.

ومع اقتراب موعد إغلاق المكان، وبينما تعالى صوت الرفاق أكثر، تساءلت مجددًا عن احتمالية لعب ميراندا بذيلها مع أحدهم في «مين».

قالت لاوري، التي صنفت نفسها كأكثر الأشخاص قربًا إلى ميراندا في المجموعة «لا أظن ذلك، إذا كانت على علاقة بأحدهم فأين ومتى تقيم تلك العلاقة، فإنها كانت تمضي طيلة الليل هنا ثم تتوجه إلى غرفتها مباشرة بنهاية الليل، كلا لا أظن أنها كانت على علاقة بأي شخص هنا.. أعني أنه ليس هناك الكثير من الأماكن هنا التي يمكنها فيها إقامة علاقة سريعة».

قالت نيكول «أجل هناك..».

«لا أقصد الإساءة يا مارك، فأنت مرتبط بالفعل، ولكني أشك في ذلك».

قال مارك «إنها مذهلة الجمال، وهذا يجعلك تشكين في الأمر»، وأومأت حبيبته «نيكول» مصدقة على ما قال.

سألت «هل هي جميلة حقًا؟».

- «يا إلهي، أجل، غاية في الجمال، أشبه بعارضة أزياء فاتنة».

- «أتعني أنه لا بد، وأن يكون هناك من حاول الدخول في علاقة معها؟».

- «إذا ما ترددت على أماكن أخرى فالإجابة نعم، أماكن مثل «كوليز»، ولكن ليس هنا، فهذا البار ليس من نوع الحانات المخصصة لعلاقات اليوم الواحد».

قالت «كالي»، «وإلا كانت سيدني قد دخلت معها في علاقة».

مرة أخرى تفاعل الجميع مع العبارة وأومأوا برؤوسهم، وقالت «لاوري»: «أجل إن سيدني مهووسة بها»، ثم أشارت موضحة لي «سيدني يا لِيلي هي عاملة البار التي تعمل هنا لمعظم الليالي، كانت واقعة في حب «ميراندا» ومولعة بها، ولكنه كان حبًا من طرف واحد ولم تجد تجاوبًا منها».

لم أتلق أي معلومة جديدة من هذا الحديث، وحين بلغت الساعة العاشرة، وأغلق المكان، توجهت إلى غرفتي مرتدية شورت وقميص خفيف للنوم، والقيت بنفسي على الفراش ودخلت أسفل الملاءة المثبتة عليه، لم أتمكن من النوم ربما

بسبب أن قدمي مدسوستين أسفل الملاءة كلية، وأنا لم أعتد على ذلك الوضع، أغلقت المصباح الجانبي فتحولت الغرفة إلى الظلام الدامس، وهو الأمر الذي لم أعتد عليه أيضًا.. يتسم المكان الذي أقطن فيه في «وينسلو» بالهدوء، إلا أن الشوارع كانت مزودة بعمدان الإنارة فلم تشهد غرفتي تلك الدرجة من الظلام. حاولت التفكير في «تيد»، إلا أن ظلام الغرفة الدامس ذكرني بمكانه الآن، وبمجرد أن دخلت في النوم، تسللت «ميراندا» إلى وعيي، فرأيت عينيها على بعد بوصة من عيني، وتحولت يدها إلى قبضة محكمة على خصري تغرس بأظافرها الأشبه بالمخالب في لحمي.

الفصل التاسع عشر

ميراندا

تلك الليلة في مدينة أورونو - عقب تناول وجبة سريعة سيئة من الطعام الصيني، ومشاهدة أمي تقاوم رغبتها في إمطاري بوابل من الأسئلة حول زوجي المتوفى بدلاً من التحدث عن حياتها المثيرة للشفقة - تمددت في غرفة الضيوف الخالية من الديكورات على سرير صغير يمثل قطعة الأثاث الوحيدة في الغرفة التي تلونت جدرانها بالأبيض المائل إلى الصفرة وحتى مع الضوء الخافت القادم من مصابيح الشارع، أصابتني بضيق لافتقارها إلى الذوق.

بقيت مستيقظة غارقة في أفكاري يؤرقني القلق حيال «براد»، ومدى قدرته على الحفاظ على رباطة جأشه وأفكر في سبب ذهاب «تيد» إلى مدينة وينسلو يوم مقتله. أخذت طوال اليوم أردد - وينسلو وينسلو- وأنا على ثقة من أن هناك من أعرفه ويعيش فيها. ومن الواضح أنه شخص يعرفه براد أيضًا. أخذت أقلب الأمر في رأسي من كل النواحي مرات ومرات ولكني لم أهتدِ لشيء.. لا شيء على الإطلاق.

أخذت في عض ظفر إبهامي حتى سال منه الدم ثم أوقفت نفسي. فكرت في النهوض ونزول الدرج للبحث عن السجائر التي تظاهرت أمي بعدم وجودها. ولكني أعرف أنها لو سمعتني سوف تخرج من غرفة نومها لتلقي على مسامعي المزيد من ثرثرتها. بدلاً من ذلك حاولت الاستمناء، فالعادة السرية هي الطريقة الوحيدة المضمونة التي أعرف أنها تساعدني على النوم.

تخيلت رجالًا بوجوه خالية المعالم كما كنت أفعل دومًا ولكن سرعان ما تبدلت وجوههم بوجوه تيد أو براد، فاستسلمت في النهاية وسلمت نفسي لليلة يجافيها النوم. أخذت أحدق في السقف وأرى شعاع الضوء الذي يتحرك فوقه عند مرور سيارة مسرعة على الطريق.

ربما ذهبت في النوم، لأنني حين استيقظت وجدت أمي تقف فوق رأسي ترتدي رداء زهري اللون، ولا يزال شعرها رطبًا من الاغتسال.

«يا إلهي أمي ماذا هناك».

«آسفة فايثي.. كنت أريد رؤية وجه ابنتي الهادئ خلال نومها فحسب».

«هذا ما أقصده بالضبط، كنت أنعم بنوم هادئ حتى أتيت».

«عودي إلى النوم إذن.. سأذهب إلى المطبخ في الطابق السفلي، وسأبقي إفطارك دافئًا».

بقيت مستيقظة في السرير بعد أن غادرت أمي وأمسكت بهاتفي.. كان مغلقًا منذ مساء أمس ويعج الآن بمئات الرسائل الصوتية من الأصدقاء الذين أرسلوا تعازيهم، ويبدون استعدادهم للمساعدة حال حاجتي لأي شيء. تفقدت الإنترنت باحثة عن أي جديد بشأن حادث مقتل «تيد»، لا شيء هناك. التقارير لا تزال تركز على الاقتحام العشوائي للمنزل وعلى خوف الجيران مما حدث وتضامنهم معنا. لا توجد أخبار وهذا في ذاته خبر سعيد.. قررت العودة إلى بوسطن ذلك اليوم أو ربما أذهب إلى كينويك، فالبقاء مع أمي ليوم آخر وليلة أخرى أمر غير وارد.

تحدثنا على الإفطار عن خططي وألقت أمي عليّ الأسئلة التي تعرف إجاباتها مسبقًا، فتلك عادتها لا غرابة.. جميعها أسئلة من نوع: ما الملابس التي تنوين ارتداءها في أول يوم في الدراسة؟ ما الكلية التي تفكرين في الالتحاق بها؟ لماذا تعتقدين أن والديك قد يفعلان شيئًا كهذا؟ ذاك الصباح سألتني عن المكان الذي أنوي العيش فيه الآن بعد وفاة «تيد»، ثم أجابت قائلة قبل أن أرد عليها «ليس في بوسطن بالطبع.. أعلم ذلك مسبقًا».

- «بل ربما أعيش بوسطن».

- «فايثي.. لا تقولي هذا بعدما حدث.. من الواضح أن الحي الذي تسكنين فيه لم يعد آمنًا.. لم أظنه أمن مطلقًا وكنت محقة. شاهدت ذلك الفيلم مع مات ديمون عن حي ساوث...».

- «أمي أنا أعيش في الطرف الجنوبي وليس في ساوث بوسطن.. وهما مكانان مختلفان تمامًا».

- «من الواضح أنهما ليسا كذلك، ولو كانا مختلفين فإنهما يشتركان في العنف والخطورة. يمكنك الانتقال إلى هنا حتى يرى الجميع ما حققته في حياتك وما آلت إليه.. ومع المال الذي تملكينه يمكنك شراء أكبر منزل هنا».

- «أمي لا أريد التحدث عن هذا.. ليس الآن حسنًا».

يحسب لها أنها أومأت برأسها مذعنة وبدأت في غسيل الأطباق.. سامحتها على أنانيتها وسوء أخلاقها.. لطالما فعلت ذلك.. يقول الناس إن الشخصيات تتشكل وتتحدد ملامحها عندما نصل إلى الخامسة من العمر، ولكن لم تتشكل شخصية «ساندرا روي»، بشكل كامل إلا في النصف الثاني من حياتها عندما فقد أبي منصبه كرئيس لقسم التاريخ في «جامعة مين»، حين راود فتاة في الصف الأول عن نفسها.. قبل تلك اللحظة ظنت أمي أنها تعيش حياة من الرفاهية.. أعتقد أنها كانت كذلك بالفعل، حيث كانت نشأتها في شقة في مدينة ديري، وبذلت كل ما بوسعها حتى التحقت بجامعة ماين؛ حيث قابلت إليكس هوبارت طالب دراسات عليا ينتمي إلى الطبقة الوسطى من ولاية فيرمونت.. تركت أمي الدراسة في صفها الثاني لتتزوج منه، وتنجب أخي أندرو بعد أشهر قليلة ثم أنجبتني بعده بعام.

حصل أبي على منصب دائم في قسم التاريخ في الجامعة بينما كنا صغار.. وتميز في عمله حتى أصبح أصغر رئيس قسم في تاريخ الكلية.. وكان راتبه

الذي يتزايد كل عام ثروة حقيقية في مدينة أورونو.. اكتفت أمي بي وبأخي وجعلت من منزلنا الذي بني خصيصًا على الطراز الكولوني مشروعًا خاص تتعهده برعايته.. عندما كنت في التاسعة من عمري سافرت العائلة إلى أوروبا، وعادت أمي بلكنة جديدة في النطق فبدت كممثلة أمريكية من خمسينيات القرن الماضي.

ثم انهار كل شيء في العام الذي بدأت فيه الدراسة في المرحلة الثانوية.. قامت فتاة بالصف الأول تتلقى دورات دراسية يقدمها أبي عن مصر الفرعونية بتصوير أبي وهو يطلب منها الجنس مقابل منحها درجات.. أسفرت الفضيحة عن إقالة أبي على الفور من منصبه، وطردته أمي من المنزل وطلبت الطلاق.. أتذكر ذلك العام الطويل الذي استشاطت أمي طواله غضبًا، والتي بدا أنها كانت تلوم أبي لخسارته الوظيفة ذات الراتب الجيد أكثر مما تلومه على محاولة الابتزاز الجنسي..

استهدفتني بتلك الأحاديث وحدي.. حيث اكتشف أندرو الماريجوانا ثم فرقة فيش الموسيقية ليقضي كل وقت فراغه في غرفة نومه مغطيًا أذنيه بسماعات كبيرة.. لم تكن هناك أية مدخرات.. ذهبت جميع أموال والديَّ في تأثيث المنزل وقضاء العطلات. وبعد عامين من الطلاق، باعت أمي المنزل وانتقلنا إلى شقة علوية تحوي ثلاث غرف نوم كانت تؤجر عادة للطلاب.. مكث أندرو معنا في تلك الشقة لأقل من شهر قبل أن ينتقل إلى منزل أحد أصدقائه، وهو في السنة الأخيرة من المرحلة الثانوية.. اعترضت أمي على انتقاله، ولكني كنت أعلم أنها لا تهتم لأمره بالفعل.. لقد تحوّلت إلى معاداة جميع الرجال بمن فيهم أخي قليل الحيلة..

كانت تقول لي «نحن الآن امرأتان معًا فقط» وهي مصرة على أن بقاءنا في تلك الشقة أمر مؤقت.. ولكننا مكثنا هناك حتى أنهيت دراستي الثانوية.. تخرج أخي ثم قضى عامًا يتابع فيه جولات فرقة فيش الموسيقية في أرجاء البلاد، وانتهى به الأمر في مدينة سان دييجو؛ حيث لايزال يعيش هناك.. آخر ما عرفته عنه أنه كان يعمل في حانة ويرافق امرأة لديها أربعة أطفال.. اتصل

وترك رسالة مسجلة على هاتفي بعد وفاة «تيد»، ولكني لم أعاود الاتصال وربما لا أفعل ذلك.

انتقل أبي عقب الطلاق إلى مدينة بورتلاند حيث حصل على وظيفة مؤقتة في كلية مجتمعية.. وحصلت أمي على عمل كعاملة استقبال في عيادة طبيب أسنان. وبين راتب أمي وشيكات دعم الأطفال الهزيلة المرسلة من أبي استطعنا العيش على الكفاف.. لم تكف أمي عن ترديد أن بيتنا النسوي قد يعني دمار حياتها، أما أنا فلاتزال أمامي الفرصة لحياة أفضل.. والأفضل بالنسبة لأمي لا يعني سوى المزيد من المال.

في مرحلتي الثانوية كنت فتاة متوسطة الجمال، ولكني حولت نفسي إلى سارقة من الطراز العالمي. وقعت معظم سرقاتي خارج مدينة أورونو، تحديدًا في مدينة بانجور أو مدينة بورتلاند، خلال إحدى زياراتي إلى أبي. وأسرق في الغالب تلك المتاجر ذات الأقسام المتعددة.. وكانت تلك الأماكن توظف أفراد أمن يتجولون فيها ويحاولون التظاهر بأنهم عملاء، باحثين عن السارقين عن طريق ملاحظة لغة جسدهم أو البحث عن شخص يبدو عصبيًّا أو مثيرًا للشكوك.. لم يمسك بي أحدهم مطلقًا؛ لأنني لم أتصرف كسارقة، أتقنت دور الفتاة العادية اللامبالية التي تملك بطاقة والديها الائتمانية وتقوم بالتبضع العشوائي، فأجلب معي محفظة كبيرة إلى أي مكان أذهب إليه باحثة عما خف وزنه وغلى سعره مثل الأوشحة والعطور، تمرست في عملي للغاية.

المرة الوحيدة التي كنت على وشك الافتضاح عندما رآني أحد زملاء الدراسة، وأنا أسرق من صيدلية في مدينة أورونو.. كنت نادرًا ما أسرق شيئًا من هناك. كانت الصيدلية قريبًة من المنزل للغاية وأتردد عليها كثيرًا.. كنت في الصف الثاني الثانوي حينئذ.. اشتريت عدة أشياء من إحدى البائعات التي كانت لها عيني صقر، ولكني وضعت في محفظتي ثلاث علب شفرات لماكينة الحلاقة جيليت فينوس الموجودة في المنزل.

وبعد أن عبرت الأبواب الأوتوماتيكية سمعت صوت أحدهم يقول: «أعتقد أنك نسيت دفع ثمن شيء ما».

التفت لأجد فتى من المدرسة اسمه «جيمس» لا أذكر اسم والده، لم أعلم أنه يعمل في تلك الصيدلية.. فقلت له «عفوًا» محاولة التظاهر بأن لدي أمورًا أهم من التحدث إلى موظف في صيدلية.

فقال «في محفظتك، رأيتك تضعين الشفرات هناك».

«يا إلهي!».. قلت محاولة رسم الصدمة على وجهي: «لقد نسيت أمرها تمامًا». وعدت أدراجي قائلة «سوف...».

ضحك الفتى وأمسك بي من ذراعي وقادني بعيدًا عبر موقف السيارات قائظ الحرارة.. إنهما هذان الأسبوعان من شهر أغسطس؛ حيث يصاب شمال مين بالحر الشديد والرطوبة العالية والبعوض.. انبعثت رائحة القطران الساخن من الأسفلت وفاحت في الهواء.. «أنا لا ألقي القبض عليك.. لقد رأيتك فحسب.. ولا أهتم ما إذا كنت قد سرقت تلك الشفرات.. أنا أفعل هذا طوال الوقت».

ضحكت قائلة «هل أعرفك؟».

تعارفنا على بعضنا البعض.. اسمه «جيمس أوديت» في الصف الثاني الثانوي أيضًا، ولكنه بدأ الدراسة في مدرسة أورونو الثانوية في منتصف العام السابق. كان وسيمًا ذا عينين زرقاوين وشعرًا أشقر كثيفًا.. كان قصير القامة ولكن يمتلك عضلات قوية وبارزة تعوض قصره، ما جعله يبدو كلاعب جمباز يقف على أطراف أصابعه.. انطويت على نفسي قليلًا خلال المدرسة الثانوية لا أتطلع إلى شيء سوى الالتحاق بالجامعة، باذلة قصارى جهدي للحصول على درجات مرتفعة تؤهلني للحصول على منحة مالية بأي جامعة خارج الولاية.. وسرعان ما أصبحت أنا وجيمس صديقين.. أسرَّ إلى بقناعته أن لا شيء في الحياة أهم من المال وأنه يخطط للحصول على الكثير منه.

«تزوج من امرأة ثرية إذن».. قلت له بينما كنا في مطعم فريندليز، حيث أحببنا التسكع.

- «أنا قصير للغاية يا ميراندا والثريات يردن طوال القامة».

- «هل هذا صحيح؟».

- «أجل، إنها حقيقة مؤكدة.. وأؤكد لك على الجانب الآخر، أن في مقدورك الزواج من رجل ثري.. انظري إلى هذين النهدين يا ميراندا».

- «أُف.. إنني أبدو غريبة المنظر».

قال: «ثقي بي.. أنت الفتاة التي تبدو غريبة المنظر قليلًا في المرحلة الثانوية، ولكنها حين تعود لحفل لم الشمل بعد التخرج ستبدو كعارضة أزياء.. رأيت ذلك مئات المرات».

- «رأيته أين؟».

- «في الأفلام بالطبع».

بعد التخرج حصل كلانا على وظيفة.. عمل «جيمس» بأحد مطاعم البيتزا وعملت أنا في نفس الصيدلية، التي اعتدت سرقتها.. والتحقت بالدراسة في إحدى الكليات خاصة في ولاية كونتيكت، والتي تخدم أبناء الأثرياء في مدينتي نيويورك وبوسطن.. حصلت على المرتبة الثالثة في دفعتي وضمن موقف والديَّ المالي سداد أكثر من نصف الرسوم الدراسية، من خلال المساعدات المالية..

أما جيمس فخطط للذهاب إلى جامعة مين؛ حيث يعمل والده على تدريب فريق المصارعة هناك. قررت أنا وجيمس بأن نودع عذريتنا بحلول شهر يوليو من ذلك الصيف ومارسنا الجنس معًا لأول مرة حتى لا نلتحق بالجامعة بدون أي خبرة فيه.. شهد المقعد الخلفي لسيارة كابريس كلاسيك الخاصة بجيمس أول علاقة لنا.. وعقب انتهائنا سألني جيمس عن شعوري حيال علاقتي معه، فأجبته «أشبه بزنا المحارم» ضحك كلانا لدرجة أن جيمس سقط من المقعد الخلفي وخدش وركه.. لم تكن تلك علاقتنا الحميمة الأخيرة رغم ذلك، مارسنا الحب معا وشاهدنا أفلام فصل الصيف، وقال لي «جيمس» قبل أن يقلني أبي بالسيارة إلى ولاية كونتيكت في ليلتنا الأخيرة معًا «سررت بالتعرف عليك يا ميراندا».

- «إممم، ألن نلتقي في عيد الشكر؟».

- «كلا، أعرف أننا لن نلتقي.. أعتقد أنك ستواعدين فتى ثريًا ولن تعاودي الاتصال بي».

- «بل سأتصل بك».

ولكنه كان محقًا انقطعنا عن بعضنا البعض عقب الدراسة الجامعية، ولم يخطر على بالي إلا حين عودتي إلى ولاية مين مفكرة فيما إذا كان قد عرف درجة الثراء التي بلغتها.

بعد أن نظفنا طاولة الإفطار وعدنا إلى غرفة المعيشة ذات النافذة الكبيرة المطلة على كنيسة مثيوديست المجاورة للمقابر، سألت أمي: «هل سمعت أي شيء عن عائلة أوديت؟».

فأجابت «لقد تزوج ابنهم جيم.. هل كنت تعلمين هذا؟ يعمل في بنك في بانجور وسمعت أن زوجته حامل».

سألتها: «هل تطلقون عليه جيم الآن؟».

فأجابت «هذا ما تدعوه به بيج.. لم أره منذ المدرسة الثانوية.. وسمعت أنه لايزال قصير القامة».

رن جرس هاتفي.. وعرفت من الرقم أنه المحقق كيمبول.. ارتعدت خوفًا قليلًا قبل أن أنهض «أمي يجب أن أرد على هذه المكالمة».

أجبت على الهاتف، بينما أسير نحو المطبخ.

- «السيدة سيفرسون؟».

- «أجل».

- «معك المحقق كيمبول مرة أخرى.. كيف حالك؟».

أجبته بصوت مرهق «بخير».

- «آسف لإزعاجك، ولكني مضطر أن أطلب منك العودة إلى بوسطن».

- «حسنًا.. لماذا؟».

- «تظن إحدى جاراتك أنها رأت الشخص الذي ربما قتل زوجك.. لدينا رسم أولي ونريد منك العودة وإلقاء نظرة عليه».

«لماذا؟ هل تعتقدون أنه شخص ربما أعرفه؟»، ثم ندمت على الفور على نبرة صوتي التي بدت دفاعية محتدة.

- «ليس بالضرورة.. لا زلنا نتعامل مع القضية بوصفها سرقة منزل سارت على نحو خاطئ، ولكن يجب التفكير في جميع الاحتمالات الأخرى قبل استبعادها. فربما يكون القاتل شخص أراد قتل زوجك متعمدًا.. وإن كان الأمر كذلك، فربما تتمكنين من التعرف عليه».

- «حسنًا سأعود اليوم بعد الظهيرة».

- «شكرًا سيدة سيفرسون.. أعلم أن الأمر ليس سهلًا عليك ولكن أي مساعدة....».

قاطعته قائلة «لا توجد مشكلة».

سعل المحقق ست مرات على التوالي ثم قال: «آسف نزلة برد.. أمر أخير.. هل تذكرت أي شيء عن أي شخص ربما يعرفه زوجك في وينسلو؟ تذكرين أنني سألت عن هذا آخر....».

قاطعته ثانية قائلة «كلا.. لقد فكرت مليًا ولكني لم أصل لشيء.. آسفة».

قال: «حسنًا.. أرجو أن تتصلي بي لدى عودتك إلى بوسطن.. يمكنني إحضار الرسم الأولي إليك في أي مكان تكونين إذا أردت...».

«سوف أتصل بك»، ثم أنهيت المكالمة.

كنت قادرة على سماع صوت أمي تتحدث في هاتفها بغرفة المعيشة.. كل ما استطعت فهمه هو كلمة فظيع التي رددتها عدة مرات.. حدقت في النافذة، لأجد سماء الظهيرة قد أظلمت وتلبدت بالسحب الضخمة الداكنة سريعة الحركة.. هناك عاصفة على وشك الهبوب.. رأيت انعكاس صورتي على نافذة المطبخ بسبب الظلام في الخارج.. أخذت أحدق في نفسي بينما لا تغيب وينسلو عن ذهني.. أعلم أنني أعرف شخصًا ما يقطن هناك...

هل هو من المدرسة الثانوية أم من كلية ماثر؟ ثم تذكرت شيئًا وأدركت فجأة أنني تعرفت على هوية ضالتي. إنها «لِيلي كينتنر»، تلك الفتاة المخيفة التي درست في كلية ماثر وتوفي «إريك ووشبرن»، بينما كان معها في لندن. تذكرت سماعي بأنها تعيش في وينسلو وتعمل في الكلية هناك كأمينة مكتبة.. ولكنها لم تعرف «تيد»، أو هذا ما أعتقده على الأقل.. هل التقت بـ«تيد» بخلاف تلك المرة الوحيدة التي التقيتها فيها صدفة في ساوث إيند قبل سنوات؟ هل كان تيد ذاهبًا لزيارتها؟

تنامى إلى صوت أمي لاتزال تتحدث في هاتفها بهمس مرتفع، ولكني لم أستطع تبين معظم ما تقوله.. صعدت الدرج لكي أحزم حقيبتي من أجل العودة إلى بوسطن.

الفصل العشرون

لِيلِي

أخبرني «تيد»، أن حانة كوليبز سيئة، كم كان محقًّا في هذا.. بدت وليدة سنوات من الذوق الهابط المبتذل وكأنها لوحة زائفة.. لو أن هذا المكان في مدينة نيويورك أو بوسطن، لاعتقدت أن أحد محبي المغامرة قد افتتحه العام الماضي. ولكن طبقة كبيرة الأتربة والأوساخ غطت مصباح «شليتز» الكروي المعلق بالسقف فجعله معتم، وبدا ساقي البار متجهمًا وعكر المزاج، لا يوحي المشهد العام في هذا المكان بأن هناك من يود أداء دوره على النحو المطلوب، جلست في الزاوية البعيدة للمشرب في مواجهة الباب الرئيسي.. وفكرت فيما إذا كنت سأستطيع تمييز براد داجيت عند دخوله من هناك. أجل أظن أنني قادرة على ذلك. وصفه «تيد» بأنه ذلك المخبول الوسيم الذي بدأت علامات التقدم في العمر في الظهور عليه.. ربما ينطبق هذا الوصف على نصف مريدي حانة «كوليبز» عشية يوم الاثنين، ولكني سوف أتعرف على براد لأنه قاتل «حديث العهد». أعلم أن في مقدوري تمييز القتلة بسهولة.

استقللت سيارتي من فندق «كينويك إن»، في جو عاصف تلبدت فيه السماء القاتمة بالغيوم، وصلت إلى هناك وقد تجاوزت الساعة الخامسة بقليل.. ورغم وجود ثلاث سيارات تنتظر في موقف انتظار الحانة كنت الزائر الأول للمكان. نزعت عني سترتي المبللة بعد أن جلست وطلبت زجاجة من بيرة ميللر لايت. فتح لي النادل زجاجة البيرة، والذي بدا صورة طبق الأصل من

شخصية ديزني «إيكابود كرين»، وقدمها لي، ثم ترك أمامي على البار قائمة طعام مغلفة ذات أركان بالية، تفقدتها وطلبت فطيرة المحار طبَقَهم الخاص.

ليلة مملة ذات إيقاع بطيء، ورغم اندهاشي من الحشد الكبير نسبيًّا في مطعم ليفري في الليلة السابقة، إلا أنني لم أندهش لقلة الوافدين إلى حانة كوليز في مساء يوم بارد وممطر كهذا.. وبحلول الساعة السابعة لم يكن هناك في المكان سوى رجل وحيد في السبعين من عمره على الأقل، يعاني من سمنة مفرطة أجلسَتْهُ على مقعد البار بصعوبة ليطلب كأسًا من البوربون.. وعلى الجانب الآخر من الحانة جلست شقراوتان تجاوزتا ربيع العمر، وزوج من السائحين اللذين ترددا عند مدخل البار ولكنهما لم تمتلكا شجاعة العودة أدراجهما في هذا الجو الممطر، فجلستا على إحدى الطاولات التي تتوسط البار بمقاعده الكبيرة ذات الظهر المرتفع.

شربتُ خلال الساعتين اللتين قضيتهما في الحانة زجاجتين من البيرة وجربت فطيرة المحار المميزة لديهم قدموها على طبق مخدوش ترقد على جانبه كومة صغيرة من البقدونس، عجينتها عبارة عن خليط من قطع المحار وفتات الخبز، الذي يشبه الرمل الرطب. فبدا مذاقها المريع مماثلًا لذلك الجزء الذي تتخلص منه عند تناول الجمبري المشوي.. لم أكن في حاجة سوى لقضمتين منها حتى أتركها جانبًا، وأطلب طبقًا من البطاطس المقلية.

كنت قد أمضيت معظم اليوم في فندق «كينويك إن»، أقرأ الصحيفة في الردهة بجوار المدفأة، ثم تناولت الغداء في مطعم «ليفري»؛ حيث تعمل «سيدني» النادلة الفاتنة التي يفترض أنها معجبة بميراندا أو تُكِنُّ لها مشاعر من نوع ما.

تحركت سيدني وراء المشرب بهمة ونشاط، بينما أتناول طبق السلاطة، تتأكد من نظافة كل كأس وتمسح جميع الأسطح.. كانت ترتدي قميصًا عاديًّا رفعت أكمامه عاليًا كاشفة عن عضلاتها النسائية وعن الوشم الذي غطى إحدى ذراعيها بالكامل حاملًا رسمًا لزهورٍ وفتيات. بدا أنها لا تحب الثرثرة

لذلك قررت ألا أسألها عن «تيد» و«ميراندا»، ولكن وقبل مغادرتي مباشرة أتت إحدى موظفات الفندق لتملأ كوبًا من «الكولا دايت» فاسترقت السمع لحديثهما.

سألتها الموظفة صاحبة البدلة السوداء ومساحيق التجميل الثقيلة، «هل تحدثت مع ميراندا؟!».

فأجابت سيدني «تركت لها رسالة تعزية منّا جميعًا على هاتفها، ولا أتوقع ردًا منها».

- «يا إلهي».

- «أفكر فيها كثيرًا وفي تيد».

سألت الموظفة، والتي بدت مسؤولة المناسبات في الفندق، بينما ترتشف جرعة كبيرة مشروبها، «وما الذي ستفعله في اعتقادك؟».

«سؤالك يطرحه على الجميع، ولا أملك إجابة في الواقع.. فرغم كونها صديقة لي، لازلت لا أعرفها بما يكفي، كل ما أعرفه أنني لن أراها ثانية».

تركت النقود على المشرب ونزلت عن مقعدي.. سمعت ما أريد سماعه.. وقد بدا لي أن موظفي الفندق والزبائن دائمي التردد على مطعم «ليفري»، لا يعرفون أن «ميراندا»، كانت تعبث مع «براد» سرًّا.. ولم يدهشني ذلك، من الواضح أنها كانت حريصة أيما الحرص على إخفاء هذا الأمر.. ولولا أن «تيد» شاهدهما يتشاركان السيجارة صدفة، ونمت الشكوك بداخله لما عرف أحد أن هناك ما يربط بين «براد» و«ميراندا»، بخلاف علاقة العمل..

وتراودني الآن فكرة أن «ميراندا»، ربما خططت منذ البداية لاستغلال براد في قتل تيد، لم تذهب ميراندا إلى حانة كولييز مطلقًا، ولم يأتِ براد إلى مطعم ليفري من قبل. وتخميني أن المكان الوحيد الذي تواجد فيه الاثنان معًا هو المنزل الذي تحت الإنشاء وفي الوقت الذي يخلو فيه من العمال تمامًا.

عدت إلى غرفتي بعد الغداء لأرتدي حذاء التريض وسترة واقية من الرياح بعد أن قررت الذهاب للتمشية على الجرف. أردت القيام بهذا، خاصة مع ذلك الطقس المنعش العاصف، ولأستمتع بمشهد المحيط الذي رأيته عبر نافذة غرفة الفندق رماديًّا تتلاعب به الرياح وتصنع من أمواجه المتلاطمة لوحة ملحمية. تفقدت حالة الطقس على هاتفي، والتي نبأتني بعاصفة ممطرة، ولكن في وقت متأخر من اليوم.. خرجت من الفندق وعبرت طريق ميكماك، بينما تدفع الرياح ملابسي لتلتصق بي.. نزلت الدرج البدائي الذي يقود إلى شاطئ صغير؛ حيث يبدأ طريق الممشى على الجرف.. لم يكن هناك أحد سوى رجل وكلبه اللابرادور بني اللون الذي ركض بخطوات واسعة خلف كرة تنس رماها صاحبه..

سرت على الفور نحو الممشى.. بدا المد عاليًا وكانت المئة ياردة الأولى زلقة بسبب ماء البحر الذي اعتلى الصخور المستوية.. ولكن الممشى أخذ في الصعود لأعلى بعيدًا عن حافة الشاطئ كما حماني شريط الأشجار غير مكتملة النمو والشجيرات هناك من شدة الرياح، والتي كان معظمها أشجار «سيلاستروس»، وقد حملت بين أوراقها حبات صفراء وحمراء اللون مستديرة تشبه العنب كثيرًا، إلى جانب شجيرات التوت البري الأحمر..

تمشيت ببطء لا لتوخي الحذر ولكني أردت الاستمتاع بجمال المكان الذي كان مختلفًا بالنسبة لي.. فأنا لست من محبي الشواطئ على الإطلاق، فتلك الأجساد المدهونة بالزيت التي تنتشر على طول الشاطئ تبدو لي أشبه بقطع اللحم الموضوعة على المشواة.. وربما أكون متحاملة لأن جلدي الشاحب كثير النمش يتحول إلى اللون الأحمر القاني حين استلقي على الشاطئ ولا يكتسب السمرة مثلهم.. أنا شخص محب للسباحة ولكني أفضل مياه البحيرات وحمامات السباحة على مياه المحيط شديدة الملوحة، كما لا أستطيع تحمل شعور التصاق الرمال بجسدي مطلقًا.. إلا أن ذلك الجزء من شاطئ مين يبدو مختلفًا بالنسبة لي حقًا. وربما كان ذلك بسبب طقسه المثير العاصف وسماءه ذات السحب المندفعة علاوة على ما يحيط بي من جمال بدائي للطبيعة.. فتلك

الكتل الصخرية الضخمة ذات الألوان الرمادية أكثر جاذبية وجمالًا في عيني من امتدادات الشاطئ الرملية غير الدائمة التي يتوق إليها معظم الناس.. أخذت أتنفس بعمق متعطشة للهواء النقي.

لا إنسان آخر في الطريق ذلك اليوم.. لم يفاجئني ذلك.. حين وصلت إلى نهاية الجرف اشتدت الرياح وبدأت قطرات المطر الخفيفة في السقوط على معطفي الواقي، وهناك رأيت خلفية منزل تيد وميراندا.

أخذت أتفحص المكان ناظرة هنا وهناك، بحثًا عن المكان الذي ربما اختبأ فيه تيد ممسكًا منظاره ذلك اليوم. أماكن عديدة تصلح لمهمته ولكن بدت لي تلك الربوة التي تقع خلف شجرة ملتوية قليلًا قد وفرت له الغطاء الأمثل.. لا بد وأنه استخدم منظارًا من النوع الجيد؛ لأن المنزل بدا محصنًا من تلك البقعة البعيدة عن الأرض غير المستوية. فكرت في العبور إلى هناك وإلقاء نظرة عن قرب على المنزل، ولكن خشيت وجود «براد» أو أحد العمال، فعدت أدراجي متخذة نفس الطريق الذي اعتلى فيه هدير الأمواج المتلاطمة.. رفعت رأسي نحو السماء مستشعرة المطر لا أخشى التبلل ومشيت طريقي هوينًا نحو الفندق.

توجهت إلى بار الفندق وجلست بجوار المدفأة، بعد أن طلبت كأسًا من الويسكي الدافئ - مشروب أبي المعتاد في الشتاء- وأخذته إلى غرفتي حيث بدأت أشربه وأنا في حوض الاستحمام العميق.. شعرت بالراحة وذكرت نفسي بأنني في كينويك لهدف محدد: لدي صديق لأنتقم له.. أخذت غفوة قصيرة بعد حمامي ثم ارتديت الجينز الذي ارتديته في الليلة السابقة، ووضعت الكثير من مساحيق التجميل، وتوجهت بسيارتي إلى حانة كوليز.

وها أنا الآن في الحانة وقد مضى على وجودي ثلاث ساعات شربت فيها أربع زجاجات من البيرة الخفيفة، عندما قررت أن «براد»، ربما لن يظهر.. كان السائحان قد غادرا بالفعل، وكذلك فعلت السيدتان اللتان كانتا تجلسان على البار.. بعدها دلف إلى المكان ثلاثة رجال بحثت في كل منهم عن «براد» بمجرد أن عبروا من باب الحانة نافضين عن معاطفهم قطرات المطر.. بدا

أحدهم في أوائل العشرينيات والثاني بلحية كبيرة وجسم ممتلئ كمثريّ الشكل بينما يرتدي الثالث سترة زرقاء اللون فوق قميص أبيض وبنطال جينز.. كان في العمر المناسب، ربما في الأربعين من عمره ولكنه كان حليق الشعر.. ورغم ذلك أخذت أراقبه بعناية، فمن المحتمل أن يكون براد قد حلق لحيته الصغيرة، التي ذكرها تيد وربما قد تأنق كذلك لسبب ما.. قد يكون لديه موعد مع عميل جديد أو يواعد إحداهن.. لاحظ الرجل أنني أنظر إليه فرفع حاجبه باتجاهي ورفع كأس البيرة عاليًا.. نظرت إلى هاتفي لأثنيه عن القدوم إلى بعد أن استبعدت احتمال أن يكون «براد».. كان يجلس قريبًا مني بما يكفي لأرى مدى نعومة يديه وشعره المقصوص والمصفف بعناية.

ليس هذا «براد» بالتأكيد، إلا إذا كان محترفًا في الجريمة وغيّر مظهره كلية.. دفعت فاتورتي نقدًا متمايلة وأنا أخرج من الحانة بكعب حذائي المرتفع الذي لم أعتد على ارتدائه.

قال صاحب البذلة الزرقاء حين مررت إلى جواره «أرجو ألا تغادري بسببي».

فالتفت إليه ناظرة بتمعن قبل أن أسأله «ما اسمك؟».

فأجاب «كريس».

«كريس ماذا تعمل؟».

بدا أن قدرًا من الارتباك قد أصابه بسبب أسئلتي ولكنه أجاب في النهاية «أنا مدير شركة بنانا ريبابليك لتصنيع الملابس وبيعها في مدينة كيتري.. هل أعرفك؟».

«كلا.. إنني فضولية فحسب.. ليلة سعيدة يا كريس».. ثم مضيت في طريقي خارج الحانة.

وفي الخارج تحول المطر المتساقط إلى رذاذ متواصل، وغيرت الرياح اتجاهها. وعلى الرغم من وجود المحيط على الجانب الآخر من الطريق، إلا أن الهواء كان محملًا برائحة أشجار الصنوبر والتربة الطينية.. وعلى بعد مسافة

صغيرة من سيارتي وقفت سيارة بيك آب، وحين عبرت من جوارها فاحت رائحة سيجارة مشتعلة في الهواء الرطب.. توجهت إلى سيارتي متظاهرة بالبحث عن شيء ما في الحقيبة على أمل أن ينهي سائق الشاحنة سيجارته، ويخرج منها فأتمكن من رؤيته بوضوح..

وبينما أخرجت المفاتيح من حقيبتي توقف محرك الشاحنة، فالتفت نحوها ورأيت عقب السيجارة يطير في الهواء ليسقط في بركة مياه صغيرة قبل أن يخرج رجل طويل القامة من الشاحنة.. وتحت أضواء مصابيح الحانة الخارجية الخافتة ظهرت ملامحه.. كان أسود الشعر عريض المنكبين، وعندما التفت لإغلاق باب الشاحنة، رأيت لحيته الصغيرة بوضوح. لابد أن هذا هو «براد».

لم تكن لدي النية في اللحاق به داخل الحانة، فناديته «براد» فرفع رأسه باتجاهي.. ورغم أضواء موقف السيارات الخافتة، تمكنت من رؤية انتفاخ عينيه بسبب قلة النوم ومظهره الرث الشاحب، مظهر رجل ارتكب أمرًا في غاية السوء.

- «هل تقصديني أنا؟».

- «أنت براد، أليس كذلك؟».

- «أجل أنا هو».

- «براد داجيت؟».

فقال: «نعم».. ألقى نظرة خاطفة حوله كمن ينتظر هجوم قوات الشرطة الخاصة عليه لو قام بحركة مفاجئة.

«هل نستطيع أن نتحدث لدقيقة هنا؟ أمر مهم».

فقال: «حسنًا بالتأكيد.. ولكن هل أعرفك؟».

فقلت: «كلا ولكن هناك أصدقاء مشتركين بيننا. أنا على معرفة جيدة بتيد وميراندا سيفرسون.. أنظر، الطقس بارد هنا. هل يمكننا الجلوس في سيارتي للتحدث؟ أو ربما الجلوس في شاحنتك إذا كان هذا يشعرك بمزيد من الراحة».

مرة ثانية نظر براد حوله.. كنت أعرف أن الأفكار تتصارع في رأسه، وأن عقله يعمل بكل طاقته متسائلًا عن هويتي وعما أريده.. فقلت محاولة طمأنته قدر الإمكان «ليس هناك ما تخشاه، لم لا نجلس في شاحنتك؟».

«حسنًا»، ثم فتح باب سيارته.. فخطوت ثلاث خطوات على الأرض الرطبة للوصول لباب شاحنته الجانبي، وقبل أن أجلس فتحت زمام حقيبتي القابع بداخله سلاح صاعق يشبه مشعلًا كهربائيًا.. لم أظن أنني سأحتاج لاستخدامه ولكن لا بأس من المزيد من الحرص.. لم تكن لدي أدنى فكرة عن ردة فعل «براد» حيال حقيقة قتله لرجل بدم بارد قبل أقل من أسبوع مضى، ولكني افترضت معاناته من توتر حاد وإصابته بجنون الاضطهاد، وربما يكون خطيرًا كذلك.

سألني براد بعد أن أصبحنا في السيارة، محاولًا أن يبدو طبيعيًا «تعرفين إذن عائلة سيفرسون؟»، بدت السيارة من الداخل أنيقة للغاية تنبعث منها رائحة السجائر ورائحة منظفات السيارات.

- «أجل، كنت أعرف تيد سيفرسون وأعرف ميراندا».

- «ما حدث له كان بشعًا و..»..

- «أعلم أن ما حدث لتيد بشع، وهذا تحديدًا سبب وجودي هنا.. دعني أتحدث لدقيقة دون أن تقاطعني.. حسنًا براد.. أعلم أن ما سألقيه على مسامعك الآن لن يروق لك، ولكني في حاجة إلى أن تصغي جيدًا، هل تظن أن في مقدورك ذلك؟».

نظرت إليه مباشرة.. كانت عيناه حمراوين وجلده رغم اسمراره شاحبًا ومنتفخًا وكأنه رجل مريض.. وبدت رائحة أنفاسه مثل حبوب القمح الرطبة، وفكرت في الكمية التي شربها بالفعل.. أومأ برأسه قائلًا: «بالتأكيد.. بالتأكيد».

«براد أحتاج إلى خدمة كبيرة منك، وإذا فعلتها لن أخبر أحدًا بأنك استقللت سيارتك إلى بوسطن ليلة الجمعة السابقة وقتلت تيد سيفرسون».

أخذت وضع الاستعداد وأمسكت بالسلاح الصاعق في حقيبتي المفتوحة تحسبًا لهجومه علي أو على الأقل لصراخه في وجهي نافيًا علمه بما أقول، ولكنه بدلًا من ذلك تدلت شفته السفلي الثقيلة قليلًا وأخذ يصر على أسنانه وظننت لوهلة أنه سينفجر باكيًا، ثم قال بصوت بدا جافًا ويائسًا «من أنتِ؟ وماذا تريدين مني؟».

«أنا الآن أفضل صديقة لك في العالم».

الفصل الحادي والعشرون

ميراندا

غادرت «أورانو»، متخذة نفس الطريق الذي سلكته إليها، توقفت لدى إحدى محطات الوقود قبل بلوغي طريق «أي-٩٥».. حيث قام أحد المراهقين العاملين بها بتزويد سيارتي بالوقود.. جلست في سيارتي يعتريني القلق من «براد» وعقلي لا يكف عن التفكير، هل تمكن أحدهم من رؤية ذلك الأحمق بالفعل ليلة وقوع الجريمة؟ تضرعت إلى الله أن يكون المرسوم شخص آخر غيره، أو على الأقل ألا يشبهه لا من قريب ولا من بعيد..

فإذا ما أظهرت الرسمة، أي تشابه بينهما ولو ضئيل فلا بد وأن أقدم تفسيرًا للشرطة.. وحينها سيتم استجواب «براد داجيت»، ولا أعتقد أنه سيحسن التعامل مع الموقف على الإطلاق.. تخيلته أمامي بوجهه المتصبب عرقًا وعينيه الزائغتين، نظرة واحدة من أحد رجال الشرطة على حالته المزرية وسوف يدرك أنه قد وجد فريسته الضالة.. سوف ينهار «براد» دون شك.. ساعة واحدة في غرفة التحقيقات كافية بأن يعترف بكل شيء.. لن يكون أمامي حينها سوى ادعاء أن «براد» متوهم مريض، واضح أنه مهووس بي، وقد دفعه ذلك الهوس إلى قتل «تيد».. ولا مشكلة من إخبار الشرطة بأنني مارست الجنس في بيتنا الجديد مع «براد» مرة أو مرتين، ولكني لم أطلب منه قتل زوجي مطلقًا.. كلمته أمام كلمتي ولن يتمكنوا من إثبات أي شيء ضدي.. ولكن معرفة الناس بتورطي في قتل زوجي لن يحتاج إلى إدانة الشرطة.... وجدتني أصر على أسناني دون وعي فتوقفت.

تنفست من أنفي مستنشقة رائحة الوقود، بينما انتظرت العامل حتى يعيد لي بطاقة ائتماني.. بدأت الأمطار في التساقط، قطرات ثقيلة متقطعة أحدثت دويًا على سقف سيارتي التي خرجت بها من محطة الوقود متجهة صوب طريق «إي ٩٥».

لم أتوقف عن التفكير في «براد» طوال الطريق حتى وصولي إلى «بوسطن»، ولم يفارقني القلق.. ربما يتمكن من التعامل مع الموقف حين تتحدث إليه الشرطة، وربما تساعد حجة غيابه في إنهاء الشكوك حوله.. كما أن لدي بصيصًا من الأمل أن أجد الرسم الذي سيعرضه عليّ المحقق بعيدًا كل البعد عن «براد». هذا أفضل سيناريو ممكن، على الرغم من أن هناك ما يحدثني في أعماقي أن «براد» الأحمق هو المرسوم، وأنه بشكل أو بآخر أفسد كل شيء، وهناك من رآه بالفعل. أجبرت نفسي على التفكير في أمر آخر، «لِيلي كينتنر»، تلك السيدة التي تقطن في «وينسلو»، والتي لم تكن لتخطر على بالي مطلقًا، ولِم يذهب «تيد» إلى هناك يوم مقتله؟

كانت «لِيلي» مصدر إزعاج مستمر لبعض الوقت، حين كنا لا نزال طالبتين في جامعة «ماثر»، كانت تصغرني بعامين حين منحها «إريك واشبيرن»، صديقي السابق دعوة لحضور إحدى حفلات أخوية سانت دانز.

سألت إريك عنها ذلك اليوم «من تكون تلك الفتاة؟» دفعني الفضول إلى معرفة مَن حصلت على دعواته المجانية بهذه السهولة، فأنا لم أحصل على دعوة لحضور حفل كهذا قبل عامي الدراسي الثاني، وعقب مضاجعة «إريك واشبيرن» ثلاثة أسابيع كاملة.

قال «إريك»: هل تعرفين الروائي ديفيد كينتينر؟».

- «كلا».

- «إنها ابنته».

حضرت حفل ليلة الخميس ولم أرها تقريبًا، بدت لي أشبه بواحدة من شخصيات روايات العصر الفيكتوري بجسدها النحيل ووجهها الشاحب وشعرها الأحمر، راقبتها من بعيد، وبدت للوهلة الأولى متوترة، وهي تلتصق بالجدار المستندة إليه، وفي يدها مشروبها تخشى الحديث إلى أي شخص هناك..

ولكني حين اقتربت منها أدركت أنها غير مكترثة بوجودها في سانت ديونز، بدت غير مهتمة، كفتاة تجلس في الصف الخلفي لمحاضرة مملة.. هل علِمَت حينها قيمة ومعنى حصولها على دعوى الجمجمة لحضور حفل كهذا وهي لاتزال في عامها الدراسي الأول؟ ظننتها لن تعود إلى حضور الحفلات مطلقًا، ولكني أصبحتُ أراها هناك كل خميس، وبدا واضحًا اهتمام «إريك» بحضورها..

وجدت واحدًا من كتب أبيها في المكتبة فأخذت أقلب صفحاته، بينما أقف عند أرفف الكتب، وكم صدمني مستوى الكتب التي يقدسها «إريك»، فالكتاب الذي من المفترض أن تصنيفه كوميديًا حمل بين طياته قصة عن أولاد في مدرسة داخلية يعاملون واحدًا منهم بقسوة، أي كوميدا تلك وأي ملل تحمله معها؟ في الواقع، لم أهتم بالأمر كثيرًا حينها، فقد بدأت في مضاجعة «ماثيو فورد» بالفعل، والذي جعلني أشعر معه أن «إريك» ليسَ سوى فتى عادي ينتمي إلى الطبقة المتوسطة.

ارتبط كل من «إريك» و«لِيلي» ولم أكترث للأمر، كان تناغمي مع «ماثيو» وحالة الانسجام بيننا أفضل بكثير من حالي برفقة «إريك».. لكن على عكس «إريك»، لم يشعر ماثيو بالثقة في النفس بالقدر الذي كان يدفعه إلى شراء أي شيء أريد. ردّدت على مسامعه الكثير من القصص المفبركة عن عائلتي الثرية فرنسية-كندية الأصل التي حرمت أبي من الميراث لانتقاله بأسرته إلى «مين» وتعليم ابنته اللغة الإنجليزية.. قبل حلول أعياد الكريسماس ذلك العام حدثت «ماثيو» عن حاجتي إلى ألف دولار للذهاب إلى «مونتريال» لزيارة جدي الذي كان يحتضر.

منحني المبلغ نقدًا.. كانت علاقة رائعة ولكني لم أوهم نفسي بأنها سوف تستمر بعد انتهائنا من اختبارات السنة النهائية بالجامعة.. وحملت نفس التوقعات لعلاقة «إريك» و«لِيلِي»، خاصة أنها لاتزال في عامها الدراسي الثاني، ولكني كلما رأيتهما برفقة بعضهما البعض كلما أدركت مدى جدية تلك العلاقة التي تربطهما.. على الأقل جدية «لِيلِي» حيالها، لم يصعب على رؤية تلك الحقيقة الواضحة وضوح الشمس.. أما «إريك» فلم أكن واثقة من قدرته على الحب من الأساس.. أعرف أنه يشبهني، خاصة في تلك القدرة على ضغط زر تشغيل وإغلاق مشاعره، أجل كل ما يحتاجه هو ضغطة زر.. أخبرني في واحدة من المرات التي كنا فيها معًا أن في مقدوره الدخول في علاقتين مع امرأتين مختلفتين بسهولة شديدة دون أدنى شعور بالذنب.. لم تغب عن بالي عبارته تلك وذكرته بها ذات مرة، حين انتهينا من اختباراتنا بينما كانت الدفعات الأصغر منا لاتزال منهمكة في المذاكرة والاستعداد لاختباراتها.

«هل ترمين إلى شيء ما؟».. سألني بينما كنا نجلس على درجات السلم بسانت ديونزن نستمع إلى الجزء الأخير من واحدة من الحفلات المعتادة المقامة بالأسفل، صدحت موسيقى فريق «راديوهيد» من هناك بينما يصيح أحدهم طالبًا تغيير الموسيقى.

- «لا أدري، ولكن الجميع هنا يرى أن علاقتك بـ«لِيلِي» جادة؟».

- «وماذا عن علاقتك بـ«ماثيو»؟

- «سوف تنتهي في يوم التخرج».

- «أوه، أجل».

قلت له وأنا أمرر يدي على فكه بلمسة حانية «إنه أسبوع تخرجنا، ما رأيك؟».

مارسنا الحب تلك الليلة، واستمرت علاقتنا طوال فصل الصيف.. يزور «إريك» حبيبته «لِيلِي» في منزل والديها في عطلات نهاية الأسبوع، ويمضي

طيلة الأسبوع برفقتي في حين أنه أخبر مجموعة أصدقاءه أنه يقوم بزيارة والده المريض في عطلات نهاية الأسبوع. المضحك أنني صبغت شعري باللون الأحمر وطلبت من «إريك» التظاهر بأن لديه حبيبة واحدة، وهي أنا لا شخص سواي. وكم كنت استمتع بوحدتي في تلك الأيام التي يمضيها «إريك» برفقة لِيلِي، كنت أتخيلهما يمارسان الحب معًا، ولم يُثِر ذلك ضيقي أو حنقي مطلقًا، بل لم يحرك في رأسي شعره واحدة، على العكس كان يدفعني تخيل الأمر إلى الضحك.

توفى «إريك»، خريف ذلك العام، بينما كان في زيارة «لِيلِي» في لندن، حيث نسي أخذ عقاره المضاد للحساسية معه، وحين تناول المكسرات هناك سقط ميتًا. فكرت كثيرًا في حال «لِيلِي أثر ذلك الحادث عليها»، فقد سمعت أنه مات في شقتها أمام عينيها، تخيلتها وهي تبحث بين أغراضه بجنون عن عقاره، محاولة إنقاذه من الموت، دون أن يحالفها الحظ حينها. لم يكن «إريك» بالنسبة لـ«لِيلِي» سوى الحبيب الوفي المخلص، إنها لم تعرف حقيقته مطلقًا.

التقيت بها مصادفة، بعدها ببضع سنوات، لم يكن لديها حساب على الفيس بوك لأعرف الكثير عنها، ولكني سمعت عنها بعض الشائعات عن عملها في إحدى المكتبات، وعن تعرض والدها لحادث سيارة أسفر عن وفاة زوجته الثانية. تعرفت عليها في الحال بمجرد أن وقعت عيني عليها، لم تتغير على الإطلاق، وجهها الشاحب، وشعرها الأحمر الطويل بنفس التسريحة القديمة وملامحها الخالية من التعبيرات. أخبرتها عن أسفي لما حدث لـ«إريك واشبيرن»، ولم أجدها سوى محدقة بي للحظة طويلة، وعينيها مثبتتين عليّ دون حراك، قبل أن تجيب.. لا أذكر سوى هذا من تفاعلنا، حتى إنني لا أتذكر إذا ما كنت قد قدمتها إلى «تيد» حينها أم لا، ولكني على الأرجح قد فعلت، لست متأكدة. لازلت أذكر نظرتها الباردة، وعينيها الخضراوين المثبتتين عليّ.. هل علمت أي شيء عني وعن علاقتي بـ«إريك» ذلك الصيف؟ وإذا اكتشفت الأمر، هل يمكن أن يكون موت «إريك» ليس مجرد حادثة؟ لا أظن ذلك، ولكن عودتها إلى ذاكرتي وتفكيري بها أصابني بالتوتر. هناك مئات

الأسباب التي ربما قادت «تيد» إلى الذهاب إلى «وينسلو» يوم الجمعة، وفرصة ارتباط أي منها بـ«لِيلي» ضعيفة للغاية.

وصلت إلى «بوسطن» في تمام الرابعة، وقمت بترك سيارتي قبل منزلي بثلاث بنايات، وتوجهت إلى بار في أحد الفنادق هناك واحتسيت الفودكا وطلبت طبقًا من سرطان البحر ومعكرونة أوروبكتيه.. كنت أتضور جوعًا، وحين فرغت من طبقي اتصلت بالمحقق «كيمبال»، الذي رد علي في الحال.

- «أنا في بوسطن».

- «عظيم، أين أنت؟ يمكنني القدوم إليك لأقلك إلى قسم الشرطة إذا أردت».

أخبرته أنني في الشارع الذي يقع فيه منزلي على بعد ثلاث بنايات منه، ولا أدري أين يمكنني أن أذهب، أو ماذا يمكنني أن أفعل، وأضفيت إلى صوتي تأثير من تختنق بالبكاء.

«أفهم شعورك، يمكنك انتظاري، وسوف أقلك إلى قسم الشرطة، ومن هناك يمكنك إجراء بعض المكالمات لأصدقائك لتري من بينهم من تنزلي لديه في بيته أو ربما قد ترغبين المبيت في أحد الفنادق..».

وصل المحقق بعدها بعشر دقائق في سيارة «ميركوري غراند ماركيز» بيضاء، وأقلني إلى قسم الشرطة.. فاحت من سيارته رائحة سجائر لفّ ونعناع، كان يرتدي بنطالًا من الجينز ومعطف قصير.. بدت رابطة عنقه قديمة الطراز وقماشها منسل بعض الشيء.

«شكرًا لك على قدومك إلى بوسطن».. قالها لي بينما يتخذ طريقه بين السيارات، يد على المقود، والأخرى ينقر بها على ركبته مع إيقاع الموسيقى غير الموجودة «الخيط الجديد الذي توصلنا إليه في القضية مهم للغاية، لدينا الآن وصف مفصل عن الرجل الذي قتل زوجك؟».

«كيف حصلتم عليه؟».

«كانت هناك سيدة في زيارة لأحد أقاربها بين جيرانك، وبينما جلست في سيارتها تبعث برسالة من هاتفها شاهدت رجلًا يخرج من المنزل الذي تم السطو عليه رقم ٣١٧ لعائلة «بينتز»، هل تعرفينهم؟ ثم استمر في السير حتى وصل إلى منزلكم، ذكرت أنها استمرت في مراقبته لأنه بدا غير متزن ومتوتر، ثم مر من أسفل واحد من أعمدة الإنارة، فتمكنت من رؤية ملامحه بوضوح.. ثم أدلت بمواصفاته إلى الرسام التابع لنا، ولدينا الآن رسمة واضحة له في اعتقادي». نظر المحقق نحوي وهو يبتسم ابتسامة خجلة، كما لو كان لا يعرف كيف يجب التصرف، ورأيته يتفحص وجهي.

- «ولماذا تريدني أن أنظر إلى الرسمة؟ هل تظن أنني ربما أعرفه؟».

- «أجل من المحتمل أنك تعرفينه، فقد ذكرت شاهدتنا أن القاتل قرع جرس باب منزلكم وأن زوجك قد فتح له وتحدث إليه لفترة.. في الواقع ذكرت الشاهدة أنها توقفت عن مراقبته؛ لأنه بدا واضحًا معرفتهما لبعضهما البعض.. وحين نظرَت إلى المكان ثانية لم يكن هناك، وافترضت أنه دخل إلى المنزل».

- «أوه يا إلهي، هل كان شخصًا يعرفه تيد؟».

- «هذا مجرد احتمال سيدة «سيفرسون»، وربما يكون مجرد سارق عرف طريقه إلى منزلكما بالتحدث مع تيد.. ولهذا السبب نريدك أن تلقي نظرة على الصورة المرسومة».

- «هل أنت متأكد أن ذلك الرجل الذي جاء إلى باب المنزل هو نفس الشخص الذي... نفس الشخص الذي قتل زوجي؟».

أدار المحقق مقود السيارة متجهًا نحو المكان المخصص لترك السيارات أمام مركز الشرطة.

وأجاب، بينما يطفئ المحرك «أجل نظن ذلك، فالشاهدة أكدت أنها كانت تجلس في سيارتها حوالي الساعة السادسة مساءً، وهذا هو الوقت الذي قُتل

فيه زوجك تقريبًا، وفقًا لتقرير الطبيب الشرعي.. لم تسمع حينها دوي إطلاق الرصاص، لأن محرك سيارتها كان يعمل كما أن لمنزلكم جدرانًا سميكة، وهذا يفسر الأمر».

أخفضت رأسي، وأخذت نفسًا عميقًا من أنفي.

سألني المحقق: «هل أنت بخير؟».

«أفضل الآن، آسفة كنت في حاجة إلى دقيقة لتمالك أعصابي... لنذهب الآن ونلقي نظرة على الرسم».

دلفنا إلى قسم الشرطة في صمت إلى صالة استقبال حصينة، ومنها إلى ردهة ذات أرضيات مغطاة وجدران من القرميد، تبعت المحقق إلى صالة مفتوحة مقسمة إلى مقصورات مربعة، تحركت ببطء مدركة مما سمعت أن أحدهم قد شاهد «براد» ولا ريب. حاولت التحكم في غضبي وصب كل تركيزي على ما أحتاج إلى قوله إلى المحقق. إذا رأيت أن الرسم يشبهه لو من بعيد سأحتاج إلى الإشارة إلى ذلك حتى لا أضع نفسي في دائرة الشك إذا ما قاموا بالقبض على «براد»، أملي الوحيد هو ألا يشبه الرسم براد على الإطلاق، حتى أنكر بكل ثقة معرفتي بهوية الشخص المرسوم.

وصلنا إلى مكتب المحقق، الذي كان داخل مقصورة مؤقتة، أحضر لي كرسيًا بلاستيكيًا لأجلس عليه، بينما جلس أمامي على كرسي دوار ذي مقعد مبطن. على الرغم من ازدحام مكتبه، إلا أن أكوام الأوراق عليه بدت منظمة في أبراج متساوية، بعد أن لصق على قمة كل منها أوراق ملحوظات، لكل منها لون مختلف.. سحب ملفًا من أحد أبراج الملفات الصغيرة وفتحه وسألني: «هل يمكنك الرؤية بوضوح هنا؟»..

كنا أسفل إضاءة مصباح مثبت في سقف المكان المنخفض، فأجبته أن في مقدوري الرؤية بوضوح. أخرج ورقة من الملف وقام بقلبها تجاهي حتى أتمكن من رؤية الرسم. كان رسمًا واضحًا لـ«براد» يُظهر رقبته الغليظة وشعر ذقنه الأسود وعينيه الداكنة أسفل حاجبيه الكثيفين، ولكن أكثر ما كان يميزه في

الرسم شعره الكثيف، وجبهته الصغيرة التي غطتها قبعة البسيبول التي كان يرتديها.. شعرت بأعين المحقق كيمبول تراقبني، وبفضوله الشغوف.

قلت له بينما أمد شفتي السفلى، وأنا أتفحص الرسم بعناية مانحة نفسي فرصة ثانية للحكم «لا أدري»، ولكن كان الشبة أقرب من ألا أذكره للمحقق فأضفت قائلة: «ولكن أتعلم ذلك الذي في الرسم يشبه... يبدو شبيهًا بمقاول البناء الخاص بنا «براد داجيت»، ولكن «براد» بالكاد يعرف «تيد»، كما أنه لا يعيش في بوسطن لذا...لا أدري إن كنت محقة أو سيساعدكم في شيء».

قال محقق «براد داجيت؟ هلا تهجأتُ الاسم بشكلٍ صحيح؟» وكتب اسمه في ورقة سائلًا.. «ما الذي تعرفينه عنه؟».

- «لا أعرف الكثير في الواقع، لقد عملت معه عن قرب، ولكن لا أعرف عنه أي شيء على المستوى الشخصي.. ولا أستطيع التفكير في أي سبب يدفع «تيد» إلى القدوم إلى هنا للتحدث إلى تيد أو حتى قتله، لا يبدو هذا منطقيًا لي».

- «ألم يكن المقاول الخاص بعملية البناء؟ أليس من المحتمل أن يكون هناك خلاف قد نشب بينه وبين زوجك على المال؟».

- «لن يحدث ذلك دون علمي، فأنا التي كنت أعمل مع براد عن قرب، وأنا من كان يتخذ أغلب القرارات المالية.. كلا، لا احتمال لذلك».

- «هل نشب بينك وبينه أي خلافات إذن؟ ألم تحدث أية مشاكل بينكما؟».

- «بعض الخلافات البسيطة المعتادة، مثل إحضار قالب غير مُتفق عليه للسقف، أمور بسيطة كتلك.. إنه محترف في عمله للغاية، وكنا ندفع له بشكل جيد.. ليس هناك أي سبب على الإطلاق يدفعني للتفكير في حمله لضغينة تجاه «تيد».

- «هل هو متزوج؟».

- «من، براد؟ لا أظن ذلك، أعتقد أنه كان متزوجًا، إن لديه أبناء هذا مؤكد، ولكنه لم يذكر أي شيء أمامي عن وجود زوجة».

- «هل سبق له وتعامل معك بشكل غير لائق؟ أعني هل سبق وترك لديك انطباع بأنه يراك... أو أنه يراك جذابة» تلعثم قليلًا وهو يقول ذلك وبدا لا يشعر بالارتياح، ولم أكن متأكدة هل كان توتره ذلك حقيقيًا أم مصطنعًا.

قلت: «ربما وجدني جذابة بالنسبة إليه، ولكنه لم يُظهر ذلك مطلقًا، فكما ذكرت آنفًا كان براد شديد المهنية في عمله».. نظرتُ ثانية إلى الرسم، مندهشة بمدى تشابهه بـ«براد»، يعتريني غضب عارم من أن ذلك الأحمق قد سمح لأحدهم برؤيته على هذه المقربة.. ثم أضفت «كلما نظرت إلى الرسم، كلما وجدته أكثر شبهًا به، ولكن بشكل سطحي. إنها رسمة لرجل بذقن هذا كل ما في الأمر».

«حسنًا».. وضع «كامبل» إصبعه على الرسم وأداره نحوه ثانية، وهو يقول «سوف نحقق في الأمر هل لديك رقم هاتفه؟».

أخرجت هاتفي، وأعطيت المحقق رقمه قائلة: «ولكني لا أظن حقًا أنه..».

«كلا، كلا أعلم ذلك.. ولكن علينا التحقق من الأمر حتى نستبعده من التحقيق. في اعتقادي أن زوجك قد قتل على يد لص منازل يبحث عن المجوهرات، وما خف وزنه وثقل ثمنه لسرقته.. وربما كانت لديه قصة ما أخبرها لزوجك لتمكنه من الدخول إلى منزلكم.. هل يمكنك تصنيف تيد كشخص يثق في الآخرين بسهولة؟ هل يمكنه السماح لغريب بالدخول إلى منزله إذا حمل ذلك الغريب قصة ما مقنعة؟».

فكرت للحظة محدثة نفسي أن الإجابة الحقيقية عن سؤال كهذا هي لا قاطعة، ولكني أجبته «أجل أظن ذلك، فقد عاش حياة ساحرة لم يتعرض فيها لسوء.. قد تعتقد أنه مع كل المال الذي جمعه أنه من النوع... ولكنه في الواقع يثق بالآخرين».

أومأ المحقق برأسه مضجعًا في كرسيه، ما منحني شعورًا أن لقاءنا على وشك الانتهاء، توترت بشدة، فأنا أعلم تمام العلم أنني بمجرد خروجي من المكان سوف يتصل ببراد، وفقدت الثقة تمامًا في قدرته على التعامل مع تلك المكالمة رغم تأكيدي له لعشرات المرات على ما يجب قوله للمحقق حال اتصاله به. فكرت أن أسبق المحقق في الاتصال به حتى أنبهه وأهدئ من روعه ولكني تذكرت أن الشرطة ستحصل على سجل مكالماته خاصة بعد تعرفي عليه في ورقة الرسم، وسيعلمون أنني اتصلت به في الحال عقب خروجي من قسم الشرطة.

قلت مدركة أنني يجب ألا أخفي أي معلومة الآن عن الشرطة «أتدري، لقد التقيت بـ«براد داجيت» صباح الأمس، كنت في حاجة إلى إخباره أن يوقف أعمال البناء لفترة، كنت في طريقي إلى مين حينها».

«فعلًا».. ثم انحنى بمقعده إلى الأمام قليلًا مصغيًا لما أقول باهتمام.

«كان طبيعي تمامًا، لا شيء سوى الصدمة بسبب ما حدث لـ«تيد»».

«مثلما أشرت لك، كل ما نحتاجه هو استبعاده من التحقيقات، أنا على ثقة من أن لديه حجة غياب، لا يبدو لي من شهادتك أن له علاقة بالجريمة.. هناك أمر آخر سيدة «سيفرسون»، لقد انتهى فريق الفحص الجنائي من عمله في منزلك ولديك كامل الحرية في العودة إلى هناك ولا أدري ما إذا كنت..».

«أنا في حاجة للذهاب إلى هناك... لجمع بعض الأغراض، وبعدها سأقرر ما إذا كنت أستطيع المكوث هناك».

قال ناهضًا:

- «حسنًا، أنا في حاجة إلى البقاء في القسم، ولكني سأطلب من أحد أفراد الشرطة إيصالك إلى سيارتك أو المنزل إذا أردت».

- «كلا شكرًا لك، سآخذ سيارة أجرة».

- «حسنًا دعيني أطلب لك السيارة بنفسي، شكرًا لك على قدومك إلى هنا من أجل رؤية الرسم، حضورك سوف يساعدانا على نحو لا يوصف، فمن واقع خبرتي وجود أي اشتباه سوف يقودنا إلى الجاني ولا شك، لا بد وأن هناك من سيتعرف على هذا الشخص.»

وقفت أفكر للحظة مترددة، مدركة أن الموقف قد يتفاقم سريعًا، تتسارع الأفكار في عقلي، سوف تستجوب الشرطة «براد»، ربما في غضون ساعات قليلة.. لقنته ما عليه قوله ودربته على التعامل مع الموقف، لكن ليس بما يكفي.. ثم تبادر إلى ذهني أمر آخر، لقاء «تيد» بـ«براد» في زيارته الأخيرة لكينويك وشربهما معًا حتى الثمالة في أحد البارات على الشاطئ. غريب أن يُقدم «تيد» على أمر كهذا، وجعلني أفكر فيم ذكره «براد» في اليوم السابق عن قناعته التامة بأن «تيد» كان يعرف أمر علاقتنا. ربما علم بها، ولكن كيف أمكنه ذلك؟ وإذا كشف أمرنا، هل أخبر شخصًا آخر بسرنا؟ ولكنه حتى لو لم يعرف لقاءه ببراد تلك الليلة، وشربهما معًا سيدفع الشرطة إلى أن تكون أكثر تشككًا في براد.

«هل أنت بخير؟».. سألني المحقق «كيمبول» متشككًا، وحينها أدركتُ أنه قد لمحني أقف هناك غارقة في أفكاري لقرابة خمس ثوانٍ كاملة.. طأطأت رأسي في أسى متظاهرة بمقاومة رغبتي في البكاء، ثم نظرت إليه تاركة دموعي تنساب على وجهي.. نظر حوله سريعًا في المكتب، ولكني لم أمنحه فرصة للتفكير، وأخذت خطوة للأمام لأرغمه على أخذي بين ذراعيه، بدأت في البكاء، وأنا أجذبه نحوي أكثر، دافنة رأسي أسفل ذقنه. احتضنته بقوة كافية لتجعلني أشعر بضغط نهدي على صدره «هوني عليك، سيدة سيفرسون» أحاطني بيد حول كتفي بينما أبقى يده الأخرى كما هي إلى جانبه.. ابتعدت عنه وأنا أعتذر بشدة، قبل أن تدخل زميلته المحقق «جيمس»، وهي سيدة طويلة القامة سوداء البشرة سائلة عما إذا كنت في حاجة إلى شيء.

أجبتها «لا شيء سوى سيارة أجرة تقلني، أنا آسفة، آسفة للغاية».

«لا داع للأسف، أتفهم حالك تمامًا» قادتني المحقق «جيمس» أنا الأرملة المكلومة، بلطف لا يخلو من الحزم عبر مكتب «كيمبول»، وقبل أن أغادر توقفتُ واستدرت تجاهه ثانية.

«سيادة المحقق، بشأن سؤالك لي بالأمس حول معرفتي لأي شخص من وينسلو، أتذكر ذلك؟».

كان لا يزال واقفًا هناك وهاتفه المحمول في يده.

- «أجل أذكر بالطبع».

- «أعتقد أنني أعلم شخصًا هناك تدعى «لِيلِي كينتنر»، كانت زميلتي في جامعة «ماثر»، ولكني واثقة أن زيارة «تيد» إلى هناك يوم الجمعة لا علاقة لها بها تمامًا، ولكن...».

- «هل كانا على معرفة ببعضهما البعض؟ هل كانت مقربة لك؟».

- «كلا في الواقع لم نكن صديقتين مقربتين، لقد سرقت حبيبي في الجامعة، لذا لم تكن علاقتنا جيدة... ولكنها وتيد لم يعرفا بعضهما البعض... حسنًا ربما التقى بها مرة أو اثنتين مصادفة، حين التقيت بـ«لِيلِي» في بوسطن منذ عامين بالصدفة».

- «كيف تتهجين اسمها؟».

أخبرته، وأنا أعلم أنه لا علاقة واضحة بين «تيد» و«لِيلِي»، ولكني أردت أن أمنحه أي خيط آخر يتبعه قد يعطل مواجهته الحتمية مع «براد»، والتي جعلت من إلقاء القبض عليه أمرًا وشيكًا، ومعه توريطي والزج باسمي في القضية.

أخبرت المحقق جيمس أنني بخير ويمكنني الانصراف، فسألتني بصوتها الخشن ناظرة نحوي لأسفل من طولها الشاهق «ألا تريدين أن أحضر لك كوبًا من الماء قبل أن تغادري؟».. أعتقد أن طولها ستة أقدام، وأنها تدرك كم هي طويلة لأنني في كل مرة أراها أجدها ترتدي حذاء مسطحًا.. نفس الملابس

تقريبًا.. بنطال غامق اللون، وقميص ذو ياقة عالية، وحذاء مسطح. ولم أرها ترتدي حُليًا على الإطلاق.. كانت تصيبني بالتوتر على نحو لم يفعله المحقق «كيمبول»، ليس لأنني أظن أنها تشك في، ولكن لأني لا استطيع معرفة ما تفكر فيه على الإطلاق.. كانت تنظر إلى بالطريقة التي قد تنظر بها إلى محصل الضرائب.

- «هل تريدني أن أصحبك للخارج سيدة سيفرسون؟».

- «كلا أنا بخير.. اسمي ميراندا».

أومأت لي ثم انصرفت، كنت واثقة أنها لا تضع أي مساحيق تجميل كذلك.

لا بد وأن المحقق «كيمبول»، قد أجرى مكالمة، حين وصلتُ إلى خارج القسم وجدت سيارة أجرة تنتظرني بالفعل، تغير الجو وبدأت الأمطار في الهطول، وشعرت كما لو كان الطقس السيئ، قد تبعني منذ أن كنت في منزل أمي.

الفصل الثاني والعشرين

لِيلِي

غادرت فندق «كينويك إن» بكيرة صباح يوم الثلاثاء، متخذة طريقي مباشرة إلى وينسلو كوليدج.. لم يكن هناك أي داعٍ للتغيب عن العمل ليوم آخر حتى لا ألفت الانتباه لي.. شربت فنجانين من القهوة في الفندق، وتوقفت خلال الطريق عند «دانكن دونتس»؛ لتناول فنجان آخر. كنت منهكة، امتد الحديث الذي دار بيني وبين «براد»، في الليلة السابقة لساعات عدة، بدأناه في شاحنته أولًا، ثم توجهنا إلى الكوخ الذي يعيش فيه لاستكمال حديثنا.

ورغم ما اقترفه «براد» من جرم تجاه «تيد»، إلا أني شعرت بقدر من الأسف حياله.. وجدته حطام إنسان حالته بائسة، وما أن عرف أنني لن أقوم بتسليمه إلى الشرطة، حتى تعلق بي كغريق يتعلق بقشة.. أخبرني أنه سيرتب لموعد مع «ميراندا» في العاشرة مساء ذلك اليوم، وأنه حال موافقة «ميراندا» على القدوم في الموعد المحدد، سوف يتصل بي من أحد الهواتف العمومية في حانة «كولي»، سيرن فقط رنتين، وحينها سوف يظهر الرقم على هاتفي الأرضي.. وأعلم أنه قد رتب للقاء.

وصلت إلى مكتبي قبل الجميع، ولم يدهشني عقب تفقدي لبريدي الإلكتروني أن أجد رسالة تفيد مغادرة «أوتو» رئيسي في العمل مبكرًا يوم الاثنين، اليوم السابق، نظرًا لإصابته بالسعال، علاوة على حصوله على يوم الخميس إجازة. كان «أوتو ليميك» أسهل الأشخاص تأثرًا على وجه الأرض، خاصة حين يتعلق

الأمر بالوعكات الصحية: فمجرد إخباري له يوم الأحد أنني لست على ما يرام كان كافيًا لإصابته بحالة من الاعتلال بالإيحاء.

أمضيت الصباح في كتابة عبارات وصفية قصيرة لمجموعة الكتب لدينا، حتى أقوم بعرضها على الموقع الداخلي للجامعة، وتصبح متاحة لكل من الطلبة وهيئة التدريس. عقب إنجازي لقدر معقول من العمل الصباحي، تمشيت عبر حرم الجامعة، وصولًا إلى كافيتيريا «ذا ستيودنت ران»؛ حيث أتناول وجبة الغداء عادةً. غسلت أمطار الليلة السابقة المكان من حولي، وجعلت العالم يبدو أكثر بريقًا ونظافة كما لو كان سيارة خرجت لتوها من مغسلة السيارات.. وتحوّل لون السماء الصافية إلى الفضي الغامق وفاح من الهواء المنعش رائحة التفاح. طلبت من هناك سلاطة التونة بالقمح، وأخذت وجبتي إلى أحد المقاعد الحجرية القابعة في مواجهة أشجار البلوط، التي قسمت ساحة جامعة «وينسلو» يمينًا ويسارًا.

فكرت في حياتي التي كانت هادئة مؤخرًا قبل أن أتورط في تلك العلاقة القذرة، التي جمعت بين «ميراندا» و«تيد» و«براد».. وجال في خاطري أن ما أخطط للقيام به مساءً في «كينويك»، مخاطرة كبيرة.. مخاطرة، نظرًا لاعتمادها على «براد» ذلك الرجل الهش الذي يمكنك بسهولة بالغة رؤية ما به من شروخ نفسية وتصدعات في شخصيته المهزوزة، كما تعتمد على عدم تشكك «ميراندا» حين يطلب منها «براد» لقاءها. لم أكن واثقة من نجاح خطتي ولم أكن واثقة من نفسي بنسبة مئة في المئة، ولكني قطعت تلك المسافة بالفعل، ولا بد أن أكمل الطريق إلى آخره.. تيد يستحق أن أنتقم له، و«ميراندا»، تستحق أن تنال عقابها، تستحق أن تتلقى العقاب الآن أكثر من أي وقت مضى.

ضم جدولي لظهيرة اليوم موعدًا مع واحدة من طالبات الجامعة السابقات، والتي تبلغ الآن الثمانين من عمرها وترغب في التبرع ببعض أدواتها المدرسية القديمة إلى قسم الأرشيف، أجد أن ذلك الجانب من عملي هو أفضل ما فيه، وأحيانًا يصبح الأسوأ، الأمر برمته يعتمد على مدى شفافية وتوقعات الطالب السابق أو الأستاذ السابق بالجامعة.. أحيانًا يكون كل ما لديهم بعض الكتب

البالية والكراسات القديمة، وأجدهم على الأغلب أشخاص يعانون الوحدة ويبحثون عن أي إنسان يتبادلون معه أطراف الحديث لأطول وقت ممكن؛ ليقصوا عليه حكاياتهم القديمة عن الجامعة وأيامهم فيها. وفي بعض الأحيان يتضح لي أن هؤلاء الطلاب السابقين يمتلكون كنوزًا من المواد الأرشيفية للجامعة، والتي تستحق اقتناءها..

إنهن تلك الفتيات اللاتي يحتفظن بكل شيء، قوائم طعام لحفلات المدرسة الثانوية الراقصة، يعود تاريخها إلى عام ١٩٣٥، صور من العاصفة الثلجية، التي وقعت عام ١٩٦٠ حيث بلغت ارتفاعات الثلوج سبعة أقدام حينها.. قصيدة مكتوبة بخط اليد، حين كان «ماي جيليس»، هو الكاتب الزائر للجامعة.. لا يمكنني توقع ما ستحمله لي تلك الزيارات في جعبتها، ولا أقوم بترتيب مواعيد زيارات منزلية، إلا حين تكون المسافة المقطوعة بالسيارة، ليست بعيدة.. أو نطلب من المتبرعين إرسال مقتنياتهم إلينا بالبريد.

كنت على وشك إلغاء زيارة تلك الظهيرة، لازلت متعبة ولم أحصل على كفايتي من النوم، ولست على ثقة من قدرتي على زيارة شخص غريب لاستمع إلى ذكرياته الشخصية، إلا أني حدثت نفسي بضرورة الحفاظ على جدولي المعتاد وعدم تغيير أي شيء فيه قدر المستطاع، لذا استقللت سيارتي عبر عدة مدن جنوبا متجهة إلى «جريفيلد»، حيث تقطن «برودنس واكر» طالبة سنة ١٩٥٨. حين وصلت كانت «برودس» تقوم بجمع أوراق الشجر من أمام منزلها وتعبئتها في حقائب تكدست عن آخرها بالفعل وموضوعة لرفعها، بدا منزلها العتيق مميز الشكل، حيث يقع في «كيب كود» بحي كولينالز. توقفت بسيارتي أمام منزلها خلف سيارة «كامري» موديل حديث، فوضعت «برودنس واكر» مجرافها جانبًا وجاءت لتحيتي.

«مرحبًا بك، شكرًا على قدومك إلى هنا لقد أسديت خدمة كبيرة لعجوز مثلي. كانت ترتدي تنورة من قماش الدنيم، ومعطفًا أخضر اللون وعقصت شعرها الرمادي إلى أعلى على شكل كعكة.

قلت لها وأنا أترجل خارج سيارتي «على الرحب».

- «كل شيء هناك في صندوق عند الدرج الأمامي، سوف أذهب وأحضره إليك، جلبته بمشقة من العلية حيث كنت أحتفظ به هناك لسنوات. من الواضح أنني قد قررت حين كنت طالبة أن أحتفظ بكل شيء، أغلب كتبي الدراسية والكراسات والدفاتر ومجموعة من أوراق الامتحان كذلك، أظن أنك أخبرتني بحاجتك لها، أليس كذلك؟».

- «سوف آخذ الصندوق بكل ما فيه، شكرًا لك مرة أخرى على ذلك».

ذهبت نحو الدرج الأمامي لحمل الصندوق الثقيل، وتبعتني «واكر» بمشية غير متزنة؛ حيث كانت تخفض كتفها الأيسر في كل مرة تخطو فيها خطوة بقدمها اليمنى.

«أكره أن تقودي سيارتك لكل هذه المسافة، وأن تذهبي سريعًا هكذا، ولكني أحاول جمع أورق الشجر تلك قبل مغيب الشمس، هل أحضر لك كوب من الماء أو أي شيء؟».

قلت لها بينما أرفع الصندوق على شاحنتي «كلا، شكرًا لك».

وبينما ابتعدت بسيارتي، راقبتها تسير غير متزنة صوب مجرفها المتكئ على شجرة القيقب، وشعرت بحب تجاه تلك العجوز، ربما بسبب رغبتها في التخلي عن حياتها القديمة، وعدم النظر إلى الوراء، وما كنت ممتنة له حقًا هو عدم اضطراري للمكوث معها طوال الظهيرة للحديث عما يحتويه صندوق ذكرياتها القديم.

تركت الصندوق في جامعة وينسلو، وقمت بالرد على عدد من الرسائل الإلكترونية قبل أن أعود أدراجي إلى منزلي كوخيّ الشكل المكون من غرفتي نوم، والذي تم بناؤه في عام ١٩١٥. يطل منزلي على بحيرة جميلة الشكل، إلا أنها غير مناسبة للسباحة بسبب مائها العكر (كما تحتوي على كل أنواع الباعوض في فصل الصيف) إلا أنها كانت لطيفة للتزلج اللطيف على الجليد في أوقات الشتاء قارصة البرودة.. تفقدت هاتفي، لم تكن هناك مكالمات واردة

من هاتف حانة «كوليز» بعد، فقط مكالمة من عيادة طبيبي لتذكرني بموعدي هناك، ومكالمة من أمي لم تترك بعدها رسالة..

لم تبلغ الساعة الخامسة بعد وفكرت في أخذ قيلولة قصيرة قبل إعداد الطعام.. تمددت على الأريكة في غرفة معيشتي، وما أن دخلت في النوم حتى رن جرس الباب، فجلست مفزوعة في مكاني لا أدري أين أنا لبرهه، مررت بأصابعي بين خصلات شعري ونهضت نحو الباب، ونظرت من العين السحرية وجدت رجلًا ممتلئ القوام بعض الشيء في الثلاثينيات من عمره تقريبًا، يقف وهو يحك مؤخرة عنقه.. فتحت الباب فتحة صغيرة، دون أن أفك سلسلة الأمان.

«هل يمكنني مساعدتك في شيء؟»

أجاب الرجل، بينما يخرج محفظته من جيبه «هل أنت لِيلِي كينتنر؟».. وقبل أن أجيب أدار المحفظة لتظهر بطاقة مكتوب عليها محقق «بوسطن بي. دي». ثم قال «أنا المحقق كيمبول، هل تمانعين في التحدث معك قليلًا؟».

قمت بفك سلسلة الباب.. حكّ حذاءه في مشاية الباب ثم دلف إلى الداخل، وهو يحدق حوله قائلًا «يعجبني منزلك، إنه لطيف».

«شكرًا لك، كيف يمكنني مساعدتك، زيارتك أثارت فضولي»، قلتها له وأنا أتجه نحو غرفة معيشتي بينما يتبعني.

«حسنًا، لقد ورد اسمك في تحقيقات الشرطة، ولديّ بعض الأسئلة التي أود طرحها عليك، هل لديك دقيقة؟».

قدمت له الكرسي الأحمر فجلس على حافته، بينما جلست على الأريكة أمامه أفكّرُ فيما يمكن أن يقول، وفي الوقت ذاته كلي فضول لسماعه.

- «ماذا تعرفين عن تيد سيفرسون؟».

- «ذلك الرجل الذي قتل في بوسطن الأسبوع الماضي؟».

- «أجل هو».

- «يمكنني إخبارك بما قرأت في الصحف عنه، لا شيء أكثر، فأنا أعرفه من بعيد ولكن لا علاقة لي به، مجرد شخص متزوج من سيدة كنت أعرفها من المدرسة الثانوية».

جذب المحقق دفترًا من جيبه وفتحه، بعد أن جذب قلم رصاص صغيرًا ملحقًا به ثم سألني: «هل كنت زميلة ميراندا سيفرسون في المدرسة؟».

- «أجل ماثر كوليدج، وكانت تدعى حينها «ميراندا هوبارت»، «فايث هوبارت في واقع الأمر».

- «هل كان ذلك اسمها؟».

- «أجل، أعتقد أن «فايث»، هو اسمها الأوسط وكنا نناديها به في المدرسة».

«هل استمرت علاقتك بها؟ وكيف عرفت أنها تزوجت من تيد سيفرسون؟» اعتدل أكثر في جلسته على المقعد، وبدا شعره أطول من أن يكون شعر محقق شرطة. كانت له عينان بنيتان مستديرتان أسفل حاجبين كثيفين وأنف مدبب، وفم يبدو كفم فتاة بشفاهٍ سفلية منتفخة».

- «التقيت أنا وهي مصادفة في بوسطن منذ بضع سنوات مضت».

- «هل كانت برفقة زوجها حينها؟».

«طرأ على بالي نفس السؤال حين قرأت الخبر في الجريدة، أعتقد أنها كانت برفقة رجل ما وقدمتني له، ولكني لا أذكر الكثير عنه ولم أصدق ما حدث في بوسطن، حين قرأت الخبر سيادة المحقق....كيمبول، أليس كذلك؟ كنت على وشك إعداد قهوة... هل أصنع ما يكفي لكلينا؟».. وقفت وأنا أعلم أنني أثير الشكوك حولي، ولكن كان لا بد وأن أحصل على بعض الوقت للتفكير.

«أممم، أجل لو كنت ستعدين قهوة لنفسك على أي حال».

قلت بينما أتوجه صوب المطبخ: «أجل سأعد لنفسي قهوة مالم تظن أننا سننتهي من الأسئلة سريعًا.. كما أن كلي فضول لسبب قدومك إلى هنا».

«كلا، سنحتاج إلى مزيد من الوقت، أعدي لنا القهوة أنا في حاجة لبعضها».

بمجرد وصولي إلى المطبخ أخذت نفسًا عميقًا، واضعة المياه في الغلاية والبُن في ماكينة صنع القهوة الفرنسية خاصتي.. كنت في حاجة إلى التفكير بهدوء. لابد وأن هناك ما حدث للربط بيني وبين «تيد سيفرسون»، يجب وألا ينكشف كذبي على الإطلاق، ولا بد وألا أناقض نفسي أثناء حديثي معه.. لقد اكتشفوا أمرًا ما، ولكني لا أعرف ما وصلوا إليه على وجه التحديد.. بمجرد أن غلت المياه قمت بصبها على القهوة ولم أنتظر الماكينة لتقوم بدورها، ووضعت كوبي القهوة على صينية ومعهما علبة كارتون من الحليب وطبق من مكعبات السكر وتوجهت صوب غرفة معيشتي ثانية.. واندهشت حين وجدت المحقق يلقي نظرة عن كثب على حزم الكتب والملازم القابعة على أرفف مكتبتي.

«آسف، لديك مجموعة من الكتب المثيرة للاهتمام هنا».. ثم عاد أدراجه إلى كرسيه قبل أن يسألني: «أنت ابنة ديفيد كينتنر، أليس كذلك؟».

- «وضعت الصينية فوق الطاولة، وجلست على الأريكة.. «أجل، هل تعرفه؟ تفضل قهوتك».

- «أجل أعرفه، قرأت له العديد من الكتب، وحضرت له واحدة من عروض القراءة في «درم»، «نيوهامشير».

- «حقًا؟».

- «لقد كان بارعًا حقًا في عروض القراءة تلك».

- «صحيح لقد سمعت ذلك، ولكني لم أحضر أي من تلك العروض».

- «حقًا؟ أنا مندهش لذلك؟».

- «لا تندهش،.. إنه أبي وما كان يقوم به من أجل العمل لم يكن مذهلًا كثيرًا بالنسبة لي، خاصة حين كنت صغيرة في السن».

راقبت المحقق بينما يضع الحليب على قهوته دون إضافة السكر.. بدت يده جميلة بأصابع طويلة مخروطية.. وخطر على بالي فجأة الشبه الذي بينه وبين «إريك واشبيرن»، وجه ذكوري القالب ولكن بملامح أشبه بملامح الفتيات، فم صغير ورموش طويلة وكثيفة.. تناول رشفة من قهوته، وأعاد فنجانه إلى الطاولة، ثم قال «أتعرفين، لم يكن العثور عليك هنا بالأمر السهل.. هل غيرت اسمك رسميًا من لِيلي كينتنر إلى لِيلي هايورد؟».

- «كلا لا زال اسمي كينتنر رسميًا، ولكني معروفة هنا بـ«لِيلي هايورد»، «هايورد» هو اسم أبي الأوسط، وحين حصلت على وظيفة هنا فضلت أن يناديني الناس باسم غير اسم أبي المعروف ككاتب».

- «مفهوم».

- «هل سمعت بما حدث لأبي؟».

- «تعنين ذلك الحادث الذي وقع في إنجلترا؟».

- «أجل».

- «نعم، سمعت، آسف لما حدث له.. أنا أحد معجبي والدك، وقرأت جميع كتبه في واقع الأمر.. أذكر أنه أهدى آخر كتبه إليك».

- «صحيح.. وكم تمنيت لو كان كتابا أفضل من ذلك».

ابتسم المحقق، «لم يكن بهذا السوء، أظن أن الآراء النقدية حملت بعض القسوة والمبالغات».. أخذ رشفة أخرى من قهوته، ثم صمت لدقيقة.

قطعت الصمت قائلة: «عودة إلى موضوع تيد سيفرسون، ما سبب وجودك هنا؟».

- «حسنًا، ربما يكون الأمر كله مجرد مصادفة، ولكن تيد سيفرسون أتى إلى وينسلو يوم مقتله، وعرفنا ذلك من مخالفة وقوف تحررت ضده.. ألم يأتِ إلى هنا للقائك، لأي سبب محتمل؟».

انتابتني حالة من الغضب لغباء تيد، تبِعتها مشاعر حزن عليه.. لقد جاء إلى هنا بحثًا عني.. أتى إلى مدينتي، هززت رأسي نافية، «كما قلت لك، أنا لا أعرفه وهو لا يعرفني كذلك، ربما التقينا مرة أو مرتين...».

- «كنت في إنجلترا سبتمبر الماضي، أليس كذلك؟».

- «أجل، ذهبت إلى هناك لرؤية أبي بعد خروجه من السجن، سوف ينتقل للعيش في أمريكا مرة أخرى في واقع الأمر، وكنت هناك لمساعدته في بعض الأغراض».

- «هل تذكرين رقم رحلة عودتك إلى هنا؟».

- «يمكنني أن أبحث لك عنها إذا أردت».

- «لا بأس، أنا أعرف رقم الرحلة بالفعل، وهو رقم الرحلة التي عاد عليها تيد سيفرسون بعد زيارة عمل قام بها إلى إنجلترا.. هل تذكرين رؤيتك له في تلك الرحلة؟».

هيأت نفسي لسؤال كهذا، لقد عرفوا إذن أنني وتيد كنا على نفس الرحلة، ولكن كانت لدي شكوك كبيرة في معرفتهم بأمر لقائنا بكونكورد ريفر إن.. هل اكتشفوا أمر سفري إلى كينووك في اليوم السابق؟ ربما لا، ولكنه ليس بالأمر الذي يصعب معرفته.

- «هل لديك صورة له؟».

- «ليس هناك صورة معي، ولكنك إذا ما بحثت على الإنترنت..».

- «أجل، سوف أتفقد صورته، ولكني تحدثت إلى رجل ما على نفس الرحلة، وأفكر الآن في أنه ربما يكون تيد سيفرسون.. لقد التقينا في الواقع في البار بهيثرو، وأذكر الآن أنه حين التقى بي بدا وكأنه يعرفني من طريقة إلقائه التحية على وحينها تعرفنا إلى بعضنا البعض، وتبادلنا حديثًا سريعًا، ولم يبدُ وجهه مألوفًا بالنسبة لي».

- «ألم تتعرفا إلى بعضكما بالاسم؟».

- «فعلنا ذلك، ولكني لم أركز حينها كثيرًا فلم أسمع اسمه جيدًا، وإن كنت قد سمعته.. ففي الواقع لا أذكره».

- «ولكنه إذا أراد الوصول إليك لكان في مقدوره البحث عن اسمك، والقدوم إلى هنا للعثور عليك أليس كذلك؟».

- «ربما، ولكنه إذا أراد الوصول إليّ حقًا فلماذا لم يتصل بي بدلًا من القدوم».

- «هل أعطيته رقم هاتفك؟».

- «كلا في واقع الأمر».

- «ربما أراد الحصول على رقم هاتفك إذن، ولكنه لم يتمكن من ذلك، فقرر القدوم إلى هنا».

- «أظن ذلك، ولكن كل ما دار بيننا لم يتعدَ حوارًا لطيفًا لا غزل فيه، لم أرَ في عينيه نظرة إعجاب لي، كما أنه رجل متزوج و...».

ابتسم المحقق وهز كتفيه قائلًا: «ربما فوّتَ نظرة الإعجاب تلك، تمر علينا مواقف مشابهة طوال الوقت، يلتقي بعض الرجال ببعض النساء، ولا تظن النساء شيئًا في ذلك اللقاء، لنجد أن الرجل بعد ذلك يبدأ في تتبع أو ملاحقة المرأة والعكس صحيح، ولكن تتبع النساء للرجال ليس بالأمر الشائع».

- «هل تظن أنه كان يلاحقني؟».

- «ليس لدي أدنى فكرة.. كنا فقط نتساءل عن السبب الذي يمكن أن يدفعه إلى القدوم بسيارته إلى هنا يوم مقتله.. إن حادث قتله مثير للشكوك، لذا نتحرى عن كل الوقائع والملابسات غير المعتادة في حياته مؤخرًا.. ولكنه إذا ما قاد سيارته إلى هنا أملًا في لقائك مصادفة، فلا أظن أن الأمر له علاقة بموته بأي حال من الأحوال».

- «معك حق».

- «هل تمانعين لو سألتك آنسة كينتتر عما إذا كنت في علاقة عاطفية؟».

- «لا أمانع، كلا لا أواعد أحد ويمكنك أن تناديني لِيلي».

- «من باب المعرفة لا أكثر، ألا يوجد لديك حبيب سابق غيور يا لِيلي؟».

- «كلا ليس بينهم من هو غيور».

نظر المحقق إلى دفتره وصمت لدقيقة.. زال توتري، لقد غطيت نفسي جيدًا حتى الآن، لم يكن في مقدوري إنكار لقائي بتيد على متن الطائرة، لقد كان هناك شهود.. ولكن لا يوجد أي سبب يدفعني للاعتراف بأي شيء آخر.. وإذا ما اكتشفت الشرطة أمر بقائي في كينويك لليلتين، عقب جريمة القتل مباشرة سأقول أنها مجرد مصادفة.. قد يبدو الأمر غريبًا، ولكن ماذا يمكن أن يحدث لي؟ لا شيء أسوأ من تورطي في جريمة قتل ليلة الجمعة.

- «عذرًا يا لِيلي، هل يمكنك إخباري أين كنت ليلة يوم الجمعة الماضية؟».

- «كنت هنا بمفردي، طهوت لنفسي العشاء، ثم شاهدت أحد الأفلام».

- «هل زارك أحدهم؟ أو اتصل بك؟».

- «كلا آسفة، لا أظن ذلك».

«لا بأس».. أنهى قهوته ثم نهض واقفًا.. «هل يمكنك إلقاء نظرة إلى صورة تيد سفرسون على الإنترنت حتى تحددي هوية الشخص الذي التقيت به في المطار بشكل دقيق؟».

«بالطبع».. فتحت اللاب توب الخاص بي وعثرنا معًا على صورة حديثة لتيد مرفقة بواحد من المقالات الإخبارية، وحينها أكدت أنه كان نفس الشخص الذي التقيته، وتحدثت معه في المطار.

قلت له: «كم هذا غريب، لقد قرأت المقال، وكنت أعلم أنني رأيت هذا الرجل من قبل أو على الأقل أعرف زوجته قطعًا، لأكتشف الآن أنني التقيت به مؤخرًا وتحدثت إليه دون أن أدرك».

عند الباب وضع المحقق يده في جيبه، ثم قال «هناك أمر أخير نسيته حقًا».. ثم أخرج مجموعة من المفاتيح اللامعة من جيبه قائلًا: «هل تمانعين أن أجرب تلك المفاتيح هنا لأرى إن كان أيًا منها يفتح باب منزلك؟».

ضحكت قائلة: «هذا درامي للغاية، هل تظن أن هذا الرجل كان بحوزته مفتاح لباب منزلي؟».

«كلا.. لا أظن ذلك، ولكننا قد وجدنا تلك المفاتيح مخبأة بين أغراض تيد، ونفكر في كل الاحتمالات وأود تجريبها حتى استبعدك تمامًا».

«أتفهم ذلك، ولا أمانع بالطبع».. لا بد وأن تلك المفاتيح هي تلك التي سرقها تيد من منزل براد وتفتح الأكواخ هناك، إنها المفاتيح الرئيسية لكل الأبواب على ما أظن، ولو دخل براد في دائرة الاشتباه، فإن اكتشاف أمر تلك المفاتيح وصاحبها ليس سوى مسألة وقت.

راقبت المحقق، وهو يدخل المفتاح في قفل بابي بسهولة بالفعل وللحظة مرعبة ومربكة انتابني هاجس من أن يفتح المفتاح بابي بالفعل، وأن يكون «تيد» قد حصل على نسخة من مفاتيحي لسبب ما، ولكن المفتاح لم يحرك القفل.. حاول المحقق معه مرتين قبل أن يخرج المفتاح.. «كلا ليس هذا المفتاح لهذا الباب، ولكن كان عليّ التحقق.. شكرًا على حسن تعاونك، وإذا فكرت في أي شيء آخر يمكنك الاتصال بي..».

أخرج بطاقة من جيبه وناولها لي، نظرت إليها ووجدت أن اسمه الأول هو «هينري».. وقفت عند الباب أراقبه بينما يرحل، كان المساء على وشك الحلول وتحوّل لون السحب إلى البرتقالي.. ومن خلفي رن الهاتف مرتين ثم توقف..

ذهبت لأتفقد المتصل رغم علمي بمصدر المكالمة. قرأت على شاشة هاتفي «مكالمة فائتة» من رقم يبدأ بـ ٢٠٧، ذهبت لأتأكد من أن الرقم الذي رن على هاتفي هو نفس رقم حانة كوبيز، الذي سجلته سريعًا على منديل الطاولة، كنت على يقين من أنهما نفس الرقم.. إنها المكالمة التي تعني أن «براد»، قد نجح في تحديد موعد مع «ميراندا» في وقت لا حق من تلك الليلة، كل شيء يسير وفق الخطة.. أصابتني زيارة المحقق بحالة من التوتر، ولكن كما قال إنها مجرد زيارة من أجل استبعادي من التحقيقات.

فتحت الثلاجة وحدقت بداخلها، وقررت ما سوف أطهو على العشاء.

انضم إلى مكتبة اضغط هنا

t.me/t_pdf

الفصل الثالث والعشرون

ميراندا

عودة إلى ذاك الوقت، الذي انخرطت فيه أنا وبراد في مخطط قتل تيد، خطرت لي فكرة شراء هاتفين خلويين مؤقتين غير قابلين للتتبع، فقط في حالة اضطررنا لاستخدامهما، إلا أن غبائي دفعني إلى نبذ الفكرة، لأني لم أرغب في ترك أي دليل مادي يجل أصابع الاتهام تتوجه إلينا. لكن في اللحظة الراهنة، كم أتمنى لو أني حصلت عليهما. فقد ظللت أجوب منزلي في ساوث إند جيئة وذهابًا، بينما أكاد أجن، متسائلة إن كان ينبغي عليّ الاتصال ببراد وتحذيره بأن الشرطة ستقوم باستجوابه، بالرغم من أني لا أعرف حتى إن كان ذلك سيفيد أم لا. فربما يتملك منه الفزع فور علمه أنهم سيذهبون إليه، بيد أن جزءًا مني ظل يلكزني ويخبرني بضرورة إحاطة براد خبرًا بأن ثمة شاهدًا تعرّف عليه، وأن عليه حزم أمتعته واستقلال شاحنته ومغادرة المدينة على الفور.

أخذت مختلف السيناريوهات، تدور داخل مخيلتي.

وفقًا لسجلات هاتفك الخلوي يا سيدة سيفرسون، فقد قمتِ بالاتصال بالسيد براد داجيت في نفس الليلة، التي تعرفتِ فيها عليه وأكدتِ أنه من شوهد يدخل منزلك، والآن لا يمكننا العثور عليه. ما الذي تحدثتما بشأنه في هذه المكالمة الهاتفية التي دامت عشر دقائق؟

سوف أخبرهم لدى طرحهم على مسامعي هذا السؤال بأني اتصلت ببراد لأخبره أن الشرطة قد تستجوبه، وأني تعرفت على مشتبه فيه يشبهه. أخبرته ألا يقلق، وأن ما من أحد يظنه متورطًا. لا أعرف أيها المحقق ما الذي سيدفعني لتحذيره؟

سيسعدك أن تعلمي يا سيدة سيفرسون، أننا ألقينا القبض على براد داجيت في صبيحة هذا اليوم، حيث إنه لم يبتعد كثيرًا، فقد لحقنا به على الحدود الكندية. لقد اعترف بقتل زوجك، وأدلى بتفاصيل القتل كاملة. هل تمانعين القدوم إلى مخفر الشرطة كي يتم استجوابك؟

لا، إن هروب براد ليس بالأمر الوارد على الإطلاق، عليه تحمل الكثير ولفترة طويلة من الوقت كي يبدو هادئًا ورابط الجأش خلال التحقيقات. وقد أعددت خططًا لأجل براد لتنفيذها في نهاية المطاف، ولكن لا بد من إرجاء هذه الخطط.

وقفت قبالة النافذة الكبيرة في غرفة المعيشة القابعة بالطابق الثاني.. ساد الظلام بالخارج، وتساقطت أمطار متوسطة الشدة، والتي كانت باعثة على الاسترخاء. على الجانب الآخر من الشارع، رأيت بعض الغرف المضاءة في مباني الجيران المشيدة من الطوب الرملي.. رأيت شخصًا يتحرك داخل واحدة من هذه الغرف، وتم إغلاق الستار.

ظللت واقفة أمام النافذة لبرهة، وحيث إنني لم أوقد أي مصباح في منزلي، فقد شعرت، وأنا أتفقد هذا الجزء من مدينتي بأني غير مرئية.. تحركت سيارة ببطء في الطريق أمام المنزل، والتي ارتطمت بحفرة صغيرة دائرية أثناء سيرها وظلت ترسل للأعلى رذاذًا من مياه الأمطار فوق المشى. هل بدأت الشرطة في مراقبتي بالفعل؟ هل أصبحت من المشتبهين بهم؟ إنه يوم الاثنين، وقد وقع حادث القتل في يوم الجمعة، ولم يتم إلقاء القبض على أحد بعد.

لا شك أن رجال الشرطة قد بدأوا في فقدان أعصابهم، وأنا على يقين أني من المشتبه بهم بشكل من الأشكال. فأنا زوجة رجل ثري لقى حتفه بطريقة مثيرة للشك. لكن هل يعدو الأمر ذلك؟ جذبت الستائر لأغطي النافذة، بعد أن تأكدت أن الستارتين سيلتقيان في المنتصف، ثم أضئت مصباحًا، والذي بعث بضوء شاحب ملأ الغرفة. طرفت بعيني سريعًا، فما كان مني إلا أن أغلقت المصباح مجددًا.. استلقيت على الأريكة في هذا الظلام الحالك، متسائلة ما إن كان ينبغي عليّ العودة إلى منزلي، أو ربما الإقامة في أحد الفنادق، مثلما اقترح عليّ هذا المحقق صاحب الوجه الطفولي.

ظلت تتردد في مخيلتي صورة براد في تلك اللحظة التي يمطره فيها المحقق بأسئلة حول مكان تواجده في ليلة الجمعة. تصورته وهو يتصبب عرقًا ويتلعثم، الأمر الذي يثير ريبة كبيرة في نفس المحقق. لقد أسأت الحكم على براد، فعندما التقينا للمرة الأولى، ظننته مجرد مقاول مغرور غبي بعض الشيء.. كم كان إغواؤه سهلًا، فكل ما فعلته هو أني انتظرت حتى صرنا وحدنا في المنزل، لأطلب منه سيجارة واستجديه ألا يخبر زوجي بذلك، فما كان منه إلا أن أجابني «بالطبع، لن أخبر زوجك بأي شيء لا تريدين مني إخباره به».. كان ذلك في بداية شهر أغسطس، وكنت أرتدي ثوبًا قصيرًا بأزرار علوية، والذي خلعته من رأسي، ثم خلعت سروالي الداخلي، وصعدت فوق طاولة المطبخ التي تم الانتهاء من صناعتها.. كان الأمر برمته غريبًا وغير مُرضٍ، لكني كذبت على براد بعد ذلك وأخبرته أني لم استمتع بممارسة الجنس منذ الأسبوع التالي لزفافي. ارتدينا ملابسنا وانخرطت أنا في البكاء لبرهة، ثم خلعنا ملابسنا مرة أخرى وقلت له في عصر هذا اليوم: «لن نقوم بذلك في أي مكان آخر، فلن نقوم بهذا إلا هنا، وفقط حينما نكون واثقين تمام الثقة أنه ما من أحد سيأتي فجأة. اتفقنا؟».

قال «اتفقنا».

- «هل ستخبر أحدًا عما جرى هنا..».

- «لن أخبر أحدًا».

بعد مضي أسبوع أخبرته أني حلمت بأني أقتل زوجي، وبعد أسبوعين أخبرني أنه يمكنه قتله بيديه إن أردتُ منه هذا.. كان الأمر بهذه السهولة، وقد أكدت له أننا إذا قمنا بالأمر على النحو الصحيح ولم نرتكب أخطاء، فلن يرتاب أحد قط في أمرنا وسوف نتمكن من الزواج، وشراء يخت، والاستمتاع بشهر عسل يمتد طوال عام كامل.. ظهر بريق في عيني براد لم يسبق لي أن رأيته من قبل، حتى ونحن نقيم علاقة..

الجنس هو ما أوقعه في شباكي، بيد أن الجشع هو الذي أبقاه عالقًا في هذه الشباك، وطالما ظننت منذ البداية أنه سينجح في الحفاظ على رباطة جأشه دون أن ينهار، ولكني الآن لست واثقة من هذا.

نهضت من فوق الأريكة، نافضة ذراعي للخارج، وقافزة للأعلى والأسفل فوق مقدمة قدمي، بينما أشعر بخدرٍ في جسدي وتلاحق في أفكاري.. صببت لنفسي بعضًا من مشروب «كيتل وان»، وأخذت أتجول داخل المنزل المظلم.. كانت هناك بقعة دماء على أرضية الطابق الثاني في المكان الذي نزف فيه تيد، والتي أخبرتني الشرطة بشأنها حتى لا أصاب بصدمة. لمست بقعة الدماء بإصبع قدمي، والتي كانت أشبه بكتلة بنية داكنة تتناسب مع أرضية المنزل الخشبية. سيأتي عمال النظافة غدًا وسأحرص على أن يقوموا بتنظيفها على الفور. جلبت مشروبي إلى غرفة الفيديو، وظللت أتنقل بين القنوات لبعض الوقت، حتى وجدت فيلم Pretty Woman، والذي طالما كان فيلمي المفضل منذ أن كنت فتاة صغيرة.. كان يُعرض على التلفاز كثيرًا في ذلك الوقت وكم أحببته، حتى قبل أن أفهم معنى كلمة بائعة هوى.. بدا لي سخيفًا الآن ولكني شاهدته، رغم ذلك وأنا أردد الحوار مع نفسي حتى قبلما يرددوه هم على التلفاز.. استرخيت قليلًا، وعندما انتهى الفيلم وأنهيت مشروبي، علمت أنه يتحتم عليّ استقلال سيارتي عائدة إلى مين لأتحدث مع براد. فلا بد أن يكون مستعدًا لما سيحدث، وشعرت أني لو أمضيت بعض الوقت برفقته سيُحدث هذا فارقًا كبيرًا.

كانت سيارتي متوقفة بالشارع وليس بالمرآب.. ارتديت بنطالًا جينز وكنزة خضراء داكنة مزودة بغطاء رأس وغادرت المنزل.. وبينما أسير تجاه سيارتي عبر الأمطار، قاومت رغبتي في التلفت حولي لأرى ما إن كان أحد يراقبني، حيث لم اعتقد حقًا أن هناك من يراقبني. استقللت سيارتي الكائنة بزاوية الشارع وتحركت على الفور بسرعة كبيرة، متوجهة صوب شارع I-٩٣. كانت الشوارع هادئة، ولم يبدُ أن هناك من يتتبعني، حيث لم تظهر فجأة أية أضواء لسيارات تسير خلفي.. دلفت إلى الطريق السريع وأنا لا زلت أشعر أنه لا يوجد من يتتبعني. قررت الاستقرار على الحارة الوسطى، ووضعت أسطوانة مدمجة بمشغل الأسطوانات، وحاولت جاهدة أن استرخي.. امتد الطريق السريع اللامع بفعل مياه الأمطار أمام ناظريَ، وكان الوقت قد تأخر ببلوغي أكواخ كريسنت، وقد تحولت الأمطار الغزيرة إلى مجرد رذاذ الآن. لم تكن شاحنة براد متوقفة أمام وحدته السكنية، فافترضت أنه ذهب لمنزل كولي، لكنني قررت البقاء في الخارج وانتظاره..

بالطبع هذا يعني أنه سيأتي ثملًا الآن وبعد أن واتتني الفرصة أخيرًا للقدوم والتحدث معه، لكني تمنيت ألا يكون قد أفرط في الشرب مما يعني أنه لن يتذكر شيئًا مما سأقوله له.. تمثلت خطتي في أن أجعله يستعد للاستجواب، وأتأكد أنه يعرف ما سيقول، لأقود سيارتي عائدة إلى بوسطن قبل بزوغ ضوء النهار.

أوقفت سيارتي على الجانب الآخر من الطريق، أسفل شجرة بلوط أخضعت مياه الأمطار فروعها للأسفل، ثم انتظرت.. لم أضطر إلى الانتظار طويلًا؛ حيث تسللت شاحنة براد ووقفت في المكان المخصص لها أمام وحدته السكنية في حوالي الساعة الحادية عشرة مساءً. وبالرغم من أن نافذة سيارتي كانت مكسورة، إلا أن سيارتي الميني كانت معبأة ببخار الماء في أثناء انتظاري، وعليه بدت شاحنة براد لي ضبابية.. أنزلت زجاج النافذة بالكامل حتى الحافة وأخذت أراقب، بينما تسللت سيارة أخرى، أعتقد أنها هوندا مزودة بصندوق،

لتقف إلى جانب براد.. اللعنة، إنها فتاة ليل في الغالب، راقبت بينما يخرج براد من سيارته أولًا لتلحق به من داخل سيارتها سيدة طويلة ونحيفة.

ظل براد ممسكًا لباب سيارتها، ودخلت السيدة الكوخ أولًا. كانت ترتدي سترة ناعمة عاكسة وبنطال جينز ضيقًا، كانت نحيفة للغاية بشكل لا يمكن أن يجعلها بائعة هوى، كما بدت ثابتة ومتزنة ولا تترنح. تبعها براد، وقد ولّدت بي الطريقة التي دخلا بها المنزل شكا بأن هذه ليست مجرد توصيلة عادية، فكانا يتحركان وكأنهما اثنان من رجال الأعمال يدخلان غرفة اجتماعات. انتظرت خمس دقائق، ثم وضعت القلنسوة على رأسي وخرجت من سيارتي.. ظننت أن الأمطار لا تزال تنهمر، لكن كل ما في الأمر أن شجرة البلوط، هي التي كانت تسقط قطرات من الماء من أوراقها القليلة المتبقية.

عبرت الطريق واقتربت من كوخ براد، الذي لم يسبق لي أن دخلته قط، بيد أني وقفت لدى عتبته مرة قبل أشهر، لتسليم بعض المخططات الأولية، قبل أن تبدأ علاقتي ببراد. أتذكر أني لاحظت حينها إلى أي مدى هو منظم ومرتب ونظيف. زحفت بالقرب من نافذة تقع على الناحية الشمالية من الباب الأمامي، والتي تغطيها ستائر مُضلعة، بيد أن النور الساطع المضاء بالداخل جعلني أعتقد أنه سيكون بإمكاني الرؤية عبر هذه الستائر..

أردت أن أتبين ما إن كنت سأتعرف على هذه السيدة أم لا؟ كنت على وشك الوقوف أمام النافذة عندما أُضيء مصباح يعلو الباب الأمامي، والذي ألقى بضوء أبيض ساطع، افترش مدخل المنزل كالفيضان، فما كان مني إلا أن تحركت سريعًا ناحية جانب المنزل، بينما يُصدر حذائي الرياضي صوتًا أشبه بالقرمشة فوق ممر السيارات المفروش بالصدف المجروش. سندت ظهري على الجدار الخشبي الجانبي في النقطة التي كانت فيها الظلال هي الأحلك، وانتظرت حتى تنطفئ الأنوار الخارجية من تلقاء نفسها.. انطفأت الأنوار بالفعل بعد دقيقة هي الأطول في حياتي..

لم أسمع أحد يتحرك داخل المنزل، وظل الطريق محتفظًا بهدوئه وسكونه.. كانت هناك نافذة واحدة على الجزء الجانبي من المنزل، والتي كانت منخفضة

كفاية لأتمكن من الرؤية عبرها وأنا واقفة على أصابع قدميّ.. كانت الستائر مغلقة، غير أن فجوة بينها جعلتني أتمكن من رؤية المكان بالداخل.. كان ذلك المطبخ، رأيت ثلاجة بيضاء، وطاولة إعداد طعام خاوية، كما استطعت أن أرى أبعد من ذلك، حيث رأيت غرفة المعيشة، والتي جلس بها براد يتحدث إلى امرأة ذات شعر أحمر فوق الأريكة..

وأمامهما على طاولة القهوة زجاجتين من البيرة.. للحظات ظننتها لِيلِي كينتر، لتسري قشعريرة في جسدي، ولكن حركت السيدة رأسها قليلًا؛ لأتيقن أنها ليست لِيلِي.. كانت مبتذلة في تبرجها.. عينان محددتان بلون داكن وأحمر شفاه براق يبدو رخيصًا، ووفقًا لشخصية لِيلِي فما كانت لتضع أية مساحيق تجميل بالمرة، إلا إن كانت قد تغيرت.

ظللت أراقب لبرهة، بينما يتحدث براد مع السيدة بجدية كبيرة، ولم أكن لأستطيع مهما حاولت أن أعرف ما الذي يتحدثان بشأنه.. بدا براد محبطًا، حيث كان مدليًا كتفيه للأسفل، شاغرًا فاه، بينما كان للسيدة المجهولة النصيب الأكبر من الحوار. كان براد أشبه بالطالب الأبله الذي يحاول أن يستوعب ما تقوله معلمته. لم يكن هذا هو ما توقعته بالمرة؛ حيث توقعت رؤية براد وساقطة ما من ملهى كولي يعبثان سويًا على الأريكة، وهو المشهد الذي لم يكن لينال إعجابي كثيرًا، ولكني كنت لأفضله على ما أراه الآن. ما الذي يتحدثان بشأنه يا ترى؟

أومأ براد برأسه عدة مرات متتالية، كدمية يحركها أحدهم بخيوط، ثم وضع يده في جيب معطفه ليخرج علبه سجائره.. وقفت السيدة وتمددت ليرتفع قميصها ويكشف عن جزء من بطنها العاري الشاحب، ثم تحركت صوب المطبخ.. تطلّب الأمر مني كثيرًا من الجسارة، لكني واصلت التلصص، داعية الله ألا تنظر ناحيتي، فقد أردت أن أتفحصها عن كثب. فتحت باب الثلاجة، وانحنت لتلقي نظرة بداخلها، مما ساعدني على التحديق في جانب وجهها. كانت تشبه لِيلِي كينتنر كثيرًا بالفعل، حيث كان لها نفس الجسد النحيف، والبشرة الشاحبة، والشعر الأحمر، لكن الملابس كانت مختلفة.

أخذت السيدة زجاجة مياه من المبرد، وفتحتها، وقبل أن تعود إلى غرفة المعيشة، أدارت رأسها لتنظر إلى طاولات إعداد الطعام اللامعة بالمطبخ. تمكنت من رؤيتها بشكل أفضل، وخاصة لأن مصباح المطبخ الذي يعلو وجهها انعكس على عينيها، واللتين كانتا خضراوين ساذجتين، تلألأ بداخلهما بريق للحظات. لقد كانت بالفعل لِيلِي كينتنر، حيث صرت الآن واثقة بعد أن رأيت عينيها. دون تردد، تحركت ناحية سيارتي، وأنا أبتعد عن مقدمة المنزل، حتى لا أقوم بتنشيط المصباح الحساس للحركة ثانية.

صعدت داخل سيارتي الميني، وأنا أتساءل: لقد كانت لِيلِي، أنا متأكدة من هذا، ولكن كيف يمكن لهذا أن يحدث؟ كيف تسنى لها التورط في علاقة مع براد؟ ومن الواضح أنها ليست على علاقة ببراد فحسب، فقد سافر تيد إلى وينسلو قبل ذلك ليلتقي بها، لذا لا بد أنها كانت على علاقة بتيد.. هل كانت تربطهما علاقة عاطفية؟ هل هي من قامت بإغوائه، انطلاقًا من رغبتها القديمة في الانتقام؟ لكن والأهم من كل هذا، كيف وجدت براد في هذا الوقت، وما الذي تريده منه؟

غصت داخل مقعدي أكثر لأنتظر، بينما يعج رأسي بالأفكار.. توقفت الأمطار لكن السماء كانت لا تزال ملبدة بالغيوم، وشعرت بأن الظل الأسود للشجرة التي أقف تحتها يتولى حمايتي.. نظرت إلى كوخ براد وأنا أتساءل ما إذا كانت لِيلِي ستمضي الليلة هناك، بينما أعرف أن على البقاء في حال رحلت.. امتلأ عقلي بسيل من الاحتمالات، كنت أنا الفريسة بها جميعًا.. فبشكل ما، كانت لِيلِي ترغب في صيدي وتحويلي إلى فريستها.

بدا وكأن ساعتين قد انقضيتا ولكنها على الأحرى كانت ساعة واحدة قد مضت عندما فُتح الباب الأمامي لمنزل براد لتظهر لِيلِي.. أضاء المصباح الأمامي وراقبتها، وهي تدخل سيارتها. تحركت بسيارتها للخلف من ممر السيارات وتوجهت جنوبًا ناحية طريق ميكماك.. أردت أن أتبعها لأرى إلى إلى أين ستذهب، ولكن الأهم من ذلك كان أن أتحدث إلى براد واكتشف ما الذي يجري. أرغمت نفسي على الانتظار خمس دقائق، فقط تحسبًا لأن تكون لِيلِي

قد نسيت شيئًا فتعود لأخذه، ثم عبرت الطريق وطرقت باب براد، فتح الباب ونظر إلى في ارتباك للحظات.. خلعت الغطاء من فوق رأسي وقلت «إنه أنا يا براد، دعني أدخل».

قال وهو يفتح لي الباب «اللعنة».. خطوت داخل المنزل وأغلقت الباب ورائي، وكان بوسعي أن أشم رائحة عطر رخيص الثمن.

سألته:

- «ما الذي كانت تفعله لِيلِي كينتنر بحق الجحيم في منزلك؟».

- «هل هذا هو اسمها؟».

- «يا إلهي يا براد، أخبرني ماذا كانت تريد؟».

«التقيت بها لتوي الليلة في ملهى كولي.. جاءتني في ساحة انتظار السيارات». كانت عيناه تتحركان، وكأنه يحاول أن يعرف ما الذي ينبغي عليه أن يقوله لي، فقاومت رغبتي في لكمه في حلقه بأقصى ما أوتيت من قوة.

«براد، أخبرني فورًا ما الذي كانت تريده منك؟».

خفض جسده قليلًا؛ ليبدو كالكلب الذي ضُرب لتوه على أنفه وقال: «إنها تريد قتلك يا ميراندا.. إنها تريد مني القيام بذلك، وأخبرتني أنها الطريقة الوحيدة كي لا يتم الزج بي إلى السجن.. كنت أنوي إخبارك بالأمر، أقسم لك».

الفصل الرابع والعشرون

لِيلِي

وصلت كينويك في الثامنة من مساء يوم الثلاثاء، بعد أربع وعشرين ساعة من وضع الخطة مع براد. لم تكن هناك زحمة سير، وبالرغم من ذلك قطعت المسافة بسيارتي من ماساشوستس في أكثر من ساعة. أوقفت سيارتي في باحة أدميرال إن، ذلك المنتجع السياحي الجديد الكائن في حيز ضيق من الجرف الواقع على الجانب الآخر من الشاطئ في ميناء كينويك.. لم تكن ساحة انتظار السيارات ممتلئة بالسيارات، ولكنها لم تكن شاغرة كذلك. وقد استدرت بسيارتي وأوقفتها بحيث تكون مواجهة لهذا الخط الضيق من الشاطئ، والأضواء الخافتة لحانة كينويك الموجودة خلفه. جلست داخل سيارتي للحظات، أسفلَ السماء القاتمة لهذه الليلة، والتي خلت من السحب ورُصعت بنجوم صفراء وقمر في طوره الثالث انعكست صورته على مياه المحيط.. كنت قد جلبت معي كشاف جيب صغيرًا حتى يمكنني الاستعانة به عند التمشية على الجرف، وصولًا إلى منزل تيد وميراندا، لكني وجدت أني لست بحاجة إليه.

في وقت مبكر من هذا اليوم، بعد أن أعددت لنفسي وجبة بسيطة من البيض والجبن لتناولها في العشاء، اتصلت برب عملي في منزله، وأخبرته أني لازلت أعاني التهابًا في الحلق، وأن حالتي قد تزداد سوءًا.

قال لي بينما تعلو نبرة الفزع في صوته: «لا تأتي غدًا، ابقِ في المنزل حتى تتحسن حالتك».

«بالطبع سألازم الفراش غدًا».

«نعم، هذا ما يتحتم عليك فعله، ويمكنك البقاء في المنزل لآخر الأسبوع إن أردت هذا».

بعد هذه المهاتفة، راجعت تفاصيل خطتي، والتي كانت محفوفة بالمخاطر، حيث تعتمد في مجملها على نجاح براد في تنفيذها بالشكل الذي أوضحته له، وكم أبغض الاعتماد على شخص آخر. لم يسبق لي أن فعلت هذا، ولم أكن لأفعله، لكنني كنت بحاجة لأن أتحرك سريعًا.. فالمحقق هنري كيمبل الذي التقيته في اليوم السابق لا يشتبه سوى ببراد وميراندا، أو ربما براد فقط، فكم هو متسرع، وأنا أردت أن أسبقه بخطوة.

جلست لحظات في السيارة، وقد ارتديت ملابس داكنة للغاية، بنطال جينز أسود وكنزة ذات ياقة مدورة سوداء، والتي ارتديتها فوق العديد من الطبقات، بما أن درجات الحرارة ستنخفض إلى حد التجمد. ارتديت حذاء المشي خاصتي ذا النعل الجيد، وقبعة صوفية خضراء داكنة مزودة بكرة صغيرة في أعلاها، بينما أجمع شعري المجدول بداخلها. كنت أحمل معي حقيبة ظهر رمادية صغيرة مصممة للتمشية النهارية، والتي دسست بها قفازين، وبندقية صاعقة، وكشافًا صغيرًا، وحافظًا حراريًا مملوءًا بالقهوة الساخنة، وقارورة مملوءة ببراندي المشمش، وسكين سَمَك موضوعًا داخل حافظته الجلدية، وأدوات متعددة من ماركة ليثرمان، ومجموعة من الأكياس البلاستيكية.

عندما خرجت من سيارتي، لفحتني برودة الهواء، التي كانت أبرد مما توقعت، حيث كان المحيط يرسل نسمات هواء قوية، وتمنيت لو كنت جلبت معطفًا ثقيلًا. وضعت الكشاف الصغير في جيب بنطالي الخلفي، وحملت حقيبة الظهر على كتفي، وأوصدت السيارة خلفي، وسرت عبر الباحة حتى بداية ممشى الجرف. تعمدت السير بهدوء وبطء قدر الإمكان عسى أن يكون هناك من يراقبني، وأنا أتخيل نفسي من هذه النوعية من الأشخاص المعتادين على الركض بمحاذاة الشاطئ في الليالي المقمرة.. وقد فطنت أنه ليس هناك من يراقبني، وقد بلغت الممشى دون أن يلاحظني أحد.

كان لدي متسع من الوقت، فسرت ببطء، ولم أنير مصباح الجيب سوى مرة واحدة عندما اعتلى الممشى قنطرة من الأشجار المعقوفة.. بقدر ما كانت هذه التمشية مذهلة كسابقتها التي قمت بها قبل يومين في فترة بعد الظهيرة العاصفة، إلا أني أرى الآن جمالاً لم أره في المرة السابقة.. فقد بدا المحيط فضي اللون أسفل القمر الأبيض المتوج بمكان مرتفع في السماء. فشعرت وكأني داخل فيلم بالأبيض والأسود من عقد الثلاثينيات، يرسم فيه كل من المحيط والسماء خياليًا ملامح ليلة براقة مثالية، تتسم بالرومانسية والتقلب في الوقت ذاته.. واصلت التحرك، بينما أشعر بوخز في جميع حواسي، كما لو أني حيوان صغير خرج من جحره ليجد أمامه عالمًا فسيحًا. خشخش شيء ما في إحدى شجيرات الميريقة، فتوقفت مكاني لأرى ما إذا كان ذلك مجرد حيوان آخر مثلي، أم أن الشجرة كانت تتحرك بفعل الريح القادمة من المحيط. لم أسمع صوتًا آخر، فواصلت السير، وعندما بلغت نهاية الطريق، جثمت ونظرت إلى المنزل الذي لاح في الأفق.

وقد بدا مكتمل البناء أسفل ضوء القمر، فكان سقفه الجملوني الثلاثي مواجهًا للسماء. أما الرقعة الأرضية الفاصلة بين المحيط والجزء الخلفي من المنزل، والتي بدت في ضوء النهار وكأنها تراب ممضوغ، فقد شهدت تحولاً كاملاً في هيئتها بفعل ضوء القمر، حيث باتت أشبه بالأجمة الساحرة المنحدرة التي كان يفترض لها أن تكونها..

نظرت خلفي ناحية السماء لأرى كتلة سحابية تتحرك سريعًا وتوشك العبور أمام القمر، مما جعل العالم يكتسي بالسواد لفترة مؤقتة.. أخذت نفسًا عميقًا وتوجهت نحو المنزل، بينما أحرص على السير بمحاذاة الحفرة التي تم الانتهاء من حفر نصفها، والتي من المفترض لها أن تصبح حوض سباحة.

خطوت خطوتين عريضتين، وصولاً إلى الباحة التي تم الانتهاء من العمل فيها، وجثمت مرة أخرى، وخلعت حقيبة الظهر من فوق ظهري وفتحتها. أخذت البندقية الصاعقة والسكين، وقفازي الجلدي، وكيسين بلاستيكيين، ثم أعدت إغلاق الحقيبة ووقفت منتصبة وأنا أضع السكين في جيب بنطالي

الأمامي، بينما أضع البندقية الصاعقة في الجيب الآخر.. ارتديت الكيسين البلاستيكيين على حذائي الرياضي، ودسست طرفيهما داخل جوربي الصوفي، ثم ارتديت قفازي واختبرت الأبواب الزجاجية الانزلاقية التي قال براد إنها ستكون مفتوحة. كانت مفتوحة بالفعل ودلفت داخل المنزل حالك الظلام.

أغلقت الأبواب خلفي ووقفت للحظات، وأنا استمع باهتمام، وأدع عيني تتكيف مع الظلام. استغرق الأمر بعض الوقت، ولكنهما تكيفا في نهاية المطاف، ليصبح المكان داخل المنزل رماديًا وضبابيًا. كان بوسعي رؤية الأرضيات المكتملة، والتي يعلوها هنا وهناك كومة من البلاط، أو صناديق كبيرة غير مفتوحة من الألواح الصخرية. تحركت للأمام صوب البهو ناحية مقدمة المنزل، بينما تصدر الأكياس البلاستيكية صوت خشخشة على الأرضية. ارتطم شيء برأسي فجفلت لا إراديًا، ونظرت للأعلى لأرى زوجًا من الأسلاك يتدلى؛ حيث من المفترض أن يتم تركيب وحدة كهربية.

تحركت ناحية المطبخ المواجه للجنوب، وقد ساعدتني نوافذه العريضة على الإبحار داخله بسهولة، متمنية أن تطل إحداها على ممر السيارات الأمامي، لكن لم أنل مرادي، فعدت أدراجي، وأنا أتحرك فيما كان يشبه التصوير البطيء عبر الضوء الحبيبي. كان الهواء في المنزل باردًا مثلما كان في الخارج، ويصدر منه رائحة الغبار والغراء.. وجدت الباب الأمامي، والذي يصل ارتفاعه ضعف ارتفاع أي إنسان طبيعي، وقمت بالتحديق في واحدة من نوافذه الجانبية. كل ما استطعت رؤيته هو سلة المهملات الضخمة، والتي كان يتطاير شيء ما على حافتها بفعل الهواء، ولكن لم تصل أية سيارات بعد.. امتدت النافذة من السقف وحتى الأرضية، ومن ثم جلست معقوفة الساقين وانتظرت، حيث جئت ساعة مبكرًا عن موعدي.

ظللت أؤكد على نفسي مرات عديدة خلال هذه الساعة أنه بمقدوري النهوض والرحيل، أن أعود أدراجي عبر ممشى الجرف واستقل سيارتي عائدة إلى منزلي في وينسلو. فأنا لم ارتكب جرمًا حتى الآن، ولم أفعل شيئًا يمكنه توريطي في أي جريمة.. فكنت مُحصنة ولا يمكن لأحد المساس بي. لكني

أخبرت نفسي أيضًا أني إذا فعلت هذا، إذا نهضت وهممت بالرحيل، فسوف أعيش في عالم تفلت فيه ميراندا هوبارت من جريمة قتل. لقد مات تيد، ومات إريك واشبيرن، واللذان كانا لينعما بالحياة لولا وجود ميراندا.

سمعت صوت شاحنة براد قبل أن أراها، حيث إنه كان قد أطفأ مصابيحها الأمامية، بيد أن الشاحنة الضخمة كانت تصدر صوت خشخشة على ممر السيارات الحصوي. أوقف السيارة بين سلة المهملات وبين المنزل. كان ضوء السماء الخالية من السحب مازال ساطعًا بالخارج، وكان بوسعي رؤية براد يجلس على مقعد السائق، بينما تجلس بجواره ميراندا على مقعد الراكب. جاءا مبكرًا بعض الشيء وفقًا لساعتي، وظلت ميراندا جالسة داخل الشاحنة للحظات. ما الذي يتحدثان بشأنه يا ترى.

فُتح باب الشاحنة ليضيء مصباح داخلي بها وينشر الضوء بالخارج، وأخذت أرقب براد وهو يضع سيجارة غير مشتعلة بين شفتيه، وقد وضع يده سريعًا فوق الضوء بينما تخرج ميراندا من السيارة وتدلف على ممشى السيارات. سارت صوب المنزل، بمشيتها التقليدية المتأرجحة التي أتذكرها، وهي تجمع شعرها أسفل ما بدت أنها قبعة بائعي الصحف. مع اقترابها من الباب، وقفت وأخذت خطوة للخلف داخل الظلام العميق للمنزل. تسارعت دقات قلبي داخل صدري، لكني استشعرت أيضًا شحنة كهربائية تسري فوق جلدي.

استمعت إلى صوت المفتاح وهو يدخل ثقب الباب، وصوت القفل وهو يفتح. تأرجح الباب للداخل، وأخذت ميراندا نصف خطوة للداخل، ثم توقفت. تزايدت حدة الريح بالخارج، وقد علمت أنها كانت تدع عينيها تتكيف مع الظلام كما فعلت أنا للحظات، وأنها في اللحظة الراهنة لا تراني. بدا وجهها رمادي اللون أسفل الضوء، وقد فتحت عينيها قدر استطاعتها في محاولة لرؤية ما حولها، وشغرت فاها بعض الشيء.. نظرت إلى يدها التي تمسك بها مقبض الباب، ولاحظت أنها أيضًا ترتدي قفازات.

قلت لها «أنا هنا».

استدارت، فأضأت أنا كشافي الصغير، وأنا أوجه شعاعه ناحية الأرض لتتمكن من رؤية البقعة التي أقف بها، وبمجرد أن رأتني أطفأته.

قالت «لِيلِي؟».

«تعال إلى هنا، وسوف تتكيف عيناك مع الظلام».

أغلقت الباب خلفها، وقالت «لم ينبغِ أن يكون اللقاء دراميًا إلى هذا الحد»، ثم اقتربت مني فايث، تلك الفتاة التي عرفتها في الجامعة، كانت تهكمية وثملة عندما تحدثت إلى في حفلة سانت دان ذات الأضواء الخافتة، بينما تمسك شرابًا مُسكرًا في يد وسيجارة في اليد الأخرى.

سألتها: «هل أخبرك براد بما أريد؟».

أخذت خطوة للأمام، وكانت ترتدي معطفًا طويلًا، والذي وضعت يدها اليمنى في جيبه الكبير. لمست رغمًا عني بندقيتي الصاعقة، والتي وضعتها في جيبي الأمامي، وكان طرفها بازغًا للخارج.

قالت ميراندان بينما تقف أمامي على بعد ياردة واحدة تقريبًا: «أجل أخبرني بما تريدين».. أردت العودة للخلف قليلًا، ولكني لم أرغب أن تسمع خشخشة الأكياس البلاستيكية، التي أرتديها في قدمي.. «لقد اندهشت حقًا».

- «وما الذي أثار دهشتك؟».

- «حسنًا، اندهشت من كل شيء، اندهشت من وجودك هنا، واندهشت أنك تعرفين تيد.. ولكن أكثر ما أدهشني هو أنك تريدين مني مالًا.. فذلك يبدو منافيًا لطبيعتك.. هل للأمر علاقة بأبيك؟».

قلت لها «ماذا تعنين؟».

«لقد قتل أحدهم في إنجلترا، صحيح؟ لا بد أنك تودين دفع أتعاب المحامي».

«لا، أريد هذا المال لي».

قالت «حسنًا، لا يهمني، وبالطبع أنت تعلمين أنه ليس بمقدوري تدبير هذا المبلغ على الفور، فلا بد من أن تؤول ممتلكات تيد لي أولًا، وهذه الأمور تستغرق وقتًا».

- «أعرف هذا، وقد أردت فقط أن ألقاك هنا الليلة حتى أسمع موافقتك.. بعد ذلك يمكن أن يكون براد بمثابة وسيط بيننا».

- «هل بوسعي أن أطرح عليك سؤالًا؟ هل أقمت علاقة عاطفية مع تيد؟ كيف حدث هذا، وكيف التقيتما؟».

«التقينا على متن إحدى الطائرات، وكان يعرف كل شيء تفعلينه، وعلم بشأن خيانتك له مع براد».. داخل هذا الظلام شاهدت جسد ميراندا وهو يرتعد، كما كانت قريبة للغاية لدرجة جعلتني أتمكن من شم رائحتها.. كانت تضع عطر توباكو باهظ الثمن.

قالت ميراندا: «إذن لماذا لم تقومي بتسليمي للشرطة إن كنت واثقة إلى هذه الدرجة أني شخص بغيض وشرير؟».

«سوف أسلمك للشرطة يا فايث إن لم تمتثلي لأوامري».

سألتني: «هل تفعلين هذا حقًا بسبب إريك؟».. ثم سمعت بابًا في مكان ما من المنزل يصدر صوتًا، بينما تشتد الريح في الخارج.

قلت «لا، لا أفعل هذا بسبب إريك.. بل بسببك أنت».

استدارت ميراندا أولًا، مع بزوغ براد من داخل الظلام ليقف بيننا، بينما يحمل مفتاح ربط يبدو ثقيلًا في يده اليمنى.. لا بد أنه أتى عبر أبواب البهو، وتحرك بهدوء في المنزل حتى أني تساءلت إن كان قد خلع حذاءه. كان وجهه متكدرًا، ويتحرك فكه لأعلى وأسفل، كما لو كان شيئًا عالقًا في حلقه.. كان ينظر لي، ورأيته وهو يرفع مفتاح الربط الثقيل فوق رأسه وينزله سريعًا.

الفصل الخامس والعشرون

ميراندا

استغرق الأمر ساعتين، وقدح من القهوة، ليخبرني براد بكل شيء، وكيف أنه لمح سيارة رئيس الشرطة تقف أمام منزله مبكرًا في الصباح.. تملكه الذعر مما جعله يقود سيارته مبتعدًا عن منطقة الأكواخ ليتوجه مباشرة إلى مقصورة الصيد الخاصة بوالده. كان على وشك اتخاذ قرار بالمبيت هناك، ولكنه فكر كم أن هذا سيبدو غريبًا ومريبًا، أشبه بأمر يفعله شخص ارتكب جرمًا ما، فما كان منه إلا أن عاد أدراجه إلى كينويك، قاصدًا مباشرة ساحة انتظار كولي.. تحدثا داخل شاحنته، وقد أخبرته أنها تعرف كل شيء عن واقعة القتل، وأنها تعرف أني وبراد متورطان في علاقة عاطفية، وأننا خططنا معًا لقتل تيد. تعرف أن براد جاء بسيارته إلى بوسطن، واقتحم منزل أحد الجيران أولًا ليجعل جريمة القتل تبدو كحادث سرقة باء بالفشل، مما جعل السارق يطرق باب تيد، ويطلب منه الدخول، ليطلق النار عليه.

سألته «كيف تسنى لها معرفة كل هذا؟».

«لم أسألها يا ميراندا كيف عرفتِ كل هذه التفاصيل، فقط كانت تعرفها. إنها تعرف كل شيء».. علت نبرة صوت براد بشدة وكانت يده ترتعد وهو يشرب من قدح القهوة.

- «اهدأ، فكل شيء سيكون على ما يرام، وأنا متواجدة معك هنا الآن».

- «أعرف هذا، كما كنت سأتصل بك في الصباح لأخبرك على الفور بما جرى».

- «أعرف أنك كنت ستفعل هذا يا حبيبي، ولكن لعلي كنت على حق عندما قدت سيارتي إلى هنا الليلة، فسوف يمنحنا هذا مزيدًا من الوقت؛ لنعرف ما الذي يجب أن نفعله بشأنها.. ما الذي تريده؟».

تردد براد قليلًا ثم قال: «يفترض بي أن أقول لك إنها تريد المال».

- «ما الذي يجب أن يعنيه هذا بحق الجحيم، أنه يفترض بك أن تقول لي ذلك؟».

- «تأكدي فحسب أني أخبرك بكل شيء.. فمن المفترض أن أخبرك أنها تريد المال منك، أن تعطيها مليون دولار كي تغلق فمها، وأنها تريد أن تلقاك مساء غد في منزل ميكماك، حيث تريد أن تسمع منك أنك توافقين على شرطها».

- «مساء غد؟».

- «نعم، في العاشرة مساءً، وسوف أقوم بتوصيلك إلى هناك؛ حيث تلتقيان في المنزل، وحدكما».

- «يا إلهي».

- «لا يا ميراندا، أنت لا تفهمينني، فهذا هو ما يجب أن أخبرك به.. إنها تريد قتلك، إنها تخطط لإراقة دمك.. هذا هو ما أخبرتني به».

سألته «كيف ستقتلني؟».. كان هذا هو أول سؤال خطر على ذهني.

«ستصيبك أولًا بندقيتها الصاعقة ثم ستقوم بخنقك».. فرك براد أنفه بمؤخرة يده.

«لا أعرف لماذا أخبرتك بكل هذا».

«إنها تكرهك، فقد قالت إنها تعرفك منذ المدرسة الثانوية، وأنك شخص بغيض وشرير».

قلت «مذهل.. يا إلهي».

«يبدو أن هذا الأمر أسعدك».

«أنا سعيدة؟ لا، أنا مرتاعة ومفزوعة».. نعم كنت مفزوعة، ولكن ثمة شعورًا آخر كان يراودني لم أتمكن من تحديده، فبدا لي أني في المدرسة الثانوية، واكتشفت أن الصبي الأوسم في الصف يتحدث عني لأصدقائه.. لقد وقعت في شراك لِيلِي دون حتى أن أعرف هذا.

«وكيف تصورت أنها ستفلت بفعلتها هذه؟ وكيف تعرف أنك ستفلت بفعلتك هذه؟ إنهم يشتبهون بك بالفعل، حيث رآك شاهدًا لعينًا في بوسطن.. لقد رآك أحدهم يا براد وأنت تخرج من منزلي، ولهذا ذهب رئيس الشرطة لمنزلك الليلة.. سوف يقومون باستجوابك».

«ما الذي تقولينه؟» طار بصاق من بين شفتيه، الذي اصطدم بعض منه في وجهي.

كذبت قائلة «استرخ، ليس بالأمر المهم.. إن لديك حجة غياب، أتتذكر؟ ولكن هذا هو ما جعلني آتي إلى هنا في المقام الأول، لقد جئت لأني علمت أن الشرطة ستقوم باستجوابك.. لا أعرف متى، ولكنه سيكون في القريب العاجل بلا شك. كل ما تحتاجه هو أن تتذكر كل شيء تحدثنا عنه.. لا تحيد عن القصة التي وضعناها وسيكون كل شيء على ما يرام».

«لكن الآن بات هذا الشخص الآخر يعرف بالأمر».

«أعلم هذا.. دعني أدرس الوضع للحظات».. أخذت نفسين عميقين، وأنا لا زلت أركز على حقيقة كشف لِيلِي للحقيقة كاملة، وأنها تود قتلي.. «هل أخبرتك لِيلِي كيف تعرفت على تيد؟».

«لا.. ظننتك تعرفين هذا، لكنها تعلم كل شيء عما حدث».

«ما الذي يجعلها تعتقد أنها يمكنها قتلي والإفلات بفعلتها؟ ما خطتها؟».

«قالت إنها ستخفي جثتك وسيارتك، ليبدو الأمر وكأنك هربت.. وقالت إن تلك هي الطريقة الوحيدة التي لن تجعل الشرطة تلقي القبض عليّ.. فيفترض بي أن أقلك إلى مكان لقائكما غدًا مساءً، ثم يفترض بي مساعدتها على إعادة جثتك إلى سيارتك مرة أخرى.. لقد وضعت خطة كاملة محكمة».

«ماذا أيضًا؟ هل أخبرتها أنه سيكون من دواعي سرورك أن تفعل هذا لأجلها؟».

«لقد أوشكت على الإصابة بسكتة قلبية لعينة يا ميراندا عندما اكتشفت أنها تعرف كل شيء.. أخبرتها أني سأفكر بالأمر، ويفترض بي أن اتصل بها على هاتفها من ملهى كولي غدًا إن انتهيت من فعل ما اتفقنا بشأنه.. فقط أدع الهاتف يرن بضع مرات ليظهر الرقم على شاشة التعرف على رقم الطالب. بالطبع كنت سأخبرك بكل شيء، ولكني قمت فقط بمجاراتها فيما ترغب.. ماذا كان عساي أن أفعل سوى هذا؟».

«لا، معك حق، لقد فعلت الصواب، وأنا فخورة بك.. دعني أعيد كل هذا في رأسي قليلًا».

أخذ براد يجذب بعض الشعر في جانب وجهه، وقال «أعرف ما ينبغي علينا فعله.. أعرفه حق المعرفة».

«ماذا؟».

«سوف أقتلها يا ميراندا.. سيكون الأمر سهلًا.. فسوف تتسلل إلى هنا لرؤيتك، وبالطبع لا أحد يعرف أنها متورطة في شيء كما أخبرتني.. سآخذك إلى المنزل، حيث تدخلين من الباب الأمامي وسألتف أنا من الوراء وآتي من الخلف.. شاغليها بالتحدث إليها وسوف أتسلل أنا وأضربها بشيء ما ويمكنني دفنها في فناء المنزل».

قلت له: «أستفعل هذا لأجلي؟».

«لقد قتلت زوجك لأجلك يا ميراندا، لأني أحبك.. بالطبع سأقتل هذه الساقطة لأجلك أيضًا».

كان ما يقوله منطقيًا للغاية، وقد أيقنت أنه السبيل الوحيد للخروج من هذه الورطة.. فإن كانت لِيلِي تعرف كل شيء، إذن فلا بد أن تموت، ولكن ثمة شيئًا أثار القلق في نفسي. قلت وأنا أردد على الفور ما يدور في مخيلتي من أفكار «ألن تفطن أن هذا قد يحدث؟ فلِمَ قد تخاطر بهذا الشكل وتأتي إلى هنا لمقابلتي...».

«إنها ليست آتية لمقابلتك، بل آتية لقتلك، هذا هو ما أخبرتني به».

«هذا هو ما أعنيه، فكيف لها أن تثق حتى أنك قد تفعل هذا من أجلها، فقد قابلتك لتوها.. لقد قابلتك لتوها، أليس هذا صحيحًا؟».

«اسمعي، كانت مقنعة للغاية؛ حيث أخبرتني بأن هذا هو المخرج الوحيد لي، وأنك ستخونيني وتجعلين مني كبش فداء، وأنه عندما يستجوبنا رجال الشرطة سيكون كل ما لديهم هو شهادتي أمام شهادتك، ولن يوجد أي دليل يثبت أنك تآمرت لقتل زوجك.. فيمكنك أن تقولي أني مختل وأني صرت مهووسًا بك.. ولن يستطيع أحد بما فيهم أنا تكذيبك».

كانت تلك بالفعل هي الخطة التي عزمتُ على تنفيذها في حالة تم الإلقاء على براد واتهامه بقتل زوجي. كنت لأخبر الشرطة حينها أننا تورطنا في علاقة جسدية مرة، في إحدى لحظات ضعفي، لكننا لم نتحدث قط عن أي نية لدينا لقتل تيد.. الآن وبعد أن فكرت قليلًا، تذكرت أني أخبرت براد داجيت بالفعل أني ذاهبة إلى فلوريد لتمضية عطلة نهاية أسبوع طويلة.. لا بد أنه فطن... نعم لا بد أنه فطن أني أخبره بهذا لأني أريد... يا إلهي. ربما يشتبهون بي بالفعل، ولكن ليس بمقدورهم أن يثبتوا أني مذنبة.. سألت براد بينما تعلو وجهي نظرة اشمئزاز، «وهل صدقت كل هذه الأكاذيب التي تلتها على مسامعك؟».

«لا، بالطبع لم أصدقها.. أنا أصدقك أنت، لكني أكدت لها رغم ذلك أني سأساعدها.. تظاهرت أني أصدقها، لكننا في مأزق يا ميراندا.. إنها تعلم كل شيء».

«حسنًا، حسنًا، سألقاها في المنزل، وسوف أقتلها، وسيكون كل شيء على ما يرام.. لا بد لنا من قتلها».

تحدثنا مرة أخرى في هذه الليلة، لكن براد كان ثملًا، وبدأ يتفوه بكلمات لا معنى لها، وكان بحاجة لأن ينام.. كنت أدفع ثمن الاستعانة بمدمن كحول جبان كي يساعدني على قتل زوجي. قبل أن أهم بالمغادرة، وكان ذلك قبل الفجر بساعة، أخبرته أن عليه الاختفاء في اليوم التالي، وأن يستقل سيارته إلى الساحل وألا يجيب على هاتفه.. قلت له: «أنت لست في حالة جيدة، وبالتالي أنت لست مؤهلًا بعد لأن يتم استجوابك».

قال «أعرف هذا».

«كل شيء سيكون على ما يرام.. نعم قد يشتبهون بنا، ولكنهم لن يلقوا القبض علينا قط.. نحن متيقنان من هذا منذ البداية».

«أعلم».

إن كنت تريد هذا يا حبيبي، فيمكنك الرحيل بعد ليلة غد.. غادر المدينة، بل غادر البلاد بأكملها، ولتذهب إلى الجزر، وسوف آتي وألقاك بعد أن ينتهي كل هذا».

«لكنهم سيعلمون بذلك أني القاتل».

«نعم سيعلمون أنك القاتل، ولكنهم لن يتمكنوا من العثور عليك حينها.. يمكنني أن أعطيك المال اللازم للهروب، وسوف ألقاك لاحقًا بعد أن أجلب معي مزيدًا من المال.. سوف تنعم بالحرية».

قال بينما يتخلل صوته حشرجة «ماذا عن أطفالي؟».. وجه رأسه الكبير الضخم نحوي، ورأيت أن عينيه كانتا تفيضان بالدموع بالفعل.. لم يسبق لنا أن تحدثنا قط عن أطفاله، ولا حتى لمرة واحدة.

قلت له: «شش، دعنا لا نتحدث بشأن هذا الآن، فأنت بحاجة إلى الذهاب إلى مكان ما لتنام، وبوسعنا التحدث بشأن هذا غدًا مساءً.. وتذكر أنه عليك الابتعاد عن منزلك وعن هاتفك.. قد سيارتك واذهب إلى مكان آمن تنام به، اتفقنا؟ فقط تحسبًا لأن تأتيك الشرطة في وقت مبكر من الصباح. سألقاك في بورتسماوث خارج هذا المطعم الذي سبق أن ذهبنا إليه أنا وأنت وتيد. حسنًا؟ في التاسعة مساءً».

عدت إلى بوسطن في الوقت الذي كانت الشمس تشرق فيه على حافة أسطح المدينة، باعثة ضوءًا باردًا رفيعًا.. دخلت منزلي ممسكة في يدي صحيفة الثلاثاء، وهممت بإعداد فنجان من القهوة.. تركتها لتختمر وذهبت للاستحمام وتغيير ملابسي.. سأحاول أن آخذ قيلولة فيما بعد خلال النهار لأني كنت متيقنة أني لن أتمكن من النوم، الآن، حيث كنت غارقة في صراع لعين. فالشرطة لم تقتنع بمسرحية السرقة، وكان براد هو المشتبه الوحيد لديها. والآن تظهر لِيلي في الصورة لتصبح الأمور جنونية. لم أتمكن حتى من تحليل ما يحدث حولي بصورة جيدة. طالما كان هناك شيء مريب يكتنف لِيلي كينتنر. أتذكر أنها كانت شديدة التحفظ والحذر، وقد التقيت بها عندما كانت في الثامنة عشرة من عمرها تقريبًا، لكنها بدت أكبر من ذلك كثيرًا. فكانت رصينة وواثقة من نفسها، وبالطبع لا تبدو على الإطلاق كنظيراتها من طلاب الصف الأول.

هل عرفت يا ترى أني سرقت إريك منها في هذا الصيف السابق لوفاته؟ أنا لم أسرقه، ليس هذا ما حدث، ولكننا كنا نتقاسمه دون موافقة لِيلي على الأمر. هل اكتشفت خيانتي لها وظلت تتربص بي منذ ذلك الحين، منتظرة الفرصة كي تقتلني؟ فكرت أنه لو لم يمت إريك وكان لايزال هنا... وفجأة طرأت فكرة غير كاملة الملامح في ذهني؟ هل قامت بقتل إريك في لندن؟

لقد مات جراء إصابته بنوبة حساسية، ولكنها قد تكون الشخص الذي أعطاه الفول السوداني، وهي تعرف أنه ليس بوسعه الوصول إلى دوائه.. إنها فكرة جنونية حقًا، ولكنها محتملة كذلك. ظللت أجوب داخل عقلي لأتذكر ما

قيل عن الحادث آنذاك. كان جميع أصدقائي في نيويورك يتحدثون حول هذا الأمر.. كان ثملًا وذهب لتناول طعام هندي وكانت وجبة الدجاج التي طلبها تحتوي على الفول السوداني، فمات. شيء من هذا القبيل.. ثمة شيء أتذكره بوضوح وهو أن لِيلِي كانت هناك برفقته، تشاهده وهو يموت على الأرجح.. هل خبأت دوائه حتى لا يعثر عليه؟ الآن يبدو ذلك مرجحًا إلى حد بعيد.

مر اليوم ببطء شديد، بينما لا أتوقف عن تغيير رأيي فيما يجب فعله في هذه الليلة. أردت قتل لِيلِي، لكن ما أثار قلقي هو التواجد في موقع الجريمة. كم حرصت على ألا يتم اتهامي قط بقتل تيد، وألا يوجد أي دليل يربطني بالجريمة. وبتخيل الليلة التي تنتظرني، أشعر أني متجهة إلى فخ..

كنت متجهة نحو شرك - لقد أخبرني براد بالكثير، لكن حتى على الرغم من معرفتي ما تنوي لِيلِي فعله، إلا أني لازلت لا أعرف ما عليّ فعله، وقد مرت فترة طويلة للغاية منذ أن حدث لي هذا. لكني علمت أيضًا ودون أدنى شك أن لِيلِي عرفت كل شيء قالت إنها عرفته، وعليه كان لا بد من التخلص منها.. وعند رحيل لِيلِي، سوف أتمكن من الاسترخاء وتنفس الصعداء بعض الشيء.. حينها سيمكنني التركيز فيما يجب فعله مع براد.

كان هاتفي الخلوي موصلًا بالشاحن الكهربائي، ويستقر على الطاولة المجاورة لفراشي. ذهبت واستلقيت على الفراش، وأخذت أتفقد كل المكالمات الفائتة التي وردت على هاتفي واستمع إلى الرسائل الصوتية. جاءت إحدى الرسائل من المحقق كيمبل، والذي أراد أن يخبرني أن الطبيب الشرعي انتهى من تشريح جثة تيد، وأنه بوسعي الاتصال بدار الجنائز لأخذه في الوقت الذي يناسبهم. سألني أيضًا إن كنت أعرف كيف يمكنهم التوصل إلى براد.

بثت في هذه الرسالة شعورًا بالراحة، حيث عرفت بذلك أن براد يمتثل لما أمرته به، وأنه همَّ بالاختفاء لفترة.. فكرت في الاتصال بدار الجنائز ولكني عزفت عن ذلك.. عوضًا عن ذلك بدأت أرسل رسائل نصية لبعض من أصدقائي لأخبرهم أني على ما يرام وأني فقط أحاول الاسترخاء بعيدًا عن

أي صخب. اتصلت بوالدتي وتحدثنا بشكل موجز، حيث أخبرتها بأنني مثقلة بكل هذه المهام الصغيرة المصاحبة لوفاة الزوج..

قالت «أعرف ما تتحدثين عنه جيدًا يا عزيزتي، كما أن الطلاق ليس بالنزهة أيضًا، فهو يعج بالكثير من الأوراق الرسمية التي يجب إنهاؤها».. حاولت أن أغط بالنوم، لأسقط بدلًا من ذلك في إغفاءة خفيفة كالمنديل الورقي، بيد أن مختلف الأفكار المتمحورة حول لِيلي ظلت تلاحقني. حاولت أن أتذكر كيف كانت تبدو، لكني لم أتذكر سوى نحافتها الشديدة، ووركيها الرفيعين، وشعرها الأحمر اللامع، ورزانتها المثيرة للقلق.

عندما حاولت تصور وجهها، شرعت في تذكره بشكل عام، لكن دون معرفة أية تفاصيل.. كيف كان يبدو أنفها؟ فمها؟ في كل مرة أظن أني تذكرت شيئًا، يهرب متسللًا مني، كفراشة لا أستطيع اصطيادها.. أدركت أني أمضغ حافة إبهامي فجعلت نفسي أتوقف عن هذا قبل أن أنزف. كنت أرتدي بنطال اليوجا، وأخذت أتلمس جسدي عبره، بينما أفكر في رجل بلا ملامح، رجل ثري في إيطاليا، ذاك الجار المتزوج، الذي يأتي إلى فيلتي المطلة على البحيرة لمعاشرتي. بدأت استشعر شيئًا، فخلعت بنطال اليوجا حتى منتصف فخذي، ولكن قبل أن أنهي ما بدأت، شرعت في التفكير في تيد، وكيف أنه في ليلتنا الأولى في هذا المنزل، وعلى هذا الفراش، قام بنثر أوراق الورد الحمراء، وفرش بيجامة غالية الثمن لأرتديها، وإلى أي مدى ولد في هذا شعورًا بالضجر.

أوقفت سيارتي في الزقاق الخلفي الكائن إلى جوار أحد مطاعم بورتسماوث، حيث اتفقت أنا وبراد أن نلتقي.. أصبح الجو باردًا، ولذلك كنت مرتدية معطفًا طويلًا وقبعة قمت بربط شعري أسفلها.. لاحظت أن واحدًا من مصابيح الشارع الموجودة أمام المطعم مطفئًا، فهممت بالوقوف أسفله، أترقب وصول شاحنة براد.. لكنها كانت ليلة مقمرة، وكنت لاأزال أشعر أني مكشوفة ومرئية.. جاء براد في تمام الوقت الذي خططنا للتقابل فيه، فدفعت نفسي كي أجلس في مقعد الراكب، متمنية ألا يكون ثملًا.

سألته أثناء اقترابه من فوق الرصيف: «لا زلنا سنفعل هذا؟».

قال «اللعنة، نعم»، وقد أدركت من نبرة صوته المرتفعة أنه كان متوترًا بعض الشيء، ولكنه ليس منهارًا.. كلية.

- «أخبرني مجددًا بما ينبغي علينا فعله».

- «عندما نصل إلى طريق ميكماك سوف أطفئ أنوار السيارة وأقود متجهًا للمنزل، لتخرجي أنت من السيارة وتفتحي الباب الأمامي للمنزل بمفتاحك وتدخلي. وسوف ألتف أنا حول المنزل وأدخل من أبواب الفناء الخلفي.. سأتوجه نحوكما وأضربها على رأسها بمفتاح ربط».

- «لم لا تطلق عليها النار وحسب؟».

- «لقد تخلصت من هذا السلاح بالفعل، فهو لم يعد بحوزتي».

- «صحيح، لقد نسيت هذا.. بعد ذلك ماذا سيحدث؟».

- «تركت كيسًا بلاستيكيًا في المنزل، وسوف تساعديني على لفها به.. سأضعها في الشاحنة وأوصلك إلى سيارتك، وسأذهب للتخلص من الجثة».

- «أخبرني مجددًا عن السبب الذي يضطرني للتواجد هناك».

أدار براد وجهه ببطء ناحيتي.. كنا نتجه شمالًا على طريق ١، وأنارت أضواء سيارة مارة بجانبنا ملامحه، مما جعلني أرى للحظات كراهية حقيقية تبرق في عينيه، مما جعلني أنتفض عن دون قصد.. «لأنها ستأتي إلى هناك لرؤيتك، وفي حالة ذهابي وحدي، من يدري ما قد يحدث؟ كما أنه لا بد وأن تقدمي بعض العون في هذه المرة، حيث إني توليت الأمر كاملًا في المرة الأولى، لكني أحتاجك الآن، فلن أفعل هذا ثانية بمفردي».

قلت «حسنًا، حسنًا».. علمت أن ما يريده حقًا هو أن أرى بعيني شخصًا يموت. أنا لم أنس قط تلك النظرة المخيفة، التي ظهرت في عينيه في أول مرة رأيته بعد إطلاقه النار على تيد. إنه يظن على الأحرى أني لا أستطيع تحمل

موقف كهذا، ولكني كنت مستعدة.. نعم كنت قلقة وأخشى ألا تسير الأمور كما خططنا لها، ولكني لم أكن خائفة من رؤية رأس لِيلِي كينتنر وهي تُسحق.

وصلنا مبكرًا بعض الشيء، لذا أخذ براد يتجول عبر شوارع كينويك الخالية من المارة والسيارات. أخذت أتطلع لمياه المحيط الذي كسا ضوء القمر جزءًا منه، بينما نحن نسير بمحاذاة الشاطئ.. كنت أحب حقًا كينويك، ليس لدرجة أن أعيش هناك طوال الوقت، ولكن بوصفها مكانًا أهرب عبره من صخب المدينة. لكن بعد أن آلت جميع ممتلكات تيد لي وأصبحت أمواله بحوزتي، سوف أبيع المنزل فقط من باب الخداع والتضليل. فثمة أماكن أفضل يمكنني أن أعيش بها، فارتسمت في مخيلتي صور جزر البحر المتوسط. تخيلت أشجار النخيل وحانات الشواطئ التي لا تشبه على الإطلاق حانة كولي.. لا بد لي من تعويض كل هذه الفترة الطويلة التي أهدرتها من عمري وأنا أعيش في نيو إنجلاند.

اقتربت الساعة من العاشرة مساء، عندما أطفأ براد أضواء شاحنته وانعطف بالسيارة داخل ممر السيارات الحصوي لمنزلي.. قاد ببطء بينما تتأرجح الشاحنة يمينًا ويسارًا، بعد أن صار الممشى مليئًا بالأخاديد أكثر من أي وقت مضى بفعل الأمطار، التي هطلت مؤخرًا. ظهر المنزل أمامنا وبدا عملاقًا للغاية، وكانت حدوده تلقي بظلال تبدو ضئيلة وصغيرة مقارنة بالمحيط الفسيح الممتد.. أوقف براد الشاحنة إلى جوار سلة المهملات وأطفأ المحرك.. أخذت ريح قوية في لطم الشاحنة.. قال براد «لعلها بالداخل بالفعل، تقوم بمراقبتنا».

قلت له «لا تضيع الوقت إذن.. بمجرد أن أدخل أنا المنزل، ابدأ أنت في التحرك، فأنا لا أود أن أجد نفسي أصارع تلك الساقطة المعتوهة التي توجد بالداخل».

«سآتي سريعًا، فأنا أريد إنهاء الأمر في أسرع وقت».

قلت «حسنًا».. حتى في ظل الظلام الحالك لمقصورة الشاحنة الداخلية، كان بوسعي رؤية براد يرتعد قليلًا.. وضعت يدي على وجنته، فقفز وكأن ثعبانًا قام بلدغه.

قلت «يا إلهي، لم أنت مرتعب هكذا؟».

«لقد أفزعتِني، فأنا لا أستطيع رؤية شيء داخل هذه الشاحنة.. لا بد أن تذهبي».

فتحت الباب ووضع براد يده على ضوء المقصورة.. قلت بينما أغلق الباب «سأراك بالداخل».. تكتك المحرك حيث بدأت حرارته تهدأ.. أخرجت المفاتيح من جيبي وتحركت ناحية الدرجات الحجرية الأمامية.. كان القمر مختبئًا خلف المنزل، والذي بدا مع اقترابي منه أشبه بجدار أسود لا يوجد شيء خلفه.. تنفست بعمق بعد أن صدمتني برودة الهواء الشديدة.. أخذت أبحث عن المفتاح الصحيح وسط سلسلة مفاتيحي إلى أن وجدته وفتحت الباب وخطوت داخل المنزل. للحظات راودني شعور سيريالي بأني عبرت جدار وأني لازلت أقف بالخارج.. نظرت للأعلى لأرى النجوم، ولكن لم يكن هناك شيء في الحقيقة.

سمعت صوت يقول «أنا هنا»، وظهرت أمامي لِيلي في بؤرة من الضوء لتختفي ثانية.. قالت «تعالي.. سوف تعتاد عيناك على الضوء».

أغلقت الباب ورائي، بينما بدأ سقف البهو الشامخ في التجلي، في ظل الضوء الرمادي.

تنحنحت قبل أن أقول «لم ينبغِ أن يكون لقاؤنا دراميًا إلى هذا الحد»، ليدوي صدى صوتي بقوة في أرجاء المنزل.

قالت لِيلي «هل أخبرك براد بما أريد؟».

تحركت صوب الصوت، بينما تتحرك يدي تلقائيًا ناحية جيبي، لأجلب عبوة رذاذ الفلفل التي اعتدت حملها معي في بعض الأحيان أثناء تجولي في المدينة.

أخبرت لِيلي عن مدى الدهشة التي داهمتني عندما علمت أنها تريد المال، وسألتها إنَ كانت تريده لمساعدة أبيها، متمنية أن تكون هذه مسألة حساسة بالنسبة لها وتثير حنقها.

قالت بصوت هادئ لا مبالٍ «ماذا تعنين؟».

«لقد قتل أحدهم في إنجلترا، صحيح؟ ولا بد أنك تريدين دفع أتعاب المحامين».

قالت «لا، فأنا أريد المال لنفسي».

أخبرتها أني لا أستطيع تدبير المال على الفور، فقالت إنها فقط أرادت أن تلتقيني وجهًا لوجه، لتتأكد أني لن أجد صعوبة في هذا.. كانت تفصل بيننا مسافة كبيرة، ولم أكن أرغب في الاقتراب منها قط.. تكيفت عيناي مع الضوء الخافت، لكن كانت لِيلي لاتزال تبدو ككتلة بدون ملامح.. لم تتحرك من مكانها منذ أن دخلت، كما لو كان لها جذر راسخ في الأرض.. كنت أنوي الهروب في حالة تحركت تجاهي. أنا أحفظ كل قدم في هذا المنزل، وكانت تلك ميزة في صالحي أنوي استغلالها.

سألتها «هل كنت تقيمين علاقة مع تيد؟» سيأتي براد في أية لحظة الآن، وكنت أريد معرفة إجابة هذا السؤال.. «كيف عرفتما بعضكما البعض من الأساس؟».

«تصادف وجودنا معًا على متن طائرة، وكان يعرف كل شيء تدبرينه.. فعلم أنك تخونينه مع براد، فأنت لم تتمكني من خداعه».

قلت «إذن، لماذا لم تقومي بتسليمي للشرطة فحسب إن كنت واثقة أني شخص بغيض لهذا الحد؟».

«سوف أقوم بتسليمك يا فايث إن لم تمتثلي لكل ما أطلبه منك».

كم اندهشت لسماعي اسمي القديم، والذي أعادني لأيام الجامعة، وتلك الغرف الممتلئة بالدخان والحفلات الماجنة. وفجأة نجحت في تصور وجه لِيلي، وعينيها الخضراوين الباردتين.

سألت بينما أرى خيالًا أسود يتحرك نحونا: «هل تفعلين هذا انتقامًا مني بسبب إريك».. كان هذا الخيال هو براد الذي أتى لقتل لِيلي، وقد أردت أن أطلب منه الانتظار قليلًا، حيث كنت أرغب في معرفة ما إذا كانت لِيلي قد قتلت إريك في لندن قبل كل هذه السنوات.. كنت في أمس الحاجة لمعرفة هذا.

قالت لِيلي بصوت مرح «لا، لست أفعل هذا من أجل إريك.. أفعل هذا لأجلك أنت».

جاء براد بالفعل، بينما يبدو وجهه كالأشباح، وقام برفع مفتاح ربط كبير يحمله. أخذت أراقب في ذهول، ثم أدركت فجأة أن كلا الوجهين، وجه براد ووجه لِيلي، يحدقان بي. هوى بمفتاح الربط لأشعر بألم حاد ينفجر في رأسي.. انثنت ركبتيّ وسقطت فجأة على الأرضية الباردة المليئة بنشارة الخشب، بينما أضع يدي على رأسي. وقف براد إلى جانبي وأمسك بيدي وأبعدها عن رأسي.. سقطت قبعتي، وظننت أني على وشك مفارقة الحياة.. سمعت صوت أرجحة مفتاح الربط بينما يهبط به براد بقوة للأسفل مرة أخرى.

الفصل السادس والعشرون

لِيلي

هوى براد بمفتاح الربط الحديدي على رأس «ميراندا»، سقطت أولًا على ركبتيها ثم على الأرض بعد أن وقعت قبعتها. رفعت يدها على موضع تلقيها الضربة.. ظننت لثانية أن «براد» لن يجهز عليها ولكنه اقترب وهوى على رأسها بعدة ضربات متلاحقة.. ومع عدم وجود القبعة فوق رأس ميراندا، أحدث المفتاح صوت فرقعة على جمجمتها.. ومع آخر ضربة صدر صوت تحطم خشن، أشبه بصوت أحدهم يهشم يده بضربة قوية في الحائط.

قلت له «أترك المفتاح هنا إلى جوارها ولنذهب للخارج لدقيقة».

سمع براد ما قلته له وترك المفتاح برفق إلى جوار جسد ميراندا الساكن، فأمسكته من رسغه ووجهته نحو الباب الأمامي للمنزل.. بدا الهواء خارج المنزل على نفس درجة الحرارة داخله ولكن أكثر نقاءً، مفعم برائحة المحيط الملحية.. أغلقت الباب من خلفنا قائلة لبراد «انتهى الأمر».

- «هل تظنين أنها ماتت؟».

- «أجل لقد ماتت، انتهى الأمر، لقد أحسنت إنجاز مهمتك، هل شكت في أي شيء؟».

- «كلا لقد أخبرتها بكل ما اتفقنا عليه، ولكنها رأتك بالأمس».

- «ماذا تعني بأنها رأتني بالأمس؟».

«ليلة أمس، بعد أن غادرت منزلي، كانت هناك بالخارج جاءت لرؤيتي وتعرفت عليك حين رأتك».. أخرج «براد» علبة سجائره من جيبه، ولكنه أخفق في إخراج سيجارة من العلبة.

قلت له «لنذهب إلى الشاحنة لتدخن سيجارتك هناك، ثم نتعامل بعدها مع الجثة».

ذهبنا إلى شاحنة براد وخلعت حقيبة ظهري ووضعتها فوق حجري.. سألني براد «هل تشعرين بالبرد؟ يمكنني تشغيل المدفئة».

«كلا أنا بخير، سوف أشرب شيئًا ما»، فتحت زمام حقيبتي وأخرجت منها قارورة براندي المشمش، وسألته «هل تمانع أن أشرب، أشعر بقدر من الخوف الليلة».

«كلا لا أمانع بالطبع»، ثم افتعل ضحكة غير طبيعية.

رفعت القارورة على فمي دون أن أشرب منها، وعرضت عليه قائلة «هل تريد بعض منه؟ إنه براندي المشمش، طعمه جيد».

أخذ القارورة مني وشرب جرعة كبيرة، وأعطاها لي ثانية «خذ رشفة ثانية، لدي الكثير منه الليلة».

قال بينما يأخذ رشفة أخرى: «إذا لم نشرب الليلة لن نتمكن من...». سمعته يشرب المزيد، شرب ما يكفي الآن.. تمنيت أن يغطي مذاق المشمش على ما وضعته في البراندي، وقد نجح في ذلك بالفعل.. لم أعلم كم سيحتاج من الوقت حتى يبدأ مفعوله، ولكني أردت سماع المزيد عن زيارة ميراندا لبراد الليلة الماضية.

قلت له «حدثني عما حدث أمس قبل أن نتعامل مع الجثة».

استخدم «براد» قداحته وأشعل سيجارته نافثًا دخانه من شراع النافذة «لقد أخافتني، فبعد أن غادرت المنزل بخمس دقائق وجدتها تطرق الباب، ظننت أنها أنت في البداية، وقد عدتِ لغرض ما أو لعلكِ نسيتِ شيئًا».

- «لماذا أتت إليك؟».

- «أتت لأنها لم ترغب في الاتصال بي هاتفيا، وقالت إن هناك شاهد قد رآني، وسوف تقوم الشرطة باستجوابي، وأنني في حاجة إلى جمع شتات نفسي.. لم نتطرق في الحديث عن ذلك كثيرًا، لأنها كانت متوترة بسبب رؤيتك».

- «وهل أخبرتها بما اتفقنا عليه؟».

- «أجل، أخبرتها بكل ما اتفقنا عليه تمامًا، بأنك حاولت إقناعي أن أساعدك في قتلها، وأنني أخبرتك أنني سأفكر في الأمر، ثم أخبرتها أن علينا خداعك لقتلك، وأنني مستعد لقتلك من أجلها، وصدقتني».

في الليلة السابقة، حين التقيت ببراد في ساحة انتظار سيارات بار كوليز، جعلت الخطوة الأولى من خطتي استخدام براد لاستدراج «ميراندا» إلى منزلها الجديد على طريق ميكماك، خططت لأن أقتل ميراندا بمجرد انفرادي بها، مستخدمة مسدسي الصاعق ثم سكين أو خنقها بكيس بلاستيكي. ولكني حين بدأت التحدث مع «براد» خارج حانة كولي أدركت أنه رجل على شفا الانهيار. حين نظرت في عينيه عبر ضوء شاحنته الخافت تمكنت من رؤية الذعر والهلع فيهما.. بدا أشبه لي بحيوان وقعت قدمه في الفخ ويشعر بالجوع واليأس.. وحينها غيرت خطتي في الحال وأخبرته أنني أعرف ميراندا من أيام الجامعة وأعرف ما اقترفته تمام المعرفة، وأنها استغلته طيلة الوقت.

قلت له «سوف تسلمك للشرطة وتتخلى عنك يا براد، أنت تعلم هذا، أليس كذلك؟».

«لا أدري».

«براد أنا لا أسألك، أنا أخبرك بما سيحدث.. ميراندا شخص شرير.. هل هناك أي دليل على تورط ميراندا في جريمة قتل براد؟ لا شيء سوى اعترافك.. ولن يكون عليها سوى التظاهر بالبراءة أمام الشرطة، والتأكيد على أنك قتلته

من تلقاء نفسك.. ولن تتمكن من إثبات عكس ذلك يا براد، وستدخل السجن لما تبقى من حياتك، وسوف تخرج ميراندا من القضية كخروج الشعرة من العجين، لقد استخدمتك لتحقيق غرضها».

«يا إلهي».. قالها وهو يمسح إحدى عينيه بيده الضخمة، كان من السهل للغاية كسبه إلى صفي، من الواضح أن ميراندا لم تتمكن من خداعه كلية.. ثم أخبرته أننا في حاجة إلى الذهاب إلى منزله لمناقشة الأمر تفصيلًا، تبعته بسيارتي حيث يعيش.. كان تيد قد وصف لي بيته بأنه مكان نظيف وبارد، وكان محقًا فيما قال. لم أحب الأثاث هناك على الرغم من كونه متينًا.. وجدت المجلات مرصوصة فوق طاولة القهوة، وفاحت رائحة المنظفات من المكان. وفكرت في أن البيت ربما يكون أكثر نظافة مما كان عليه حين زاره تيد.. ربما يكون «براد» من نوع الرجال الذين حين يعانون من التوتر يتولد لديهم شعور قهري برغبة في ترتيب منازلهم وتنظيفها. جلسنا على الأريكة، رفضت عرضه بإحضار زجاجة من البيرة لي بينما أحضر لنفسه واحدة «هينكين» من مطبخه الصغير الملحق بغرفة المعيشة. أفرغ نصف محتويات الزجاجة دفعة واحدة في فمه.

سألته «هل تحبها؟»

«اعتقدت ذلك، أعني لا أعلم.. لقد رأيتِها، أنت تعرفينها جيدًا، ستغدو فاحشة الثراء تلك اللعينة».

«أجل ستصبح ثرية، ولكنها لن تشاركك ثروتها.. عليك أن تثق بي ذلك هو ما تنويه. إنها تستغل الرجال في الحصول على ما تريد ثم تلقي بهم في مقلب القمامة. جعلتك تقتل زوجها حتى تتخلص منه، وخططت لأن تفعل ذلك بينما هي بعيدة عن موقع الجريمة بآلاف الأميال».

أومأ برأسه ووجهه متجهم فأردفت قائلة:

- «وذلك هو الجزء الأسوأ، لقد حولتك إلى قاتل، ولا شيء سيغير من تلك الحقيقة أو يعيد بك الزمن للعدول عنها. ولكن القاتل الحقيقي لم يكن أنت يا براد، كان ميراندا.. لقد استغلتك».

راقبت دمعتين تنهمران في ثبات على وجه «براد»، ألقيت على مسامعه ما أراد تمامًا: أخبرته أنه لم يكن المسؤول عن مقتل «تيد سيفرسون»، وأن يد ميراندا هي الملطخة بدمائه.. برأته من الجريمة.. وحين توقف عن البكاء طلبت منه أن يحضر لي زجاجة بيرة.. لم أخطط لشربها، ولكني أردته القيام بأي شيء وأن يشعر أنني في صفه.. جاء حاملا زجاجتين مغلقتين، وقام بفتحهما باستخدام فتاحة ملحقة بسلسلة مفاتيحه.

سألني «ماذا على أن أفعل؟ هل على التوجه إلى الشرطة والاعتراف بكل ما حدث. هل على أن أخبرهم بكل شيء؟».

«لن يساعدك ذلك في شيء يا براد، فلازلت المتورط في قتل تيد، ولم تكن هي حتى بالقرب من مكان الحادث، وسوف تنكر أي صلة لها بالأمر».

شرب جرعة من البيرة أسقط بعضها على ذقنه «ماذا على أن أفعل إذن؟».

النظرة التي رأيتها في عينيه نبأتني بأنني لو طلبت منه أن يقتل نفسه سوف يفعل، فانتهزت الفرصة وقلت له «أحتاج مساعدتك في التخلص من ميراندا، هذا ما تستحق، وهذا السبيل الوحيد لخروجك من المأزق.. هل يمكنك مساعدتي في ذلك؟».

- «ما الذي تعنيه بالتخلص منها؟».

- «سوف أقتلها يا براد».

- «حسنًا».

شرحت له الخطة، أن عليه إخبار ميراندا عن رغبتي في لقائها، وعن معرفتي لكل شيء متعلق جريمة القتل وأنني أود الحصول على أموال مقابل صمتي. وأننا سنلتقي في المنزل الجديد الذي قام سيفرسون ببنائه.. على أن يكون التوقيت بعد حلول الظلام في اليوم التالي.. قال لي براد «سوف تشك في الأمر».

«لديك حق، قد يثير ذلك لديها الشكوك، عليك إذن أن تخبرها بدلًا من أنني أرغب في ابتزازها، أن الابتزاز مجرد حيلة لاستدراجها من أجل قتلها، وهو الأمر الذي رغبت في القيام به منذ الجامعة، وطال انتظاري لاغتنام الفرصة.. سوف تأتي، أعلم أنها سوف تأتي.. وحينها سأتخلص منها ويمكنك مساعدتي في دفن الجثة. وإذا ما تم اكتشاف أمر مقتلها، سأحرص على أن أقدم لك أمام الشرطة حجة غياب قوية.. سأخبرهم أننا التقينا هنا في «كينويك» وتصادقنا، وأنك أتيت إلى منزلي في «ماساتشوستس»، ستكون بخير أعدك.

- «وماذا عن المال؟».

- «لن ترى المال بعينك على أي حال يا براد، لا تنوي ميراندا منحك أي شيء، مطلقًا، سوف تدخل السجن لما تبقى من حياتك، وأنا أقدم لك فرصتك للنجاة، إذا اختفت ميراندا ستكون بأمان».

أومأ برأسه بسرعة كمن تم توبيخه «كيف ستقتلينها؟».

«لا تشغل بالك، سأتولى هذا الأمر».

«يمكنني أن أقتلها بنفسي».. لمحت شيئًا جديدًا في عين براد وهو يعلن عن ذلك.

لقد حلت الكراهية محل الخوف الذي كان يغمرهما، وربما رأيت فيهما أيضًا قليلًا من الجنون، وتساءلت لو كان قد حظي بالنوم منذ أن قتل تيد.

سألته «ماذا تعني؟».

«يمكنني أن أرسلها إلى المنزل، ثم أتسلل من خلفها عبر الباحة الخلفية وأقتلها، لدي مفتاح ربط كبير، يمكنني أن أضربها به على رأسها، وبهذه الطريقة لن يكون عليك قتلها، لن يكون عليك القتل وتلطيخ يدك بالدماء، فأنت لا تعرفين ذلك الشعور ولن تحبيه مطلقًا».

رائع.. لقد حل بذلك مشكلتي الكبرى، وهو أن الطب الشرعي قد يثبت أن من قام بالضرب على رأسها سيدة تبلغ خمسة أقدام وثمانية بوصات من الطول، وليس رجلًا يبلغ ست بوصات وإنشين.

قلت له: «لن تحتاج إلى التسلل من خلفها».

«ماذا تعنين؟».

«أخبرها أنك تخطط لقتلي لأنني أعرف كل شيء، وأنك سوف تتسلل من خلفي أنا لضربي بالمفتاح، وحينها حتى إذا سمعت صوتك تدلف إلى المنزل ستعرف أنك هناك من أجلي، لن تشك في الأمر».

أومأ قائلًا «حسنًا».

«هل أنت واثق من رغبتك في ذلك؟».

أكد لي على ذلك وصدقته، تحدثنا عن كل تفصيلة في خطتنا، وطمأنته كثيرًا أن كل شيء سيكون على ما يرام.. وحين غادرت منزله كنت مقتنعة تمام الاقتناع أنه سينفذ كل ما اتفقنا عليه.

وها قد فعل.

فكرت وأنا واقفة في الظلام داخل المنزل، هل كنت حمقاء، وسأكون أنا من يتلقى الضربة القاتلة على أم رأسه من براد وليس ميراندا، ولكني أدركت في اللحظة الأخيرة التي رفع فيها المفتاح لأعلى أنني أنا من فاز في تلك المعركة، وأن ميراندا سوف تلقى مصير سابقيها وتموت، بينما أعيش أنا.

امتلأت كبينة الشاحنة الداخلية بدخان سيجارة براد مع انغلاق نافذتها، سألته «هل أرادت أن تقتلني إذن؟».

«أجل،.... إلا أنها رغم ذلك تفاجأت وذكرت أنكما لم تكونا بذلك القرب أيام الجامعة».. ثم حك شفتيه بأصابعه الضخمة قائلًا: «كيف عرفت بأمر كل ما حدث؟ كيف عرفت بتفاصيل ما حدث مع تيد؟ لم أسألك عن ذلك بالأمس».

«قابلت تيد سيفرسون في رحلة عودة من لندن، وحكى لي أن زوجته تخونه مع مقاول بناء المنزل.. راقبكما مستخدمًا منظارًا مكبرًا وشاهد خيانتها.. واستمررت أنا وتيد في اللقاء، وقرر قتل ميراندا وقتلك أنت أيضًا، وأخبرته أنني سوف أساعده في ذلك».

أخذ براد نفسًا عميقًا للغاية من سيجارته حتى أنهى عليها، وصولًا إلى عقبها، وأنزل نافذة الشاحنة وألقى بالعقب وسمعت صوته يستقر في بركة مياه، ثم قال وهو يدير رأسه نحو «يا إلهي لا بد وأنك تمزحين»، بدأ مفعول هيدرات الكلورال المنوم في العمل، خرج الكلام ثقيل من فم براد، وبدأت عيناه في السقوط.

«كلا، ليتني كنت أمزح، تلك هي الحقيقة لقد خطط تيد لقتل ميراندا، كما خططت هي لقتله، ولكنها سبقته.. في الواقع أنت من وصل إلى هناك أولًا، وقد انتهى الأمر الآن على أية حال».

«أجل لقد انتهى... انتهى».. خرجت الكلمات من فمه ثقيلة لدرجة أنني بالكاد ما تمكنت من فهم ما يقول.. سقطت رأسه لأسفل، ذكرني بملاكم يجاهد محاولًا الحفاظ على وعيه داخل الحلبة غير مدرك أنه قد تلقى ضربته القاضية بالفعل. بدأ في الميل نحوي، فتراجعت في مقعدي، والحقائب عند قدمي في أرضية الشاحنة.

«لماذا... لماذا تضعين حقائب عند قدمك هكذا؟».. بدت عبارته مجرد طلاسم غير مفهومة، ولكني أدركت ما يرمي إليه؛ لأنه كان ينظر نحوها.. ثم سقط نحوي مباشرة وهبط كتفه الأيمن على فخذي.. قمت بجذبه من سترته حتى استقام لأعلى في مقعده.. وسقطت رأسه للخلف وفمه مفتوح.. فتحت الباب وخرجت من الشاحنة وأغلقت بابها من خلفي مسرعة، حتى لا تظل إضاءة الكابينة مفتوحة طويلًا.. نظرت إلى أعلى، امتلأت السماء بالنجوم اللامعة التي تضوي الآن أكثر مما رأيتها حين ركنت سيارتي. أعلن المحيط الذي يخفيه الظلام عن وجوده بصوته الهادر.. منحت نفسي عشر ثوانٍ قبل البدء في العمل.

أحضرت معي حقائب إضافية، وسكينتي، ولكن قبل استخدام أي منها صعدت على ظهر الشاحنة لتفقد صندوق الأدوات بها، والذي كان مثبتًا بسلك مطاط يربطه بالكابينة.. فتحت غطاء الصندوق المعدني المتغضن واستخدمت قلمي المضيء في البحث بداخله.. احتوى على كل الأدوات التي توقعتها - مطارق، مناشير يدوية، عتلة حديدية، صندوق بلاستيكي يحتوي على خرّامة- ولكن ما لفت نظري هو وجود شماعة سلكية طويلة تم إعادة تشكيلها على صورة خطاف طويل، لفتح قفل الباب في حالة نسيان المفتاح في الداخل، أمسكت بها وفردتها، تلك هي أداتي المثالية، فأنا لا أرغب في وجود أية آثار للدماء في الشاحنة.

عدت ثانية إلى المقعد المجاور للسائق لأشم رائحة آخر أثر من سيجارة براد لا تزال تفوح داخل الكابينة، إلى جانب أمر آخر... رائحة المُركب الكيميائي المختلط بالكحول التي فاحت من أنفاس براد. وربما أشم كذلك رائحة جسده.. بدأ يشخر بصوت عالٍ مع كل نفس يتنفسه، أمسكته من كتفه وأخذت في هزه بعنف لم يظهر أي استجابة أو أي شيء يدل على أنه سيفيق من سباته العميق. فكرت فيما إذا كان ذلك بسبب مزج الكحول مع مركب هيدرات الكلورال.... ترى ما كَمّ الكحوليات التي شربها اليوم؟ من المفترض أن يقتله مركب هيدرات الكلورال في نهاية الأمر، ولكني لن أخاطر باحتمال نجاته من ذلك.

نزلت على ركبتي أسفل مقعدي ودفعت برأس براد بعيدًا فسقطت مواجهة نافذة السائق الجانبية، مائلة إلى الخلف ولكن كانت هناك مسافة بين عنقه السميك ومسند الرأس في المقعد، قمت بلف الشماعة السلكية حول عنقه ولففت طرفي السلك بإحكام حوله، وأخرجت كماشة الجيب خاصتي ماركة Leatherman من حقيبة الظهر، وقمت بقص الأطراف الزائدة من السلك على نحو يمكنني من إحكام قبضتي عليه، ولا يترك مسافة كبيرة بينه وبين عنق براد.

أمسكت طرفي السلك المعدني الملفوف حول عنقه معًا بالكماشة، وقمت بلفها عدة لفات قوية حتى تأكدت من أنه قد لفظ أنفاسه الأخيرة.. مات براد.

الفصل السابع والعشرون

كيمبول

لم تغفل لي عين.

لم يكن هذا بالشيء الجديد بالنسبة لي، خاصة في الأوقات التي أحقق فيها في قضية ما. تفقدت المنبه الراقد على الطاولة المجاورة لفراشي، لأجد أن الساعة قد جاوزت الثالثة بعد منتصف الليل بقليل. كان القط «بايواكيت» ينام على ملابسي التي ألقيت بها على الأرض، وبدا وكأنه يشعر بالبرودة؛ حيث ثنى جسده كرويًا في شكل أشبه بدودة صوفية تتظاهر بأنها ميتة.. كان يتساءل على الأحرى لماذا لم تبدأ هذه الشرائط المعدنية الكائنة عبر أرضية شقته في إصدار أصوات بقبقتها المعتادة ليحل الدفء بالمكان.. لقد داهمتنا برودة الجو منذ نهاية شهر أكتوبر الماضي، بيد أني قررت الانتظار حتى نوفمبر لأشغل نظام التدفئة.

فكرت في النهوض من الفراش لأرى ماذا يُعرض على قناة تيرنر كلاسيك موفيز، ولكني عرفت أني إذا أقدمت على هذه الخطوة فلن أعاود النوم مجددًا قط، وكنت بحاجة لأن أكون أكثر يقظة وتركيزًا في اليوم التالي. لقد قُتل تيد سيفرسون في ليلة الجمعة، وها نحن قد أصبحنا في يوم الأربعاء، أي مر ما يقارب أسبوع كامل. لدينا مشتبَه رئيسي وهو «براد داجيت»، ولكنه لاذَ بالفرار ولا يستطيع أحد العثور عليه، وسوف أمضي الغَد في «مين»، بصحبة مجموعة من أفضل رجال شرطة كينويك، لنراقب منزل داجيت ونتفقد أية خيوط ترشدنا إلى مكان تواجده. فهو رجلنا المنشود، إنه القاتل بدون شك. فبعد

أن أشارت «ميراندا سيفرسون» أن الرجل في الصورة المرسومة قد يكون براد داجيت، راجعت كاميرات المراقبة، ووجدت أن داجيت كان موجودًا هناك.

وقد تم إلقاء القبض عليه مرتين قبل ذلك، مرة منذ خمس سنوات كمشتبه به في حادث سطو على أحد المنازل، ومرة أخرى منذ عامين بسبب القيادة تحت تأثير الكحول. اتصلت به عبر الرقم الذي أعطتني إياه «ميراندا»، لكنه لم يجب، فاتصلت حينها بالشرطة المحلية وطلبت منهم الذهاب للتأكد ما إذا كان براد داجيت متواجدًا بمنزله، وربما البدء في استجوابه مبدئيًا، مستفسرين إن كان يعلم أي شيء عن مقتل تيد سيفرسون. امتثلوا لما أمرتهم بهم، لكنه لم يكن بالمنزل، فأخبرتهم أن الاستجواب يمكنه الانتظار حتى اليوم التالي، وأنني سأستجوب الشاهد الرئيسي في الصباح وحينئذ سنعرف مزيدًا من المعلومات. طبعت أحدث صورة لدينا لداجيت، وأخذتها إلى شقة «ريتشل برايس» في سومرفيل في صباح اليوم التالي، والتي بمجرد أن تطلعت إلى الصورة قفزت من مكانها وقالت «آه، إنه هو، إنه هو بالطبع».

«هذا هو الرجل الذي رأيته يدخل المنزل في الساعة السادسة ليلة الجمعة؟».

حدث ذلك في صباح الثلاثاء، فاتصلت برئيس الشرطة، ثم ذهبت إليه بنفسي. كان داجيت لا يزال مختفيًا، فلم يكن بأي من موقعيّ البناء اللذين يتولى الإشراف عليهما، ولم يكن في منزله، وهو أحد أكواخ الإيجار التي تؤول ملكيتها له وتوجد بمحاذاة شاطئ كينويك. كانت الأكواخ مكسوة بطلاء أبيض ومزدانة بزخارف خضراء، وقد ذكرتني بطفولتي وتلك العطلات التي أمضيتها في شاطئ ويلز، والذي يقع شمالًا.. وعندما تيقنا أنه ليس بالمنزل ولا ينوي العودة في القريب العاجل، جربت المفتاح الذي وجدته مخبأ في درج حجرة نوم «تيد سيفرسون»، والذي فتح بالفعل باب كوخ «براد». لماذا يحتفظ تيد بمفتاح منزل مقاوله؟ هل كان «براد وميراندا» يقيمان علاقة عاطفية؟ ألقيت نظرة داخل الكوخ الصغير النظيف ولكني لم أدخل، بيد أن قاضيًا محليًا أصدر مذكرة تفتيش بعد استراحة غدائه، وتمكنا من تفتيش المكان، دون أن نعثر على شيء.

ظللت أوبخ نفسي طوال اليوم لأني لم أتحرك سريعًا بمجرد أن أعطتني «ميراندا» اسم «براد داجيت». كان لا بد لي أن آخذ صورته على الفور إلى «ريتشل برايس»، غير أن تعرف «ميراندا» الفاتر عليه لم يولد بي حينها كثيرًا من الأمل. وبالطبع، بات من الواضح الآن أن «ميراندا» تعرفت على «براد» فقط لأنها كانت مضطرة إلى هذا، وأنها كانت تحمي نفسها. ولا بد أنها من قامت بتحذير «براد» وحثه على الابتعاد عن منزله وإغلاق هاتفه. إنه واحد من أقدم سيناريوهات القتل. تطلب الزوجة من عشيقها أن يقتل زوجها، وكان الخيط الذي فضحها هو ذلك المفتاح المخبأ في درج «تيد»، مفتاح كوخ» براد» في «مين». هل كان هذا مفتاح «ميراندا» وقامت بإخفائه في درج زوجها؟ احتمال كبير.

في وقت مبكر من عصر هذا اليوم، سنصدر نشرة مفصلة إلى جميع النقاط لأجل «براد» وشاحنته. استجوبت الشرطة بالفعل طليقته، بالإضافة إلى عديد من الموظفين وزملاء العمل، والذين أكدوا جميعًا أنهم لم يروه منذ غداء اليوم السابق، عندما اشترى شطيرة لحم في مطعم بيتزا في يورك يعتاد ارتياده، ثم اختفى.

غادرت «مين» في وقت متأخر من عصر هذا اليوم، عابرًا الطريق السريع رقم ٩٥ إلى بوسطن. وبالطريق، تلقيت مكالمة مهمة من «بيلي إلكينز»، ضابط الشرطة الذي كلفته بالتحري بشأن «لِيلي كينتنر»، تلك السيدة التي قالت «ميراندا سيفرسون»، إنها الشخص الوحيد الذي تعرفه من وينسلو، ماساشوستس.. أخبرني أنه عرف الكثير من المعلومات. كانت «لِيلي كينتنر» تعمل في مكتبة جامعة وينسلو، باسم مستعار ألا وهو «لِيلي هوارد»، لكنها تملك منزلًا في بولار رود في وينسلو سجلت عقده باسمها الحقيقي. الأهم من كل ذلك أن «تيد ولِيلي» استقلا نفس الطائرة العائدة من لندن في العشرين من سبتمبر. صدمت قبضة يدي بالسيارة، ثم أخذت منه عنوانها.

كان قد دفعني حدسي لأن أطلب من بيلي تفقد بيانات الركاب، وقد كان هذا الحدس في محله، حيث لم أكن أستطيع تصديق ما كشفته لنا. فبمجرد

أن أكدت «ميراندا» أن «لِيلي» هي الشخص الوحيد الذي تعرفه في وينسلو، تساءلت ما إذا كانت لِيلي كيتينر هي نفسها «لِيلي كينتنر» ابنة «ديفيد كينتنر»، الروائي المفضل لدي. لم أعرف الكثير حول ابنة كينتنر، كل ما عرفته هو أن اسمها لِيلي، وأنها ولدت في أمريكا حينما كان أبوها يعيش في كونيكتيكت، وأنه تزوج من رسامة أمريكية تدعى «شارون هندرسون». وتقع جامعة ماذر في كونيكتيكت، وإن كانت لِيلي من نفس سن «ميراندا»، إذن فهي في الغالب في السن الذي يجعلها ابنة «كينتنر».

المثير بشأن «ديفيد كينتنر»، هو أنه لم يكتسب شهرته من كونه روائيًا فحسب؛ بل لكونه قتل زوجته الثانية في حادث سيارة لقيادته وهو مخمور في إنجلترا، مما ألحق باسمه الخزي والعار. تصدرت هذه الحادثة عناوين الأخبار في إنجلترا، وكذلك في أمريكا. كنت أتابع هذه الأخبار بشغف لأني كنت من أكبر المعجبين برواياته. وقد أنهى مدة عقوبته وخرج من السجن منذ شهر مضى.

ومن المنطقي بالطبع أن ابنته الأمريكية سافرت إلى لندن لمقابلته. علمت من «ميراندا سيفرسون»، كذلك أن «تيد» سافر إلى لندن مؤخرًا للعمل، لذا خطر لي أن تيد ولِيلي كينتنر التقيا على الأحرى على متن الطائرة. طلبت من بيلي أن يقوم بمحاولة قد تنجح أو تفشل وهي أن يتفقد بيانات الركاب، وقد نجحت المحاولة نجاحًا مدويًا. فبعد تمضية يوم كامل في محاولة العثور على براد داجيت بلا جدوى، انتابني شعور جيد؛ لأن الجهد الذي بذله أحد المحققين أتى ثماره. لا بد أنها السبب الذي جعله يسافر إلى وينسلو في ذلك اليوم، بالرغم من أنها لا دخل لها على الأحرى بموته.

عندما بلغت تقاطع طريقي ٩٥ و٩٢، قررت أن أواصل القيادة على الطريق ٩٥ لأتجه غربًا إلى وينسلو، بدلًا من مواصلة القيادة على الطريق ٩٢ للذهاب إلى بوسطن. لم أتوقع أن يكشف استجوابي للِيلي كينتنر الكثير، لكن كان ينبغي على القيام بذلك.

كانت بالمنزل، واتضح أنها بالفعل ابنة «ديفيد كينتنر»، مثلما تكهنت. كانت تعيش في منزل مليء بالكتب يطل على بحيرة، لا يوجد سوى بعض المنازل الصغيرة المتناثرة على شاطئها، والذي كان يعج بأوراق الأشجار.

ألقت عليّ التحية بعدما فتحت لي، وهي تبدو شعثاء الشعر قليلاً، واستغرقت لحظات لتركز على وجهي. تساءلت إن كنت قد أيقظتها من قيلولتها. دعتني للدخول، فسألتها عن «تيد سيفرسون»، فأخبرتني أنها تعرفه، لكن فقط عبر المقالات التي نشرت في الصحف عن وفاته، ولمعرفتها أنه تزوج من فتاة كانت تعرفها في الجامعة. عرضت عليّ القهوة فوافقت، وأثناء إعدادها لها، أخذت أتفقد أرفف كتبها لأجد صفًا كاملًا مليئًا بروايات ديفيد كينتنر. مررت إصبعي على ظهور هذه الكتب متذكرًا صورًا رأيتها له. كان طويلًا وبارز العظام يعلو رأسه شعر أبيض يشبه القش، تعرف من وجهه أنه سكير، حيث كان شاحب الوجه وغائر الوجنتين.

عادت لِيلي حاملة القهوة، بينما تجمع شعرها وراء أذنيها، وقد أصبحت عيناها التي كانت ناعسة منذ قليل حادة ومترقبة. أخبرتها أني أعرف مؤلفات والدها، وأني من أشد المعجبين به، وقد بدت لا تأبه لما أقول، وكأنها سمعت الكثير من المديح بالفعل لعبقرية والدها. أخبرتها أني أعرف ما حدث في إنجلترا، وأن هذا قادني إلى معرفة رحلة الطيران التي تشاركتها مع «تيد سيفرسون». ظهر بريق في عينيها الخضراوين، وأخبرتني أنها التقت رجلًا على متن الطائرة، والذي بدى مألوفًا لها، وأن هذا على الأرجح هو الرجل الذي أتحدث عنه، وأنهما انخرطا في حديث طويل، وأنها أخبرته في الغالب من هي وأين تسكن. وجدنا صورة له على شبكة الإنترنت فأكدت لي أن هذا هو «تيد سيفرسون» الذي تحدثت إليه، لكنها ادعت أنها لا تعرف على الإطلاق لماذا قد يأتي إلى وينسلو.

صدقت بعض ما أخبرتني به، فصدقت أنها لم تكن تعرف أن «تيد سيفرسون» قد جاء إلى بلدتها بحثًا عنها، وصدقت أنها اندهشت أني طرقت باب منزلها، لكني لم أصدق أنها لم تكن تعرف أن الرجل على متن الطائرة

كان زوج صديقتها. فلم يكن هذا منطقيًا بالمرة، لكن لماذا قد تكذب على بشأن أمر كهذا؟

لدى الباب، وضعت يدي داخل جيبي، بينما ألمس المفاتيح التي فطنت الآن أنها مفاتيح كوخ براد داجيت في مين. وبالرغم من هذا، طلبت منها تجربة المفتاح في بابها، حيث أردت فقط رؤية رد فعلها.. بدت مذهولة لكنها لم تكن قلقة..

غادرت بينما تتخبط الأفكار في رأسي، بيد أني علمت سبب ذهاب «تيد سيفرسون» إلى وينسلو في هذا اليوم. فقد التقى بلِيلي كينتنر على متن الطائرة، ووقع في غرامها. كان هذا واضحًا، وقد تأكدت من هذه الحقيقة. في الواقع، لقد ظللت أفكر في لِيلي كينتنر دون توقف تقريبًا منذ أن التقيتها في اليوم السابق. فكانت جميلة للغاية، بقدر ما أتذكر، لكني لاقيت صعوبة في تذكر ملامح وجهها داخل عقلي. كان بوسعي تذكر شعرها الأحمر الطويل، وعينيها الخضراوين، واللتين تشبهان عيني القط، بيد أن وجهها ظل يفلت ويعود بين ملكات عقلي. لكن بغض النظر عن جاذبيتها الأنثوية، فكان أكثر ما سحرني بها هو رزانتها ووقارها المفرطين، وبالمناسبة فقد كانت تعيش في كوخها المليء بالكتب في غابة وينسلو. هل كانت تعيش بمفردها هناك؟ هل هي واحدة من هؤلاء الأشخاص النادرين ممن لا يحتاجون بشرًا آخرين في حياتهم؟ كان هذا أمرًا عقدت العزم على اكتشافه.

أخبرتني شقيقتي «إيملي» مؤخرًا، والتي تعرفني أكثر من أي شخص آخر في العالم، أن مشكلتي مع العلاقات العاطفية هي أنني أقع في غرام أية امرأة أنجذب لها.

قلت لها «أليس هذا هو حال معظم الرجال؟».

قالت «لا، حيث تقتصر رغبة معظم الرجال على إقامة علاقة جسدية مع السيدة التي انجذبوا إليها، وآخر شيء يودون فعله هو الوقوع في غرامها. كيف تدعو نفسك محققًا ولا تعرف هذه الحقيقة؟».

- «لكني أريد كذلك إقامة علاقات جسدية مع هؤلاء النسوة، ثقي في هذا».

- «نعم، لكنك تقع في غرامهن في هذا الحين، وإما يفطرن قلبك أو...».

قاطعتها قائلًا «دعينا نتحدث عن حياتك أنت العاطفية الآن».. كانت تلك هي الحيلة التي استخدمها لأغير الموضوع عندما تعكف شقيقتي على تحليل علاقاتي الرومانسية.

تململ بايواكيت، مما يعني أن الساعة الآن قد أصبحت الخامسة صباحًا. قفز داخل فراشي، عازمًا على التنفس داخل جفوني لإيقاظي، ولكني أخرجت ساقي من أسفل الغطاء قبل أن تتاح له فرصة فعل ذلك. أخرجته من الباب الجانبي لشقتي، والذي يفضي إلى مخرج الطوارئ الذي يستخدم في حالة حدوث حريق. اندفع للخارج، سائرًا برشاقة على الشرائح المعدنية المؤدية إلى الفناء الخلفي الصغير، حيث يشرع في تولي مهام وظيفته المتمثلة في حماية مملكتنا من أوراق الأشجار المتساقطة والسناجب.

عدت إلى الفراش واثقًا أني لن أتمكن من النوم ثانية قط. اعتدت الاحتفاظ بدفتر ملاحظات لولبي وقلم أعلى كومة الكتب التي توجد إلى جوار فراشي، والذي يفترض له أن يكون مكانًا أدون به أفكاري، تلك الأفكار التي تداهمني في وقت متأخر من الليل حول القضايا التي أعمل عليها، ولكني كنت أدون به أبيات من الشعر أيضًا. فكنت أعتبر نفسي شاعرًا (وهو الأمر الذي لم يكن يعلم به أي من زملائي الشرطيين)، بالرغم من أني فقدت القدرة على كتابة أي شيء سوى القصائد الفكاهية الساخرة في هذه الأيام. وقد خبرت نفسي أني على الأقل أكتب شيئًا، وأن هذا ربما يساعدني في عملي على قضاياي.. في وقت مبكر من اليوم السابق، كتبت هذه الأبيات:

في يوم من الأيام كان هناك زوج يدعى تيد،

والذي لقي حتفه بقذيفة من الرصاص العنيد..

كان ثريًا ذا شخصية نادرة..

ولكنه تزوج من امرأة عاهرة..

لا عجب إذن أنه مات شهيدًا.

في يوم من الأيام كانت هناك فتاة تدعى ميراندا تزوجت من تيد..

لم يكن هناك من يطيقها، وهذا أكيد..

لكن ورغم شخصيتها البليدة والحقيرة..

امتلكت ميراندا مؤخرة كبيرة وخطيرة..

لا عجب أن جميع الأثرياء يصطفون لمضاجعتها في كل عيد.

ثم أضفت هذه السطور لنفس الصفحة:

في يوم من الأيام كانت هناك ابنة روائي حر

عيناها خضراوان كلون ماء البحر

كم تمنيت أن أخلع لها ملابسها

لأثبت للجميع كم هي أكثر جاذبية.. وهي عارية وحين ألمسها. طرحت على نفسي سؤالًا، سألته لنفسي قبل ذلك مرارًا وتكرارًا، وهو لماذا تصبح قصائدي الساخرة قذرة قرب نهايتها.. حاولت أن أكتب بعض الأبيات عن «براد داجيت»، ولكني عجزت عن هذا، فنهضت وأعددت لنفسي قدحًا من القهوة، وهممت في الاستعداد للذهاب إلى العمل.

وصلت مكتبي بعد أن تجاوزت الساعة الحادية عشرة بقليل، واتصلت برئيس الشرطة في كينويك لأتعرف منه على آخر المستجدات، لأكتشف أن «براد داجيت»، لم يعد إلى المنزل بعد.

قلت محدثًا نفسي تقريبًا «لم أتفاجأ، لكن عليك أن تُبقي سيارة الدورية هناك، فقط في حالة عودته، رغم أني واثق أنه لاذ بالفرار».

قال الشرطي آيرلاند بصوت خشن «تحدثنا مع صديقته في الليلة السابقة، والتي تدعى بولي جرينر. إنها تعمل في كولي، ذلك الملهى الليلي الذي يهوى

براد داجيت التسكع فيه، وهما يلازمان أحدهما الآخر منذ سنوات في الواقع.. لقد ارتادا المدرسة الثانوية معًا».

- «هل تعرف شيئًا؟».

- «لا، لا تعرف أي شيء عن المكان الذي ربما يكون قد ذهب إليه، لكني سألتها رغم ذلك متى كانت آخر مرة رأته بها، فأخبرتني أنها كانت بصحبته في ليلة الجمعة».

- «في ليلة الجمعة الماضية؟».

- «هذا هو ما قالته، حيث أشارت أنهما احتسيا الشراب معًا في ملهى كولي قبل أن يعودا إلى منزله، وقالت إنها أمضت الليلة هناك».

- «أنت واثق أنها قالت الجمعة؟».

- «لا، لست واثق، ولكن بوسعنا التأكد.. فإن كانا في ملهى كولي وغادرا معًا، فسوف يتذكر الأشخاص في الحانة رؤيتهما معًا.. إنها بلدة صغيرة وعادة ما يلاحظ الناس أمورًا كهذه».

- «سوف تتحرى بشأن هذا لأجلي؟».

- «بالتأكيد».

قلت له «ثمة أمر آخر.. اطلب من إحدى دورياتك العودة إلى منزل سيفرسون الذي كان داجيت يتولى مهمة بناءة، وأي منزل آخر ربما يملك داجيت مفاتيحه. فإن كان لازال في البلدة، فهو قد يحاول الاختباء في أحد هذه المنازل.. تفقد جميع الأكواخ التي يملكها على الشاطئ أيضًا».

- «تفقدناها بالفعل».

- «حسنًا، شكرًا لك سيد آيرلاند».

- «فلتدعوني جيم، حسنًا؟

قلت «حسنًا».

جلست إلى مكتبي لبرهة بعد إنهائي لهذه المهاتفة، بينما يراودني القلق بشأن حجة غياب داجيت، وكم يمكنها أن تكون قوية، بالإضافة إلى أنها قد تكون حقيقية. لا بد أنه اتفق مع صديقته هذه أن تقول إنهما كانا معًا في ليلة الجمعة.

وإن كان هذا هو ما حدث، فسوف تنهار حجة الغياب أسرع من تحطم نافذة في بركان. دوّنت اسمها في دفتر ملاحظات يقبع أمامي وأخذت أضع عليه عدة دوائر. حينئذ مرت بي شريكتي «روبرتا جيمس» واضعة شطيرة ماكمافين بالبيض على مكتبي («طلبت وجبة ثنائية، وجلبت لك نصفها»)، فأخبرتها بآخر المستجدات التي سمعتها هذا الصباح، وبعد أن غادرت، كتبت مزيدًا من الأبيات الشعرية تحت اسم «بولي جرينر» في دفتر ملاحظاتي.. لماذا قد تكذب لأجل براد؟ لماذا يملك تيد مفتاح منزل براد؟ لماذا كذبت على لِيلي كينتنر؟

كنت على وشك الاتصال برئيس الشرطة «جيم آيرلاند» مجددًا، لأخبره أني أرغب في المجيء والتحدث مع تلك الفتاة التي تدعى «بولي جرينر»، عندما وجدت أنه يتصل بي مرة أخرى. قال لي «من الأفضل أن تأتي إلى هنا، لقد وجدنا جثة في المنزل الذي كان داجيت يقوم ببنائه».

سألته بعدما نهضت من مكاني بالفعل «هل هي له؟» وهممت بارتداء معطفي وأنا أضع يدي في جيبي بحثًا عن مفاتيح سيارتي.

«كلا، إنها ليست جثته بالتأكيد، إنها جثة امرأة.. لم أرها بعد، لكن رجال الشرطة واثقون أنها جثة «ميراندا سيفرسون».. رأسها مهشم».

قلت «سآتي فورًا».. ثم وضعت السماعة.. ذهبت لجيمس التي جلست لتوها إلى مكتبها، وأخبرتها أننا سنعود أدراجنا إلى مين.

الفصل الثامن والعشرون

لِيلي

بعد أن تأكدت من مفارقة براد للحياة، نزعت سلك شماعة الملابس من حول رقبته. أمسكت به من معطفه المصنوع من قماش الدنيم، ونجحت في سحبه من مقعد السائق إلى مقعد الراكب داخل الشاحنة، حيث ربطته بحزام الأمان، ثم قمت بإمالة المقعد للخلف بعض الشيء بحيث يميل معه، ثم أغلقت المعطف حتى آخره للأعلى، رافعة الياقة المبطنة بجلد الخراف بحيث تغطي آثار السلك على رقبته. إن رآنا أحد في السيارة، فسوف يظن أنه راكب يغط في النوم، أو على الأقل هذا ما تمنيت أن يبدو عليه.

شغلت محرك الشاحنة، وقدت مغادرة ممشى السيارات عائدة على الطريق، وأنا أطفئ المصابيح الأمامية إلى أن انعطفت إلى ميكماك. تفقدت خزان الوقود، فوجدت أن المؤشر يتأرجح في مكان ما بين ثلاثة أرباع الخزان إلى علامة الامتلاء، فظننت أن بها ما يكفي من الوقود لإعادتنا إلى كونيتيكت. كنت قد تهيأت لملء السيارة بالوقود في إحدى محطات الخدمة الذاتية، مع الدفع نقدًا، لكني سررت أني لم أعد مضطرة لهذا. حتى الآن لم يراني أحد في مين، وكنت أنوي ألا يراني أحد حتى أغادرها.

توجهت شمالًا، ناحية المنحدر المؤدي إلى مخرج طريق ٩٥ السريع، وانعطفت من طريق ميكماك قبل أن يبلغ شاطئ كينويك، مدركة أنه في حالة اشتباه أفراد الشرطة في براد، فإنهم سيكونون مصطفون أمام كوخه

على الأرجح. كم كنت أود أن أعود لمنزله وأحزم بعضًا من أغراضه لأجعله يبدو وكأنه لاذ بالفرار بالفعل، لكن لم يكن الأمر يستحق المخاطرة. قبل بلوغ الطريق السريع الفاصل بين الولايتين، دلفت داخل مركز خدمة سيارات مغلق يدعى مايك، والذي كان من هذه النوعية من الجراجات الكائنة في أماكن نائية ويحوطها سيارات خردة.

أثناء إطفاء المصابيح الأمامية للشاحنة، أدخلت الشاحنة وسط صف من السيارات الخردة وغادرتها. وجدت سيارة تبدو وكأنها لم تتحرك منذ عامين على الأقل، وباستخدام حقيبة معدات ليثرمان خاصتي، فككت لوحة أرقامها التي تحمل اسم مين، وأبدلتها مع لوحة أرقام شاحنة براد. استغرق الأمر مني نحو خمس دقائق، ولم أسمع حولي سوى صوت الريح القوية التي تحدث حفيفًا في أوراق الأشجار المتبقية على الغصون. بعد تبديل اللوحتين، عدت إلى الشاحنة، بينما كان ضوء المقصورة ينير وجه براد بشكل طفيف، والذي كانت رأسه الآن تتدلى جانبيًا بشكل لا يبدو طبيعيًا. أشحت بنظري بعيدًا عنه، فوقعت عيناي على جهاز إرسال E-ZPass لتحصيل الرسوم الملصق بالجزء الداخلي من الزجاج الأمامي. كانت هناك محطة رسوم على الطريق الفاصل بين الولايتين، واثنتين في مين، ثم واحدة أخرى حيث يعبر الطريق السريع نيوهامشير. تساءلت ما إن كان ينبغي على عبور أماكن دفع الرسوم أثناء وجود جهاز الإرسال وبذلك يتم تعقبي على الأحرى، أم أنه ينبغي عليّ التخلص منه ودفع الرسوم نقدًا. قررت أن الدفع نقدًا سيكون أفضل كثيرًا وخلعت جهاز الإرسال من الزجاج، وألقيت به في الغابة إلى جوار المرآب. كان براد يبدو حقًا وكأنه زوج أحدهم والذي غط في النوم نتيجة إفراطه في الشرب، وسوف أحاول أن أبذل قصارى جهدي حتى لا يتعرف على أحد، وسوف يعينني على هذا حقيقة أن شعري، والذي يعتبر أكثر ملامحي تميزًا، كان مخبئًا أسفل قبعتي.

ليس هناك أي داع للقلق، حيث لم يكد ينظر العاملون بمحطات تحصيل الرسوم لي أو إلى براد طوال الرحلة التي استغرقت أربع ساعات حتى بلغت

حيي القديم في كونيتيكت. لم تكن الطرق مزدحمة وكان بإمكاني قطع الرحلة في ثلاث ساعات ونصف على الأرجح، لكني التزمت بصرامة بحدود السرعة المسموح بها، ولم أبرح الحارة اليمنى من الطريق في أثناء عبور شاحنات البضائع في الحارات المجاورة لي. لم أفتح الراديو، لكن في مكان ما عند مدينة ووستر، تحركت جثة براد مصدرة خرير يشبه دفع الغازات للخارج..

كنت مستعدة لهذا، وأكدت لنفسي أن الجثث تصدر أصوات، لكني رغم ذلك فقد قفزت داخل مقعدي عندما حدث هذا. بعد ذلك، شغلت الراديو، متنقلة بين المحطات سيئة الإرسال حتى وجدت في مكان ما من كونيتيكت برنامج جاز ليلِي يذاع على محطة خالية من الوقفات الإعلانية. لم أكن من هواة الجاز، بما أنه يذكرني بأبوي، لكن كان لازال بوسعي تذكر بعض المعزوفات. «On Green Dolphin Street» والتي عزفها مايلز ديفيس ممزوجة مع أغنية «Autumn Leaves» لعازف البيانو نت كينغ كول. استمعت إلى الكلمات محاولة أن أشرد بذهني بعيدًا عن حقيقة كوني أقود عبر الليل في أثناء وجود رجل ميت إلى جواري. حتى أثناء تشغيلي الراديو ورفع الصوت، إلا أني سمعت صوتَي قَذف آخرين، لتمتلئ مقصورة الشاحنة برائحة البول والبراز.

تذكّرت القط الضال الأسود الذي قتلته في طفولتي منذ سنوات بعيدة، وكيف أني صُدمت أنه تبرز بعد موته. وأتذكر كيف أن اشمئزازي من القط الميت جعلني أشعر بمزيد من السعادة أني قتلته. لقد نال ما يستحق، بل حتى أفضل مما يستحق. إنه ميت الآن، ولا يستطيع إيذاء أحد، ولكن لازال عليّ التخلص من هذه الجثة النتنة، كما عليّ مواصلة القيادة حتى نهاية الرحلة، ولذلك ضغطت بقدمي أكثر على دواسة الوقود، رغم أني لم أقو على تجاوز السرعة المسموح بها. قطعت مزيدًا من الأميال، وأنا استمع إلى المزيد من موسيقى الجاز ومنها «There's a small Hotel» و«Almost Blue» للموسيقار تشيت بيكر، وأغنية «This Bitter Earth» للمغنية دينا واشنطن.

بدأ التشويش في التغلغل داخل صوت الأغنيات مع اقترابي من منزلي، لكني لم أغير المحطة، مفضّلة أجزاء من الموسيقى القديمة على إعلانات الأثاث وغير ذلك من البرامج المليئة بالسباب.

أغلقت الراديو بوصولي إلى شيبوغ، مررت بممشى سيارات مونك، ورفعت رأسي غريزيًا للأعلى لأرى أن ثمة مصباحًا وحيدًا بالطابق الثاني لا يزال مضاء، فظننت أن والدتي قد غطت في النوم بالتأكيد وهي تقرأ، مثلما عهدت أن تفعل كل ليلة بينما يرقد الكتاب مفتوحًا على صدرها، تاركة المصباح مضاءً. انعطفت باليمين التالي نحو ممشى السيارات المليء بالحشائش والذي يفضي إلى المنزل الريفي الشاغر. أطفأت المصابيح الأمامية للشاحنة وأبطأتها حتى باتت تزحف.

كانت ليلة خالية من السحب هنا في كونيتيكت تمامًا كما كانت في مين، وتزينت صفحة السماء السوداء بنجوم متلألئة. برز المنزل الريفي، غير المزين وعديم اللون، داخل فناء صار الآن مرعى. بدت شجرة مزروعة على مقربة شديدة من المنزل وكأنها تطوق البناء بينما ثَقَبَ أحد فروعها السطح. غادرت الشاحنة، فغمرتني الرائحة الصنوبرية المألوفة للغابات المحيطة.

أخذت مصباح الجيب خاصتي وعبرت الأجمة، بينما تخشخش أعشابها الجافة أسفل قدمي. كنت قد ترددت على هذه الأجمة بضع مرات منذ طفولتي، ولكن كانت تلك هي المرة الأولى التي آتي فيها ليلًا منذ تلك الليلة الصيفية التي قتلت فيها «شيت». سرت صوب المكان الذي ظننت أن البئر توجد فيه، مضيئة المصباح فقط عند استشعاري أني على مقربة، وأنا أوجه الشعاع ناحية الأرض. استغرقت المسافة مني خمس دقائق. وجدتُ غطاء البئر، تكسوه الأعشاب التي سوّيتها فوقه قبل عدة سنوات مضت.. وجهت ضوء المصباح نحو الحافة الخشبية للغطاء، مع تصويبه بزاوية علوية بعض الشيء حتى أستطيع الرؤية عبر ضوئه الخافت، ثم عدت أدراجي للشاحنة.

ظل الجو جافًا طوال شهري سبتمبر وأكتوبر في نيو إنجلاند فيما عدا يوم أمس؛ حيث هطلت الأمطار وكانت أرض الأجمة ناعمة ولكن ليست موحلة.

قدت الشاحنة من الممشى وحتى الأجمة وأنا أركز عيني على ضوء المصباح، بينما تتأرجح الشاحنة بفعل بعض الصخور والتي كانت كل ما تبقى من جدار صخري كان قائمًا هناك. كان براد داجيت يتأرجح للأمام والخلف فوق مقعده، مصدرًا دفعة أخرى من الغازات. كانت نافذتي مفتوحة وقمت بإخراج رأسي منها. أوقفت الشاحنة على يسار البئر ولم أطفئ المحرك ثم خرجت منها والتففت حولها، وصولًا إلى غطاء البئر.

وبينما لا أزال أرتدي قفازاتي، قطعت الأعشاب وحررت الغطاء. رفعته برفق، محاولة ألا أكسر الخشب البالي، ووضعته بجوار فوهة البئر. التقطت مصباح الجيب والذي رأيت عبر ضوئه ديدان تتلوى على الأرض التي كان يرقد فوقها غطاء البئر. وجهت الشعاع داخل البئر، لأرى فقط الصخور والقاذورات التي تغطي «شيت». تخيلت ما يمكن أن يكون متبقيًا منه الآن.. هيكلًا عظميًا، بعض الملابس الملطخة بالطلاء، بعض براويز الصور البالية، نظارة ذات حواف داكنة. أصبح العالم مظلمًا فجأة، وتسلل بعض الخوف إلى نفسي. نظرت للأعلى، لأجد سحابة واحدة تستقر أمام القمر لتحجب نوره.. راقبتها وهي تمضي في سبيلها، ليُغمَر العالم ثانيةً بضوء القمر.

فتحت باب الراكب بالشاحنة، وحررت حزام الأمان من فوق براد، ليسقط هو من تلقاء نفسه منكبًا على وجهه فوقَ الأرض، بينما ظلت إحدى قدميه داخل حذاء العمل الضخم الذي يرتديه معلقة بحافة الباب. حررت حذاءه لتلحق ساقه بجسده وتسقط هي الأخرى على الأرض. كان يبعد نحو ثلاثة أقدام عن فوهة البئر، ولكن رغم ذلك لم يكن من السهل تحريك جسده الضخم. قمت بدحرجته عدة مرات حتى دخل رأسه وجذعه بالبئر، ثم رفعت قدميه الثقيلتين حتى سقط من فوق الحافة.. ارتطم بأسفل قاع البئر محدثًا قرعة مكتومة، ومرسلًا للأعلى دفقة من الهواء الحامض.

نظرت داخل البئر وقلت: «شيت، أُعرِّفُكَ ببراد. براد، أُعرِّفُكَ بشيت».

وضعت الغطاء مجددًا على البئر، طارقة على حوافه لتثبيتها، واستبدلت أعشاب الأجمة، بينما أوزعها بكل مكان مثلما يوزع الشعر على بقعة صلعاء من

الرأس. تفقدت ساعتي لأجد أنها الثالثة بعد منتصف الليل تقريبًا، وقد سارت كل الأمور كما خططت لها. وقبل أن أعود إلى الشاحنة كي أتوجه صوب مدينة نيويورك، اقتطعت بعض لحظات أمضيها مع نفسي، بينما أقف أسفل سماء هذه الليلة المليئة بالنجوم، محاطة بالظلام والطبيعة.

سبق أن نعتني والدتي بأني «فصيلة نادرة من الحيوانات» وهذا ما استشعرته. أنبض بالحيوية، بالرغم من أني وحيدة تمامًا. كان رفيقي الوحيد في هذه اللحظة هو أنا عندما كنتُ أصغر سنًا، «لِيلِي» الصغيرة التي ألقت بشيت أسفل البئر. تخيلتها معي في هذا المكان، ونحن نغلق أعيننا، دون أن نحتاج إلى التحدث مع أحدنا الآخر.. كنا نعي أن الصمود والقدرة على البقاء على قيد الحياة هما أهم شيء، فذاك هو معنى هذه الحياة.. وسلب حياة شخص آخر كانَ، وبطرق عدة، أعظم تعبير عن كون الشخص حيًا.. طرفت بعيني فاختفت نفسي الأصغر، اختفت «لِيلِي» الصغيرة حيث دخلت جسدي، وقدنا الشاحنة معًا تجاه نيويورك.

عدت إلى شيبوج مجددًا في العاشرة صباحًا. قدت الشاحنة داخل المدينة، وأخذت أتجول عبر حي لوير إيست سايد حتى وجدت مكانًا أتوقف فيه والذي لم يكن يبعد كثيرًا عن محطة مترو أنفاق. كانت منطقة سكنية تعج بالقمامة وبعض المتاجر المتناثرة. رغم أننا لازلنا في الصباح الباكر، إلا أن صوت موسيقى صاخبة وعالية كان ينفجر من داخل سيارة متوقفة على بعد نصف بناية. أوقفت السيارة أسفل عمود إنارة بالطريق، ولم أخلع قفازي طوال الليل حتى لا أضطر لمسح أية بصمات، ولكني عكفت على مسحها رغم ذلك بفوطة صغيرة وجدتها في صندوق قفازات الشاحنة.

لم أترك مكانًا لم أمسحه، ثم فردت الفوطة ووضعتها على مقعد الراكب الملطخ بالبراز، جامعة أية أوراق بالشاحنة تحمل اسم براد عليها لآخذها معي. كانت هناك صفيحة قمامة قريبة ألقيت فيها بالأوراق لتمتزج مع عبوات البيتزا وأكواب القهوة الورقية. ألقيت بمفاتيح الشاحنة بعد ذلك على الرصيف إلى جوار جانب السائق من الشاحنة، حتى يجدها أحدهم سريعًا،

والذي تمنيت ألا يكون فاعل خير يهم بإبلاغ السلطات عن وجودها. كنت أعوّل على احتمال أكبر وهو تفكيك الشاحنة إلى أجزاء عديدة وعرضها داخل متجر للخردة قبل شروق شمس اليوم التالي.

استقللت مترو الأنفاق حتى محطة قطار غراند سنترال، وابتعت تذكرة عبر خط سكك حديد نورث كوميوتر حتى شيبوغ.. لن يتحرك القطار قبل ساعة فاحتسيت القهوة وتناولت كعكة محلاة دسمة، وأخذت أرقب بينما تمتلئ المحطة براكبي الصباح الباكر. أخذت غفوة قصيرة خلال رحلتي بالقطار حتى موطني لأستيقظ وأنا أنتفض من فرط البرودة التي تغلغلت داخل عظامي جراء الليلة الماضية التي أمضيتها بلا نوم. من محطة شيبوغ سرت ثلاثة أميال حتى منزل مونك، وأنا أتتبع درب محاذي لخط سكك حديدية غير مستخدم. وأنا لم أعِش في شيبوغ منذ ما يقرب من عشر سنوات، لكني لم أرغب في أن يراني شخص يعرفني.

فتحت أمي الباب لي، وهي تحمل قدحًا كبيرًا من القهوة في يدها، قائلة «ها أنت ذا يا عزيزتي»، وللحظة تساءلت إن كنت أخبرتها عن قدومي، قبل أن أدرك أنها كانت فقط تؤمن نفسها في حالة نسيت أمر زيارتي لها.

سألتها وأنا أعرج داخل المنزل «هل كنت تتوقعين مجيئي؟».

«لا، بالطبع لم أتوقع هذا.. هل هو قادم اليوم؟».

هو الذي تشير إليه، كان أبي.. والذي كان سينتقل إلى أمريكا، عائدًا لمنزل مونك. كنت قد رتبت لهذا الأمر أثناء رحلتي الأخيرة إلى لندن. اختصارًا للقصة: كان أبي بحاجة لأن يعيش مع أحد يعتني به بسبب تلك الحالة الذهنية المتدهورة التي بات يعانيها، وكانت أمي بحاجة للمال لدفع فواتيرها. لذا عقدت صفقة، والتي لم أكن أملك أدنى فكرة إن كانت ستنجح أم ستفشل، لكنها كانت تستحق على الأقل التجربة، أو هذا هو ما كنت أخبر نفسي به.

قلت وأنا أتوجه مباشرة ناحية إناء القهوة بالمطبخ «سيأتي في عطلة نهاية الأسبوع يا أمي».

«وما الذي تفعلينه هنا؟ وما هذا الذي ترتدينه؟ تبدين كلص قطط».

أثناء احتسائي القهوة، أخبرت أمي أني كنت مسافرة لأجل العمل، حيث أجمع مواد أرشيفية جامعية، فذهبت أولًا لمين ثم نيويورك. أخبرتها أني تركت سيارتي في مين واستقللت الطائرة من بورتلاند إلى مدينة نيويورك لكني لم ألحق برحلة عودتي حيث فاتتني الطائرة. أخبرتها أني قررت حينئذ القدوم إلى شيبوغ، لرؤية أمي، والتي ربما تصحبني في نزهة بالسيارة لجلب سيارتي. أعرف كم كانت قصة مضحكة، بيد أن أمي وبرغم فطنتها المزعومة كانت سهلة الانخداع وساذجة، وهذا لسبب بسيط، وهي أنها لا تحب الاستماع لقصص الآخرين، وبالتالي لن تقوم بتحليلها.

«لا أعرف إن كان بوسعي هذا يا لِيلِي، إن مجموعة صناعة الفخار ستجتمع اليوم..».

كذبت قائلة: «لن تستغرق الرحلة إلى مين سوى ثلاث ساعات بالسيارة، ويمكنك بعدها أن تأتي معي إلى وينسلو، حيث نستمتع بعشاء يجمعنا نحن الاثنين فقط، ويمكنك المبيت معي».

أخذت تفكر في الأمر وعلمت أنها ستوافق. فلسبب ما يتعذر تفسيره كانت أمي تحاول أن تحثني دومًا على دعوتها إلى منزلي في وينسلو. فكانت تحب هذا المكان حيث توجد الجامعة وتحب «كوخي الصغير».. (كما اعتادت أن تسميه)، وكانت تحب أن أطهو لها.. وكنت أعلم أنها ستوصلني إلى مين إن كان ذلك يعني أنها ستمكث لديّ في وينسلو.

قالت «حسنًا يا حبيبتي. يبدو ذلك ممتعًا. رحلة عفوية أنا وأنت فقط إلى مين».

استغرق الأمر منا بضع ساعات حتى تستعد للرحيل، ولكننا كنا على الطريق بالفعل بحلول الظهيرة، حيث كنت أقود سيارتها الفولفو القديمة.. لم أنم بالشكل الكافي منذ نحو ثلاثين ساعة، وفكرة تمضية أربع ساعات أخرى

خلف عجلة قيادة لم تكن تبعث على السرور في نفسي على الإطلاق، لكن كل شيء سار على ما يرام، وأوشك الأمر أن ينتهي.

أمضينا معظم الرحلة نتحدث عن أبي.. أخبرتني، ولم تكن تلك المرة الأولى التي تخبرني فيها بهذا، «أتمنى ألا ينتظر مني إقامة علاقة زوجية معه».

قلت لها:

- «أنتما لستما متزوجين حتى، فكيف يمكن للعلاقة أن تكون زوجية؟».

- «أنت تعرفين ما أقصده».

- «لست قلقة بهذا الشأن، فأنت حتى لن تعرفيه عندما ترينه.. فهو لم يعد كسابق عهده قبل دخول السجن».

- «أتمنى أن يكون هذا صحيحًا».

- «لا يمكن تركه وحده في المنزل، ليس ليلًا على الأقل.. تداهمه نوبات من الفزع. وأنت لست بحاجة لأن تبقي ملاصقة له طوال الوقت، لكن يجب أن يعرف أين أنت».

- «أجل، لقد أخبرتِني بهذا».

كنت قد أخبرتها بهذا عدة مرات، وبرغم هذا كنت متيقنة أنها ليست مستعدة لما حلَّ بطليقها.. طالما عانى أبي من مخاوف مرضية ومشكلات نفسية، فكان يخشى الظلام، ويخشى عبور شوارع المدينة، ويخشى الجلوس في المقاعد الخلفية للسيارات. كان يصعب عليّ استيعاب هذه المخاوف، حيث إنه لم يكن يخشى قط الوقوف للتحدث أمام جماهير غفيرة، ولم يخش التسلل من غرفته وزوجته نائمة لدعوة عشيقته إلى المنزل لمضاجعتها على أريكة غرفة المعيشة، ولم يخش تسلق منتصف النصب التذكاري للحجاج في بروفينستاون بسبب رهان.

بيد أن هذا الجانب المتهور من أبي اختفى بعد ما حدث لزوجته الثانية «جيما». لقد التقاها بعد انتهاء إجراءات طلاقه من أمي، أثناء إقامته في فندق يقع على طريق برومبتون القديم في لندن. طمحت «جيما دانيالز»؛ لأن تكون روائية، وكانت تصغرني بعام، والتي أتت في الغالب إلى حانة أبي المفضلة فقط كي تلقاه. منذ ذلك اللقاء وهما لا يفترقان، ليتزوجا بعد ستة أشهر فقط. أحد عيوب الحياة في لندن بالنسبة لأبي أن السلوكيات الشائنة للروائيين كانت محط أنظار الصحف الصفراء الإنجليزية، كما هو الحال تمامًا مع السلوكيات الشائنة للاعبي الكرة وغيرهم من النجوم. فتم تصوير أبي وجيما وهما يخوضان معارك صراخ في الطرقات، لتنشر هذه الصور وتتصدر عناوين رئيسية من قبيل «دايفي القذر وعروسه الطفلة»..

كل ذلك كان قبل الحادث، قبل أن يصدم أبي سيارته الجاجوار موديل ١٩٨٦ في شجرة بعد مغادرته ثملًا في وقت متأخر من الليل لحفل أقيم في ليلة السبت. كانت جيما تجلس في مقعد الراكب وقد كسرت عنقها عندما ارتطمت بالزجاج الأمامي للسيارة مخترقة إياه إلى خارج السيارة. بينما أبي الذي طالما حرص على ارتداء حزام الأمان لم يُصب بخدش.. بعد أن جمع شتات نفسه، نجح في الاتصال بسيارة الإسعاف ولكنه لم يقو على مغادرة الجاجوار ليتفقد حال جيما. ولم يكن ذلك ليُحدث أي فارق، حيث إنها فارقت الحياة على الفور. ومع ذلك، انتشرت شائعات تقول إنه وجد منكمشًا داخل سيارته بينما زوجته تفترش السياج الكائن على جانب الطريق. حوكم والدي بتهمة القتل غير المتعمد نتيجة لإهمال جسيم، وأمضى عامين بالسجن. خُففت العقوبة إلى عام واحد عند الاستئناف، وأعتق من السجن في بداية شهر سبتمبر.

قمت بزيارته في منزل أحد أصدقائه في كوتسوولدز؛ حيث كان يقيم وطلبت منه العودة إلى أمريكا، كي يعيش مع أمي. كان لايزال أبي يملك الكثير من المال، وكانت أمي تعجز عن دفع فواتيرها بعد تركها مهنة التدريس لاختلافها مع رئيس القسم، وقد كان منزل مونك مرهونًا. وقد وافق أبي بينما تترقرق الدموع في عينيه حنينًا للعودة إلى كونيتيكت. «وأنت لن تكوني بعيدة عني

يا ليلي، فسوف تأتين لزيارتي طوال الوقت، أليس كذلك؟».. بدا أبي البالغ من العمر ثمانية وستين عامًا وهو يردد هذه الكلمات كالصبي الصغير الذي يتحدث إلى والدته قبل إرساله إلى مدرسة داخلية.

قالت أمي وأنا أنعطف بسيارتها الفولفو صوب جزيرة كوف في كينويك «يا له من مشهد جميل».. كان ضوء النهار لايزال ساطعًا، رغم أن الشمس كانت قد تدنت في غرب السماء، ملقية بظلال طويلة عبر الطريق، وكانت السماء مصبوغة بلون أزرق داكن.

دلفت داخل ساحة انتظار فندق أدميرال إن، حيث تركت سيارتي منذ أقل من أربع وعشرين ساعة مضت، وقد كانت لاتزال قابعة هناك. قبل عودتي إلى وينسلو، خرجت أنا وأمي من السيارة لتمديد سيقاننا قليلًا، وسرنا على حافة الشاطئ، محدقتين بالمحيط إردوازي اللون. «طالما أحببت المحيط، لكن أباك كان يبغضه».

قلت ضاحكة «نعم، هذا صحيح، فاعتاد أن يقول إنه يشبه النظر إلى الموت».

قالت أمي بلكنة إنجليزية محاولة تقليد أبي «إنه يشبه النظر إلى الموت، ورغم ذلك لا ينفك الجميع يقولون كم هو جميل».

«أجل، هذا ما اعتاد أن يقوله دومًا.. وما كانت جملته الأخرى التي يكررها دومًا؟ «أحب الشاطئ، وأحب كل شيء به، فيما عدا الرمال اللعينة، والشمس اللعينة، والمياه اللعينة»..»

«أجل، أتذكر هذه العبارة، ما يعنيه أن الشيء الوحيد الذي يحبه بالشاطئ هو الفتيات اللاتي ترتدين أثواب السباحة».

ضحكنا معًا، ثم ارتعدت أمي نتيجة برودة الجو، فعدنا إلى السيارة لنتجه صوب وينسلو. كم رغبت أن أواصل قيادة سيارتي جهة الشمال عبر طريق ميكماك لأرى ما إن كان هناك أي نشاط مريب حول منزل تيد وميراندا، ولكني قررت عدم المخاطرة. فسوف اكتشف عما قريب ما المدة التي استغرقتها

الشرطة لاكتشاف جثة ميراندا. انعطفت جنوبًا، آخذة المسار الأسرع إلى طريق ٩٥. قبل الساعة السادسة مساء بقليل، كنت قد بلغت ممشى السيارات في وينسلو، بينما لاتزال والدتي ورائي. لم تكن هناك أية قوات شرطة تنتظرني، ولم يقفز فريق سوات من داخل الغابة.

عدت للمنزل، بعد أن أفلت بفعلتي. داهمتني دفقة من السرور والبهجة، كان شعورًا مماثلًا لهذا الذي استشعرته في الأجمة قبل خمس عشرة ساعة.. لقد غيرت العالم، ولن يعرف أحد قط بما فعلت. وحتى في حالة عثورهم على شاحنة براد في مدينة نيويورك، فسوف يفترضون أنه تركها هناك، ولن يعثروا عليه أبدًا، ولن يجدوا شيئًا يربطني بأي من هذا. وسوف يعثرون على جثة ميراندا، وسوف تشير جميع الأدلة أن براد داجيت هو القاتل، والذي سيختفي لِلأبد، وستفترض الشرطة أنه لاذ بالفرار، ولكنهم لن يعثروا عليه أبدًا. أُغلِقَت القضية.

أتذكر أني أخبرت تيد قبل ذلك أن هناك طريقتين لإخفاء جثة. واحدة حَرفية، والأخرى إخفاء الجثة بإخفاء حقيقتها، بجعلها تبدو وكأن شيء آخر حدث لها». وهذا ما فعلناه»، همست بهذه العبارة وأنا أخرج من السيارة، وقد تأنيت لبضع لحظات لأصدق أن هناك شخصًا آخر بالفعل يشاركني هذه الحقيقة. تبعتني أمي حتى المنزل، وأضأت مصباح البهو، وأخذت منها حقيبة مبيتها.

رددت الكلمات التي اعتادت ترديدها دومًا وهي تدخل منزلي: «يا له من منزل جميل».

الفصل التاسع والعشرون

كيمبول

مكتبة
t.me/t_pdf

بحلول الوقت الذي وصلت فيه أنا والمحققة جيمس منزل سيفرسون في كينويك، كان هناك بالكاد مكان شاغر لإيقاف سيارتنا في ممشى السيارات.. كانت القضية تعج بالفعل بفوضى قضائية، تمامًا كما توقعنا أن يحدث.. وقد أتى كل أفراد شرطة كينويك، ولكن نظرًا للموارد المحدودة لقسم التحقيقات لديهم، تم استدعاء محققي شرطة الولاية أيضًا.

جاء كبير الأطباء المختصين، وسمعت أنه قيل لخدمة المعلومات الأمريكي أن مشتبهًا به محتملًا عبر حدود الولاية في الغالب. نجحنا بصعوبة في شق طريقنا داخل المنزل، عابرين أميالًا من الأشرطة الشرطية الصفراء، ونحو سبعة من رجال الشرطة المرتدين بزات رسمية، والذين كانوا عاقدي العزم جميعًا على حماية مسرح الجريمة.

كنت قد رأيت هذا المنزل الضخم من الخارج في اليوم السابق، عندما كنا نبحث عن براد داجيت، ولكننا لم ندخله بعد. كان البهو وحده في حجم شقتي بالكامل، وهناك رقدت ميراندا ووجهها للأسفل فوق الأرضية غير المكتملة. ارتدت معطفًا ذا لون أخضر داكن يبدو باهظ الثمن وبنطال جينز وحذاء برقبة عالية.. إحدى يديها المرتدية القفازات كانت توجد على مقربة من رأسها المتهشم، وقد سقطت قبعتها الرمادية الصوفية الخشنة ذات الحافة القصيرة، وكان شعرها الأسود متبعثرًا في كل مكان حول رأسها. كان يصعب

معرفة أين ينتهي الشعر وأين تبدأ الدماء الداكنة والمتخثرة. وقد كوّن كل من الشعر والدماء هالة سوداء حول رأسها.

سألت آيرلاند رئيس الشرطة، الذي جاء ليقف إلى جواري «ماذا عن سلاح الجريمة؟» لم ينبس ببنت شفة، حيث أراد منحي فرصة كافية لإلقاء نظرة على الجثة.

«قام رجال الشرطة بتغليفه لتوهم.. إنه مفتاح ربط قابل للضبط طوله أربع وعشرون بوصة، الذي كان إلى جوارها تمامًا».. أومأ لي بشكل غير مفهوم مشيرًا لأحد الأجزاء العديدة للأرضية المليئة بالغبار والتي وضع عليها علامة بشريط لاصق.

- «ماذا وجدوا أيضًا؟».

- «وجدوا الكثير من الأشياء على ما يبدو.. آثار أقدام، وألياف، وشعر، لقد فوّتَ لتوك حفل تجميع الأدلة داخل الأكياس».

سألت:

- هل وجدتم أي شيء مريب؟».

- «هل تعني أكثر ريبة من فتاة رأسها محطم؟».

- «أعني أي شيء يجعل الأمر لا يبدو كما يبدو عليه.. أعني أي شيء قد يدل أن براد داجيت ليس الفاعل، وأنه لم يتملكه الذعر، فأتى بها إلى هنا، وضربها حتى قتلها؟».

- «حسنًا، لا، لم نجد شيئًا.. فلم نجد المحفظة التي أسقطها محافظ كينويك، إن كان هذا ما تعنيه.. إن هناك آثارًا لإطارات شاحنة حديثة أمام المنزل، والتي لم تطمسها الأقدام. وهي تبدو آثار إطارات شاحنة بالنسبة لي، وهي في الغالب آثار شاحنة داجيت الـF-١٥٠. لذا لا يوجد شيء غريب بالمرة.. أعني الواقعة كلها غريبة في رأيي.. لقد رفعت

يدها للأعلى لتضعها على الضربة» - رفع رئيس الشرطة آيرلاند يده العريضة إلى جانب رأسه ليريني ما حدث - «لكن كانت تلك هي كل المقاومة التي صدرت عنها.. لذا، نعم، أرى هذا غريبًا.. فهو يأتي إلى هنا حاملًا مفتاح ربط ضخم وتقف هي هناك وتتركه يضربها على رأسها».

وافقته الرأي «هذا غريب حقًا.. ولا يوجد أي دليل على وجود شخص آخر هنا سواهما؟».

«حسنًا، لقد قام رجال الشرطة بتصوير كل شيء، لذا سوف ننتظر ونرى، ولكن انطلاقا مما رأيت، اعتقد أنه لم يوجد سواهما.. ما يبدو غريبًا هو أنها أتت على الأحرى من الباب الأمامي بينما دخل داجيت من الأبواب الزجاجية المنزلقة.. تلك التي توجد هناك.. هل ترى هذه الآثار الضخمة؟ تلك هي آثار أقدامه».

كانت الأشرطة اللاصقة موجودة على كل شيء، ولكني رأيت الحروف الصغيرة التي توجد على الأرضيات المغبرة، والتي أتت بالتأكيد من حذاء براد ذي الرقبة العالية.

- «لم قد يفعل هذا؟».

- «لعدة أسباب في رأيي، والتي لا تعتبر وجيهة بالتأكيد.. ربما كان الباب الأمامي موصدًا، لذا أثناء بحثها عن المفتاح التف هو حول المنزل ليرى ما إذا كانت هذه الأبواب مفتوحة.. وربما أرسلها هي إلى المنزل أولًا، ثم ذهب هو للفناء الخلفي وجلب مفتاح الربط، ودخل متسللًا من الباب الخلفي ليباغتها».

قلت «أظن أن هذا منطقي».

«وربما أراد أن يشاهد ضوء القمر أثناء انعكاسه على المحيط».

قلت: «لن نعرف أبدًا السبب الحقيقي».

أحد ضباط الشرطة لدى آيرلاند لوّح له من الجانب الآخر من الحُجرة، فقام بالاستئذان وانصرف.. وقفت مكاني لبعض الوقت، بينما انظر إلى الجثة، وأتساءل عن آثار الأقدام.. جاءتني جيمس، وقد كانت ترتدي معطفًا مضادًا للمطر من ماركة لندن فوج فوق حلتها السوداء. كانت متألقة كعهدها دائمًا، فيما عدا أنها ارتدت قبعة شتوية ذات لون أخضر زاهي تحمل شعارًا بشعًا لجني أيرلندي صغير يُدوّر كرة سلة على إصبعه.

سألتها: «ماذا وجدتِ؟».

كل الأدلة تشير إلى أن داجيت هو الفاعل.. حدثت الوفاة قبل نحو اثنتي عشرة ساعة مضت، مما يعني أنه ابتعد كثيرًا بالفعل».

قلت: «سوف يتم إلقاء القبض عليه».

قالت: «أجل، بالتأكيد».

أخبرتها بشأن آثار الأقدام التي أتت من الأمام، وتلك التي أتت من الخلف، فأخذت تفكر في الأمر لبرهة، فقالت «هذا منطقي، فقد أتى بها إلى هنا ليقتلها ولكنه لم يستطع الدخول وهو يحمل مفتاح ربط كبير في يده، ومن ثم وجد له عذرًا للعودة إلى الشاحنة، وجلب مفتاح الربط، ثم دخل من الباب الخلفي للمنزل. كانت الأبواب المنزلقة مفتوحة بالفعل. ما لا أستطيع فهمه هو كيف حثها على الإتيان إلى المنزل في المقام الأول. أعني إن كانَ أخبرها أنه يرغب في التحدث، فكان بوسعهما التحدث في الشاحنة، فالمكان هنا ليس دافئًا ومريحًا ليتحدثا به».

«أجل، أعرف هذا، إن هذا يثير لديّ الشكوك أيضًا».

وقفنا صامتين للحظات، حتى قلت «هل رأيت المشهد من الخلف؟».

قالت «لا».. فعبرنا معًا الأبواب المنزلقة التي تفضي إلى الفناء الحجري،

ومنها إلى الخارج ليطوقنا طقس هذا اليوم الخريفي الجميل.. كان المشهد بديعًا، حيث يقع المنزل على جرف يطل على المحيط مباشرة. فيمكن لبصرك أن يمتد أميالًا للأمام في جميع الاتجاهات.

سألت جيمس عن الحفرة الفسيحة الكائنة بالأجمة الخلفية المنحدرة قائلة: «هل كان من المفترض لهذه أن تكون حوض سباحة؟».

قلت: «أعتقد هذا».

«أرى كل ذلك فاحشًا للغاية.. لا أقصد الموقع، ولكن حجم المنزل.. فهو أقرب إلى فندق منه إلى مجرد منزل يقطن به زوجان ليس لديهما أطفال».

خطوت مزيدًا من الخطوات للخارج واستدرت لألقي نظرة على الواجهة الصفراء للمنزل. كان الطابق الثاني مصطفًا بشرفات صغيرة، شرفة لكل غرفة نوم، حسب ظني.. وتوجد مدفأة مبنية داخل البهو الحجري، ومكان توضع لشواية وثلاجة صغيرة.. تساءلت عمّا سيحل بهذا المكان، وإن كان أحدهم سينقض عليه ويدفع نفقات استكمال بناءه، أم أنه سيبلى ويفسد فحسب، ليصبح المنزل المترف لمستعمرة من الخفافيش أو الراكون.

قالت جيمس وهي لاتزال تنظر إلى المحيط:

- «ثمة أمر آخر يشغل بالي. إن كان افتراضنا صحيحًا، وحرضت ميراندا براد داجيت بالفعل على قتل زوجها، فلا بد أنه قتلها ظنًا منه أن كل هذه الثروة ستؤول له في النهاية».

- «ربما كان واقعًا في غرامها يا جيمس، لذا لا تكوني تهكمية هكذا».

- «حتى إن كان أحبها، فذلك لن يغير من وجهة نظري. فلِمَ قد يقتل ميراندا بعد أقل من أسبوع لقتله زوجها؟ أعني أنها الدافع وراء قيامه بكل هذا، وقتله لها يعني أن كل هذا يذهب سُدى.. لا مزيد من المال، ولا مزيد من الجنس».

- «أجل، هذا غريب حقًا. لكن قد تكون هناك الكثير من الأسباب التي دفعته لهذا. ربما أصيب بالذعر وظن أن ميراندا ستقوم بالإبلاغ عنه».

- «إن كان هذا حقيقيًا، فلماذا لم يهرب فحسب بدلًا من أن يقتلها ثم يهرب؟»

- «لا أعرف. ربما لم تقم بتحريضه. ربما يكون قد وقع في غرام ميراندا، وظن أن قتل الزوج سيجعلها ترتمي بين أحضانه. وعندما لم يحدث هذا على الفور، قتل ميراندا حتى لا يظفر بها أحد غيره».

قالت جيمس «فكرت في هذا، لكن إن كان هذا هو ما حدث، كيف أقنع ميراندا إذن بالمجيء إلى هنا معه؟»

حسنًا، سنكتشف هذا عما قريب، فسوف يلقون القبض عليه في أسرع وقت. أربع وعشرون ساعة بأقصى حد. في الوقت ذاته، لدينا قضية ينبغي جمع شتاتها. سوف أذهب إلى التحدث مع بولي جرينر، حجة غياب براد في ليلة الجمعة».

«أتحتاج مني شيئًا؟»

قلت «أحتاجك طوال الوقت، لكني أستطيع تولي أمر بولي بمفردي. فثمة هاجس لدي يخبرني أني بمجرد أن أقول لها إن هناك من تعرف على براد في هذا الوقت، فسوف تنهار حجة الغياب».

«حسنًا، اتصل بي إذا احتجت إليّ. يريد محققو الولاية منا أن نخبرهم بكل شيء نعرفه عن مقتل تيد سيفرسون، وأخبرتهم أني سأذهب إليهم لأخبرهم بجميع ما اكتشفناه».

بعد أن حصلت على العنوان من رئيس الشرطة آيرلاند، قدت سيارتي شمالًا صوب شاطئ كينويك، مارًا بحانة كولي التي يُزعم أن براد كان بداخلها بصحبة بولي بعد ظهيرة يوم الجمعة الماضية. ومن طريق الشاطئ انحرفت إلى طريق نحو الداخل يدعى سي ميست، والذي قطعت نحو ميل به، وقد

أصبحت المنازل أصغر والغابة أكثف. كانت بولي جرينر تعيش في شارع مسدود يسمى يورك كورت بمنزل رمادي صغير مكون من طابق واحد والواقع في فناء لم يقم أحد بتشذيب حشائشه طوال الصيف. تفقدت مرة أخرى الرقم الموجود على صندوق البريد، حيث بدا المنزل الذي أسدلت الستائر على جميع نوافذه غير مأهول بالسكان.

تهاديت عبر الأعشاب التي يصل طولها قدمًا وصولًا إلى الباب الأمامي. أصدر جرس الباب رنينًا ذا صدى أتى من داخل المنزل، لتفتح الباب على الفور امرأة تحمل هاتفًا بين كتفها ووجنتها. كنت أضع شارتي.

قالت لمن تحدثه بالهاتف «سوف أنهي المكالمة الآن يا جان». فتحت الباب الزجاجي نحو نصف بوصة ودعتني للداخل. «أجل، أجل، سأتصل بك لاحقًا، فالشرطة هنا، ولا بد أن أغلق الخط».

قالت لي بعدما مسحتُ قدمي بممسحة التحية ودخلت غرفة المعيشة التي تعمها الفوضى «ما الذي يحدث؟»

«جئت لأطرح عليك بعض الأسئلة عن المرة الأخيرة التي رأيتِ فيها براد داجيت. أتمانعين؟»

قالت «يا إلهي، لا أمانع بالطبع».. كانت لا تزال تحمل الهاتف في يدها، بينما تمسك في يدها الأخرى سيجارة غير مشتعلة.. كانت ترتدي روبًا ورديًا طويلًا فرويًا، والمفتوح من الأمام، ليظهر جانب من أحد نهديها الكبيرين. حاولت أن أبقي عيني على وجهها. دعتني للداخل وهي تجمع روبها باليد التي تمسك بالسيجارة، ثم قادتني إلى مكان معيشة يحتوي على أريكة وكرسي من نفس اللون.. أدار كلب صيد ينام في فراشه رأسه ناحيتي ليرمقني بعينيه المبللتين. استأذنت بولي مني للحظات وهممت أنا بالجلوس على الكرسي المصنوع من القماش القطني المضلع. كان المنزل معبئًا برائحة السجائر ومنظف الفبريز.

عندما عادت بولي مرة أخرى للحجرة، كانت لاتزال ترتدي الروب لكنها ربطته بإحكام حول نفسها، وجمعت شعرها الأشقر للخلف، ويبدو أنها وضعت بعض مساحيق التجميل، لكني لم أكن واثقًا من هذا.

«هل تريد أن أعد لك مشروبًا؟ قهوة مثلًا؟»

«بالتأكيد إن كنت ستحتسينها معي، أما إن كنت لا ترغبين في احتساء شيء، فلا بأس».

ذهبت وأعدت لكلينا قدحين من القهوة، مضيفة اللبن والسكر إلى قهوتي دون أن تسألني أولًا إن كنت أريدهما. وفي أثناء انتظاري، انحنيت للأمام وفركت رأس الكلب. أدركت أنه كان عجوزًا، حيث امتلأت عيناه الكبيرتين بالمياه البيضاء. قالت وهي تناولني قهوتي «هذا جاك». أخذت رشفة بينما تهم بولي بالجلوس أمامي على الأريكة. جلست عاقدة ساقيها ليسقط الروب بعيدًا عن سيقانها.. كانت ممتلئة الجسم من منطقة الوسط، وتبرز بطنها للأمام داخل الروب، لكن كان لبولي ساقان جميلتان، واللتان اكتسبتا بعض السمرة، وكانتا منحوتتين بشكل جذاب، كما طلت أظافر أصابع قدميها بلون أزرق قزحي.

تساءلت قبل أن آتي إلى هنا ما إذا كانت بولي قد علمت بعد بشأن الجثة التي عثروا عليها في منزل سيفرسون، وكنتُ متيقنًا أنها تعلم. أدركت هذا بمجرد أن فتحت لي الباب، وهي تضع الهاتف على أذنها.. فهي على الأحرى تتحدث حول الأمر طوال الصباح.

قلت لها «أسمعت بما حدث؟ هل علمتِ بشأن الجثة التي عثروا عليها هذا الصباح؟»

«أجل، المدينة بأكملها تتحدث حول الأمر.. هل هي حقًا جثة ميراندا سيفرسون؟»

«لم يتم التأكد الرسمي من هويتها بعد، لكن أجل، نحن واثقون أنها ميراندا.. ولكني هنا بسبب براد داجيت».

«أقسم أني لا أعرف أين هو.. أخبرت رئيس الشرطة كل شيء ليلة أمس».

قلت «كلا، أعرف هذا.. أنا لم آت إلى هنا لأني أظن أنك تعلمين أين هو، بل أتيت إلى هنا لأسألك عن آخر مرة رأيتِه فيها. أخبرني رئيس الشرطة آيرلاند أن ذلك كان في ليلة الجمعة الماضية».

«هذا صحيح».

«هل يمكنك أن تحدثيني عن هذا تفصيلاً؟ أعلم أنك سبق وسردت كل هذا بالفعل، لكني أريد أن أسمع منكِ».

أخبرتني عن العلاقة العاطفية التي تربطها هي وبراد منذ فترة طويلة للغاية، والتي تتقد شعلتها حينًا وتنطفئ حينًا، حيث تعرفه منذ كانا معًا في مدرسة كينويك الثانوية، وكيف أنهما لايزالان يتسكعان معًا في حانة كولي، ويمارسان الجنس من وقت لآخر، وأن آخر مرة حدث فيها هذا كان يوم الجمعة الماضية. «لست فخورة بهذا، ولكننا نعرف أحدنا الآخر منذ قديم الأزل، بل أني أومن في بعض الأحيان أننا مقدر لنا أن نكون سويًا».

«هل أنت واثقة أن ذلك كان الجمعة؟»

قالت وهي تتكئ للأمام وتتناول علبة سجائر المارلبورو مينتولز من فوق الطاولة «أجل واثقة. أنت لا تمانع إن دخنت؟».

- «لا، بالطبع لا أمانع».

- «هل ترغب في واحدة؟»

قلت وأنا أتوجه للأمام لآخذ واحدة من العبوة «بالتأكيد».. أنا لا أدخن في العادة سوى السجائر الملفوفة يدويًا، ولكني ظننت أن لا ضرر من توثيق علاقتي بعض الشيء ببولي. أشعلَت سيجارتها أولًا ثم مررت لي الولاعة. لم أدخن

المنتول منذ سنوات، وأول نفس آخذه منها أشعرني بوخزة في حلقي.. سألتها «ما الذي جعلك متأكدة إلى هذه الدرجة أن هذا اللقاء كان يوم الجمعة؟»

«لأنه اليوم الوحيد من الأسبوع الذي أغادر فيه العمل مبكرًا، فتمتد نوبتي من الخامسة إلى الواحدة في دار تمريض مانور هاوس يوم الجمعة. توجهت بعد ذلك لحانة كولي لأتناول الغداء، وهناك رأيت براجيت... أعني براد... احتسينا بعض المشروبات، ثم توجهنا لمنزله».

«هل كنت تخططين لمقابلته هناك، أم أن ذلك كان مجرد صدفة؟».

«هذا وذاك في الحقيقة، حيث ألتقيته في بداية هذا الأسبوع، وأتى على ذكر هذا، حيث سألني ما إذا كنت لا أزال أغادر العمل مبكرًا يوم الجمعة وكيف أنه يخطط للذهاب إلى حانة كولي في ذلك اليوم، وكيف أنه يمكننا احتساء بعض المشروبات معًا، وتمضية عطلة نهاية الأسبوع سويًا».

«هل كنتما معتادين على أن تخططا للتقابل على هذا النحو؟».

نفثت دخانًا أزرق اللون من منخاريها ونفضت رماد سيجارتها على حافة مطفأة السجائر الزجاجية الموضوعة على طاولة القهوة.. «كلا، لم نعتد على فعل هذا، فعادة ما كنا نتقابل مصادفة، ونحن نعيش في بلدة صغيرة كما تعرف».

- «هل لاحظت شيئًا غير مألوف ببراد في هذا اليوم؟».

- «كان براد غريبًا بعض الشيء، هذا ما لاحظته.. فأصر مثلًا على أن يدفع ثمن غدائي ويشتري لي البيرة. أقصد أنه كان حنونًا للغاية، وقد اعتاد أن يكون عطوفًا في الماضي، ولكن ليس في منتصف اليوم في الغالب، فظننت الأمر غريبًا، ولكنه راق لي رغم هذا.. ظننت أنه ربما يشعر بالوحدة بعد طلاقه، وقرر أنه يريد صديقة».

أنهيت سيجارتي، ووضعتها في مطفأة السجائر. «لقد رأى أحدهم براد يا بولي في بوسطن في ليلة الجمعة في حوالي الساعة السادسة ليلًا تقريبًا.. هل أنت واثقة أنكِ لا تريدين تغيير أقوالك؟»

«لا أفهم كيف يمكن لهذا أن يحدث، فقد كنت بصحبته في منزله».

سكتُّ قليلًا وأخذت رشفة من القهوة محاولًا إخراج طعم النعناع من فمي.. «دعيني أوضح لك أمرًا يا بولي. إن براد واقع في مأزق كبير، فهو المشتبه فيه الرئيسي في جريمتي قتل.. فإن كذبتِ بشأن تواجد براد معك فهذا يعني أنك تعرقلين سير العدالة، وسوف يزج بك في السجن فترة طويلة، هذا شيء أكيد».

ثبتت يدها فوق فمها، بينما تبدو عيناها مصدومتين.. ولكن أيضًا متحيرتين.. «هل قتل براد أحدهم؟».

«هل كنت معه في ليلة الجمعة؟».

«كنت معه، كنت معه، ولكن لا أدري.. لا أستطيع تذكر الكثير، فاعتقد أني ربما أكون غبت عن الوعي».. صار صوتها عالي الحدة مما جعل جاك كلب الصيد يرفع رأسه في قلق لكنه لم يبارح فراشه.

- «فقط أخبريني بما تتذكرينه بالتحديد.. إن أخبرتني بالحقيقة، لن تقعي في أية متاعب، اتفقنا؟»

- «كنا ثملان للغاية عندما تركنا الحانة، حيث احتسينا الكثير من كؤوس الخمر، وعندما ذهبنا إلى منزله، واصلنا احتساء الخمر..».

- «كم كانت الساعة عندما عدتما إلى المنزل؟».

- «لا أعرف بالتحديد، ربما كانت الساعة الثالثة؟ كانت الساعة الواحدة تقريبًا عندما ذهبت إلى حانة كولي، وقد مكثنا هناك نحو ساعتين.. لا أعرف بالضبط كم كانت...».

- «لا بأس. في حوالي الثالثة معلومة جيدة، وكنتما تشربان الخمر؟ ما نوع الخمر الذي كنتما تشربانه؟».

- «جايجر في الغالب، ثم بدأنا في المغازلة، بالرغم من أننا كنا ثملين للغاية. أتذكر أن براد عجز عن إقامة علاقة، فقال شيئًا من قبيل، دعينا ننام لبعض الوقت ثم نجرب ثانية، ثم استغرقنا في النوم».

- «متى استيقظتِ؟».

- «لا أدري، كان الوقت متأخرًا، الساعة العاشرة تقريبًا. أتذكر هذا لأني نظرت في الساعة ولم أعرف ما إذا كانت العاشرة صباحًا أم مساءً».

- «وكان براد في الفراش معك؟».

- «كلا، ولكنه كان بالمنزل، في غرفة المعيشة يشاهد التلفاز.. أوصلني بالسيارة حتى سيارتي لدى حانة كولي، وعدت لمنزلي.. كنت في حالة مزرية».

- «شكرًا لك يا بولي، لقد أمددتِني بمعلومات قيمة للغاية. ولم يحدث أن اتصلتما بأحدكما الآخر أو التقيتما منذ ذلك الحين؟».

- «كلا، يا إلهي.. هل ارتكب هذه الجريمة بالفعل؟ هل قتلهما هما الاثنان؟» رفعت يدها على وجهها مرة أخرى، ففتح روبها.. كانت قد وضعت سيجارتها على مطفأة السجائر دون أن تطفأها، لتذوي.

- «هذا هو ما نحاول اكتشافه.. هل سبق وتحدث معك عن تيد أو ميراندا سيفرسون؟».

- «كلا، لم يتحدث عنهما قط، لكن هذا الرجل كان صديقه.. فقد اعتادا التسكع في كولي واحتساء الخمر معًا.. التقيت به ذات مرة».

- «كانا يحتسيان الخمر معًا».

- «مرة واحدة على الأقل، وأتذكر أنه قدمني له.. كان الرجل الذي يبني هذا المنزل الضخم على الجرف، صحيح؟ كانا يبدوان كصديقين».

- «وماذا عن ميراندا سيفرسون؟ الزوجة؟ هل سبق لك أن رأيتِها في حانة كولي؟».

«كلا، مطلقًا.. سمعت عنها لكني... يا إلهي، لا أصدق أن كل هذا يحدث».. تناولت سيجارتها من مطفأة السجائر، وأدركت أنها ذبلت حتى عقبها، فسحقتها.

تركت لها بطاقة عملي، وطلبت منها الاتصال بي على الفور إن تذكرت شيئًا آخر، ثم عدت إلى سيارتي، وكنا قد اقتربنا من وقت الظهيرة. تمثلت خطتي الأصلية في المرور بحانة كولي والتحدث مع الساقي لأتأكد منه من أقوال بولي، ولكني الآن لا أرى حاجة لهذا، فقد أخبرتني بالحقيقة.

جعلها براد تثمل، وتأكد أنها فقدت الوعي داخل منزله، ثم قاد سيارته إلى بوسطن لقتل تيد.. اتصلت بجيمس وأخبرتها بما اكتشفته، وكيف أن حجة غياب براد زائفة وملفقة. لم تبدُ متفاجئة، وكانت لاتزال تدلي بإفادتها في مقر شرطة الولاية في بورتلاند، مين. أخبرتها أني سأقلها من هناك في خلال ساعة أو اثنتين، حيث أردت أن أحظى بوقت كاف للذهاب لشراء وجبة غداء. توجهت جنوبًا مارًا بمنزل سيفرسون مرة أخرى والذي لا يزال محاطًا بسيارات الشرطة.. دلفت ممشى سيارات فندق كينويك إن؛ والذي يقال إنه المكان الذي أقام فيه تيد وميراندا عندما كانا في مين. عُلقت لافتة خشبية تقول «غرف خالية» والتي أرجحتها النسمات القادمة من المحيط..

قلت لنفسي إنه عندما تسلط الصحف القومية الضوء على هذه القصة، لن يصبح هناك مزيد من الغرف الخالية في هذا المكان.

عُلقت لافتة أصغر في مقدمة مبنى الفندق الرئيسي تقول الحانة، والتي توجهت نحوها عبر ممشى جانبي ضيق، بينما تُصدر قدمي صوت خشخشة فوق أوراق الأشجار المجففة، وهبطت درجًا حجريًا خارجيًا يفضي إلى مدخل القبو. دلفت إلى الحانة التي كانت عبارة عن مكان ضيق طويل تتباعث منه رائحة الدخان والبطاطس المقلية.. جلست في الحانة، والتي لم تأوِ سوى عدد قليل من الناس، والذين بدوا جميعًا وكأنهم يتحدثون عن موضوع مثير.. لا شك أن الشائعات عما حدث في المنزل الذي يبعد ميلًا عن الطريق قد انتشرت في كل مكان.. طلبت قدحًا من القهوة وبرجر بالجبن من الساقي ممتلئ الجسم.. وفي أثناء انتظاري، أخذت دفتر ملاحظاتي وتفقدت ما دونته مبكرًا في هذا الصباح.

بولي جريمر.. لماذا تكذب من أجل براد؟ عرفت الآن أنها لم تكذب، وأن براد استغلها فحسب لتصبح حجة غيابه.

لمَ كان بحوزت تيد مفتاح شقة براد؟ لا زلت لا أعرف، ولكني علمت من بولي أن براد وتيد كانا يترددان على حانة كولي سويًا لتوطيد علاقتهما.. فكرة من هذه؟ هل أعطى براد مفتاحه لتيد لسبب ما؟

الملاحظة الأخيرة التي دونتها كانت، لماذا كذبت على لِيلي كينتنر؟ لازال هذا السؤال يحيرني، بالرغم من أني كنت واثقًا من أنه لا دخل لها بما حدث مع براد وآل سيفرسون. وبالرغم من هذا، فقد أخرجت هاتفي، وتفقدته لأتأكد من اتصاله بشبكة الإنترنت، وجلبت الصورة الوحيدة لـ لِيلي كينتنر التي علمت أنها موجودة على الشبكة.. كانت صورة مأخوذة من زاوية منخفضة لها ولوالدها قبل نحو عشرات سنوات مضت، بيد أن لِيلي لم تتغير كثيرًا منذ ذلك الحين. نفس الشعر الأحمر ونفس نمط الملابس. نفس البشرة الشاحبة ونفس العينين الحادتين. وعندما جاء الساقي حاملًا برجر الجبن خاصتي، دفعني هاجس ما لإدارة الهاتف وسؤاله ما إذا كان يعرف الفتاة في الصورة.. انحنى للأمام مقتربًا، وتفحص شاشة الهاتف لخمس ثوان. كنت قد هيأت نفسي

لسماعه يقول لا، لم يسبق لي رؤيتها عندما قال «بالتأكيد.. جاءت في بداية هذا الأسبوع، وأقامت لدينا بضع ليال.. إنها سيدة جميلة حقًا».

سألت محاولاً التخلص من نبرة الدهشة والإثارة من صوتي «لماذا جاءت إلى هنا؟».

«لا أعرف.. كانت تطلب مشروب سام لايت، فأنا أتذكر دومًا ما يطلبه رواد الفندق».

ذهب بعيدًا ليلقي التحية على اثنين من الزبائن واللذين جلسا لتوهما بالجانب الآخر من الحانة. نظرت إلى صورة لِيلي على هاتفي.. تلك النقاط الحُبيبية القليلة التي تشكل وجهها. هل يمكن أَن تكون متورطة بكل ما يحدث هنا أكثر مما كنت أظن؟ علمت أني سأكون بحاجة لرؤيتها ثانية، واكتشف لماذا كذبت علي، ولماذا أتت إلى مين بعد قتل تيد. لم أتوقع أن تخبرني بالكثير، ولكن ذلك سيجعلني أراها مجددًا، عاجلاً وليس آجلاً.. أخذت قضمة من برجر الجبن، والذي كان شهيًا لدرجة لم أتوقعها.. لقد بدأ الحظ يحالفني حقًا.

الفصل الثلاثون

لِيلي

في أثناء انتقالنا بالسيارة من مطار جون كينيدي وحتى شيبوغ لم يتوقف أبي عن التململ والتنهد.. قلت له «أنت تعرف أمي، فهي لازالت نفس الشخصية صعبة المراس التي اعتادت أن تكونها». ابتسم أبي لي، بيد أن عينيه عكستا خوفًا واضحًا، فأكملت حديثي قائلة «امنحها فرصة، وإذا باءت هذه الفكرة بالفشل، فسوف نفكر في أمر آخر».

قال «يمكنني أن آتي في أي وقت وأعيش معك يا ليل».

كان هذا القدر المحتوم الذي أحاول تحاشيه بالطبع، ولكني اكتفيت بوضع يدي على ركبته والضغط عليها.

بعدما عبرنا التلال المنخفضة لكونيتيكت لنلج بداخل أراض مألوفة، صار أبي أكثر هدوءًا، وشرع ينظر من نافذة السيارة. وقد فقدت أوراق النباتات الكاسية للأشجار ألوانها البراقة، فتحولت الأوراق الحمراء للون الصدأ، وذبلت الأوراق الصفراء. وأثناء دخولي ممشى سيارات منزل مونك، قال أبي «أشعر بأن أعضائي الداخلية تنكمش - طالما كان هذا هو شعوري المعتاد وأنا قادم للمنزل، الآن عرفت أني بالمنزل».

هممنا بإخراج حقيبتيّ سفر أبي اللتين يصعب تحريكهما من حقيبة السيارة، لتأتي أمي لدى الباب، وهي ترتدي مئزرًا ملطخًا ببقع الطلاء، وتضع

على شفتيها طبقتين من أحمر الشفاه اللامع.. قالت بطريقة يبدو أنها تدربت عليها «لقد عاد البطريرك»، مما جعلني أدرك أنها كانت متوترة هي الأخرى.

قال أبي وهو يدفع نظارته داخل جبهته حتى يستطيع رؤيتها من هذه المسافة البعيدة «شكلك لم يتغير قط يا شارون».. وكان هذا على الأحرى ألطف شيء يمكن أن يقوله لها في ظل هذه الظروف، فأومأت ودخلت المنزل.

بعد أن ساعدت أبي على تفريغ محتويات حقائبه والاستقرار في غرفة الضيوف بالطابق الأول الكائنة ناحية الجزء الخلفي من المنزل، ذهبنا في جولة سريعة حول المبنى قبل أن تغرب الشمس كلية. قال أبي «أتذكر أن الشمس تغرب مبكرًا هنا».

أجبته قائلة «فقط في الخريف والشتاء، وليس طوال العام».

- «يمكنني أن أجمع بعض أوراق الأشجار غدًا».

- «كم ستحب أمي هذا، فهي تمقت جمع أوراق الأشجار».

- «أتذكر هذا، فدائمًا ما كانت تجعلني أتولى مهمة جمع الأوراق وحدي».

- «حسنًا، إما أنت أو هذا الصبي بالجانب الآخر من الطريق».

«حسنًا».. ربط أبي الوشاح الذي يطوق عنقه بمزيد من الإحكام، رغم أن الجو كان دافئًا بالنسبة لإحدى ليالي أكتوبر في هذا الوقت من العام. «لقد اعتدت أن تزحفي داخل كومة أوراق الأشجار عندما كنت طفلة، أتذكرين هذا؟»

قلت:

- «لا أعرف».

- «طالما أراد الأطفال الآخرون القفز داخل الأوراق فيما يبدو، أما أنت فاعتدت صنع حفرة بداخلها والبقاء بها لساعات. ألا تتذكرين هذا؟».

- «أتذكره قليلًا».

- «كم كنت طفلة غريبة الأطوار حقًا، فقبل أن تصبحي مولعة بالقراءة، اعتقدنا أننا أنجبنا حيوانًا ضاريًا. فبالكاد كنت تبتسمين، وكنت تتسللين للخارج لساعات، وكنت تقلدين أصوات الحيوانات. اعتدنا أن ندعوك ابنتنا الذئبة، ونقول إن البشر قاموا بتربيتك.. أتمنى ألا نكون قد أخطأنا في حقك».

قلت بينما تسقط قطرة صغيرة من الأمطار من السماء «لقد أبليتما حسنًا. فها أنتما قد سمحتما لي بجمعكما معًا مجددًا، إن هذا بمثابة حلم كل طفل ينفصلُ أبواه».

قال أبي ونحن نستدير ونعود أدراجنا للمنزل والذي كان يسوده الظلام فيما عدا المطبخ الذي جاء منه الضوء «لكنك لم تحلمي بهذا قط».

- «لا، يا إلهي، لقد كنت أمزح، بالإضافة إلى أنكما لم تعودا لأحدكما الآخر، كما أتمنى. أنتما فقط تعيشان معًا. المصلحة المشتركة.. أليست هذه هي الخطة؟»

- «نعم، هذه هي الخطة، لنحظى بالسكينة والهدوء. وربما أؤلف مزيدًا من الكتب، أو لا أفعل. فقط أرغب أن أعيش الجزء المتبقي لي من حياتي دون أن ألحق الضرر بأحد. هذا هو كل ما أتمناه حقًا».

تناولنا العشاء معًا دون أن تحدث أية مشكلات. فقامت أمي بإعداد دجاجة مشوية والتي لم يعلق عليها أبي بالسوء، بالرغم من أنها كانت سيئة.. احتسينا زجاجة نبيذ واحدة من بين الزجاجات الثلاث التي لدينا، وبعد ذلك عرض أبي تولي أمر التنظيف، مؤكدًا أنه سيقوم بالتنظيف بعد كل مرة نتناول فيها الطعام.. «أنا لا أستطيع الطهو يا شارون كما تعلمين، ولكن يسعدني تولي مسؤولية التنظيف».

نظرت أمي شذرًا ولكن ناحيتي أنا فقط. كان أبي يرفع الأطباق من فوق الطاولة بالفعل مُكدسًا إياها بحرص داخل الحوض. ذهبنا إلى حجرة المعيشة؛ حيث يوجد تلفاز الآن، وهو الشيء الذي لم يكن لدينا قط أثناء طفولتي، وقد أتيت على ذكر هذا الأمر. قالت أمي بينما نجلس قبالة إحدانا الأخرى على الأريكة البالية «دعينا نشاهد شبكة PBS». ظننت أننا سنتحدث عن والدي، بيد أن أمي أخذت تتلو على مسامعي التفاصيل المرهقة لنقدٍ نُشر عن فنانٍ ما تعرفه.. «لم أقدره بالشكل الكاف، لكني أظن أني كنتُ مخطئة بشأنه طوال الوقت الماضي، على الأقل انطلاقا من الإشادة الكبيرة بأعماله في هذا المقال الذي قرأته في النيويورك تايمز». ظللت استمع لها وأنا أفكر بأن هذه الخطة الخرقاء التي رتبتُها بين أبي وأمي قد تجدي نفعًا، على الأقل لبرهة من الوقت.. خلال سنوات انفصالهما الطويلة، توقفا عن الاهتمام لأمر أحدهما الآخر، وهذا قد يساعدهما على أن يعيشا مع بعضهما البعض. فهما لا يحبان بعضهما البعض للدرجة التي تجعلهما يؤذيان أحدهما الآخر.

غادرت في اليوم التالي بعد تناول الإفطار. لم أكن على عجلةٍ من أمري، وتوجهت شمالاً عند هارتفورد وقدت سيارتي عبر بيونير فالي، والذي يلتقي في نهاية المطاف بالطريق لأعود إلى وينسلو عبر طرق ذات مناظر خلابة.. كان هذا هو وقتي المفضل من العام، الهواء العاصف المليء بأوراق الأشجار الميتة، والمنازل المزدانة لأجل عيد القديسين. عرفت قبل أسبوع بمقتل تيد سيفرسون، والآن أغلق للأبد هذا الفصل القبيح من حياتي.. لقد رحل كل من ميراندا وبراد، ونجوت أنا بفعلتي.. لقد تلاشت كل مخاوفي بشأن كشف أمري وإلقاء القبض علي. الآن، استمتع بالاسترخاء، وأصبحت مفعمة بالحيوية والطاقة، بل أني حتى استمتعت للمرة الأولى في حياتي بتمضية وقت مع والديّ.

صارت أخبار حوادث القتل الشغل الشاغل للجميع؛ فعلمت أن كينويك أصبحت مكتظة بالمراسلين الصحفيين، والذين يحاولون جميعًا فك لغز قصة

الزوجين الثريين الشابين اللذين قتلا في نفس الأسبوع.. لم يعثر أحد على براد داجيت، ولن يعثر عليه أحد قط. ولم يرد في الأخبار أن الشرطة قد عثرت بعد على الشاحنة. لقد قتل براد تيد وميراندا، وسوف تثبت الأدلة الشرعية هذا، ولن يتم العثور عليه قط ليروي حكايته.

أخذت أفكر فيما قاله لي أبي في اليوم الماضي - وكيف أنه يرغب في تمضية ما تبقى من حياته دون أن يؤذي أحدًا.. ربما أجعل هذا هدفي أنا الأخرى. كان هذا هو الشعور الذي تملكني بعد قتل شيت، والشعور الذي سيطر على بعد قتلي «إريك» في لندن، وهو الشعور الذي يراودني الآن.. لم يسبق لي أن ندمت على شيء فعلته بالماضي. إن إريك وميراندا ألحقا بي الأذى، وأراد شيت أن يفعل هذا، وقام براد - والذي لم يؤذيني - بقتل رجل بريء.. لقد أخطأت على الأحرى عندما أدخلتُ تيد سيفرسون إلى حياتي.

فقد خضت مخاطرَ جمة في الأسابيع القليلة الماضية، وأنا محظوظة حقًا لأني نجوت بكل هذا. لكني الآن انتهيت، انتهى الأمر. سوف أعيش حياة هادئة وأحرص ألا يؤذيني أحد مجددًا.. سوف أواصل الصمود والبقاء على قيد الحياة وأنا أعرف، تمامًا كما عرفت تلك الليلة في الأجمة، أن النجوم تُسلط ضوءها عليّ، وكم أنا شخص متميز، وأني ولدت بنوعية مختلفة من الأخلاقيات.. أخلاقيات الحيوانات - الغراب أو الثعلب أو البومة - وليست أخلاقيات البشر الطبيعيين.

خرجت من طريق ٢ وقدت عبر مركز وينسلو صوب منزلي.. كان مهرجان أكتوبر يُقام في منطقة مفتوحة من المدينة، بينما تعزف إحدى فرق البولكا ونُصبت خيمة لتوزيع البيرة.. فتحت نافذتي لأشم رائحة التفاح المخمر في الهواء. فكرت في التوقف ولكني قررت أن أذهب للمنزل.. قدت الميلين المتبقين حتى منزلي، وأثناء اقترابي من المنزل، تمكنت من رؤية سيارة بيضاء طويلة تقف في ممشاي، والتي يسهل رؤيتها عبر الأشجار الخالية من الأوراق.. سرى الخوف بجسدي.. عبرتُ أمامها، لأدخل ممشى السيارات، محدثة نفسي أن كل شيء سيكون على ما يرام.

كان يتكئ على السيارة هذا المحقق الذي جاء ليطرح على الأسئلة في بداية هذا الأسبوع.. هنري كيمبول من قسم شرطة بوسطن. عندما رآني، أسقطَ السيجارة التي يدخنها على الأرض وهرسها أسفل حذائه.. أوقفت سيارتي وخرجت منها.. جاء نحوي بينما تعلو وجهه ابتسامة عجزت عن تفسير معناها.

الفصل الحادي والثلاثون

كيمبول

بعد تناولي الغداء في يوم الأحد قدت سيارتي مغادرًا وينسلو للذهاب للتحدث مرة أخرى إلى لِيلِي كينتنر.. لم تكن بمنزلها ولكننا كنا في يوم خريفي منعش، والذي لم يكن باردًا للغاية، وقررت الانتظار.. قلتُ إنها ذهبت على الأرجح لتناول الإفطار متأخرًا وستعود سريعًا. اتكأت على سيارتي بحيث أستطيع رؤية البحيرة خلف كوخها، وأشعلت بحرص سيجارة، واحدة من حصتي البالغة اثنتين باليوم.

لم يتم العثور على براد داجيت، وكان كل ما لدينا حتى الآن هو ذلك البلاغ من ورشة سيارات في كينويك بأن واحدة من لوحات السيارات التي تعمل بها قد تم استبدالها. وقد لاحظ الميكانيكي المدعو مايك كونيو ذلك فقط؛ لأن اللوحة الجديدة كانت أنظف كثيرًا من باقي أجزاء السيارة. واتضح أنها لوحة شاحنة داجيت، إذن كان براد داجيت ذكيًا كفاية لتبديل لوحة السيارة قبل مغادرته مين.. أصدرت نشرة لجميع النقاط لأجل رقم اللوحة الجديد، لكننا لم نجدها بعد، وبدأت تراودني شكوك بأننا لن نجدها قط.

أشعلت سيجارتي وأملت رأسي للخلف، وتركت الشمس تلفح وجهي بأشعتها، بينما حلق فوق رأسي سرب من الأوز.. وبحلول الوقت الذي أوشكت فيه على إنهاء سيجارتي، انعطفت لِيلِي بسيارتها الهوندا أكورد داخل ممشى

السيارات.. حاولت قراءة تعبيرات وجهها عبر الزجاج الأمامي للسيارة، لكنها بدت ترمقني بنظرة مليئة فحسب بفضول طفيف. بعد أن أوقفت السيارة وغادرتها توجهت إليها، وأعدت تقديم نفسي لها.

قالت «أتذكرك، فقد كنتَ هنا منذ بضعة أيام فقط».

كانت بحوزتها حقيبة مبيت ذات لون أزرق داكن يعلوها نقاط رمادية قماشية، فسألتها ما إذا كانت مسافرة.

- «كنت لدي والديّ في كونيتيكت، حيث عاد والدي لتوه من لندن».

- «حقًا، ليقيم هنا؟».

- «هذه هي خطتنا للوقت الحالي. كيف يمكنني مساعدتك أيها المحقق؟ كم صدمت عندما سمعت بما حدث لميراندا».

- «لدي مزيد من الأسئلة.. كنت آمل أن نستطيع الجلوس والتحدث قليلًا، مرة أخرى».

- «لا بأس.. فقط امنحني دقيقة لأضع أغراضي. يمكننا الجلوس بالفناء الخلفي، إن كنت ترغب في هذا، فالجو ليس باردًا للغاية».

تبعتها داخل كوخها، وعبر غرفة المعيشة، ثم للخارج من خلال باب مطبخها إلى فناء خلفي صغير مليء بأوراق الأشجار.. قالت «دعني أجلب لك خرقة لتمسح المقاعد».

امتثلت لما أمرتني به، منظفًا اثنين من مقاعد الفناء الخشبية من أوراق الأشجار الصفراء ذات الشكل المروحي الساقطة من شجرة الجنكة.. جلست على مقعدي وبعد نحو خمس دقائق عادت لِيلي، وهي لا تزال ترتدي الجينز، لكنها خلعت معطفها وأسدلت شعرها، وبدا وجهها مغسولًا لتوه وخالٍ من مساحيق التجميل. «كيف يمكنني مساعدتك؟».

كنت قد قررت مسبقًا أني سأصل لصلب الموضوع مباشرة، لذا قلت «أريد أن أعرف لماذا كذبت عليَّ؟».

لم تبدُ متفاجئة، ولكنها طرفت ببطء بجفنيها الشاحبين.. «كذبت بشأن ماذا بالتحديد؟».

«علاقتك بتيد سيفرسون، وحقيقة ذهابك إلى كينويك في يومي الأحد والاثنين من هذا الأسبوع.. ألا تعتقدين أنه كان عليك أن تخبريني بهذا عندما أتيتُ إليك في المرة السابقة؟».

قالت «يمكنني أن أشرح لك، وأعتذر منك لأني كذبت عليك.. فكنت متوترة حقًا بسبب ما يحدث مع أبي.. وعندما جئت لي في المرة الأولى أصابني الذعر وخشيت أن أتورط في تهمة القتل.. إن تيد هو سبب ادعائي عدم معرفتي به.. وأتمنى أن تكون متيقنًا أني ما كنت لأكذب إن ظننت أن لعلاقتنا أدنى صلة بحادث القتل».

- «وما كانت طبيعة هذه العلاقة بالتحديد؟».

- «لقد تقابلنا في المطار في لندن، وأنا لم أعرفه حتى في البداية، ولكننا أخذنا نتحدث، وأدركنا في النهاية أننا التقينا قبل ذلك، من خلال ميراندا.. كنا نستقل نحن الاثنان درجة رجال الأعمال، وشاءت الظروف أن مقعدينا كانا متجاوران، وأخبرني أنه يظن أن زوجته تخونه مع مقاول منزله».

قلت:

- «إنها معلومة مهمة حقًا، وكنا لنقدر لك صنيعك إن أخبرتِنا بها قبل أسبوع».

- «أعلم هذا وأنا آسفة حقًا.. لكنه لم يكن واثقًا من ذلك تمام الثقة، حيث كان مجرد تخمين توصل إليه. كنت أعرف ميراندا في الجامعة، وظننت أنه محق على الأرجح. وقد تحدثنا حول هذا فقط بأي حال

من الأحوال، فقد فتح لي قلبه، مثلما يحدث أحيانًا للركاب في رحلات الطيران».

- «إذن فقد توطدت علاقتكما».

- «لا، ليس حقًا، فلم تنشأ بيننا علاقة عاطفية.. لقد تقابلنا مرة أخرى، في حانة في كونكورد لاحتساء شراب، لكننا لم نتمادى أكثر من هذا، فهو رجل متزوج».

- «لكنك كنت معجبة به؟».

طرفت بعينيها ببطء مجددًا..

- «أجل، هذا صحيح، فقد كان رجلًا لطيفًا حقًا».

- «متى علمت أنه قتل؟».

- «قرأت عن الحادث في صحيفة الجلوب في يوم الأحد، وأشار المقال إلى أن القاتل قد يكون لصًا، ولكني تساءلت..».

- «تساءلت ما إذا كان القاتل هو براد داجيت؟».

- «كان هذا هو اسم المقاول، صحيح؟ وأنت تعتقد أنه قتل كل من تيد وميراندا؟».

- «فقط أخبريني لماذا قررت الذهاب إلى مين؟».

- «لا أعرف بالتحديد، فالعديد من الأسباب دفعتني للذهاب.. فقد أخبرني تيد إلى أي مدى أحب المكان هناك، لذا قررت الذهاب.. أعتقد أني ذهبت للحداد عليه.. إننا لم نتقابل سوى مرتين، لكن كلا اللقاءين كان غاية في الروعة والمودة.. وأعتقد أني ذهبت إلى هناك أيضًا لأرى إن كنت سأستطيع كشف أي شيء.. اعتقد أني كنت أتظاهر بأني نانسي درو.. أعلم كم هذا سخيف».

- «ما الذي كنت تفعلينه أثناء وجودك هناك؟».

- «أذهب للتمشية وأتناول العشاء في مطعم الفندق، حيث كان الجميع يتحدثون حول حادث القتل، ولكن وسط كل هذا الكلام الذي سمعته لم أسمع شيئًا عن تورط ميراندا في علاقة مع رجل.. ظننت أني سأسمع هذا، وأن الجميع سيتحدثون حول الأمر. فوفقًا لما أخبرني به تيد، كانت ميراندا تعيش عمليًا في فندق كينويك إن.. وإن كانت تقيم علاقة جسدية مع شخص من البلدة، فسوف يعرف الجميع بهذا دونَ شك.. هذا ما ظننته بأي حال.. لكن لم يقل أحد شيئًا عن هذا، بل إني ذهبت حتى إلى حانة كولي.. إنها الحانة التي توجد في نهاية الشارع، ويرتادها السكان المحليون. وقد احتسيت مشروبًا هناك، ظنًا مني أني سأسمع شيئًا ما، أو حتى ألتقي ببراد، لكن هذا لم يحدث».

- «وما الذي كنت تنوين فعله بالتحديد إن اكتشفتِ أن براد وميراندا متورطان في علاقة؟».

قالت «أوقعه في الفخ بالتأكيد.. أحصل على اعتراف منه، واعتقله اعتقال مواطن». لم تتغير تعبيرات وجهها على الإطلاق، ومرت بضع لحظات قبل أن أدرك أنها تمزح. تبسمت، فابتسمت هي الأخرى.. أحدثت ابتسامتها تجعدًا بين شفتها العلوية وأنفها، وقد واصلت حديثها قائلة «لا أعرف حقًا ماذا كنت سأفعل، فلم تكن لدي خطة.. وحتى في حالة تورط براد وميراندا في علاقة، فهذا لا يعني أن لهما صلة بقتله».

- «نحن واثقون أن براد داجيت قتل الزوجين سيفرسون».

- «ولم تعثروا عليه بعد؟».

- «كلا».

خيم الصمت لحظات، وأخذت أراقب لِيلي وهي تلمس بأصابع يدها اليسرى مسند ذراع المقعد، وكانت تلك هي أول إشارة توتر أراها تصدر عنها.. قالت

أخيرًا «لقد فشلت حقًا.. فكان يجدر بي أن أخبرك بكل شيء في أول مرة جئت إلى هنا.. كان يجب أن أخبرك أن تيد ظن أن زوجته تخونه مع براد.. أنا آسفة حقًا، فعندما جئت في المرة السابقة، ظننت أن لصًا هو من قتل تيد.. وكنت أشعر بالحرج لأني ذهبت إلى مين للقيام بتحقيقاتي الخاصة.. فبدا الأمر لي غبيًا».

قلت:

- «كنت تتقمصين دور نانسي درو الغبية».

- «آه، هل تنعت بطلة طفولتي المفضلة بالغبية؟».

- «لا، بالطبع لا.. فقد أحببت نانسي درو أيضًا، فلم في ظنك أصبحت محققًا؟».

جاءَ قِط قذر إلى الفناء، وأخذ يموء ناحية لِيلِي، فقلت «لديك قط؟».

قالت وهي تنهض «ليس في الواقع، إن اسمه موغ، وهو يعيش في الخارج معظم الوقت. يدخل فقط عندما يكون جائعًا. سوف أذهب وأجلب له بعض الطعام.. هل يمكنني أن أحضر لك شيئًا من الداخل؟».

قلت «لا شكرًا لك».. وأثناء تغيبها ناديت على القط ولكنه ظل قابعًا مكانه.. كانت عيناه مختلفتا اللون، أو أن واحدة من عينيه كانت متضررة بشكل ما.. عادت لِيلِي حاملة طعام القط في إناء، ووضعته على حافة الفناء، فجثم موغ وبدأ يأكل.

أردت البقاء، لكن لم يكن لدي شيء آخر لأسأله.. لازلت لا أصدق أن لِيلِي تخبرني الحقيقة كاملة، لكن أجوبتها كانت منطقية بما فيه الكفاية.. قلت «كيف حال والدك؟».

- «آه، إنه.... إنه كما هو. اعتقدت أنه من الأفضل أن يرحل عن إنجلترا، فقد ألحقت به الصحافة أذى حقيقيًا».

- «هل لا يزال يكتب؟».

- «أخبرني أنه قد يؤلف كتابًا آخر، ولكني لست واثقة من هذا.. ربما سيعاوده الوحي مجددًا بما أنه عاد ليعيش مع أمي».

- «اعتقدت أن والديك متطلقان».

- «إنهما متطلقان بالفعل، حمدًا لله.. كان هذا مجرد اتفاق.. أجل أعرف إنه اتفاق غريب، لكن أمي بحاجة للمال وسوف يعطيها أبي المال الآن بما أنه يعيش في منزلها، بالإضافة إلى أن أبي لا يمكنه المكوث وحيدًا.. إنه بمثابة رهان، ولكن إن أفلح، فسوف يحل مشكلتيهما.. وإن لم يفلح، فيمكن لأبي أن يأتي ويعيش معي».

أردت أن أطرح عليها مزيدًا من الأسئلة عن والدها، ولكن فقط لأني أردت البقاء هنا في حديقة لِيلِي الخلفية.. أردت مواصلة النظر إليها، حيث كانت الشمس خلفها تنير شعرها الأحمر ليبدو كلهيب من النار.. وكانت قد عقدت ذراعيها عند وسط جسدها، مما جعلني أرى انتفاخ نهديها، والحدود الواهية لمشد صدر وردي، أسفل هذا القماش الكشميري الرفيع.. أخذت أفكر في طريقة لإطالة زيارتي، حيث يمكنني أن أطرح عليها مزيدًا من الأسئلة عن والدها، وعن حبها لنانسي درو، وعن وظيفتها في وينسلو، ولكني علمت أنه لا يجدر بي هذا.. فتلك ليست زيارة اجتماعية. نهضت، ونهضت لِيلِي بدورها أيضًا، وانتهى موغ من تناول طعامه وأتى وفرك جانب جسده بكاحل لِيلِي، ثم انطلق في الاتجاه الذي أتى منه.

قلت بعدما تذكرت سؤالًا أخيرًا كنت أنوي طرحه «آه، هناك شيء آخر.. أخبرتِني في المرة السابقة التي قابلتك بها أنك وميراندا عرفتما بعضكما البعض في الجامعة».

- «صحيح في جامعة ماذر في نيوشيستر، كونيتيكت».

- «أخبرتني ميراندا أنك سرقتي منها صديقها».

- «أخبرتك بهذا حقًا؟ حسنًا، كنا نواعد نفس الرجل. واعدته ميراندا أولًا، ثم أنا، ثم عاد لها مرة أخرى.. كانت الأمور فوضوية في ذلك الحين، ولكن حدث هذا قبل وقت بعيد».

- «إذن عندما التقيت تيد وأدركت أنه متزوج من ميراندا، وأنه لم يكن سعيدًا، ألم تظني أن فرصتك للانتقام قد جاءت؟».

- «خطر هذا على ذهني بالطبع. فقد راقَ لي تيد، ولم ترُق لي ميراندا، ولكن لا، ليس هذا ما كان بيني وبين تيد، فلم تربطنا علاقة عاطفية.. كنت مجرد شخص أحبَّ التحدث إليه».

سارت لِيلي معي داخل منزلها ثم للخارج حتى السيارة.. مدت لي يدها فصافحتها، لأجد راحة يدها جافة ودافئة.. وأثناء سحب يدي من يدها مررت أطراف أصابعها برفق في يدي، فتساءلت ما إذا كانت تقصد هذا، أم أني فقط أتخيل شيئًا بيننا لا وجود له.. فلم يخبرني وجهها بأي شيء.

قبل أن أدخل سيارتي، استدرت وسألتها «ماذا كان اسم هذا الصديق؟».

قالت «مَن؟».

«هذا الصديق من الجامعة الذي واعدتِه أنت وميراندا؟».

قالت بينما تتخلل وجنتيها بعض الحمرة «آه تقصد هذا الصديق».. ترددت قليلًا ثم قالت «كان اسمه إريك واشبيرن، لكنه توفي».

قلت «حقًا، وكيف حدث هذا؟».

«حدث هذا بعد تخرجه من الجامعة مباشرة.. مات إثر إصابته بصدمة حساسية، فقد كان يعاني من حساسية ضد الفول السوداني».

قلت وأنا لا أجد شيئًا آخر لقوله «حقًا.. أنا آسف».

قالت «لا تأسف، فقد حدث هذا قبل زمن طويل».

قدت سيارتي مبتعدًا، وفي أثناء توجهي إلى بوسطن، بدأ صف من السحب المنخفضة في إعتام الشمس.. كنا في وقت مبكر من الظهيرة، ولكني شعرت أننا في وقت الغسق.. كنت أعيد الحوار الذي دار بيني وبين لِيلي في رأسي.. صدّقتُ معظم ما أخبرتني به ولكني كنت لاأزال أشعر أنها كذبت عليّ. علمت أنها لم تخبرني ببعض الأمور تمامًا كما فعلت في المرة الأولى التي التقينا بها.. لكن لماذا؟ ولماذا ترددت لِيلِي في نهاية اللقاء عندما سألتها عن اسم صديقها الجامعي؟ فبدا وكأنها لا ترغب في أن تخبرني باسمه.. أخبرتني أن هذا حدث قبل وقت بعيد، ولكن هذا ليس صحيحًا. فكانت فقط في نهاية العشرينيات من عمرها.. إريك واشبيرن.. رددت الاسم عاليًا لنفسي لأتأكد أني لن أنساه.

الفصل الثاني والثلاثون

لِيلِي

بعد أسبوع من استجواب المحقق كيمبول لي للمرة الثانية، قدت سيارتي عائدة إلى مركز كونكورد.. كنت أتابع آخر التطورات في قضية مقتل الزوجين سيفرسون كل ليلة بالأخبار المحلية، بالرغم من أنه لم يكن هناك بجديد قط، وقد عرفت أنه لن يكون هناك. فلن يعثر أحد على براد داجيت، وقد راودني شعور جيد كوني أنا الكائن الوحيد في العالم الذي يعرف أين هو براد، وأنه لن يتم العثور عليه قط يحتسي شرابًا مسكرًا على أحد شواطئ الكاريبي.. فهو الآن جثة هامدة تتحلل فحسب في أجمة مهجورة، كنت أعرف هذا، وكذلك تعرف هذه الحقيقة الطيور والحيوانات التي تمر بهذا الطريق. فسوف تشم رائحته، وتظن أن حيوانًا ضخمًا قد نفق، وسوف يمضون قدمًا في طريقهم.

كان هذا هو أول أحد بعد انتهاء العمل بالتوقيت الصيفي، وقد كان الجو شديد البرودة عندما بدأ الصباح، وقد هبت ريح معبأة بالثلج أثناء الفجر، بيد أن هذه الثلوج اختفت بحلول الظهيرة. قدتُ السيارة ببطء بالطرق الخلفية من وينسلو وحتى كونكورد، بينما استمع إلى الموسيقى الكلاسيكية بإحدى محطات الراديو العامة. وصلت إلى كونكورد في منتصف فترة بعد الظهيرة، وأوقفت سيارتي في شارع مين. كانت الأرصفة مكتظة بالأشخاص: ينتظر حشد من العائلات أمام مطعم شهير؛ وأخذت نساء في منتصف العمر ترتدين ملابس رياضية تدخل وتغادر محلات المجوهرات. سرت ببطء حتى مونيومنت سكوير، عابرة التقاطع العريض للطرق حتى بلغت مدخل مدفن

أولد هيل.. مررت عبر شواهد القبور وصعدت متثاقلة الطريق المنحني بحدة وصولًا لأعلى التل.. لم يكن بالمقبرة شخص غيري.

اعتليت أعلى قمة بالتل، عابرة المقعد الذي جلست عليه أنا وتيد سيفرسون في آخر مرة التقيت به، منذ أكثر من شهر مضى، ونظرت إلى أسطح كونكورد.. لاحظت أن جميع الأشجار طرحت أوراقها الآن على عكس حالها عندما رأيتها آخر مرة، وكان بوسعي رؤية كل المسافة التي أتيت منها والمكان الذي أوقفت فيه سيارتي. وقفت لبرهة، بينما أرتدي معطفي الأخضر اللامع، مستمتعة بالعزلة، وصقيع هواء نيو إنجلاند، والمشهد الخلاب للمترجلين المسرعين المتوجهين لأداء مساعيهم في هذا الأحد إلا بساعة إضافية.. نظرت إلى المكان الذي تبادلت فيه القُبل مع تيد، وحاولت تذكر كيف شعرت حينها.. شفتاه الناعمتان على نحو غير متوقع، ويده القوية الكبيرة التي تحركت فوق معطفي.. بعد نحو خمس دقائق، وجهت انتباهي مجددًا للتل ومقابره الحجرية المتناثرة..

لقد دفعت الريح أوراق الأشجار الميتة لتتراكم في الأجزاء الخلفية من الأحجار. عدت أدراجي ببطء أسفل الطريق البلاطي، واخترت عشوائيًا قبرًا حجبته شجرة معقوفة بلا أوراق، وهبطت على ركبتي أمامه. كان يحمل اسم امرأة، إليزابيثماينوت، والتي ماتت في عام ١٧٩٠ في سن الخامسة والأربعين. كتب على شاهد قبرها «استقبلت موتها الطويل بطمأنينة وسعادة».. وقد رسم أعلى الحجر جمجمة مجنحة، فوقها جملة تقول: احذر الموت. بقيت جاثمة، أتفحص شاهد الضريح، متسائلة كيف كانت حياة إليزابيث ماينوت القصيرة الصعبة. إن ذلك لم يعد مهمًا في الحقيقة. فقد ماتت، ومات كل من كان يعرفها. ربما يكون زوجها قد خنقها بوسادة لينهي تعاستها، أو لينهي تعاسته هو. ولكنه رحل قبل زمن بعيد هو الآخر، ومات أطفالهم، وأطفال أطفالهم. اعتاد والدي أن يقول: كل مئة عام يأتي أناس جدد. لا أعرف بالتحديد لماذا قال هذا، أو ما الذي يعنيه هذا له - اعتقد أنها حكمة لتوخ الحرص من الموت - ولكني أعرف ما الذي تعنيه لي.

فكرت في الأشخاص الذين قتلتهم. شيت الرسام، والذي لازلت لا أعرف اسمه الأخير. إريك واشبورن، والذي مات قبل حتى أن تبدأ حياته.. وبراد داجيت المسكين، والذي أصبح تعيس الحظ منذ اللحظة التي وقعت فيها عيناه على ميراندا سيفرسون. شعرت بألم في صدري؛ والذي لم يكن بالشعور المعتاد، ولكني عرفت ما هو. لم يكن الأمر أني أشعر بالسوء أو حتى بالندم حيال ما فعلت. فلدي أسباب وجيهة لقتل كل واحد ممن قتلت. لا، إن هذا الألم نابع عن شعوري بالوحدة، ولأنه لا يوجد بشر آخرون في العالم يعرفون بما أعرف.

هبطت من فوق التل وعدت إلى المدينة، وشعرت بهاتفي الجوال وهو يتذبذب داخل حقيبتي. كانت أمي هي المتصلة.. «هل قرأت النيويورك تايمز يا حبيبتي؟»

قلت «أنا لا أشتري التايمز».

«حسنًا، هناك مقالة كاملة حول مارثا تشانغ. أنت تتذكرين مارثا، ألست كذلك؟ مدربة الرقص؟» وصفت لي المقال تفصيليًا، بينما تقرأ أجزاء منه عاليًا من أجلي.. جلست على مقعد البار المطل على شارع مين.

سألتها بعدما فرغت من كلامها «كيف حال أبي؟».

«استيقظ يصرخ في منتصف الليل بالليلة الماضية.. أخذت أفكر أنه ربما يرغب فقط في استدراجي إلى غرفة النوم، لكنه كان منهار حقًا.. فكان يرتعد ويبكي.. ذهبت لأحضر له بعض اللبن الدافئ، ولكنه كان قد عاود النوم عندما عدت له ثانية.. يبدو الأمر يا عزيزتي وكأن لدي طفل بالمنزل».

أخبرتها أن على إنهاء المكالمة، فأخبرتني بالمزيد من القصص عن أصدقاء لها لا أعرفهم.. وعندما أنهينا المكالمة، لاحظت أن الحشود حول المطعم الشهير قد تضاءلت، فدخلت المطعم وحصلت على قدح كبير من القهوة وغادرت.. تمشيت مرة أخرى، مارة مجددًا بفندق كونكورد ريفر إن حيث احتسيت بعض المشروبات مع تيد وخططنا لقتل زوجته.. كانت خطتنا لتنجح، فهي كانت شبيهة للغاية بما حدث في النهاية. حث براد على قتل ميراندا، ثم التأكد من

اختفاء براد للأبد، وأنه لن يتم العثور قط على جثته. كانت التفاصيل مختلفة بالطبع؛ حيث كنا سنلقي بجثته في المحيط في الوقت الذي أقود أنا شاحنته إلى بوسطن، وأتركها؛ حيث تتم سرقتها وتفكيكها، بيد أن النتيجة ستكون واحدة.

تمشيت عبر الشوارع الخلفية الهادئة، والمصطفة بالاستعماريين المهيبين، متوجهة إلى الجانب الخلفي من المقبرة التي كنت بها لتوي.. أخذت مجموعة من البستانيين في تنظيف أوراق الشجر من واحدة من أكبر الأفنية، بينما كان صبي في مرحلة ما قبل المراهقة يرمي كرة عاليًا في الهواء ليلتقطها مرة أخرى.. لم أر أحدًا آخر.. وصلت إلى شارع مسدود والذي تاخم الجانب الخلفي من المقبرة. قفزت فوق سور قصير واتكأت على شجرة وانتظرت.. كان بوسعي رؤية أعلى التل، وشواهد القبر المتناثرة حوله وكأنها مفاصل عمود فقري..

انخفضت الشمس في السماء بعد أن صارت أشبه بكرة بيضاء متلألئة خلف بساط من السحب. وضعت قهوتي قريبًا من صدري لأحافظ على دفئها. كان شعري مرفوعًا أسفل نفس القبعة التي ارتديتها في الليلة التي مات فيها براد وميراندا. تساءلت، ولم تكن تلك المرة الأولى التي اسأل فيها نفسي هذا، عما كان سيحدث بيني وبين تيد لو صارت الأمور كما خططنا لها. علمت أننا سنتورط في علاقة، ولكن كم من الوقت كانت لتدوم هذه العلاقة؟ هل كنت سأخبره بكل شيء؟ هل كنت سأشاركه حياتي؟ وهل هذه المعرفة - معرفة كل منا بتفاصيل حياة الآخر - كانت لتقوينا؟ أم أنها كانت لتقتلنا في نهاية المطاف؟ كانت لتقتلنا على الأرجح، هذا ما ظننته، على الرغم من أن الأمر كان سيبدو لطيفًا لبعض الوقت.. فكم كنت لأحب أن يكون لدي شخص أشاركه جميع أسراري.

أنهيت قهوتي، ووضعت الكوب الفارغ داخل حقيبتي المفتوحة، وانتظرت.

الفصل الثالث والثلاثون

كيمبول

اكتشفت أني لو أوقفت سيارتي عند مطعم دانكن دونتس لدى تقاطع الخمس طرق خارج مركز وينسلو، فسوف يكون بوسعي رؤية لِيلِي كينتنر وهي تقود سيارتها عبر طريق ليتون مبتعدة عن منزلها.. فسيارات قليلة للغاية هي التي تأتي عبر طريق ليتون، وكان من السهل رصدها داخل سيارتها الهوندا الحمراء.. ظللت أنتظر هنا يوميًا منذ لقاءنا الثاني، متتبعًا لِيلِي سبع مرات حتى الآن. فقد تتبعتها إلى ومن مكتبها في كلية وينسلو.. وتبعتها إلى متجر البقالة، وإلى سوق المزارعين عبر المدينة. وقد توجهت ذات مرة جنوبًا عبر الطريق الفاصل بين الولايات؛ وأظن أنها كانت ذاهبة إلى كونيتيكت لرؤية والديها، فعدت أنا أدراجي.. وفي المرات القليلة التي قادت فيها سيارتها إلى مركز وينسلو للقيام ببعض المهام، تبعتها سيرًا على الأقدام تاركًا بيننا مسافة كبيرة، ولم ألحظ شيئًا مريبًا؟

كنت أقوم بكل هذه الأمور تطوعًا، باستخدام سيارتي الشخصية السوناتا الفضية، دون أن أعرف ما الذي تمنيت تحقيقه.. فقط علمت في قرارة نفسي أن لِيلِي كينتنر كانت متورطة بشكل ما، وإني إذا ما واصلت مراقبتها، فقد أضبطها ترتكب خطأ ما.

أوقفت سيارتي لدى مطعم دانكن دونتس في عصر يوم الأحد وكنت على وشك الرحيل عندما رمقت سيارة لِيلِي الأكورد. انعطفت يسارًا عند شارع بروكس، وتوجهت شرقًا، بعيدًا عن مركز المدينة، فخرجت أنا من ساحة

الانتظار، بعد أن تركت نحو ثلاث سيارات تسير خلفها. كان موديل سيارتها الهوندا قديمًا بعض الشيء، وأكثر تربيعًا من السيارات الهوندا الأخرى التي تتواجد عادة على الطريق، ومن ثم يسهل رصدها.. تبعتها عبر طريق ستو ثم ماينارد، ثم إلى ويست كونكورد، محاولًا أن أبقي بيننا على الأقل سيارتين طوال الوقت.. فقدتها مرة واحدة أثناء عبورنا مركز ماينارد؛ حيث علقت خلف إحدى شاحنات UPS، ولكن كان تخميني في محله حيث ظلت على طريق ٦٢، والذي عثرت عليها به مرة أخرى.. قادت سيارتها حتى مركز كونكورد، وأوقفتها في شارع مين، وغادرتها.. كانت ترتدي معطفها الأخضر اللامع، والذي قامت بإغلاق أزراره حتى أعلاه.. راقبتها تسير نحو ما بدى أنه ملتقى طرق دائري ضخم، والذي يلتف حول متنزه صغير.

الشخص الوحيد الذي علم بأمر تعقبي لِيلي كينتنر كان جيمس شريكتي، بالرغم من أنها لم تكن تعرف كم مرة قمت بتعقبها. فهي لم تعرف بالتأكيد أني أوقفت سيارتي مرتين بعد حلول الظلام في طريق ليتون وشققت طريقي عبر الغابة لأتجسس على منزل لِيلي من أحد زواياه.. ظللت أراقبها لساعة كاملة في هذه الليلة أثناء جلوسها على مقعدها الجلدي الأحمر، بينما تعقد ساقيها أسفل الكتاب المنهمكة في قراءته. وأثناء القراءة كانت تعقف خصلة كبيرة من شعرها وهي شاردة الذهن حول إصبعها، بينما يتصاعد الدخان من قدح الشاي المجاور لها.. أخبرت نفسي كثيرًا أنه على الرحيل، لكني شعرت أني ملتصق بالمكان، وأنها حتى لو خرجت ورأتني، فلن أستطيع المغادرة.. لن أخبر جيمس قط بأي من هذا - فكانت ترتاب بالفعل في دوافعي. فقد سألتني الليلة الماضية عندما دعوتها لتناول الإسباجيتي والسكوتش «كيف تبدو؟».

قلت بعدما قررت ألا أكذب «إنها جميلة».

قالت جيمس دون أن تحتاج لإضافة شيء آخر «أجل».

قلت لها:

- «اسمعي، لقد كان إريك واشبورن صديقها الجامعي، وكان أيضًا صديق ميراندا سيفرسون، أو فايث هوبارت، كما كانت تُعرف حينها.. أخبرتني ميراندا أن لِيلي سرقت إريك منها، وأخبرتني لِيلي أن ميراندا سرقته منها.. ومات إريك جراء إصابته بنوبة حساسية من الفول السوداني في نفس العام الذي تخرج فيه من الجامعة، وقد كان بصحبة لِيلي في لندن في ذلك الحين».

- «هل تعتقدين أنها قتلته بالفول السوداني؟».

- «إن كانت قد قتلته بالفعل، فهذا يعني أنها ذكية حقًا. فنحن لا نستطيع أن نثبت أن واقعة كهذه لم تكن مجرد حادث».

أومأت جيمس آخذة رشفة من ويسكي ماكالان.

- «والآن، وبعد مرور سنوات تصبح صديقة زوج ميراندا، وربما كانا أكثر من مجرد صديقين، ليلقى بعد ذلك مصرعه قتلًا..».

- «لقد قتله براد داجيت.. نحن واثقون من هذا.. هل تعتقد أن لِيلي أيضًا كانت على علاقة ببراد؟».

- «كلا، لا اعتقد هذا.. فقط أعرف أنها كذبت عليّ، وأنها مصادفة كبيرة كونها تورطت بشكل ما في مقتل إريك واشبورن ومتورطة الآن في مقتل ميراندا».

- «يمكننا أن نأتي بها إلى هنا ونستجوبها أكثر.. هل سألتها إن كانت لديها حجة غياب في الليلة التي قتلت بها ميراندا؟».

- «لا، لم أسألها عن هذا.. أعني أننا نعرف أن براد هو من قام بقتل ميراندا.. هل من المحتمل أنها كانت تعرف براد طوال الوقت، وأنها حرضته على القيام بعمليتي القتل هاتين، والآن هي تعلم أين هو؟».

- «بالطبع، هذا محتمل، ولكن لماذا قد تفعل هذا؟ فالفتيات لا تعقدن العزم ببساطة على قتل الفتاة التي سرقت صديقهن في الجامعة».

قلت:

- «أجل، حسنًا».

- «هل هذا هو كل ما لديك: أجل، حسنًا؟».

ابتسمت جيمس «أجل، هذا هو كل ما لدي».. لم تكن تبتسم كثيرًا، لكنها عندما تفعل، تغير هذه الابتسامة وجهها من وجه صارم بعض الشيء إلى آخر يشع جمالًا. نحن شركاء في قسم الشرطة منذ أكثر من عام أو أكثر قليلًا.. وقد بدأت تلك الليالي التي نتناول فيها سويًا السكوتش والمكرونة منذ نحو ثلاثة أشهر.. وحتى الآن، كانت شراكتنا أعظم شراكة خالية من الجنس في حياتي..

ومنذ يومنا الأول ونحن ننخرط في نمط حواري سلس مليء بالشد والجذب يجعلني أشعر أننا صديقان منذ سنوات.. ولم أدرك سوى مؤخرًا أني لا أعرف الكثير عن روبرتا جيمس، باستثناء المكان الذي نشأت فيه (ساحل ماريلاند)، حيث ارتادت الجامعة (جامعة ديلاوير)، وحيث أقامت (الطابق الثالث من مبنى سكني مكون من ثلاث طوابق في واترتاون). ظننت في البداية أنها شاذة، ولكننا لم نتحدث عن هذا قط.. وعندما تطرقت إلى هذا الموضوع أخيرًا، في أولى الليالي التي نتناول فيها المكرونة معًا، قالت «أحب الرجال، ولكن فقط من الناحية النظرية».

«وهذا يعني أنك تفضلين النساء عمليًا؟».

«لا، أعني أني عزباء بكامل إرادتي، ولكن في حالة قررت ألا أكون عزباء، سأختار الرجال».

قلت لها دون أن أطرح عليها مزيدًا من الأسئلة، «فهمت قصدك يا جيمس».. كانت ذات نظرة حادة، والتي تناقصت حدتها قليلًا خلال هذا الحوار.

كنا نمضي معظم هذه الليالي التي نتناول فيها المكرونة والسكوتش في منزلي، بما أني أبالغ في شرب السكوتش، وعندما تكون جيمس هي المضيفة، فهي تجعلني دومًا أنام على الأريكة.. في إحدى هذه الليالي، نهضت من فوق الأريكة لأجلب لنفسي كوبًا من الماء، وعندما مررت الردهة عابرًا غرفة نوم جيمس، لاحظت أن بابها كان مفتوحًا بعض الشيء، بينما يتسلل ضوء أصفر من الداخل.. دفعت الباب قليلًا وأنا أناديها.. كانت جيمس تجلس على الفراش، وتقرأ كتابًا ورقي الغلاف.. كانت ليلة دافئة، وقد أخرجت إحدى ساقيها خارج الغطاء الذي يعلوها.. ارتدت نظارة قراءة، ونظرت إلي في حيرة من فوق النظارة.. قلت لها «ظننت أنك ربما تكونين بحاجة لبعض الرفقة بما أنك لا تستطيعين النوم».

لم أكن أعلم كيف ستستجيب جيمس لاقتراحي، لكني لم أتوقع على الإطلاق هذه الضحكة العميقة العالية التي استقبلتني بها.. رفعت يدي عاليًا وخرجت من الباب وأنا أقول «حسنًا، حسنًا».

حاولت أن تمنعني من الرحيل، ولكني عدت أدراجي سريعًا إلى الأريكة.. وفي الصباح، استيقظت جيمس فجرًا وجلبت لي قدحًا من القهوة. قالت وهي تعطيني القهوة.. «آسفة لأني ضحكت الليلة السابقة».

قلت «لا، أنا آسف لأجل هذه الزيارة المتأخرة بحجرة نومك.. كان ذلك غير لائق تمامًا».. كان صوتي أجش وبدت رأسي وكأنها موضوعة داخل منجلة.

- «اعتقد أنك فاجأتني تمامًا، بالإضافة إلى أن الفتيات هن من حاولن التودد إلى في الثلاث مرات السابقة، التي حاول فيهم أحدهم التودد لي.. بأية حال من الأحوال، أشعر بالسوء لما حدث».

- «يجب ألا تتضايقي، فأنا من حاولت تجاوز الحدود، كما أننا شريكان جيدان في العمل، فلمَ قد نفسد هذا؟».

- «أجل، لم قد نفسد هذا؟».

كان هذا كل الحوار الذي دار بيننا حول هذا الأمر.. ظللنا نشعر بالإحراج من أحدنا الآخر في العمل لفترة من الوقت، ولكن ولت هذه الفترة بسلام.. والآن عاودنا اجتماعاتنا الدورية، ومناقشاتنا لحياتي العاطفية.

قالت جيمس وهي تصب لكل واحد منا كأسًا من الإسكوتش «أتخطط إذن لتعقبها مرة أخرى غدًا؟».

قلت «لا أعرف، فربما ينبغي على أن أفوت يومًا دون مراقبتها».

«ربما يجب عليك هذا، فبالرغم من أني أعلم كم أنت بارع، ولكنها مسألة وقت فقط قبل أن تراك، وتتقدم بشكوى».

قلت وأنا أعلم أني لن أستمع لنصيحتها «أنت محقة».

عندما بلغت لِيلي نهاية شارع مين، بالقرب من ملتقى الطريق الدائري، غادرت سيارتي وشرعت في تعقبها سيرًا على الأقدام. شاهدتها وهي تعبر التقاطع العريض، وتشق طريقها نحو كنيسة بيضاء مربعة، كان برجها مجدولًا داخل سقالة، قبل أن تنعطف يمينًا وتدخل مقبرة تعلو تلًا.. كانت تبعد عني نحو مائتي ياردة ولكن كان يسهل رؤيتها لارتدائها هذا المعطف الأخضر.

شاهدتها وهي تسير ببطء أعلى طريق المقبرة.. ظلت تتجول لبرهة، بينما تختفي من حين لآخر خلف السطح الأردوازي لمنزل حجري قديم ذي سقيفة.. أشعلت سيجارتي، ومرت بي فوق دراجتها سيدة في منتصف العمر ترتدي ملابس ركوب العجل المصنوعة من قماش ألياف الدنّة والتي رمقتني بنظرة جعلتني أشعر أني قتلت أطفالها.. أبقيت عيني على المقبرة، لأتمكن في النهاية من رؤية لِيلي ثانية، وهي تسير أعلى التل.. لا بد أنها عثرت على القبر الذي تبحث عنه، حيث وقفت عند شاهد قبر أسفل شجرة معقوفة. جثمت وأخذت تقرأ الكلام المحفور فوقه، محافظة على هذه الوضعية لفترة قبل أن تنهض وتهبط من فوق التل.. تساءلت لمن هذه المقبرة، وإن كان هذا يعني أي شيء.

عندما بلغت لِيلي الرصيف المقابل للمقبرة، وبدأت في عبور مونيومنت سكوير تجاهي، تراجعت للوراء، عابرًا شارع مين، لأدلف متجر ملابس نسائية غالية الثمن ذي واجهة زجاجية. تظاهرت أني أتفحص مجموعة من الأوشحة - والتي يصل سعرها جميعًا لسعر سيارة مستعملة بحالة جيدة - وأبقيت عيني على لِيلي، والتي توجهت صوب أريكة حجرية، حيث أخذت تتحدث عبر الهاتف الخلوي.. كنت قريبًا كفاية لأرى أن خصلة من شعرها الأحمر قد سقطت من داخل قبعتها الداكنة.

قالت صاحبة المتجر، والتي أصبحت فجأة على بعد بوصتين ورائي «كلها مصنوعة من الكشمير».

أجفلت قليلًا وقلت «إنها جميلة حقًا، وناعمة للغاية».

«هذا صحيح».

ابتعدت عن الأوشحة، وأخذت أتفقد المتجر الصغير لبعض الوقت.. بدت لِيلي وكأنها ستمكث على الأريكة لبعض الوقت.. بعد مضي بضع دقائق شكرت السيدة التي تعمل هناك وخرجت متوجهًا صوب الرصيف.. اختفت لِيلي، فانتابني القلق عسى أن تكون قد عبرت الطريق ناحيتي كي تتسوق وأنني سألقاها عرضيًا، لذا ابتعدت عن المتاجر..

ما أردت فعله حقًا هو أن أسير أعلى المقبرة التي تعلو التل وألقي نظرة على شاهد القبر التي كانت لِيلي تقرأه باهتمام. فكان هذا القبر يقع أسفل شجرة كبيرة ملتوية والتي برزت من قمة التل، وكنت واثقًا أني سأستطيع العثور عليه. ولكن من الأفضل لي أن أذهب إلى المقبرة في وقت أكون واثقًا أن لِيلي لن تراني هناك. قررت الانتظار.

نظرت حولي نظرة طويلة من المكان الذي أجلس فيه، وكانت لِيلي قد اختفت، فبدأت أزداد توترًا ظنًا مني أنها ستظهر فجأة وتراني.. قررت أني لست بحاجة لأن أعثر عليها مرة أخرى، لذا نهضت وابتعدت عن مركز كونكورد. مررت بفندق قديم ذي سقف رمادي يدعى كونكورد ريفر إن، والذي

تصاعد الدخان من مدخنته وبدا أنه من نوعية الأماكن التي يوجد بها حانة، فدخلت.. كانت هناك غرفة طعام في الأمام تحتوي على مفارش طاولات بيضاء وجدران مغلفة بورق حائط مزخرف، ولكن كان بوسعي سماع أصوات آتية من الجزء الخلفي من الحانة..

سرت خلال ردهة ذات سقف خفيض ووجدت بارًا صغيرًا، والمحشور داخل مكان ليس أكبر كثيرًا من مكان إيقاف سيارة. مسحت الغرفة بعيني سريعًا لأتأكد أن لِيلِي ليست موجودة بها.. كان هناك زوجين من الأشخاص ينهون وجبات غدائهم المتأخرة، ورجل يجلس وحيدًا يقرأ الجريدة ويشرب زجاجة من جعة الجرولش.. جررت أقدامي وهممت بالجلوس على واحد من المقاعد الخشبية غير المريحة لدى البار القصير، وطلبت بودينجتون من قائمة الطعام. تمثلت خطتي في شرب بيرتي ببطء، ثم العودة وتفقد شاهد القبر الذي كانت لِيلِي تنظر إليه..

لم أتوقع أن أعرف الكثير من خلال هذا الشاهد، والذي لن يكون أكثر من مجرد شاهد ضريح لشخص مات قبل مائتي عام في مثل هذه المقبرة القديمة.. لكن دفعني فضولي لتفقده. فقد أخذت تحدق لِيلِي باهتمام إلى الكلمات التي نقشت فوقه وأردت أن أعرف السبب.. فكرت في عشائي مع جيمس بالليلة الماضية، وتحذيرها الذي لم تصيغه بالكلمات بأني صرت مهووسًا بـ لِيلِي كينتنر بطريقة غير مهنية. ربما هي محقة.

أخذت رشفة من البيرة، وتناولت عودًا من أعواد البريتزل الموجودة على البار، وأخرجت قلمًا من جيب معطفي. وعلى أحد المناديل القماشية الموجودة على البار نقشت واحدة من قصائدي الفكاهية.

ذات مرة كان هناك شرطي يدعى كيمبول الخطير..

والذي كان له عقل صغير..

حيث تتبع فتاة..

حول كل العالم وكل مكان.

أملًا منها أن تكون ماهرة عندما يكون في الإمكان..

أن يمارس معها الجنس في أي زمان..

جعدت المنديل ودسسته داخل جيب معطفي.. أخذت منديلًا جديدًا من الكومة الموجودة على البار وحاولت مرة أخرى.

ذات مرة كانت هناك فتاة ذات شعر أحمر غير عادية..

والتي وددت أن أراها عارية..

فرصة حدوث هذا كانت واحد في المليون..

ولكني سأرضى بملابس داخلية من الدانتيل الحنون.

جعدت هذا المنديل كذلك ودسسته داخل جيبي إلى جوار المنديل الآخر، ثم واصلت شرب البيرة.. شعرت فجأة بمدى سخافتي - ليس لأجل هذه القصائد الفكاهية البشعة التي أكتبها - ولكن لهوسي بتعقب امرأة متورطة بشكل واضح في جريمة دون أن أخبر قسم الشرطة لدي..

كانت جيمس محقة.. فإن كنت أظن أن لِيلي تخفي شيئًا، فينبغي على ببساطة أن أجلبها إلى قسم الشرطة واستجوبها.. وسوف تقتصر في أغلب الظن درجة تورطها في القضية على حقيقة أن تيد سيفرسون وقع في غرامها قبل مقتله بفترة وجيزة.. لقد كذبت على بسبب وضع والدها الباعث على التوتر، تلك الشخصية العامة المعروفة التي تورطت في حادث قتل هي الأخرى. وهي لم تكن على أدنى صلة ببراد داجيت الذي قتل كلًا من تيد وميراندا بمفرده، واختفى من على وجه الأرض..

كانت آخر نظرية توصلنا إليها أنه بعد قتله تيد، ابتز ميراندا على الأحرى، مصممًا على أن يتم تسليم المال داخل المنزل غير المكتمل. وهذا يفسر لماذا التقيا في وقت متأخر من الليل، وقد يفسر لماذا نجح براد في الاختفاء بهذه الطريقة - فمبلغ كاف من المال سيجعل هذا الاختفاء أمرًا يسيرًا. أنهيت بيرتي ودفعت ثمنها.. سأهم بمغادرة الحانة، وأعود إلى سيارتي، عائدًا إلى

بوسطن، وغدًا سوف أتحدث مع مشرف عملي، واسأله ما إذا كان يظن أن استدعاء لِيلِي للاستجواب بمثابة فكرة سديدة أم لا. وإن وافقني الرأي أن الأمر يستحق المحاولة، سوف أطلب من جيمس استجوابها معي.. وإن ظن أني أضيع وقتنا سدى، إذن ربما انتظر أسبوعا، واتصل بـ «لِيلِي»، وأرى إن كانت ترغب في الذهاب معي لاحتساء شراب.

مررت مرة أخرى بباب الحانة المنخفض، وقد لاحظت أن الظلام قد حل بعض الشيء في خلال نصف الساعة التي أمضيتها تقريبًا في الداخل.. ذكرت نفسي بأن التوقيت الصيفي قد انتهى، وأن الغسق سيأتي مبكرًا.. أثناء توجهي صوب سيارتي، أخذت أتطلع طويلًا للمقبرة القابعة فوق التل.. كانت شاغرة، وفي خلال هذا الضوء الواهي استطعت أن أرى الشجرة وضريح القبر؛ إلقاء نظرة صغيرة لن تضر أحدًا.. عبرت التقاطع الضخم، ووجدت المدخل الصغير إلى الجبانة.. أخبرني حجرًا جديدًا مصنوعًا من الجرانيت المصقول أن هذه المقبرة تدعى أولد هيل، فسرت أعلى الطريق المنحدر صوب الشجرة، والتي خدشت فروعها الخالية من الأوراق السماء ذات اللون الحجري..

وجدت شاهد القبر التي كانت لِيلِي تفحصه باهتمام، فجثمت كما فعلت، وقرأت الكلام المحفور. السيدة إليزابيث ماينوت، توفيت عام ١٧٩٠. تساءلت فجأة ما الذي كنت آمل العثور عليه بصعودي هنا.. مررت إصبعي على النقش البالي. كان شاهد قبر جميل، يعلوه تمثال لملاك، مرفق به عبارة: احذر من الموت.. ارتعدت قليلًا، فنهضت، لتصدر كلتا ركبتيّ أصوات طقطقة.. سبح رأسي قليلًا داخل ضوء الغسق منعدم اللون. بدأت ريح قوية في دفع أوراق الشجر المتساقطة أعلى التل. لقد حان وقت عودتي للمنزل.

سمعت صوت تقصف فرع شجرة آت من الناحية الأخرى من التل، فاستدرت لأجد لِيلِي كينتنر واقفة على بعد خطوات وهي تضع يديها داخل جيبي معطفها الكبيرين، وهمت بالتحرك نحوي. بدا وجودها غير حقيقي، وكأنها شبح، فابتسمت دون أن أدري ماذا عساي أن أفعل سوى هذا.. هل يجب

أن أعترف لها أني كنت أتعقبها؟ أم هل يجب أن أتظاهر أن هذه هي مجرد صدفة؟

ظلت تتحرك نحوي حتى بات يفصلنا بضع بوصات.. ظننت للحظات أنها ستقبلني، لكنها قالت هامسة «أنا آسفة».

شعرت بضغطٍ لاذع داخل ضلوعي، وعندما نظرت للأسفل رأيت يدها داخل القفاز تدسّ سكينًا للأعلى بداخلي، للأعلى نحو قلبي.

مكتبة
t.me/t_pdf

الفصل الرابع والثلاثون

لِيلِي

من موقعي أسفل شجرة كستناء الحصان على أطراف الجبانة، رمقته يقف وحيدًا فوق قمة التل.. كان ضوء النهار يذوي سريعًا، ولكني كنت متيقنة من أنه المحقق كيمبول.. شاهدته وهو يجثم، ويلقي نظرة على شاهد القبر، نفس الشاهد الذي تفقدته، للراحلة السيدة ماينوت.

انتظرت دقيقة ونفضت ذراعي لأجعل الدماء تسري خلالهما، ولتهنئة نفسي على السهولة الكبيرة التي نجحت في استدراج كيمبول بها إلى هذه البقعة المنعزلة، قبل وقت الغسق تمامًا.. مع بدء تحركي تجاهه، بدأت انظر حولي للتأكد من عدم وجود أي زائرين آخرين للجبانة. ولكننا كنا وحدنا.

وبعد أن أصبحت المسافة الفاصلة بيننا أقل من خمس ياردات، خطوت فوق فرع شجرة ساقط على الأرض، فاستدار ناحيتي.

كانت بندقيتي الصاعقة تستقر في جيب، بينما دسست سكين تقطيع اللحم خاصتي في الجيب الآخر. تمثلت خطتي في مباغتة المحقق كيمبول أولًا، ثم طعنه، ولكن رؤيته لي جعلته متفاجئًا، ومتحيرًا للغاية، مما مكنني من الاقتراب كثيرًا منه وطعنه بالسكين بين ضلوعه، مع عقف السكين كي يصل لقلبه.

كان الأمر غاية في السهولة.

شحب وجهه، وشعرت بالدماء الدافئة وهي تنسال على يدي.

وأثناء إغلاق كل منا لعينيه، وبينما أنا عاجزة عن سماع أي شيء سوى دقات قلبي داخل أذني، لم أستطع سماع وقع الأقدام القوي المتسلق التل إلى يساري.. صاح صوت امرأة وسط الريح العاصفة «ابتعدي عنه وارفعي يديك للأعلى».

استدرت لأرى أمامي امرأة طويلة سوداء ترتدي معطفًا طويلًا ضيقًا تتسلق التل وتحمل مسدسًا بكلتا يديها.. كان معطفها المفتوح يتطاير خلفها كالسوط، مصدرًا صوت فرقعة من أثر قوة الرياح.. تركت سكيني فسقط كيمبول على كلتا ركبتيه، لتطقطق إحداهما بصوت مرتفع على إحدى البلاطات.. رفعت كلتا يدي وأخذت خطوة للوراء، وراقبت عيني السيدة وهي تحدق في كيمبول أثناء تقدمها للأمام.. رأت السكين البارزة من بين ضلوعه وبدأت في التحرك بمزيد من السرعة، لتصل إلى كيمبول وهي تلوح ناحيتي بالمسدس بيد واحدة. «استلق على الأرض اللعينة الآن. ووجهك ناحية الأرض». كان بمقدوري سماع الأدرينالين يتدفق عبر جسدها وهي تتحدث، فامتثلت لأوامرها، واستلقيت فوق الأرض الباردة الصلبة للجبانة.. لم تكن لدي أدنى نية للمقاومة، أو الهروب، فقد ضُبطتُ متلبسة.

«فقط استلق هنا يا عزيزي ولا تتحرك. اترك السكين في مكانه، حسنًا؟» كان صوت المرأة منخفضًا وأشبه بالهرهرة أثناء تحدثها إلى كيمبول، فأدرت رأسي حتى أستطيع مشاهدة ما يجري، فوجدتها تضرب أرقام بسرعة على هاتفها الخلوي، بينما لا تزال توجه المسدس نحوي. اتصلت برقم الشرطة ٩١١، وطلبت سيارة إسعاف لتأتي إلى «مقبرة لعينة ما في مركز كونكورد.. إنها تقع فوق تل».

عرفت نفسها بأنها المحققة روبرتا جيمس من شرطة بوسطن وأخبرت المرسل أن هناك ضابط مصاب. أنهت المكالمة وتفحصت المحقق كيمبول سريعًا - «لا تبدو إصابتك سيئة يا هينري، فقط ارقد دون حراك» - ثم استدارت لتواجهني.. سمعت صوتًا حادًا صادرًا عن سحبها السريع لحزامها من حلقات معطفها.. وضعت ركبتها في منتصف ظهري وهبطت بوزنها كله

فوقي.. شعرت بطرف مسدسها البارد وهو يضغط على عنقي، وقالت «لا تمنحيني سببًا لعينًا لأقتلك، فلتضعي يديك خلف ظهرك».

انصعت لأوامرها، فربطت بيد واحدة وبإحكام كبير وحنكة بالغة حزامها حول معصمي، وقالت «حاولي أن تتحركي، وسوف أطلق النار على رأسك»، فأرخيت جسدي، بينما دفعت الريح ورقة شجر متجعدة على وجنتي.. أغلقت عيني وأخذت أفكر بينما يتملكني الذهول والرعب كيف أن حياتي انتهت، وكنت أستطيع سماع صوت المحققة الخفيض وهي تهمهم إلى كيمبول، والذي قال لها شيئًا بدوره ولكني لم أتمكن من سماع الكلمات.. الآن بعد أن فُضح أمري، لم يعد لدي سبب يجعلني أرغب في موته. في الواقع، لقد تمنيت أن يعيش، وظننت أنه سينجو في الغالب، حيث إنني لم أدفع السكين لآخره داخل جسده. سمعت صوت صافرة إنذار سيارة الإسعاف قادمًا من بعيد، وانصت بينما تخبره المحققة كيمبول أنه سيكون على ما يرام، وأنه سيعيش.. فتحت عيني لأجد أن خصلة من شعري تعوق رؤيتي، ولكن كان بمقدوري أن أرى جزءًا من الصورة التي ارتسمت أمامي: المحقق كيمبول راقد أمام مقبرة إليزابيث ماينوت، وتعلوه السيدة، وهي تضغط بيدها على صدره كي تبطئ نزيف الدم. أظلمت السماء لتصير اردوازية اللون، لتبدأ أضواء سيارة الإسعاف الواهية والخفاقة في إضاءة المشهد.

بعد أربع وعشرين ساعة رفضت محكمة مقاطعة ميديلسيكس إطلاق سراحي بكفالة.

قالت المحامية التي كلفتها الولاية بالدفاع عني «سنحاول مرة أخرى أن نخرجك من هنا بكفالة». كانت تدعى ستيفاني فلين، وتبلغ من العمر خمسة وعشرين عامًا تقريبًا وذات قسمات وجه صغيرة وجميلة، بيد أن أظافر أصابعها كانت مقضومة بحدة وبدا أنها لم تحظ بنوم جيد منذ سنوات.

اصطحبتني إلى زنزانتي قائلة: «سنعقد جلسة مراجعة كفالة ولن يكون في مقدورهم احتجازك أكثر من هذا، ليس في ظل هذه الظروف».

قلت لها «لا بأس، فقد بذلت قصارى جهدك، وأنا مدركة أني طعنت شرطيًا».

قالت ستيفاني وهي تحدق بي بشدة عبر نظارتها الأنيقة «ضابط شرطة يتحرش بك ويتتبعك.. وبالمناسبة، لقد تخطى مرحلة الخطر، وغادر وحدة الرعاية المركزة لتوه».

قلت «هذا خبر جيد».

نظرت محاميتي إلى ساعتها، ووعدتني بأنها ستعود غدًا في نفس الموعد.. كان بمقدوري تكبد أتعاب محام خاص أو أن أطلب من والدي إرسال محامي، ولكني اخترت بمحض إرادتي أن تعين الولاية لي محاميًا، وفي هذه اللحظة بالتحديد، أشعر بالرضا عن هذا القرار.

بعد أن غادرت، استلقيت مرتدية بذلة السجن ذات اللون الأخضر الداكن فوق سريري.. سلمتني غدائي شرطية ترتدي بزة رسمية، وكان الغداء مكونًا من شطيرة من برجر اللحم المضاف إليها تشكيلة من الخضروات.. لم أكن جائعة للغاية ولكني تناولت جزءًا صغيرًا من البرجر، وشربت عصير التفاح الموجود في الكوب البلاستيكي الذي أتى مع الوجبة..

أعدت ملأ الكوب بماء فاتر من الصنبور القابع داخل زنزانتي وشربت عدة أكواب، ثم استلقيت ثانية على سريري.. اتصلت بوالديَّ أخيرًا هذا الصباح من هاتف بعملة معلق على الجدار بنهاية الردهة، وسيأتيان في أقرب وقت. كنت أنعم ببعض الهدوء قبل أن يأتيا. في اليوم السابق، وفي الوقت الذي تمددت فيه بلا حراك وبهدوء كالموتى المحيطين بي في مقبرة أولد هيل، حينما أتت أول سيارة إسعاف ليتبعها العديد من السيارات ثم أسطول صغير من سيارات الشرطة، فكرت فيما سأقول عندما يستجوبني رجال الشرطة لاحقًا.. فكرت في أن أقول الحقيقة، الحقيقة كاملة، حول الجثتين بالبئر، وما حدث مع إريك واشبورن في لندن، وتورطي في مقتل تيد وميراندا سيفرسون وبراد داجيت..

تخيلت كيف سأشعر عندما أعترف بكل هذا وتصورت الأعين الباردة المذهولة التي ستكون مسلطة على أثناء سردي هذه الحكايات، ثم تخيلت كيف سينقلب هذا الذهول على لبقية حياتي، وكل هذه السنوات التي سأمضيها في السجن.. ابنة ديفيد كينتنر التي ارتكبت كل هذه الأفعال الشائنة. سأكون بمثابة خبر الموسم ومحط انتباه الجميع، وسوف يحتشد الكثيرون لتأليف كتب حولي، وسوف أفقد هويتي للأبد.

لذا فكرت في قصة مختلفة، واحدة أبسط كثيرًا من الحقيقية.. سأخبر الجميع أني صرت مذعورة حقًا من المحقق هينري كيمبول، والذي ظل يتعقبني منذ أكثر من أسبوع. سأخبرهم أني رأيته عدة مرات - وهو ما حدث بالفعل - وأني بدأت أخشى على حياتي منه.. وإن سألوني لماذا لم تبلغي الشرطة، سأخبرهم أنه هو الشرطة. سأخبرهم كذلك أني اعتدت التجول حاملة بندقيتي الصاعقة وسكيني الصغير، وفي اليوم الموعود، توجهت إلى مقبرتي المفضلة في كونكورد، وعندما رأيته هناك، تملك مني الذعر، وهاجمته بسكيني. علمت أني ما كان ينبغي على ذلك، لكني لم أتمكن حينها من التفكير بشكل سليم.. كانت لحظة جنون وليدة التوتر الذي استشعرته.

وكانت تلك هي القصة التي رويتها بالفعل، أولًا لضابط الشرطة الذي استجوبني في مخفر شرطة كونكورد، ثم للمحققة روبرتا جيمس، المرأة التي أنقذت حياة المحقق كيمبول.. حاولت أن استخلص من هذا الاستجواب ما إن كان كيمبول والمحققة تناوبا على تعقبي أم أنها اقتحمت المشهد على حين غرة. لقد كنت واثقة تمام الثقة أن كيمبول يتعقبني من تلقاء نفسه، وليس بصفته المهنية.. فبات جليًا أنه صار مهووسًا بي، وأنها مسألة وقت فقط قبل أن يشرع في تفحص كل جانب من جوانب حياتي..

كنت قد أعطيته بالفعل اسم إريك واشبورن، وقد قام دون شك بمراجعة السجلات واكتشف أننا كنا معًا عندما فارق الحياة.. أصبت بالهلع بعض الشيء، وخطرت لي فكرة استدراجه إلى مكان منعزل والقضاء عليه، وما شجعني على تنفيذ فكرتي هو أنه كان يتعقبني من تلقاء نفسه.. فكرت في

الجبانة التي قابلت فيها تيد سيفرسون، والتي لم يسبق لي قط أن رأيت أحدًا بها، بالرغم من كونها مكان مفتوح. فإن تتبعني المحقق كيمبول إلى كونكورد، سيستطيع رؤيتي في الجبانة من المدينة بالأدنى.. سأظل محدقة لوقت طويل بقبر من القبور، وأتمنى أن يأتي لتفقده، وسأكون أنا بانتظاره.

كان كل شيء يسير على أكمل وجه، حتى ظهرت المحققة جيمس.

كنت متأكدة أن قصتي منسوجة الخيوط بشكل جيد، وأنه سيزج بي في السجن لفترة وجيزة أو ربما يضعوني في مصحة نفسية، لكني لم أظن على الإطلاق أنهم قد يحبسونني لفترة طويلة.. كان أكثر ما يؤرقني هو ما سيقدرون على كشفه في قضية مقتل ميراندا واختفاء براد.. ليس لدي حجة غياب بهذه الليلة، ولكن ما الذي سيجعلني بحاجة لحجة غياب؟ فقد وقعت جريمة القتل في وقت متأخر من ليلة الثلاثاء، وأنا أعيش بمفردي.. وحتى إن استجوبوا أمي، لا أعتقد أنها قد تأتي على ذكر زيارتي لمدينة مين التي تقع جنوبًا. فهي لن تتذكر ذلك الأمر في الغالب.

في الوقت الذي كنت أفكر فيه بوالدتي، سمعت صوت فتح المفصل غير المزيت للباب الكائن في نهاية الردهة، وتعرفت على الفور على صوت أمي المرتاع.. سمعت عبارة إطلاق السراح بكفالة وكلمة سخيف.. نفس الشرطية التي جلبت لي غدائي جاءت مصطحبة والديّ حتى الباب المزود بقضبان لزنزانتي.. بدت أمي غاضبة للغاية، وبدا والدي عجوزًا وخائفًا.. قالت أمي «آه يا حبيبتي».

بعد مضي ثلاثة أيام، وفي اليوم السابق لجلسة مراجعة كفالتي، اُصطحبت إلى حجرة استجواب، بعدما تناولت إفطاري المكون من البيض المطهو في الفرن والبطاطا.. أخذوني إلى هذه الحجرة التي استجوبوني فيها من قبل والتي تشبه الصندوق الخالي من النوافذ، كانت مطلية بلون أبيض رديء خشن.

دخلت المحققة جيمس؛ لتعلن عن حضورها والوقت الحالي للكاميرا المعلقة بأعلى زاوية في الحجرة.

سألتني بعدما جلست «كيف حالك يا آنسة كينتر؟».

قلت لها «حالي سابقًا أفضل من حالي الآن.. كيف حال المحقق كيمبول؟».

سكتت قليلًا وهي تزم شفتيها وضبطتها، وهي تنظر قليلًا ناحية الزجاج أحادي الوجه الذي يمتد عبر أحد جدران الحجرة، فتساءلت ما إذا كان يشاهد هذا الاستجواب.

قالت «إنه يتعافى، وهو محظوظ حقًا أنه نجا».

أومأت برأسي مفضلة ألا أقول شيئًا.

«لدي بعض الأسئلة الإضافية التي أود طرحها عليك يا آنسة كينتر.. أولًا، لقد قلت في الاستجواب السابق أنك لمحت المحقق كيمبول وهو يتتبعك مرات عديدة قبل اليوم الذي ارتحلت فيه إلى كونكورد لزيارة المقبرة.. هل يمكنك أن تخبريني متى كانت هذه المرات بالتحديد؟».

أخبرتها عن المرات التي رأيت فيها المحقق كيمبل يتعقبني.. مرة في وسط مدينة وينسلو، ورأيته مرة داخل سيارته يقودها ببطء أمام منزلي.. سألتني عن علاقتي بتيد سيفرسون، والأسباب التي دفعتني للذهاب إلى كينويك بعد موته، فأخبرتها بنفس الأمور التي سبق ورويتها لكيمبول.

قالت «إذن فما تخبريني به هو أنه كان بحوزتك معلومة جوهرية بشأن جريمة قتل وقعت بالفعل، واخترت إخفاء هذه المعلومة عن الشرطة والذهاب في التحقيق في الواقعة بنفسك؟ ولاحقًا، عندما كان محقق يقوم بعمله فحسب، وظننتِ أنت أنه يتعقبك ويتحرش بك، قررت أن تقتليه؟ إن لديك بعض الحلول المثيرة حقًا للمشكلات التي تواجهينها».

«أنا لم اتخذ قرارًا بقتل المحقق كيمبول».

«حسنًا، لقد اتخذ قرارًا بطعن نفسه بالسكين».

لم أقل شيئًا، فأخذت المحققة جيمس تحدق في عيني عبر الطرف الآخر من الطاولة. تساءلت ما إذا كانت هناك علاقة عاطفية تربط بينها وبين

كيمبول، ولكني اعتقدت أن ذلك احتمال بعيد.. كانت جميلة إلى حد ما وتتمتع بمواصفات عارضات الأزياء من حيث التكوين العظمي والقامة الطويلة، لكنها بدت شرسة وضارية نوعًا ما. ربما تبدو هكذا فقط نظرًا للطريقة التي تحدق بها إلى الآن، وكأني شفافة وتستطيع أن تنظر خلالي إلى الناحية الأخرى.

خيّم الصمت لبعض الوقت، وظننت أنه لم يعد لدى المحققة جيمس مزيد من الأسئلة، لكنها قالت «أخبرني المحقق كيمبول أنك تحدثت إليه قبل أن تطعنيه مباشرة. هل تتذكرين ما الذي قلتِه؟».

كنت أتذكر ما قلت بالطبع، ولكني هززت رأسي ببساطة، قائلة «لا أتذكر شيئًا تقريبًا مما حدث في عصر هذا اليوم. اعتقد أن عقلي محى هذا الوقت من تلقاء نفسه».

قالت قبل أن تنهض وتغادر الحجرة «وهذا من حسن حظك بالطبع».

تُركت وحدي لما يقرب من ثلاثين دقيقة تقريبًا، حيث لم ألبس ساعة يد ولم تكن هناك ساعة حائط بالحجرة، لذا لم أكن متأكدة كم مضى من الوقت.. ظللت جالسة في مقعدي، وحاولت جاهدة ألا أرسم أية تعبيرات على وجهي، فقد علمت أنهم يراقبونني عبر الزجاج، ويحللونني، ويتحدثون بشأني.. بدا الأمر وكأني رُبِطتُ عارية، لتبدأ مخالب قذرة في مهاجمتي. لكني أيقنت أني إذا تمسكت بروايتي، وإذا لم يعثروا قط على جثة براد، فلن يستطيعوا احتجازي هنا للأبد.. سوف أستعيد حياتي مجددًا، أو أي شكل آخر من أشكال الحياة. ولن ارتكب قط نفس الأخطاء ثانية. لن أدعُ الناس إلى حياتي، فقد أحدث هذا قدرًا كافيًا من المشكلات.

فُتح الباب ليدخل المحقق كيمبول، الذي ارتدى زيه المعتاد، سترة واسعة خشنة الملمس وبنطال جينز، لكنه لم يحلق لحيته منذ أسبوع تقريبًا، وكان شاحب البشرة. تحرك بحذر شديد صوب المقعد، لكنه لم يجلس، بل وضع يده على ظهره فحسب ورمقني بنظرة مغلفة بالفضول أكثر من الغضب.

قلت:

«مرحبًا أيها المحقق».

قال:

- «أعلم أنك تتذكرين ما قلتِه لي، قبل أن تطعنيني مباشرة».

- «لا أتذكر.. ماذا قلت؟».

- «قلتِ أنا آسفة».

- «إن كنت قد سمعتني أقول هذا، فحسنًا».

- «لماذا قد تتأسفي إن كنت تخافين مني، وإن كنت تظنين أني أترصدك؟».

هززت رأسي لأؤكد أني لا أعرف.

قال «سوف أكتشف ما لا تريدين مني اكتشافه.. لا أعرف ما هو هذا الشيء أو أين هو، ولكني سأكتشفه».

قلت وأنا أحدق بعينيه، «أتمنى أن تنجح في مسعاك».. اعتقدت أنه سيتوقف عن التحديق بي، لكنه لم يفعل، فقلت وأنا أعني ما أقوله حقًا «أنا سعيدة أنك بخير».

«حسنًا، في هذه المرحلة، كوني بخير سيكون في صالحك».

لم أقل أي شيء آخر، وظل هو يحدق بي، فبحثت عن الكراهية في عينيه، ولكني لم أجدها.

دُفع الباب بشدة ليُفتح مصدرًا صوتًا عاليًا ودخل رجل يرتدي حلة لم أره من قبل. كان في منتصف العمر، وبدينًا، وذا شارب رمادي اللون. «فلتغادر الآن أيها المحقق». ابتعد عني المحقق كيمبول ببطء، ثم غادر الحجرة سريعًا بينما يمسك الرجل الباب من أجله. وقبل أن يُغلق الباب خلفهما، سمعت صوت الرجل العالي مجددًا «يا إلهي، ماذا بحق الجحيم كنت..». ثم خيم الصمت مجددًا.

في هذه الليلة بعد أن أعادوني إلى زنزانتي، زارتني محاميتي، التي جذبت مقعدًا ووضعته خارج قضبان بابي. قالت «لقد جاءك زائر غير متوقع اليوم».. كانت تفعل شيئًا غريبًا بوجهها، وأدركت أنها تحاول ألا تبتسم.

- «أتعنين المحقق كيمبول؟».

- «أجل، سمعت أنه اقتحم حجرة التحقيق.. لم يجدر بك أن تذهبي إلى هناك وحدك، فبوسعك دومًا أن تطالبي بوجودي عند استجوابك».

- «أعرف هذا؟».

- «ما الذي قاله لك؟».

- «كان يود أن يعرف ما إن كنت أتذكر ما قلته له قبل أن يطعنني، فأخبرته أني لا أتذكر شيئًا، وتلك هي الحقيقة، فقال إنه سيحاول أن يكتشف ما الذي أخفيه».

الآن صارت محاميتي تبتسم بالفعل، ولاحظت للمرة الأولى أنها تضع هذه الدعامات البلاستيكية غير المرئية تقريبًا على أسنانها السفلية.. قالت:

- «آسفة حقًا، لا بد أن رؤيته أزعجتك، ولم يكن يجب لهذا أن يحدث.. لقد تم إيقاف هنري كيمبول رسميًا عن مزاولة عمله، وهذا كان ليحدث حتى لو لم يأتي لرؤيتك».

- «إذن كان يتعقبني من تلقاء نفسه وليس بصفته الرسمية؟».

- «أجل، هذا صحيح، ونحن كنا نعرف هذا قبل سابق.. لكن شريكته كانت تراقبه لأنها كانت قلقة بشأن حالته العقلية، حيث اعترف لها في الليلة السابقة أنه يتعقبك في وقت فراغه، فظنت أنه صار مهووسًا بك.. لذا قادت سيارتها في اليوم التالي متوجهة لزيارته، وانتهى بها الحال لتتعقبه هي الأخرى، مما قادها إليكما في كونكورد».

- «وليس هذا فحسب، فيبدو أنهم عثروا على أشياء كتبها عنك عندما نقلوه إلى المشفى.. أبيات من الشعر».

- «حقًا؟ وماذا تقول؟».

- «سوف تلصق هذه الأبيات التهمة به لا محالة، ولا اعتقد أنه قد يتمكن من مزاولة عمله بالشرطة بعد الآن».

سألتها «إذن ما الذي يعنيه كل هذا؟».

لا بد أن هاتفها الخلوي كان يتذبذب لأنها أخرجته من جيب معطفها، وضغطت على زر، ووضعته مكانه.. «لا أريد أن أجعلك تطمحين في الكثير يا لِيلِي، ولكني أعتقد أنه يمكننا عقد اتفاق هنا.. أود أن أسألك عن رأيك بخصوص إخضاعك لتقييم نفسي، وربما تمضية بعض الوقت في مشفى لمعالجة ما تعانيه من مشكلات مع الغضب».

أخبرتها أنه سيسعدني ذلك بالطبع.

قالت «جيد، فنحن نحرز تقدمًا هنا».. نظرت إلى وابتسمت ثانية. «لا أظن أنك ستبقين هنا طويلًا بأي حال من الأحوال». نهضت ودست يدها داخل حقيبة أوراقها الناتئة.. «كدت أنسى هذا، لقد جاءك خطابًا آخر، والذي سلموني إياه بالأعلى».

مررت الظرف عبر الثقب الذي كانوا يمرروا طعامي عبره.. كان والدي هو الراسل، ففي الثلاثة أيام الماضية التي انقضت منذ زيارته لي، أرسل لي ثلاثة خطابات.. قلت لها «شكرًا لك».

غادرت محاميتي وجلست أنا على سريري، دون أن أفتح الخطاب على الفور، حيث انتظرت دقيقة.. إن ما أبلغتني به من أخبار كان أفضل كثيرًا مما توقعت.. كنت على وشك استعادة حياتي، ربما ليس على الفور، ولكني سأستعيدها في النهاية.. فتحت الخطاب وأنا أتطلع لقراءته.. اعتاد أبي

أن يكتب لي الخطابات منذ أن كنت طفلة صغيرة، وكانت دائمًا ما تبعث في البهجة.

عزيزتي ليل،

لقد غادرت والدتك الليلة لتدرس لصف الكبار خاصتها (هذا الشيء الوحيد الذي يدر لها دخلًا لعينًا!) لذا أنا هنا وحيدًا بالمنزل أطهو اللازانيا المجمدة.. وأعتقد أنها ستبقى خمس عشرة دقيقة في الفرن لذا فسوف أكتب لك خطابًا آخر.. تحدثت إلى محاميتك هذا الصباح، وقالت لي معلومات مبشرة بالخير جعلتني أدرك أنك ستستعيدين حياتك عاجلًا وليس آجلًا، وهذا ما نتمناه حقًا.

أشعر وكأن الساعة العاشرة مساء ولكنها فقط الخامسة! فالليل يأتي مبكرًا هنا.. أنا الآن استمتع بكوكتيل لذيذ اخترعته لتوي، والمكون من كوب طويل من الماء يعلوه إصبعين من السكوتش. في الواقع إنه ماء مضاف إليه طعم الويسكي..

إنه لذيذ للغاية، ويمكنني أن أشربه من بداية الصباح وحتى نهاية الليل دون أن يترك بي أية آثار سلبية.. وعلى الجانب الإيجابي، أكون أيضًا ثملًا بعض الشيء طوال الوقت خلال النهار، ومع ذلك فأنا أستيقظ في اليوم التالي وأنا أشعر أني ساطع العينين وأني حصلت على قسط كاف من النوم.. كم أتمنى لو أني اكتشفت هذه الطريقة الجديدة لشرب الخمر منذ سنوات، فكنت لأحصل على براءة اختراعها وأجني ثروة.

أصدر الميكروويف صوتًا، وكنت بحاجة لمشروب جديد.. قالت أمك إننا سنأتي في عطلة نهاية الأسبوع لرؤيتك.. حتى ذلك الحين، «اصمدي لديك»، هذا ما قالته القطة التي تتدلى من فرع الشجرة.

في صحتك يا حبيبتي،

أبوك

آه لدي ملحوظة نسيت أن أخبرك بها في خطابي الأخير، لكن لدي خبر سيئ لك. فمزرعة برادويل القديمة التي توجد إلى جوارنا بيعت إلى مدير محفظة وقائية مراهق من المدينة، والذي يهدم المكان ويبني شيئًا على غرار فندق رديء مكون من سبع وخمسين غرفة.. بدأت الجرافات في القدوم بالفعل، وأنا أخبرك بهذا فقط لأني أعلم كم تحبين هذه الأجمة الصغيرة إلى جوار المزرعة وأخشى أنهم سيقلبونها رأسًا على عقب غدًا.. أصبحت أمك على حين غرة مدافعة شرسة عن البيئة.. آسف لأني تلوت على مسامعك هذا الخبر السيئ.. وأعلم بالطبع أنك تقولين لنفسك الآن ما هذا الذي يخبرني به، وما أهميته لي في هذه اللحظة.. أراك في القريب العاجل يا حبيبتي ليل.. أبوك يحبك وسيحبك دائمًا، مهما حدث.

مكتبة
t.me/t_pdf

"أفضل رواية لهذا العام... حاذقة بلا هوادة أو رحمة مما يجعلها أقرب لأن تكون إجرامية."

إنترتاينمنت ويكلي

"مليئة بمفاجآت تجعل العقل يدور... مفقدة للصواب حقًا."

فورت وورث ستار تليغرام

"تعج بالمنعطفات الحادة ومواقف الغدر والخيانة."

بوسطن غلوب

"أسلوب رفيع في الكتابة وأكثر من مجرد بضع مفاجآت مذهلة."

هافينتغتون بوست

"هل ستحتل رواية The Worth Killing المكانة التي احتلتها رواية Gone Girl؟ ... فليس هناك تطور واحد مذهل في الأحداث، بل نحو ثلاث، منها واحد في النهاية سيسلبك أنفاسك."

إنترتاينمنت ويكلي

"رواية مثيرة استثنائية حقًا. صيغة نثرية حادة كالمشرط."

بابليشرز ويكلي (*مراجعة مميزة*)

بيتر سوانسون

هو مؤلف رواية The Girl with a Clock for a Heart.

وقد نال درجات علمية من جامعة ترينيتي، وجامعة ماساتشوستس في إمهرست، وجامعة إمرسون. وهو يعيش مع زوجته في سومرفيل، ماساتشوستس حيث ينكب على تأليف روايته الجديدة، والتي ستصدر عن دار عصير الكتب للنشر والتوزيع عمّا قريب.

t.me/t_pdf

"بينها وبين رواية Gone Girl الكثير من القواسم المشتركة ولكنها رفعت درجة الإثارة إلى أعلى حد ..."

إنترتاينمنت ويكلي

في رحلة جوية من لندن إلى بوسطن، يقابل تيد سيفرسون فتاة مذهلة تدعى ليلي كيتنر. أثناء احتساء المارتيني، يمارس الغريبان لعبة يكشفان فيها تفاصيل دقيقة عن حياتهما. ولكن ما بدأ بمجرد مزحة بين تيد وليلي أخذ منعطفًا جادًا عندما اعترف تيد بصورة شبه جادة أنه يريد قتل زوجته. وقد تفاجأ حقًا عندما أخبرته ليلي أنها تود مساعدته في قتلها.

عودة إلى بوسطن، يوطد كل من تيد وليلي علاقة استثنائية ويتحدثان حول الطرق التي يمكن لتيد من خلالها إنهاء زواجه. بيد أن ليلي لها ماض مظلم لم تشاركه مع تيد. بدأ تيد يقع في غرام ليلي، وفي هذه الأثناء ازداد قلقه بشأن وجود أية ثغرات في مخططهما والتي قد توقع بهما. وفجأة يسقط كلاهما في لعبة دموية تشبه لعبة القط والفأر، والتي لن ينجو أحدهما منها في الغالب إذا انكشف وقيل كل شيء.

"كان المخرج هيتشكوك ليصنع منها فيلمًا عظيمًا."

صحيفة فورت وورث ستار تليغرام

"يا له من أسلوب صياغة استثنائي."

نيلسون ديميل

تصميم الغلاف كريم آدم karimadam.com

9 789779 920948

عصير الكتب للنشر و التوزيع

www.booksjuice.com
contact@booksjuice.com
Book.juice1
books.juice
Books_juice